

كُلّــيــة الآداب

قسم اللغة العربية

شعبة الدراسات الأدبية والنقدية

رسـائـل العَـمـيدي دراسـة أسـلوبية

رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير بنظام الساعات المعتمدة

من قسم اللغة العربية

مقدمة من الطالب

عمر رمضان عبد الحفيظ عبد الحافظ

المعيد بقسم اللغة العربية

إشراف

أ.د.زين الدين زكـريا الـشيـخ

أستاذ الأدب والنقد ورئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب–جامعة الإسكندرية.

1445هـ–2024م.



كلية الآداب

قسم اللغة العربية و آدابها

رسائل العَميدي ، دراسة أسلوبية

رسالة مقدمة من

عمر رمضان عبد الحفيظ عبد الحافظ

للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها

لجنة الحكم والمناقشة	التوقيع
أ.د/ زين الدين زكريا الشيخ أستاذ الأدب والنقد ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية رئيساً و مشرفًا	
أ.د/ رانيا فوزي عيسى أستاذ العلوم اللغوية كلية الآداب - جامعة الإسكندرية مناقشًا	
أ.د/ سالم عبد الرازق سليمان أستاذ الأدب ، ووكيل كلية التربية- جامعة إسكندرية مناقشًا	

تاريخ مناقشة الرسالة : 2024/2/21

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

سورة القلم / 1-4

إهداء

إلى أَبِي المعلم الأول لي ، الذي علمني النحو والبلاغة ، وتربيت على حب العربية على يديه ، إلى أمي بارك الله لي فيها ، إلى إخوتي محمد وسارةِ وتسنيم ويوسف وحبيبة ، إلى زوجتي الكريمة التي هي عاجل بشراي في هذه الدنيا ، و أهلها الطيبين ، إلى ملكتي الصغيرة التي هي روحي وقطعة من فؤادي ، إلى كل أصدقائي و أحبابي وزملائي وأساتذتي و كل من علمني يومًا حرفًا ، أو أسدى إليَّ معروفًا يومًا .

أُهدي إليكم هذا العمل المتواضع الذي أرجو الله أن ينفع به ويكون خدمة للتراث العربي والعروبة و الإسلام.

الباحث / عمر رمضان عبد الحفيظ

المعيد بقسم اللغة العربية– كلية الآداب

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

ملخص رسالة ماجستير بعنوان:

رسائل العَميدي دراسة أسلوبية

مقدمة من الطالب/ عمر رمضان عبد الحفيظ.
المعيد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
إشراف
أ.د. زين الدين الشيخ –أستاذ الأدب والنقد ورئيس قسم اللغة العربية–كلية الآداب–جامعة الإسكندرية.

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن السمات الأسلوبية لِتَرسّل العميدي ، والمرتكزات الأسلوبية التي أقام عليها أسلوبه على مستويات اللغة الأربعة : الصوتية و الصرفية والنحوية والدلالية ، بالإضافة إلى دراسة اختياراته الفنية لاستفتاحات رسائله وخواتيمها و توصيفهما ، وقد أظهرت النتائج ميل العميدي إلى المبالغة والتهويل وتدقيق الوصف مما دفعه إلى الإكثار من أساليب لغوية معينة تساعده على ما أراده ، كالاستثناء المُفرَغ وخاصة بواسطة حرف الاستثناء(إلّا) مع حرفي النفي (لا ، ما) ، وأسلوب الشرط وخاصة باستعمال أدوات الشرط الغير الجازمة ك(إذا –لو – لمّا –لولا) ، كما كُثر في رسائله ظهور الحال و بالتالي ظهور المشتقات الصرفية بكثرة خاصة اسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة و اسم التفضيل ، إلى جانب تعدد الوصف من خبر ونعت وحال ؛ وذلك لاتباعه حلية أسلوبية وهي السجع المتوازي ، وقد جاء المفعول المطلق المبين للنوع كثيرًا في رسائله لرغبته في المبالغة في الوصف والتهكم ، كما ظهر توظيفه بكثرة للمفعول المطلق المؤكد لعامله المحذوف وجوبًا وخاصة لفظة (فضلًا) وهو يستعملها في المقارنة ، كذا أكثر من لفظ (كل) للمبالغة والتهويل ، ومن لفظ كم الخبرية للتحسر على ما فاته ، وعلى المستويين الصوتي والدلالي ظهر الجناس الناقص في رسائله كمرتكز من مرتكزات أسلوبه ، بالإضافة إلى إيقاعه الجناس مع الكلمات المتطابقة و أحيانًا مع الكلمات القريبة المعنى ، كما ظهرت المقابلة كسمة أساسية لأسلوبه والتي يوظفها غالبًا في التهكم والسخرية ، إلى جانب توظيفه لمراعاة النظير في كل رسائله ، والتزامه السجع في كل ترسله ، وفي بعض الأحيان يأتي بالعطف في إحدى قرينتي السجع دون الأخرى للإطالة في الوصف والمبالغة والتهويل ، كما أكثر من توظيف حرفي العطف (بل ، لا) أكثر من غيرهم من حروف العطف الأخرى ، وهو عادة ما يوظف (بل) للمبالغة في الذم ، ويستخدم (لا) في المقارنة ، كما جاءت المماثلة بصورة ملفتة في رسائله فهو يعتمد عليها كمرتكز لأسلوبه ، كما اعتمد أيضًا على التكرار التركيبي للجمل للتركيز على نقاط معينة يريد لفت الانتباه إليها ، ولتوحيد الجرس الموسيقي ، وعلى المستوى الدلالي كان للتشبيه البليغ بالمركب الإضافي ظهور قوي في رسائله فلا تكاد تخلو منه صفحة ، إلى جانب حضور التشبيه التمثيلي بقوة بجانب توظيفه الخيال الممتد ، كما جاءت الاستعارة المكنية أكثر توظيفًا من الاستعارة التصريحية ، وفي سمات

أسـلوبية عامة ، رأينا العميدي يميل إلى إطناب المعاني وخاصــة بالترادف (بالكلمات– الجمل) والاعتراض وهو ما أظهر ثراءه المعجمي ، إلى جانب سمة أسلوبية لاحظها الباحث في أسلوب العميدي وهو جريان أسلوبه في نغمة ملحمية متصاعدة منبعها عاطفته الملتهبة الشديدة ، حيث نرى الجملة تتبع الأخرى فتعلوها شدة وقوة ، وهو يوظف هذا الأسلوب في كافة أغراضه رسائله ، إلى جانب ميله إلى التهكم والسـخرية فقد كان مرحًا خفيف الظل ، كما كان أسـلوبه يميل إلى المبالغة والتهويل ، والتملق فقد كان يراسل كبار رجال الدولة الفاطمية ، وقد تنوعت استفتاحات رسائله من كلام منثور وشـعر وقرآن ، وقد أتى كلامه المنثور على أربع صور : الجملة الاسمية ، الجملة الفعلية ، جملة النداء ، جملة الشرط ، كما شملت خواتيم رسائله من الكلام المنثور معاني التهديد و الاسترضـاء واستماحة الحوائج والدعاء ورد آخر الرسالة إلى أولها إلى جانب الاختتام بالشعر والقرآن الكريم ، وقد كانت أغلب رسائله إخوانية في شتى الموضـوعات وقد وصـلت رسـائله الإخونية إلى حوالي (66) رسالة ، ورسائله الأدبية والتي غالبها في الوصــف إلى حوالي (26) رســالة ، أمّا الرســائل الديوانية فبلغت حوالي (5) رســائل ، وبالنسـبة إلى عناوين الرسائل فكانت من عمل ناسخ الرسائل ، وقد ظهرت في رسائله ظاهرة حل المنظوم ، وبمقارنة السمات الأسلوبية التي ظهرت للباحث من خلال تحليله لرسائل العميدي بالسمات الأسلوبية لمقدمة كتابه " الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى" ، ومقدمة الجزء الرابع فيه أيضًــا – هما الشــاهدان الوحيدان الباقيان على أسـلوبه– تبين للباحث التشــابه الكبير بين أسـلوب الكتابة في الرسائل موضـع الدراسـة وأسلوب المقدمتين على الرغم من صـغر حجمها –فقد جاءت إحداهما في ست صـفحات والأخرى في صفحتين –فقد ظهرت فيهما أغلب سمات العميدي الأسلوبية ، كما توافقت جل سمات العميدي الأسلوبية مع السمات الأسلوبية للكتابة في العصـر الفاطمي بمصـر في القرن الرابع الهجري كالتزام السـجع والجناس و المطابقة والميل إلى اسـتقصـاء الوصـف والمبالغة والتهويل وهذا شـاهد ثانٍ إجرائي يطمن الباحث إلى ثبوت نسـبة الرسـائل للعميدي موضــع الدراسـة ، كما رجع الباحث إلى كل من سـموا بالعميدي في التراث العربي –في حدود علم الباحث– فوصـلوا إلى حوالي اثنتي عشـرة شـخصـية ، وبمراجعة عصـورهم التاريخية و أهم أعمالهم ووظائفهم و أماكن عيشـهم ، اطمئن الباحث مرة أخرى إلى ثبوت نسبة هذه الرسائل إلى أبي سعد العميدي موضـع الدراسة.

الكلمات المفتاحية

العميدي ، الأسلوبية ، دراسة.

ALEXANDRIA UNIVERSITY
Faculty of Arts
Arabic Language Department

Abstract of Master Dissertation
Titled
Al-Ameedi's Letters, a Stylistic Study

Submitted by the Researcher
Omar Ramadan Abdel-Hafeez

Supervised by
Prof. Zain Al-Din Al-Sheikh

Professor of Literature and Criticism
and Head of the Arabic Language Department
Faculty of Arts, Alexandria University

This study aimed to reveal the stylistic features of Al-Ameedi's writing, and the stylistic foundations upon which he based his style on the four levels of language: grammatical, morphological, phonetic, and semantic, in addition to studying his artistic choices for the openings, the conclusions of his letters, and the descriptions of his letters. The results showed Al-Ameedi's tendency toward exaggeration, overstatement, and accuracy of description, which It prompted him to use certain linguistic methods to help him achieve what he wanted, such as the negative, incomplete exception, especially by using the letter of exception (illa) with the two negative letters laa, ma, and the conditional style, especially by using non-assertive conditional devices such as (iizah - law - lamma - lawlaa), as were many. In his letters, the adverb appears, and consequently the appearance of morphological derivatives in abundance, from a participle, an object, an exaggerated form, and a superlative noun especially, in addition to the multiplicity of descriptions, such as a predicate, an adjective, and an adverb. This is because he followed a stylistic trick, which is parallel assonance. The absolute object indicating the type appeared many times in his letters due to his desire to exaggerate in description and sarcasm. His frequent use of the absolute object which affirmative for for its obligatory omitted factor, especially the word (fadlan), which he uses in comparison, as well as more than one word (kull).) to exaggerate and overstatement, and from the word "kam predicate " to bemoan what he missed, and on the phonetic and semantic level,the incomplete alliteration appeared in his letters as one of the foundations of his style, in addition to his use incomplete alliteration with opposite words and sometimes with words close in meaning, and the contrast also appeared as a basic feature of his style, which he often employs in sarcasm. And sarcasm, in addition to his use the Consider peer in all his letters, and his commitment to assonance in all his letters, and sometimes he uses the conjunction in one of the two pairs of assonance and not the other for lengthy description, exaggeration, and overstatement , and he also uses the conjunctions (bal, laa) more than other letters. The other, which he is usually used (bal) to exaggerate slander, and is used (laa) to compare, and similarity appears strikingly in his letters, so he relies on it as a basis for his style. He also relied on the structural repetition of sentences to focus on specific points that he wanted to draw attention to, and to unify the musical timbre, and to Semantic level: The eloquent simile with the additional compound had a strong appearance in his letters, as hardly a page was without it, in addition to the strong presence of the representational simile, in addition to his use of extended imagination. The hidden metaphor was also more widely used than the declarative metaphor, and in general

stylistic features, we saw Al-Ameedi tending to exaggerate meanings, especially In tandem (with words - sentences) and interjection, which demonstrated his lexical richness, in addition to a stylistic feature that the researcher noticed in Al-Ameedi's style, which is the flow of his style in an ascending epic tone that comes from his intense, fiery emotion, where we see one sentence following another, rising in intensity and power, and he employs this style for all his purposes. His letters, in addition to his tendency to sarcasm and irony, were light-hearted, and his style tended to exaggeration, overstatement and flatter becaus He was corresponding with senior men of the Fatimid state. The openings of his letters varied from prose words, poetry, and the Qur'an, His prose took four forms: The nominative sentence, the verbal sentence, the vocative sentence, the conditional sentence. and the conclusions of his prose letters included the meanings of threat, appeasement, pleading for needs, and supplication, and the end of the letter was returned to the beginning, in addition to concluding with poetry and the Holy Qur'an. Most of his letters were letters on various topics, and his Friendly letters reached To about (66) letters, and his literary letters, which are mostly descriptive, about (26) letters, as for the Official letters, they amounted to about (5) letters, and as for the titles of the letters, they were the work of the copyist of the letters , As it appeared the phenomenon of the dismantling of the system in his speech, and by comparing the stylistic features that appeared to the researcher through his analysis of Al-Ameedi's letters With the stylistic features of the introduction to his book "clarification Al-Mutanabbi's Thefts, verbally and in meaning", and the introduction to the fourth part therein as well, which are the two remaining witnesses to his style, it becomes clear to the researcher the great similarity between the style in his letters under study and the style in the two introductions, despite their small size, as one of them was six pages and the other was two pages, and they also agreed and most of his stylistic features appeared in them. As Most of Al-Ameedi's stylistic features are combined with the stylistic features of writing in the Fatimid era in Egypt in the fourth century AH, such as the commitment to assonance, alliteration, Contrast , and the tendency to investigate description, exaggeration, and overstatement. This is a second procedural evidence that reassures the researcher that the attribution of the letters to Al-Ameedi, the subject of the study, is proven. The researcher also referred to all those named by Al-Ameedi in Arab heritage - within the limits of the researcher's knowledge - reached about twelve people, and by reviewing their historical eras, their most important works, their jobs, and their places of living, the researcher was reassured once again that the attribution of
these letters to Abi Saad Al-Amidi, the subject of the study, was proven.

key words: Al-Ameedi, stylistics, study.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي ربّى عباده على نعمه و آلائه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين ، الذي ما ترك خيرًا إلى أرشدنا إليه ، ولم يترك شرًا إلّا و حذرنا منه ، فصلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين صلاة لا انقطاع لمَددها ومُدَدِها ، ورضي الله عن صحابته الغرِّ الميامين ، ثم أمّا بعد....،

فالأسلوبية منهج حديث قديم ، لطاما اكتنفته الآراءُ المتضادة المتباينة ، التي اختلفت حتى في أولى معالمه ، أهو طريقة أم مذهب أم منهج...إلخ ، ولكن مع هذا ظل رأي العالم الفرنسي بوفون في تعريفها هو أكثر الآراء المتوافق عليها ، إلى الآن حين قال : الأسلوب هو الرجل ، فهو بهذا التعريف القصير الوجيز جعل الأسلوبية بمثابة البصمة الواراثية المميزة لشخص عن آخر ، فكما أن بصمات الأشخاص نتعرف بها إلى هُوِيَّاتِهم ، فقد أثبت هذا البحث المتواضع صحة نسبة هذه الرسائل إلى العميدي ، بالاعتماد على استخراج السمات اللغوية الأسلوبية التي اعتاد العميدي على توظيفها في رسائله –موضع الدراسة – ومقارنتها بما هو ثابت من أسلوبه .

فرسائل العميدي المدروسة –كما سنرى– لم يجزم محققها وناشرها وهو الأستاذ إحسان ذنون الثامري– جزاه الله خيرًا– من نسبتها إليه ، إذ وجدها في أول الأمر وقد صُحّف عنوانها فكانت بعنوان " رسائل ابن العميد" ولكن بعد تدقيقه و إمعانه النظر و مراجعته الأماكنَ والأشخاص المذكورة في الرسائل في المصادر التاريخية و الجغرافية ،إلى جانب بعض الإشارات داخل الرسائل –تعرضنا لها في التمهيد– قد استطاع أن يصل إلى درجة من التأكد للقول بنسبة هذه الرسائل للعميدي ، والبحث الحالي هو محاولة للتعرف إلى السمات الأسلوبية للعميدي في رسائله أولًا ، ثم مناظرتها بأسلوب ما ثبت لدينا من كتاباته ، كمحاولة ثانية بجانب محاولة أ.د. إحسان الثامري للتأكد من صحة نسبة هذه الرسائل للعميدي ، ولكن هذه المحاولة ستكون من خلال العمل ذاته مستندة إلى الدراسة الإجرائية للسمات الأسلوبية التي أُولِع بها العميدي فأكثر من توظيفها واستعمالها في رسائله حتى أضحت بصمة أسلوبية دالة على أسلوبه وطريقته.

والعميدي كاتب مُفلِق ، فصيح الكلمة ، بيِّن المعنى ، بليغ المنطق ، حيّ الوجدان ، فَطِن العقل ، عاطفي المزاج ، مظلوم في حياته ، وبعد مماته ، ففي آخر حياته عانى من إدبار الدولة العلية عنه فقطع راتبه عنه خمس سنين –كما جاء في رسائله– ، وظلم بعد مماته إذ طُمست كل آثاره و مؤلفاته، ولم يبق لنا من مؤلفاته إلا كتاب الإبانة المطبوع ، ومختصر صغير لكتابه تنقيح البلاغة بالخزانة الملكية بالرباط ، ورسائله موضع

الدراسة ، والتي خرجت إلى النور بنشرها عام 2013م ، وكانت من قبل مخطوطةً في مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية ، إلى جانب سقوط تاريخ ولادته ، والاختلاف في تاريخ وفاته ، بل وصل الاختلاف أحيانًا إلى الاختلاف في اسمه ونسبه –كما سنرى– ، ولم يأت في ترجمته إلا ترجمة قصيرة اختُلف فيما فيها أكثر مما اتفق عليه ، وهي ترجمة ياقوت الحموي له في معجم الأدباء وقد تناقلتها كتب التراجم من بعده ، وإن الناظر إلى رسائله ليعجب كيف أهمل هذا الرجل وهُمّش وهو قد أوتي من البلاغة والفصاحة والثراء المعجمي ما أوتي ، ولعل السبب في ذلك ما رجحه د. شوقي ضيف من أن سعي الأيوبيين إلى طمس كل معالم الفاطميين قد أدى في بعض الأحيان إلى طمس كتابات فنية مُونِقة وصفحات أدبية مشرقة أيضًا ، وكان لكتابات العميدي نصيبٌ من هذا الطمس.

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء إجراء هذا البحث فكانت :

1- كبر حجم الرسائل ، فقد وصلت إلى حَوَالَي 97 رسالةً في 435 صفحةٍ ، و تنازع رغبة الباحث ما بين اختيار السياق الأصغر- اختيار بعض الرسائل التي من نفس النوع- و اختيار السياق الأكبر – وهو كافة الرسائل- وقد اختار الباحث السياق الأكبر حتى يستطيع الإحاطة بكافة سمات العميدي الأسلوبية.

2- الرغبة في الإحاطة الكاملة بكافة الخصائص والسمات الظاهرة بقوة في رسائل العميدي و تحليلها ، وليس الاكتفاء بدراسة عناصر لغوية عامة وتحليلها دون النظر هل هي سمات أسلوبية للكاتب أم لا ؟ وهل أكثر الكاتب من استخدامها بصورة تجعلها سمة أسلوبية أم هي عناصر لغوية عامة ليس لها عَلاقة بالسمات الأسلوبية الخاصة بالنص؟.

3- ندرة المعلومات عن الكاتب موضع الدراسة ؛ مما ألزمني علميًّا البحثَ في كتب التراجم ومراجعة كل لفظة وردت في ترجمته بدقة لإعطاء هذا الكاتب البليغ جزءًا من حقه علينا من الاهتمام.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فكانت:

1- اهتمامي الشديد بالتراث وصفحاته ، ودراسته دراسة تعتمد على حداثة المنهج وجِدَّتِه في تحليل النص ونقده.

2- الرغبة في التحقق إجرائيًا من صحة نسبة الرسائل للعميدي من خلال تحليل أسلوب الرسائل و مناظرته بأسلوب ما هو ثابت من كتاباته.

3- ندرة الدراسات ، وقلتها حول هذا الكاتب خاصة في موضوع الدراسة الحالية.

أما عن أهداف البحث فكانت :

1-الكشف عن السمات الأسلوبية التي ميزت أسلوب العميدي.

2-التحقق من صحة نسبة الرسائل -موضع الدراسة- للعميدي ، من خلال مناظرة أسلوبه فيها بأسلوبه في كتابه الوحيد المطبوع له.

3- معرفة مدى توافق أسلوبه مع السمات الأسلوبية العامة للكتابة في العصر الفاطمي بمصر ، كدليل إثبات ثانٍ على صحة نسبة الرسائل للعميدي موضع الدراسة.

4- خدمة التراث العربي ، والسعي إلى الكشف عن كنوزه و لآلئه.

أمّا عن حدود البحث فكانت:

دراسة الجوانب اللغوية في رسائل العميدي واستخلاص أهم السمات الأسلوبية فيها.

أمّا عن المنهج المتبع :

فقد اقتضت طبيعة البحث أن يتبع الباحث فيه المنهج الأسلوبي الوصفي ، القائم على رصد الظواهر الفنية واللغوية الواردة في رسائل العميدي ، ثم تحليلها للوقوف على عناصرها الأولية بُغْيَة رصد الخصائص الأسلوبية التي ميزت لغة العميدي في رسائله.

أمّا عن الدراسات السابقة :

فكانت هناك أربع دراسات تناولت دراسة رسائل العميدي وهي :

1- رسائل العميدي -موضع الدراسة- لأبي سعد العميدي :

وهي الرسائل -موضع الدراسة- وقد حققها أ.د.إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري ، و نشرها أول مرة في جامعة الملك سعود ، ضمن إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، لعام 1434 هـ /2013 م ، وقد ذكر المحقق في مقدمة الكتاب ما قام به من جهود لنشر هذه الرسائل ، وكانت في أصلها عبارة عن مخطوطين في مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقام بالتوفيق بين نصيهما ، وقد نبه على أهمية هذه الرسائل ، وعرض ترجمة للعميدي .

2- الخطاب السياسي للدولة الفاطمية تجاه الزعامات المحلية الشامية المعارضة من خلال رسائل العميدي [-433هـ/ 1024م] :

وهو بحث ترقية مقدم من الدكتورة خلود بنت محمد بن عايد الأحمدي ، وقد نشر في مجلة العلوم العربية والإنسانية ، جامعة القصيم ، العدد الرابع والثلاثون ، لعام 2016م ، ص 1363-1415 ، تناولت فيها الرسائل التي حوت مجموعة من الأحداث التاريخية التي وقعت في مطلع القرن الخامس الهجري ، وهو حدث استيلاء أسد الدولة صالح بن مرداس على حلب وتهديده الخليفة الفاطمية في مصر ، من خلال بعض رسائل العميدي الديوانية الصادرة من بلاط الظاهر لإعزاز دين الله إلى الأرجاء وهي الرسائل رقم 56 ، 57 ، 60 ، 77 ، وقد تناولت الباحثة في المدخل تعريف الرسائل الديوانية والفرق بينها وبين الرسائل الإخوانية ، ثم نبهت على أهيمة هذه الرسائل ، وقد عرضت عرضًا موسعًا قليلًا عن ترجمة العميدي وإن لم تستوف عدة جوانب منها ، ثم حللت تلك الرسائل وفقًا للدراسة التاريخية ، ثم جاءت الخاتمة ، وثبت المراجع.

3- جمالية البنية التصويرية في الرسائل الإخوانية ، رسائل العميدي نموذجًا:

وهو بحث ترقية ثانٍ مقدم من الدكتورة مريم محمد الأمين الشنقيطي ، وقد نشر في حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق ، العدد الأربعون ، لعام 1441هـ/2020م ، ص 505-530، ، وهو يتكون من مقدمة ومبحثين ثم خاتمة وثبت المراجع ، وقد تناولت الباحثة في المقدمة التعريف بفن الترسل و الرسائل الإخوانية ، وفي المبحث الأول تعرضت إلى عناصر الصورة الفنية و التصوير الفني من تشبيه واستعارة وكناية ، وفي المبحث الثاني وقفت وقفة يسيرة عند التعريف بالعميدي لم تتجاوز ثمانية أسطر ، ثم تحدثت عن أهمية دراسة تلك الرسائل ، ثم عرضت عرضًا موجزًا لنماذج من التشبيه والاستعارة والكناية قامت باختيارها من رسائل العميدي الإخوانية ثم قامت بتحليلها، ثم أهم النتائج ، وثبت المراجع.

4- رسائل العميدي الديوانية موضوعاتها وبناؤها الفني :

وهو بحث ترقية ثالث قامت به الدكتورة صباح محسن محمد علي الردادي ، أستاذة الأدب والنقد المساعدة بجامعة طيبة بالمدينة المنورة ، وقد نشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق، العدد الحادي والعشرون ، المجلد الثاني ، لعام 1443هـ / 2021 م ، ص 1255-1328، وقد تضمن البحث تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت المراجع ، وفي التمهيد قدمت الباحثة مقدمة موجزة عن فن الرسائل في العصر الفاطمي عامة وديوان الإنشاء خاصة وأهم كُتَّابه ، ثم عرَّفت بالرسائل الديوانية ، وفي المبحث الأول قدمت تعريفًا موجزًا عن العميدي وحياته ثم أشارت إلى أهمية رسائل العميدي الديوانية من الناحية الأدبية و التاريخية، وقد عدتهم خمس رسائل للعميدي هي الرسائل رقم: 24 ، 56 ،57 ، 60 ، 77 ، وفي المبحث الثاني تناولت موضوعاتها و مضامينها على الترتيب : البشارة و التهديد والوعيد والفتح والإحماد ، ثم تعرضت للبناء الفني لتلك الرسائل محللة مقدمتها وطريقة بنائها وخاتمتها في المبحث الثالث والأخير ، ثم جاءت الخاتمة بأهم نتائج الدراسة ثم ثبت المراجع والمصادر.

أمّا عن التعريف بالموضوع :

فينقسم البحث إلى تمهيد ، وثلاثة فصول ، وتعقيب :

وقد احتوى **التمهيد** على مبحثين :

المبحث الأول : العميدي حياته ، وآثاره الأدبية.

المبحث الثاني : المدخل إلى الأسلوبية.

الفصل الأول : الأسلوبية ، والشكل النصي وبنيته: وقد احتوى على أربعة مباحث :

المبحث الأول : صور استفتاحات رسائل العميدي.

المبحث الثاني : صور اختتامات رسائل العميدي.

المبحث الثالث : صور عناوين رسائل العميدي.

المبحث الرابع : توصيف رسائل العميدي.

الفصل الثاني : الأسلوبية التركيبية والتكوين النصي : وقد احتوى على مبحثين :

المبحث الأول : على المستوى التركيبي العام.

المبحث الثاني : على المستوى التركيبي الخاص (النحوي والصرفي).

الفصل الثالث : الأسلوبية الشكلية والدلالية: وقد احتوى على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأسلوبية على المستوى الشكلي والدلالي.

المبحث الثاني : الأسلوبية الدلالية.

المبحث الثالث : سمات أسلوبية عامة.

ثم **تعقيب.**

وبعد أن أنهيت الفصول والمباحث عرضت أهم نتائج البحث وتوصِيَاته ، مع وضع الملاحق و ثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في آخر البحث.

ولا يسعني في النهاية إلّا التقدم بوافر الشكر للأستاذ الدكتور / **زين الدين زكريا الشيخ** ، أستاذ الأدب والنقد ، ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية ، على ما منحني إياه خلال فترة إشرافه عليّ من عطاء بداية من مساعدتي في وضع عنوان البحث ومرورًا بما أفادني به من توجيهات ونصائح خلال فترة البحث، ومعاونته إيَّاي بتوفير كثير من مصادر البحث ومراجعه ، وختامًا بمساعدته إيّاي على إتمام البحث على أكمل وجه ، فله مني كل الثناء والشكر ، كما أشكر الأستاذة الدكتورة الكريمة / **رانيا فوزي عيسى** ، على ما منحتني إياه من كريم وقتها وجهدها في مراجعة الرسالة ومناقشتها فلها منّي كل التحية والإجلال ، كما أتقدم بخالص الشكر للأستاذ الدكتور / **سالم عبد الرازق سليمان** ، أستاذ ووكيل كلية التربية جامعة الإسكندرية ، لما منحني إياه من وقته الغالي للنظر في بحثي ومناقشته ، فله مني كل الثناء والشكر.

فهرس الموضوعات

التمهيد

وفيه مبحثان:

1-المبحث الأول: العميدي حياته وآثاره الأدبية ، وفيه :

1-1-0- ما جاء عنه في كتب التراجم.

2-1-0- ميلاده ووفاته.

3-1-0-بين العميدي وابن العميد.

4-1-0-تلاميذه و رواة أدبه.

5-1-0- أهم الوظائف التي تقلدها واتصاله بكبار رجال عصره.

6-1-0- آثاره الأدبية ومؤلفاته.

7-1-0- لمحة عن الحياة الأدبية في عصره.

8-1-0- لمحة عن الحياة الاجتماعية والسياسية في عصره.

2-المبحث الثاني : المدخل إلى الأسلوبية ، وفيه :

1-2-0- الأسلوبية ومستويات اللغة.

2-2-0- تعريف الأسلوبية.

3-2-0- الأسلوب عند العرب.

4-2-0- أنواع الأسلوبية.

5-2-0- الإحصاء والدراسات الأدبية.

6-2-0- الأسلوبية والبلاغة والنحو والأدب.

المبحث الأول

العميدي حياته ، وآثاره الأدبية

1-1-0-ماجاء عنه في كتب التراجم:

لم تذكر الروايات أصله، و لا يُعرف عن حياته الكثير قال عنه ياقوت(-626هـ):"أبو سعد [1] محمد بن أحمد بن محمد العميدي أديب نحوي لغوي مصنف ، سكن مصر ، قال عنه أبو إسحاق الحبال[2] [-482هـ] : أبو سعد العميدي له أدبيات، مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة[3] وكان العميدي يتولى ديوان الترتيب وعزل عنه – كما ذكر الروذباري – في سنة ثلاث عشرة أيام الظاهر[حكم مصر 411هـ -427هـ] ، ووليه ابن معشر[وعند القفطي ولي بعده ابن ميسر] ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر أيام المستنصر[حكم مصر 427هـ - 487هـ] ، اِستُخدم فيه عوضًا عن ولي الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين و أربعمائة [4]، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الدهلي في جمادى الآخرة من

---

[1] و قد وردت كنيته أبي سعيد أيضا في كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنىً، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي،دار المعارف، د.ط ، 1961م، ص 67، و عند القفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ،ط1 ، 1982م ، 46/3، والسيوطي في بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، لبنان-صيدا، د.ط، 47/1، والمقريزي في المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان،ط2 ، 2006 م ،رقم (1879)، 5/ 161.

[2] انظر: وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة 375هـ إلى 456هـ، لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، تحقيق : محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة ،الرياض- السعودية، ط1، 1408هـ ، ص 75، ترجمته برقم (296) ، وقد جاء وصف للعميدي لأهل مصر في رسالته ص : 432-436.

[3] وقد أجمعت المصادر على تاريخ وفاته في سنة 433هـ، باستثناء القفطي في كتابه إنباه الرواة فإنه يجعلها في سنة 443هـ، ولعل هذا اللبس من النساخ، وقد نقلها عن القفطي بنفس الخطأ، تقي الدين المقريزي [-845هـ] ، في كتابه المقفى الكبير، ص:161.

[4] وقد وقع تخبط كبير في وفاة ولي الدولة ابن خيران ، فنجده في مؤلف واحد يموت بأكثر من تاريخ وفاة في أماكن متفرقة من الكتاب نفسه فتارة يموت سنة 402 وأخرى نراه يشارك في أعمال بعد هذه السنة ، انظر: إتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، لتقي الدين المقريزي ، تحقيق د.جمال الدين الشيال و د. محمد حلمي محمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، القاهرة- مصر ، ط1 ، د.ت، 92/2 ، وانظر 2/ 129، 142، 148 ، ونجده قد توفي في=

سنة ست وثلاثين وأربعمائة[1042م][1] ،وله تصانيف في الأدب، منها : "كتاب تنقيح البلاغة" في عشرة مجلدات ، رأيته في خزانة الملك المعظم ، وعليه خطه ، وقد قرئ عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب "الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور" وكتاب " انتزاعات القرآن" وكتاب "القوافي" كبير ،قال علي بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه: [من بحر الوافر]

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي ... مقرّ عبادة إلا القرافه[2]

لئن يرحم المولى اجتهادي ... وقلّة ناصري لم ألق رافه"[3]

=رمضان سنة431هـ في أيام المستنصر انظر: معجم الأدباء ، ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي[-626ه] ، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 1993م ، 380/1-384 .

[1] الثابت وفاة العميدي سنة 433ه وكما هو في الرواية نفسها، والرواية تذكر تولي أبو الفرج الدهلي ديوان الإنشاء بعد العميدي مباشرة في سنة 446ه، فماذا حدث بالنسبة لديوان الإنشاء في السنوات الثلاث بين وفاة العميدي وتولي أبو الفرج الدهلى ديوان الإنشاء؟!!

[2] ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان القرافة فقال : " القرافة : خطة بالفسطاط بمصر كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر، وهي اليوم مقبرة أهل مصر ، وبها أبنية جليلة ومشاهد للصالحين وترب للأكابر مثل أحمد بن طولون " ثم استشهد ببيتي العميدي السابقين ، معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1995م ، 317/4، وهذا يدل على سكن العميدي مصر.

[3] معجم الأدباء، لياقوت الحموي ، 2348/5-2349، ونجد الرواية نفسها عند جمال الدين أبو الحسن القفطي[-646ه] -و كان معاصرًا لياقوت- في إنباه الرواة على أنباه النحاة ،46/3-47 ، مع إضافات بسيطة في أولها وفي آخرها ، أما الزيادة الأولى فهي نصه على أن العميدي "كان فاضلا مصنفًا" وأما الثانية فهي التنبيه على أن كتاب العروض وكتاب الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنىً هما من ضمن مؤلفات العميدي ، كما نبه على أن من ولي ديوان الترتيب بعد عزل العميدي في عهد الظاهر هو ابن ميسر وليس ابن معشر كما ذكر ذلك ياقوت وقد رجح محقق رسائل العميدي د.إحسان ذنون الثامري أنه ابن ميسر كما ذكر ذلك القفطي ، انظر : رسائل العميدي ،لأبي سعد العميدي، تحقيق إحسان ذنون الثامري ، جامعة الملك سعود،كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ط1 ، 2013م ، المقدمة ص : (هـ) ،وكذلك نجدها كما هي بلا زيادة أو نقصان عند كلٍّ من : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[-696ه] في الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط – تركي مصطفي، دار إحياء التراث ، بيروت، د.ط ، 2000م،55/2، وكذلك عند جلال الدين السيوطي[-911ه] في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، 47/1، أما كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنىً وهو الكتاب الوحيد له=

=الذي كتب له البقاء من جميع مؤلفاته فلم يزد المحقق شيئا عن نقل ترجمة العميدي عند ياقوت كما هي في مقدمة تحقيقه للكتاب ص 15 وقد سبق تخريج الكتاب ، كما نجد الرواية السابقة نفسها مقتضبة مع النص على أن كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنىً يتبع العميدي عند خير الدين محمود بن محمد الزركلي [-1396هـ] في كتابه الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط15 ، 2002، 314/5، ونجد الرواية نفسها مضافًا إليها معلومة صغيرة كان لها أهمية كبرى في إثبات صحة نسبة الرسائل- موضع البحث - للعميدي ،وهي النص على أن كتاب خبر قتل صالح بن مرادس كان من ضمن المؤلفات التي ألفها العميدي بالإضافة إلى المؤلفات الواردة في الرواية السابقة وذلك عند علي بن أنجب تاج الدين ابن الساعي[-674هـ] في كتابه الدر الثمين في أسماء المصنفين ،تحقيق أحمد شوقي بنبين -محمد سعيد حنشي ،دار الغرب الإسلامي ، ط1، تونس،2009م،ص184، ونجد صاحبنا قد صُحف اسمه فأصبح محمد بن أحمد العمري و كذلك صُحف تاريخ وفاته ليصبح 423هـ ، وذلك في غضون الحديث عن مؤلفه تنقيح البلاغة في رواية كشف الظنون لمطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور بحاجي خليفة [-1656م] ، وكالة المعارف ، إسطنبول-تركيا ،ط1 ، 1941-1943 م،499/1،كما نلاحظ الشك في اسمه في رواية يوسف سركيس[-1932م] هل هو أبو سعيد بن أحمد العميدي أم العبيدي ؟ وذلك في غضون تعريفه لمؤلف العميدي الإبانة عن سرقات المتنبي وذلك في كتابه معجم المطبوعات العربية والمعربة ،مطبعة سركيس ، مصر، د.ط ،1928م، 2/ 1386، وقد أكد آغا بزرك الطهراني على حدوث ذلك التصحيف في كشف الظنون في ترجمة العميدي معتمدا على رواية ياقوت الحموي السالفة الذكر -وذلك في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، دار الأضواء -بيروت-،ط3، 1983م، 4/ 461-462 ، ولا جديد في ترجمة العميدي في هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل بن مير سليم البابابي البغدادي [-1399هـ] ، وكالة المعارف، إسطنبول-تركيا ،ط1 ، 1951-1955م ،64/2.،وكذلك لا جديد في ترجمة العميدي عند محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي [-945هـ] في كتابه طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1 ،1983م،88/2، وقد نقل الرواية عن القفطي، كما نجد ترجمة العميدي مقتضبة على أنه أديب لغوي نحوي سكن مصر وتولى ديوان الترتيب والإنشاء ثم يذكر بعض مؤلفاته وذلك في معجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشقي[-1408هـ] ،دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ، د.ط ،د.ت ، 9/ 13،ولا نجد أي ذكر للعميدي في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان [-681هـ] ،تحقيق إحسان عباس، دار صادر ،بيروت، ط1 ،1994م ، وكذلك لا شيء يذكر عن العميدي في كتاب العبر في خبر من غبر ، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي [-748هـ] ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ط، د.ت ، وكذلك الحال في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي [-1089هـ] ، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1 ، 1986م ، وفي يتيمة الدهر للثعالبي [-429هـ] لم يورد إلا ثمانية أبيات للعميدي في استهداء الحنطة والحطب ، والجد والمداعبة ، دونما أي شيء آخر عن العميدي وإن ورد اسمه فيه تصحيف فجاء محمد بن أحمد بن جمل العميدي ، ولم اهتدِ لرجل سمي بهذا الاسم، وغالب الظن أنه تصحيف لاسم العميدي وقد كانا متعاصرين ، يتيمة الدهر في=

فرواية ياقوت السابقة تناقلتها كتب التراجم- كما ذكرنا من قبل- وإن كان قد وردت بعض الزيادات البسيطة في بعض كتب التراجم والتي كان لها أهمية كبرى كما أشرنا ، أما الراوية الثانية والأخيرة و التي تناقلتها كتب التراجم عن العميدي فهي الرواية التى جاءت في صبح الأعشى للقلقشندي[-821هـ]- وقد جاء ذكره فيه مقتضبًا جدًا- يقول " لما ولي الفاطميون الديار المصرية صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتَّابه فارتفع بهم قدره ،وشاع في الآفاق ذكره ، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي ،فكتب للعزيز بالله ابن المعز أبو المنصور ابن نسطورس النصراني ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه ... وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين ابن خيران ثم ولي الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد العميدي" [1] هذا كل ما نجده فى ترجمة الرجل في كتب التراجم والأدب ! ومن العجيب أن كاتبًا مثل العميدي لم ينل حظه من الاهتمام والدراسة ،فالذي يطالع رسائله-وقد نشرت حديثًا سنة 2013م- أو كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى يدرك قدر هذا الكاتب المفوَّه الذي أوتي من أسرار البلاغة والفصاحة ما أوتي ،حتى إن رسائله لتحف فنية يقف القارئ أمامها مدهوشًا من دقة صنعته وإحكامه لها وثراء معجمه اللغوي ، ولعل تبعيته للدولة الفاطمية وتمذهبه بالمذهب الشيعي كان له أثر بالغ في تجاهله ومحو آثاره

=محاسن أهل العصر ، لعبد الملك بن محمد الثعالبي، دار الكتب العلمية، لبنان -بيروت-،ط1 ، 1983م،247/5، أما البيتان اللذان في آخر الترجمة فنجد المقريزي ، في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية-بيروت-،ط1، 1998م،330/4، ، يستشهد بهما للعميدي في ذكر القرافة وقد نقل المقريزي روايته عن القفطي أيضًا في كتابه المقفى الكبير،161/5،لكنه أورد في نهاية الترجمة بيتين آخرين للعميدي رواهما له محمد بن محمود ابن الدليل الصواف والحسين بن محمد بن أحمد النيسابوري وهما: [من بحر الخفيف]

منزلي منزل الكرام ونفسي...نفس حر ترى المذلة كفرًا
فإذا ما رضيت بالقوت دهري...فلماذا أزور زيدًا وعمرًا؟ .

[1] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ،تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط1 ، 1987م،96/1 ،وقد نقل الرواية عن القلقشندي كل من يوسف بن تغري بردي[-874هـ] في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ، دار الكتب ، مصر ،د.ط ،د.ت، 7/ 337، وكذلك نقلها جلال الدين السيوطي [-911هـ] مع تصحيف في اسم العميدي فقال " أبو سعيد العبدي" وذلك في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية-مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه- الطبعة الأولى، 1967م،2 /233.

ومؤلفاته ممن جاء بعده ، وهذا ما رجحه د.شوقي ضيف أثناء تعليقه على وراية القلقشندي السالفة الذكر متعجبا من هذا التهميش المتعمد لآداب الفاطميين وآثارهم يقول :"على أنه ينبغي أن نلاحظ أن النص الطويل السابق لكتاب دواوين الإنشاء في العصر الفاطمي إنما هو عرض لرؤسائهم فقط ، ومن يرجع إلى كتب التراجم ليبحث عن هؤلاء الرؤساء يجدها لا تهتم بهم في الغالب ، وخاصة بالمتقدمين منهم ،وكتب القلقشندي فيها تفصيل وإسهاب عن دواوين الإنشاء في مصر ومع ذلك لم يعرف تعريفًا واضحًا بهؤلاء الكتاب الفاطميين ، وأيضًا لم يعن بحكاية آثارهم ...والحق أن المؤرخين خاصموا كتَّاب الفاطميين ولم يصفوهم وصفًا واضحًا ، بسبب ما كانت عليه دولتهم من تشيع، وكان ينبغي أن يفصل هؤلاء المؤرخون بين بغضهم للفاطميين وتشيعهم وبين تقديرهم لآثار من نشأ في ظلال دواوينهم، وإن الإنسان ليعجب حقًا ؛ إذ يرى نهضة الكتابة في العصر الفاطمي لا تكاد تبين إلا من خلال سطور ؛ ومن أجل ذلك لم يتبين مؤرخو الأدب مدى ما كان في هذا العصر من حركة أدبية مزدهرة وإن من يقرأ في معجم الأدباء يجده يذكر للعميدي الذي رأس ديوان الإنشاء بعد ولي الدولة ابن خيران [-432هـ] أن له كتابًا في تنقيح البلاغة يقع في عشر مجلدات وأن له كتابًا يسمى الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور، وكتابًا آخر يسمى انتزاعات القرآن وفي هذين الكتابين ما يدل على ميل العميدي إلى نثر الشعر في رسائله واقتباسه الكثير من القرآن الكريم وهما صفتان استمرتا في النثر المصري وما بعده، وقد روى له ياقوت شعرًا واضحٌ فيه أثر الجناس ، ولسنا ندري هل كان يستخدمه في نثره أم لم يكن يستخدمه، لهذه السدود التى أقامها المؤرخون بينهم وبين آثار الفاطميين ، وأيضًا ليس لدينا نصوص واضحة عمَّن ولوا الديوان بعده في عهد المستنصر فقد توفي العميدي سنة[433هـ] وخلفه أبو الطاهر النهركي [1]، وليس تحت أيدينا رسائل له نتعرف منها على فنه"[2] ، وإن من يرجع إلى رسائله ليعلم علم اليقين مدى تمكن هذا الكاتب الشاعر في الوقت نفسه من علوم البلاغة و اللغة والنحو والعروض وعلوم الطبيعة والنجوم والمعارف العامة [3]، وقد أثنى د.إحسان عباس على ملكة حفظ العميدي للجم الغفير من الشعر و على سعة اطلاعه

---

[1] وفي رواية معجم الأدباء التي ذكرناها من قبل5/ 2348-2349 ، والروايات التي نقلت عنها ذكرت أن الذي تولى ديوان الإنشاء بعد العميدي هو أبو الفرج الدهلي وليس أبو طاهر النهركي.

[2] الفن ومذاهبه في النثر العربي ،د.شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة 13، 2005م، ص : 357،359.

[3] وقد أشار إحسان ذنون الثامري محقق رسائل العميدي في مقدمة تحقيقه لرسائل العميدي إلى أمثلة من بعض رسائله تشهد بهذا العلم الجم للعميدي، فمن الرسائل التي تشهد بتمكنه من علم العروض رسالة رقم 8 :ص 44، ووكذلك الشاهد على تمكنه=

فيقول في أثناء مراجعته لكتاب الكشف عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى – وهو الكتاب المطبوع الوحيد للعميدي– : " و من باب الإنصاف أن نقول إن العميدي ربما كان أوسع اطلاعا من ابن وكيع ، وأعرف في القدرة على الكيد ، فهو يمعن في بيان ما أخذه المتنبي لا من الخبزرزي في المغمورين وحسب ، بل من شعراء ربما لم يسمع بهم المتنبي نفسه....وهو يؤثر أن يأتي بسرقات تكاد تكون مطابقة في اللفظ وفي ترتيب أجزاء المعنى الواحد ، بينما أكثر ما جاء به ابن وكيع يقوم على مشابه قد تكون جزئية "[1].

فهاتان الروايتان –أعني رواية ياقوت الحموي والقلقشندي – لا تكادان ترويان غُلَّة الباحث، ولا تكادان تعطيان للعميدي ما كان يستحقه من التقدير و الاهتمام ، حتى إن هاتين الروايتين لتغفلان تاريخ مولده و مكان نشأته ، بل لقد اختلف بعض أصحاب كتب التصانيف و التراجم في اسمه أصلا هل هو محمد بن أحمد بن محمد العميدي أم هو محمد بن أحمد بن محمد الوزيري ؟!! والراجح أنه الاسم الأول أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي وليس كما ادعى السيد حسن الصدر في" كتابه الشيعة وفنون الإسلام " [2]، من

=من علم النحو رسالة رقم 90:ص 417 ، والشاهد على تمكنه من علم النجوم الرسالة السابقة ص 414 ، المقدمة ، ص:ي ، وقد عرض مذهبه النقدي في السرقات الشعرية في رسالة 86 ص400–405 .

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب –نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري–، إحسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت–لبنان،ط 4 ، 1983م،ص 383 .

[2] الراجح أن اسم جده العميدي وليس الوزيري كما ادعى السيد حسن الصدر [1354–هـ] في كتابه الشيعة وفنون الإسلام ، في أثناء ترجمته للعميدي وغالب الظن أنه خلط في ترجمته بين شخصين هما : أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي موضع الدراسة وبين الشيخ بهاء الدين محمد بن أحمد بن محمد الوزيري فجعلهما شخصًا واحدًا ، ونسب إليه كل ما نسبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء للعميدي موضع الدراسة ، الشيعة وفنون الإسلام ،مطبعة الوفاء ، صيدا–لبنان ، د.ط ،1912م، ص : 87–88 ، وقد ترجم منتجب الدين بن بويه [–585هـ] في فهرسه لبهاء الدين محمد بن أحمد بن محمد الوزيري ،فقال عنه في ترجمته أنه عدل ثقة صالح ، فهرست منتجب الدين ، تحقيق سيد جلال الدين ، ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ،قم–إيران ، د.ط ، 1366 ش /1369هـ ، رقم (425) ، ص 129 ، وقد رد آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، 4 / 461–462 ، ترجمة أستاذه السيد حسن الصدر ونبه على أنه خلط بين الرجلين ، فمنتجب الدين يذكر في فهرسه العلماء المتأخرين عن الشيخ الطوسي المتوفى [–460هـ] وبعض من فاته من معاصريه ، وفي كل حرف يذكر المعاصرين أو المقاربين لعصر الشيخ الطوسي أولًا ثم المتأخرين عنهم ، وأما الوزيري هذا فقد ذكره في النصف الأخير من باب حرف الميم ، فيظهر أنه من المتأخرين عن الشيخ الطوسي بل المقاربين لعصر الشيخ نجيب الدين أو معاصريه فظهر أنه لا وجه لما جزم به سيد =

أجل ذلك كله كان لزامًا على الباحث أن يتوقف وقفة – ولو يسيرة –عند ترجمته عله يقدم للعميدي بعض ما كان يستحقه من العناية والاهتمام .

2-1-0- ميلاده ووفاته :

يرجح الباحث –من استقراء جميع رسائل العميدي– أن العميدي قد وُلِد قبل عام 365هـ أي أنه ولد قبل ولاية العزيز بالله [حكم مصر من سنة 365هـ إلى سنة 386هـ] ؛ لأن إحدى رسائله توضح اتصاله بإسحاق الصابي المتوفى سنة[384–هـ] [1] أي في ولاية العزيز وهي تدل على نضج كبير في الكتابة وعلى فصاحة وبلاغة؛ مما يدل على ولادته قبل عهد العزيز بالله ، والعميدي كان معاصرًا للحاكم بأمر الله قطعًا [حكم مصر من سنة 386هـ إلى سنة 411هـ] ويظهر ذلك في رسائله التى ترجع إلى شخصيات بارزة تقلدت مناصب

=مشايخنا في " الشيعة وفنون الإسلام" من اتحاد المترجم في فهرس الشيخ منتجب الدين مع أبي سعد العميدي مؤلف تنقيح البلاغة هذا ، وهكذا رجح السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ، "أن المذكور في فهرست منتجب الدين غير هذا المذكور في ترجمة معجم الأدباء ؛ لاقتصاره على عدل وثقة ، والذي ذكره ياقوت لا تقال في حقه هذه العبارة ، بل يقال في حقه أمثال ما ذكره ياقوت ، والذي له كل هذه الحالات والصفات التي ذكرها ياقوت لا يقال في حقه ما ذكره منتجب الدين بل يذكر في حقه بعض ما ذكره ياقوت على الأقل ، ثانيا لقبه منتجب الدين بهاء الدين ولم يكنه ، وكناه ياقوت أبو سعد ولم يلقبه ، ثالثا وصفه ياقوت بالعميدي ومنتجب الدين بالوزيري .. فالحاصل أن صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام قد خلط بين رجلين لا مناسبة بينهما فجعلهما رجلا واحدًا " تحقيق وتخريج حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت–لبنان ،د.ط ، 1983م، 9/ 70–71 ، وقد وجد الباحث رواية في كتاب أشعار النساء للمرزباني [–384هـ] حدثه بها شخص يدعى محمد بن أحمد الوزيري !! والرواية أدبية تتحدث عن لقاء دار بين ليلى الأخيلية والحجاج ابن يوسف الثقفي ،أشعار النساء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق د.سامي مكي العاني،هلال ناجي ، دار عالم الكتب ، بغداد– العراق ، ط1 ،1995م،ص 48، فهل محمد بن أحمد الوزيري هذا هو نفسه العميدي فهما متعاصران ، لا ندري ، ولكن نرجح ما مال إليه الجم الغفير من كتب التراجم من أنه أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد العميدي.

[1] وهي الرسالة رقم 93 ص 426 وأبو إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني ، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل والاشتمال على جهات الفضائل ، مات يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عن إحدى وسبعين سنة ... وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، وتقلد أعمالا جليلة ، ومدحه الشعراء ، وعرض عليه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم فامتنع .معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، 1/ 131.

مهمة في عهده وقد توفيت في عهده مثل أحمد بن محمد القشوري[1]، وقائد القواد حسين بن جوهر [2] و الأمير أبي القاسم ابن ولي العهد أبي هاشم[3] وكذلك شهد العميدي ولاية الظاهر[4][حكم مصر من 411هـ

---

[1] الذي خُلع عليه في رابع محرم سنة 401هـ وقرئ سجله في القصر بأنه تقلد الوساطة والسفارة ثم لم يلبث أن ضربت رقبته بعد عشرة أيام إلى ثالث عشر من أجل أن بلغ الحاكم[وكان الحاكم يقتل بالمظنة] أنه يبالغ في تعظيم حسين بن جوهر، إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، للمقريزي، 2/ 84–،85 ، وقد أرسل العميدي له خمس رسائل من ضمن رسائله –موضع الدراسة– هي الرسالة الثانية ص13 ، والسادسة ص 32، والتاسعة ص 49 وفيها يهنيه بالوزارة –وهي موضع الشاهد– والرسالة السادسة عشرة ص 79، والسادسة والثلاثون ص 170.

[2] وقد لقب بقائد القواد سنة 390 هـ ، ونهى القائد حسين بن جوهر أن يخاطبوه في الرقاع التي تكتب إليه بلفظ سيدنا أو مولانا ولا يخاطبونه إلا بالقائد فقط ، وقد عزل عن منصبه كقائد للقواد سنة 398هـ ،وفرضت عليه إقامة جبرية ،انظر : إتّعاظ الحنفا ، 29/2–35 ، وقتل الحاكم القائد حسين بن جوهر وأمراء لأمر يطول شرحه في إحدى وأربع مائة ، انظر: سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي [–748هـ]، ت :مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت–لبنان ، ط13 ، 1985م ،ج17، ص 146 ، وقد راسل العميدي يحيى بن سلامة الموصلي كاتب قائد القواد حسين بن جوهر كما نص على ذلك عنوان الرسالة الحادية عشرة ، ص: 59 ، وكانت الرسالة رد من العميدي ووعود منه بكتابة رسالة الفتح بشكل أفضل بعد استياء حسين بن جوهر منها .

[3] انظر: رسائل العميدي ، رسالة رقم 35 ، ص 167 ، وقد كان الأمير أبو هاشم وليًا للعهد حتى عدلت ست الملك –أخت الحاكم بأمر الله – بالخلافة عنه للظاهر بعد مقتل الحاكم بأمر الله ، وبايع أبو هاشم والسيف على رأسه ، إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، المقريزي،182/2.

[4] انظر: ترجمة ياقوت الحموي له ، 2348/5–2349، وترجمة القفطي له ،في إنباه الرواة على أنباه النحاة ،3/ 46–47، وقد ذكرا إسناد الخليفة الفاطمي الظاهر مهام ديوان الترتيب للعميدي، وانظر أيضًا: على سبيل المثال رسالة العميدي رقم 60 ، ص 308، بعنوان " كتاب نسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيّهم وطائيهم " و التي تتناول حدث مقتل صالح بن مرداس أمير حلب الذي خرج على الظاهر وشق عصا الطاعة ، فاستقل بحلب وتعاون مع حسان بن المفرج الطائي من بني الجراح فاستوليا على أعمال الشام إلى غزة ، ولكن الظاهر تمكن منه وقتله وذلك سنة 420هـ " وكان مقتله لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة عشرين و أربعمائة وقيل في يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى من السنة " انظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب ، لعمر بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن العديم [–660هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط1 ، 1996م ، ص: 131، وقد تواترت الروايات بذكر نبأ مقتله على يد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ،انظر على سبيل المثال: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي [–597هـ] ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان –، ط1 ، 1992م ،202/15، والكامل في التاريخ ، لأبي الحسن محمد بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير [–630هـ] ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان=

إلى427 هـ] وتوفي كما هو ثابت سنة[433هـ-1024م] ، في ولاية المستنصر بالله [حكم مصر من سنة 427هـ إلى سنة 487هـ].[1]

3-1-0- بين العميدي وابن العميد :

أشار محقق رسائل العميدي إلى ترجيح آغا بزرك الطهراني كون محمد بن أحمد بن محمد العميدي- موضع الدراسة- من أحفاد أبي الفضل بن العميد وزير البويهيين الشهير[2] ، فيقول الأخير عن العميدي " بل يلوح تشيعه من كونه ساكن مصر في عصر الخلفاء الفاطميين المجاهرين في إعلاء شعائر التشيع والمبالغين في تعظيم يوم الغدير و إقامة العزاء في العشرة الأولى من المحرم حتى إنه لم يكن يظهر بمصر في تلك الأعصار مذهب غير مذهب الشيعة لاسيما مع كون العميدي هذا من أركان الدولة الفاطمية متوليًا دواوينهم في عشرين سنة ، بل قد يرجح في النظر أنه كان من بيت الوزارة الشيعية القديمة وأن جده محمد العميدي هو الوزير الكاتب أبو الفضل محمد ابن أبي عبد الله الحسين العميد المشهور بابن العميد المختوم به الكتابة كما

= ط1 ، 1997م ، 726/7، و سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، 375/17، و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(تاريخ ابن خلدون) ، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون [-808هـ] ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1988م ، 350/4-351، ، وإتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، لتقي الدين المقريزي ، 178/2، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي الحنبلي ، 98/5-99، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ليوسف بن تغري بردي ، 252/4-253.

[1] انظر التمهيد ص: 1-2.

[2] انظر: رسائل العميدي ، المقدمة ص: ط.

فتحت بعبد الحميد ، كان وزير ركن الدولة الديلمي ، وتوفي ببغداد في [360هـ] ...والعميد لقب والده كما صرح به ابن خلكان [1] فيصح أن يقال له محمد العميدي" [2].

4-1-0- تلاميذه ورواة أدبه :

ذكرت الروايات من تلاميذ العميدي ورواة أدبه تلميذينِ هما محمد بن محمود ابن الدليل الصواف والحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد النيسابوري [3] ، أما النيسابوري فقد كان راويا للحديث عن محدثي مصر ، مع كونه من رواة أدب العميدي أيضًا ، قال ابن العديم[-660هـ] عنه في ترجمته " الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد النيسابوري الواعظ ، سمع بمعرة النعمان أبا العلاء أحمد بن عبدالله ابن سليمان[-449هـ] ،وروى عن أبي منصور عبدالله بن إسماعيل الثعالبي ، وأبي سعد محمد بن أحمد العميدي ، وروى عنه أبو الحسن علي بن المؤمل بن عنان الكاتب المصري...أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الخطاب الرازي قال: أبو محمد الحسين بن أحمد النيسابوري الواعظ ، كان يكتب إلى أن توفي

---

[1] ترجم أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان [-681هـ] لابن العميد في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان فقال :"أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف ، والعميد لقب والده ، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم ، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل ، وأما ولده أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ، توفي في صفر ، وقيل في المحرم بالري ، وقيل ببغداد سنة ستين وثلاثمائة ، رحمه الله -تعالى- " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت-لبنان ، ط 1 ، 1994م،105/5 ، وقد وردت كنية ابن العميد مضافًا إليها ياء النسب في كتاب شرح معاني شعر المتنبي للإفليلي[-441هـ] يقول :"ثم خرج -أي المتنبي- إلى بغداد فراسله ابن العميدي ،أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميدي ، وزير ركن الدولة من أرجان فسار المتنبي إليه " شرح معاني شعر المتنبي ، لإبراهيم بن محمد أبو القاسم الإفليلي ، تحقيق د. مصطفى عليَّان ،مؤسسة الرسالة ، لبنان -بيروت-،ط 1 ، 1992م، 2/ 74 .

[2] الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، آغا بزرك الطهراني ، دار الأضواء -بيروت-، ط 3، 1983م،4/ 462.

[3] ذكرهما تقي الدين المقريزي في ترجمته للعميدي على أنهما من رواة أدبه ، المقفي الكبير ،5/ 161، وفي الموسوعة الميسرة نقلوا ترجمة العميدي من القفطي وعدوا الرجلين - النيسابوري والصواف - من تلامذته ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير و الإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لقصائدهم وشيء من طرائفهم ، جمع وإعداد : وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرين ، مجلة الحكمة، -مانشستر- بريطانيا ، ط1 ، 2003م، 2/ 1942.

، وسمع معنا عن محدثي مصر "[1]، وأما الرواي الأول محمد بن محمود ابن الدليل الصواف والذي روى بيتي العميدي اللذين استشهد بهما ياقوت الحموي في آخر ترجمته للعميدي [2] فلم اهتدِ لشيء عنه في كتب التراجم.

5-1-0- أهم الوظائف التي تقلدها العميدي ، واتصاله بكبار عصره :

1-5-1-0-توليه ديوان الترتيب:

كان العميدي متوليًا لديوان الترتيب وقد عزل عنه سنة 413هـ في عهد الظاهر لدين الله الفاطمي كما تقول رواية ياقوت في معجم الأدباء ، وكما أننا لا نعلم عن حياة العميدي الكثير فإن ما وصل إلينا من معلومات تخص هذا الديوان قليلة جدًا لا تكاد تذكر ، مما يزيد من الغموض المحيط بشخصية البحث، وقد أشار محقق رسائل العميدي إلى قلة المعلومات التي وصلتنا عن هذا الديوان فيما لدينا من مصادر تاريخية ويرجح أن يكون السبب في ذلك هو ذيوع صيت هذا الديوان وشهرته يقول: "وديوان الترتيب من الدواوين المهمة التي كانت في النظام الإداري الفاطمي ، لكننا– للأسف الشديد– لا نعلم عنه الكثير ، ولم أجد له تعريفًا واضحًا فيما اطلعت عليه من مصادر تبحث في شأن الدواوين ، وربما يعود ذلك لذيوع صيت هذا الديوان وشهرته وأهميته المعروفة للجميع آنذاك ؛ فلم يجد المؤرخون حاجة لبيان أعماله" [3]!! ويرى الباحث ضعف مثل هذا التعليل ؛ لأن ديوان الإنشاء كان أكثرة شهرة وأهمية وذيوعًا وقد أفرد له من الكتب والمصنفات ما أفرد في نظامه و خصائصه وصفات من ينتسب إليه [4] ، يقول المقريزي [–845هـ] متحدثًا عن أحد كُتّاب الفاطميين : " ....فجدد له –أي الإمام الحافظ لدين الله [–544هـ] – ديوانًا أسماه ديوان الترتيب ، وجمع فيه من يخدم في ترتيب الأعمال صفقة صفقة.. وهذا الترتيب يقال له في غير هذه الدولة : صاحب البريد ، فكان يكاتب متولي هذا الديوان بالأخبار بمطالعات تصل إليه مترجمة بمقام الخليفة ، فيعرضها من يده ، ويجاوب عنها

---

[1] بغية الطلب في تاريخ حلب ، لعمر بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن العديم ، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت –لبنان، ط 1 ، 1988م، 6/ 2743–2745.

[2] انظر : معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، 5/ 2348–2349.

[3] رسائل العميدي ، المقدمة ص: (و).

[4] انظر على سبيل المثال : صبح الأعشى : 82/1، 136، 165–168.

بخطه" [1] ويبدو من هذه الرواية أن هذا الديوان كان له مكانة كبيرة في الدولة الفاطمية فالقائم عليها كان يجهز الرسائل على لسان الخلفية ويرد عنه، وهي تقارب مهمة صاحب الخبر ، مما يدل على مكانة العميدي السامية في بلاط الفاطميين ، وهذه المكانة آتت أكلها ، و ألقت بظلالها عليه ، فنال من حظوظ الدنيا ما نال كما يظهر ذلك من رسائله ، ولكن لكثرة شانئيه و الوشاة والحاقدين عليه هوى نجمه في آخر ولاية الظاهر لدين الله [-427هـ] كما يظهر ذلك أيضًا من خلال رسائله الكثيرة في آخر عهد الظاهر التي يشكو فيها انقطاع راتبه عنه لأكثر من خمس سنين ، و إدبار الدولة العلية عنه. [2]

2-5-1-0-العميدي صاحب خريطة الخليقة الظاهر لإعزاز دين الله وجليسه:

يقول المسبحي [-420هـ][3] " ففي يوم الأحد لخمسٍ خلون منه -سنة أربع عشرة وأربع مائة-عرضت الحسبة بمصر على العميدي متولي الترتيب -كان- فاستعفي منها وامتنع وقال : كنت بالأمس جليس أمير المؤمنين وصاحب خريطته ،أصير اليوم محتسبًا لم أكن لأفعل ،فاستحضر داوس بن يعقوب الكتامي" [4] وقد أشار المحقق إلى أن صاحب الخريطة هي وظيفة من وظائف الجهاز الإداري الفاطمي ، تختص بأوراق عرض يحملها صاحب الخريطة معه بالحضرة في ركب الجيش ، وفي تلك الخريطة أموال معدة لقائمة من الأشخاص ممن يؤمر الإمام بالإنعام عليهم [5]، مما يوضح تلك المكانة السامقة التي ارتفع إليها العميدي في الدولة الفاطمية ، و علو كعبه اجتماعيًا وسياسيًا وأدبيًا.

---

[1] إتّعاظ الحنفا ، 194/3-195.

[2] انظر على سبيل المثال لا الحصر: الرسائل أرقام: 48، 50، 71،72، 75،87 .

[3] هو الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز ، المعروف بالمسبحي الكاتب ، الحراني الأصل ، المصري ، صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات ، تولى القيس والبهنسا من أعمال الصعيد ثم تولى ديوان الترتيب ،وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها تاريخه الكبير توفي [420هـ] ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر -بيروت- ، ط 1، 1971، 377/4.

[4] أخبار مصر في سنتين (414هـ-415هـ)، محمد بن عبيد الله المسبحي ، تحقيق وليم ج .ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، 33/40.

[5] انظر :رسائل العميدي، المقدمة ص (ح)، ومن المراجع التي تناولت هذه الوظيفة إتعاظ الحنفا ، 190/3-191، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، 92/4.

3-5-1-0- العميدي يتولى ديوان الإنشاء في عهد الخلفية المستنصر بالله الفاطمي [حكم مصر من427هـ إلى 487هـ] :

تذكر رواية ياقوت السابقة أن العميدي تولى ديوان الإنشاء في عهد المستنصر بالله في صَفَر سنة 432هـ إلى أن تُوفِّي في جمادى الآخرة سنة 433هـ، ووتولى بعده أبو الفرج الدهلي سنة 436هـ دون أن تذكر الرواية ماذا حدث لديوان الإنشاء خلال هذه السنوات الثلاث ما بين وفاة العميدي إلى تولي أبي الفرج الدهلي الديوان سنة 436هـ ، وهو غموض معتاد وقوعه مع شخصية الدراسة ، وكانت مصر في ظل ولاتها من العباسيين و الأمويين لا تعرف من الدواوين سوى ديواني البريد والخراج ، ولم يصدر ما يدون عنهم في الكتب وتتناقله الألسنة ، فلما ولي مصر أحمد بن طولون أسس ديوان الإنشاء ورفع مقداره بعدما أقام دولته الطولونية[1]و امتد سلطانه إلى الشام وعلا شأنه واتخذ فيه جماعة من مهرة الكتاب في مقدمتهم ابن عبد كان [2] ، وقد أولى الفاطميون اهتمامًا كبيرًا بديوان الإنشاء فهو حلية المملكة وزينتها كما يذكر القلقشندي[-821هـ] فهو : " حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها، ويعلي ذكرها ، ويعظم خطرها، ويدل على فضل ملكها ، وهو المتصرف عن السلطان في الوعيد والترغيب و الإحماد والإنعام ، واقتضاب المعاني التي تقر الوالي على ولِايته وطاعته ، وتعطف العدو العاصي عن عداوته ومعصيته " [3]،وقد ظل هذا الديوان قائمًا إلى نهاية عصر المماليك ، فلما قامت الدولة العثمانية ضاعت مكانته تمامًا.

وقد أطال القلقشندي النفس في ذكر الصفات الواجب توافرها فيمن ينتسب إلى ديوان الإنشاء من الكتاب ، فعد منها عشر صفات هي: (الإسلام والذكورة والحرية والتكليف والعدالة والبلاغة ووفور العقل وجزالة الرأي والعلم بمواد الأحكام الشرعية والفنون الأدبية وقوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس) [4] وفي بيان ما لا يسع كاتب الإنشاء جهله من العلوم ذكر (المعرفة بعلم المعاني والبيان والبديع ، والنحو والتصريف ، حفظ

---

[1] وفي التعريف بديوان الإنشاء وبيان المراحل المتعاقبة عليه من القوة والضعف وهي خمس مراحل تبدأ تنازليًّا من حيث القوة بمرحلة الدولة الطولونية مرورًا بعهد الفاطميين والأيوبيين وانتهاء بعهد العثمانيين ينظر : صبح الأعشى في ديوان الإنشاء ، 123/1-136.

[2] انظر السابق ، 129/1 ، و أيضًا 27/11.

[3] انظر السابق ، 82/1.

[4] ينظر في بيان تلك الصفات و بسطها وشرحها ، السابق، 93/1-123.

كتاب الله العزيز والإكثار من حفظ الأشعار الرائقة والإكثار من حفظ الأمثال) [1]، بل لقد تناول العلماء الصفات التي يجب أن تكون عليها هيئة كاتب ديوان الإنشاء من صفات خَلقية و خُلقية !! "قال محمد بن إبراهيم الشيبان: من صفة الكاتب اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفّة اللهازم ، وكثاثة اللّحية، وصدق الحسّ، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وخطف الإشارة، وملاحة الزّيّ .قال :ومن حاله أيضا أن يكون بهيّ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذّهن، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسلك... ولله القائل :

وشمول كأنما اعتصرتها ......من معاني شمائل الكتاب " [2]

وفي خلافة العباسيين كان ديوان الإنشاء يسند إلى وزير الدولة ، أو كاتب ينظر في أمور الديوان و يوقع له الوزير على ما يرفعه إليه من رسائل وأخبار ومكاتبات [3] ، فكان ديوان الإنشاء بمثابة مبنى رئاسة الوزارة في الوقت الحالي ، و إلى جانب توليه ديوان الإنشاء فقد كان العميدي على اتصال كبير بكبار رجال الدولة الفاطمية من قادة و قضاة و أشراف [4] ؛ مما يظهر بشكل جلي ثِقَله الكبير و قيمته السياسية والاجتماعية التي كان يمثلها في الدولة الفاطمية بمصر.

---

[1] ينظر في بيان ما لايسع كاتب الإنشاء جهله من العلوم ، السابق، 181/1، 186، 199، 219، 204، 216، 228، 319، 346.

[2] السابق ، 100/1.

[3] السابق، 127/1.

[4] انظر مثلا اتصاله بالوزير أبي الفرج أحمد بن محمد القشوري رسائل رقم (2، 6، 9، 16، 36) ، واتصاله بقائد القواد حسين بن جوهر رسالة رقم (11)، واتصاله بأبي إسحاق الصابي رسالة رقم (93) ، و اتصاله بعميد الدولة حسن بن صالح رسائل رقم (38، 65، 71) ، واتصاله ببعض الأشراف رسائل رقم (38، 121 ، 148 ، 301 ، 364، 389، 391).

6-1-0- آثاره الأدبية ومؤلفاته:

إن رسائل العميدي -موضع الدراسة- هي كل ما تبقى من مؤلفات العميدي بجانب كتابه الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى [1]ومختصر صغير لكتابه تنقيح البلاغة محفوظ كمخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط فقط [2]، أما سائر مؤلفاته فلم يصل إلينا شيء عنها سوى أسمائها التي دونتها كتب التراجم.[3]

وقد نشر د.عبد المنعم ماجد سنة 1954م مخطوطة لبعض السجلات التي ترجع إلى عهد المستنصر بالله و أوائل حكم ابنه المستعلي بالله [4] ، وقد رجح أن تكون هذه السجلات كُتبت ما بين عامي [445هـ-489هـ] ، ثم ذكر قائمة من كتاب ديوان الإنشاء رجح أن تكون هذه السجلات المكتوبة من أعمالهم، ومن

---

[1] طبعته دار المعارف سنة 1961م ، بتحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي المفتش بوزارة التربية والتعليم ، ومعه رسالة الصاحب بن عباد في الكشف عن مساوئ المتنبي والرسالة الحاتمية كذلك ، كل ذلك كان ملحقًا بمخطوطة كتاب العميدي ،وقد علق القفطي على كتابه الإبانة بقوله : " وهو كتاب حسن يدل فيه على اطلاع كثير " ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، 3/ 47، و قد أورد يوسف البديعي الدمشقي [-1073هـ] في كتابه "الصبح المنبي عن حثيثة المتنبي " تعلقيات كثيرة للعميدي من كتابه الكشف عن مساوئ المتنبي، وكان البديعي يرد عليه وكان مما قاله " وكان الشيخ أبو سعد محمد بن أحمد العميدي عن أبي الطيب في غاية الانحراف ، حائدًا عن التمييز عن سنن الإنصاف ، ونحن نورد كلامه ، ونرد في نحره سهامه ، فإنه تجاوز الحد وأكثر الرد " الصبح المنبي عن حثيثة المتنبي ، البديعي ، المطبعة العامرة الشرفية ، ط 1 ، 1891م، ص 256 ، وتجده ينقل عن العميدي كلامه من كتابه الإبانة ويرد عليه ص:1/ 313-379،381،387،409،414،415،427 ، وقد أورد أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني [-542هـ] نصًا نقله عن العميدي أيضًا من كتابه الإبانة وذلك في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار العربية للكتاب ، (ليبيا -تونس) ، ط 1 ، 1979م ،401/7، وقد أفرد الأستاذ إحسان عباس في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب عشر صفحات يبين فيها موقفه النقدي من آراء العميدي في كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي وذلك ما بين صفحتي 377-386 ، دار الثقافة ، بيروت-لبنان-، ط4 ،1983م.

[2] ذكر محققا كتاب (الدر الثمين) لابن الساعي أن كتاب تنقيح البلاغة للعميدي يوجد مختصر منه محفوظ بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم :11506، الدر الثمين في أسماء المصنفين ، لابن الساعي ، 184/1.

[3] مثل كتابه انتزاعات القرآن ، و كتابه الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور – وقد جعله القفطي كتابين مستقلين في رواية إنباه الرواة على أنباه النحاة - ، وكتابه العروض ، وكتابه القوافي .

[4] وهي سجلات صادرة عن ديوان الإنشاء الفاطمي في القاهرة إلى ملوك اليمن الصلحيين ، وهي من أهم الوثائق التي حفظت مجريات العلاقات السياسية بين البلدين والأحداث الداخلية ، انظر : رسائل العميدي ، تحقيق ذنون الثامري ، المقدمة ص (ل).

ضمن هؤلاء ذكر أبا سعد العميدي كما ذكر كتابًا آخر هو أبو سعيد العبدي وهو تصحيف لاسم العميدي [1]، ومن الثابت أن العميدي توفي [433هـ] مما يضعف ترجيح أن يكون العميدي من كتاب هذه السجلات.

أما رسائل العميدي –موضع الدراسة– فقد وجد المحقق مخطوطيها [2]و كان أحدهم قد كتب على صفحتها الأولى " رسائل ابن العميد " ولكن بعد إمعان النظر تبين للمحقق أن عنصري الزمان والمكان بعيدان كل البعد عن ابن العميد ، فصار يقلب الصفحات و الأحداث والشخصيات حتى تأكد له أنها رسائل أبي سعد العميدي ، لكنه لم يجد إشارة لهذه الرسائل في ترجمة العميدي في كتب التراجم، وكان سبب تأكده من نسبة هذه الرسائل لأبي سعد العميدي ، هو ورود اسم العميدي صراحة خمس مرات في هذه الرسائل [3] بجانب الاعتماد على الإشارة الواردة في (الدر الثمين) لابن الساعي الخاصة بالنص على أن العميدي كان له كتاب بعنوان خبر قتل صالح بن مرداس[4] والذي جزم المحقق أنه هو هو الرسالة رقم 60 من رسائل العميدي – موضع الدراسة– ص 308، والمعنونة ب " كتاب نسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرادس وهزيمة العرب

---

[1] انظر: السجلات المستنصرية ، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين –صلوات الله عليه – إلى دعاة اليمن وغيرهم –قدس الله أرواح جميع المؤمنين–، تقديم وتحقيق د.عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، 1954م ، ص 11، 15 ولقيمتها التاريخية انظر ص 18–22 ، ولقيمتها الأدبية انظر ص 23–25، وفي تصحيف اسم العميدي راجع هامش ص 6.

[2] المخطوطان موجودان في مكتبة جامعة برنستون ، مجموعة يهودا ، برقم Y 4059، Y 4548، وقد سمى المحقق النسخة الأولى بالنسخة (س) وهي مكتملة البداية والنهاية لكن بها سقطٌ كثيرٌ ، إلى جانب ترتيبها المتربك جدًا والذي أخذ وقتًا من المحقق لإعادته وفق السياق السليم ، أما النسخة الثانية فقد سماها (ص) وهي تكمل كثيرًا من سقط النسخة (س) ولكنها بلا بداية وبلا خاتمة ، وهناك نسخة ثالثة Y 4365، في الجامعة نفسها ولكنها نسخة مجتزأة من النسخة (س) ، وقد اتبع المحقق أسلوب التلفيق بين نصي المخطوطتين ؛ لأن أيًا منهما – في رأيه– لا يمكن اعتبارها النسخة الأم أو الأصل، وللمزيد من التفاصيل حول طبيعة المخطوطتين و شكلهما وطريقة الكتابة فيهما ، ينظر رسائل العميدي ، تحقيق إحسان ذنون الثامري ، المقدمة ص (ن– ع)، وفي كتاب خزانة التراث –فهرس المخطوطات ، نجد إرشارة إلى وجود مخطوط رسائل العميدي في الولايات المتحدة الأمريكية في مكتبة (برنستون) ، لكنها وضعت أمام اسم المؤلف وتاريخ الوفاة وقرن الوفاة (مجهول) ، كتاب خزانة التراث – فهرس المخطوطات ، مركز الملك فيصل ، نسخة إلكترونية على المكتبة الشاملة ، 2017، 348/110.

[3] رسائل العميدي ، ص 205، 341 ، 382 ، ومرتين ص 392 .

[4] الدر الثمين في أسماء المصنفين ، ابن الساعي ، ص 184، لمزيد من التفاصيل حول مقتل صالح بن مرداس انظر التمهيد : ص 9–10.

قيسيهم وطائيهم " ، فإلى جانب هذا الجهد الكبير المشكور من المحقق[1] وإلى جانب قوة تنبه للإشارات الواردة حول العميدي في كتب التراجم و مهارته في وصل خطوط التشابك بينها ، سعى الباحث إلى مزيد من التحقق من خلال متابعة هذه الشخصية في كتب التراجم المختلفة و مراجعة كافة البيانات في الروايتين المذكورتين والوقوف على ما كل قيل فيهما من معلومات ، وانتهاء بالوقوف على ترجمة كل من سمي باسم العميدي أو لقب به [2] في التراث العربي ومتابعة القرون التي ظهروا فيها وأهم وظائفهم التي عملوا فيها ، حتى اطمأن الباحث كما اطمأن المحقق من قبل من خلال جمع البيانات حول هذه الشخصية من أن هذه الرسائل لايمكن

---

[1] انظر: رسائل العميدي ، المقدمة ص (ل) ، (ن) ، وقد وصف العميدي مقتل صالح بن مرادس وصفًا دقيقًا وهو عين ما قيل في مقتله في كتب التراجم ، يقول العميدي: " وطُعِن الشقي ابن الدوقلية ، وقد أتته بالحين رجلاه و نسي ما قدمت يداه ، طعنة نجلاء أشرق منها بدمه ، وخر صريعًا ليديه وفمه ، وحز رأسه ، فأصبح مقورًا بعدما كان مكورًا ، وأضحى مهشمًا عقب أن كان معممًا ، واستعلى عالية الرمح منادمًا ليعسوبه ، ولازم سنانه مشرفًا على كعوبه ، قد رمقته الأبصار" رسائل العميدي ، ص:318-319 ، وفي زبدة الحلب في تاريخ حلب ، لابن العديم نجده يقول في وصف مقتل صالح بن مرادس : " ولما نشبت الحرب بين حسان والدزبري ، وذلك بالموضع المعروف بالإقحوانة على الأردن ، طعنه طريف الفزاري -أي طعن صالح بن مرداس- فسقط عن فرسه ولم يمت ، فرآه رافع بن أبي الليل فعرفه وأجهز عليه ، وقطع رأسه ، و بادر به الدزبري" ص 131.

[2] هناك وادٍ في اليمن يسمى" وادي عَميد" يقع على نصف مرحلة من منطقة الجند ، وإليها نسب كثير من الأشخاص مثل علي بن سالم بن عتاب بن فضل بن مسعود العميدي وغيره ، قال الجندي في ترجمته في تعليل تسميته بالعميدي :" والعميدي نسبة إلى جد له ببلد كبيرة في اليمن منهم ناس يسكنون واديًا يقال له وادي عميد ، فهذا منهم ولذلك كان يقال له العميدي ؛ لأنه كان يسكن فيه وهو على نصف مرحلة من الجند وضبطه بفتح العين المهملة ثم ميم مخفوضة ثم ياء ساكنة مثناة من تحت ثم دال مهملة على وزن فعيل " السلوك في طبقات العلماء والملوك ، محمد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله الجُندي اليمني [-732هـ] ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، 1995م ، 377/1-378. وتجد التعليل نفسه في ترجمته في قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، لأبي محمد الطيب بن عبد الله الهجراني الحضرمي الشافعي [-947هـ] ،عني به بو جمعة مكري و خالد زواري، دار المنهاج ،جدة ، الطبعة الأولى ، 2008م ، 401/4، كما أن أهل خراسان كان يطلقون على واليهم لقب " العميد" في إجرائه مجرى التعظيم ، ولهذا السبب لقب والد أبو الفضل محمد بن الحسين بالعميد ، وابنه هو (ابن العميد) وزير ركن الدولة بن بويه الشهير والأديب البليغ الذي ختمت به الكتابة ، والذي يرجح أن يكون جد محمد بن أحمد بن محمد العميدي ، انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، 103/5.

أن ترجع إلا لعميدي واحد فقط هو أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدي –موضع الدراسة– الكاتب بديوان الإنشاء والمُتَوَفى سنة [–433هـ]. [1]

---

[1] وقد رجع الباحث إلى ترجمة كافة من لقبوا بالعميدي في أشهر كتب التراجم والسير– فيما يعلمه– فاهتدى إلى اثني عشر رجلا لقبوا بالعميدي ، وجميعهم لا يتطرق الشك إلى أحد منهم أن يكون صاحب رسائل –موضع الدراسة– ، انظر في التراجم الآتية : محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامي العميدي[–774هـ] ، الفقيه المؤرخ ، في الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، 124/6، و محمد بن محمد بن محمد أبو حامد ركن الدين العميدي السمرقندي [–615هـ] ، إمام فني الخلاف والجدل ، في وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 257/4–258، و أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي أبو إسحاق الشيخ العميدي [–519هـ] ،لغوي وشاعروكاتب ومحدث ،مات بنيسابور ،في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، 425/1 ، و أبو الدر جوهر بن عبد الله التاجي الحبشي العميدي [وفاته نيف وثلاثين وخمسمائة] ، كان من موالي التاج أبي عميد خراسان ، في التحبير في المعجم الكبير ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني[–562هـ] ، تحقيق منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد ، ط1 ، 1975م، 171/1، وأيضًا انظر ترجمته في تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر[–571هـ] ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر ، بيروت–لبنان،ط1، 1995م ،460/58، و أبو محمد الحسين بن عمر بن علي أبي منصور العميدي الخياط ، محدث من أهل نيسابور ، في التحبير في المعجم الكبير ، لعبد الكريم السمعاني ، 239/1، و عبد المطلب بن محمد بن علي بن الأعرج الحسيني الحلي العميدي (عميد الدين) [–754هـ] ، فقيه أصولي متكلم ،في معجم المؤلفين ، لعمر بن رضا كحالة ، 176/6، و أبو محمد الحسن بن أبي بكر بن أبي رضا الفامي الدهان الهروي المعروف بالعميدي ،محدث من أهل هراة وقد توفي ما بين 530هـ – 540 هـ ، في التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ،221/1، و الأمير قايماز العميدي ، أقطعه الخليفة العباسي يوسف بن محمد المقتفي [حكم من سنة 555هـ إلى أن توفي سنة 566هـ] قلعة و أربعمائة فارس ولكن أغير على قلعته فرجع إلى بغداد بأسوأ حالٍ منهزمًا ، الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير ،264/9، و أبو الحسن علي بن سالم بن عيان بن فضل بن مسعود العميدي [توفي في آخر المائة الهجرية السادسة] ، كان فقيهًا صالحًا مستجاب الدعاء ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، لبهاء الدين الجُندي ، 377/1–378، وعلي بن عبد الواحد بن محمود بن أحمد الساوي العميدي [–525هـ] ، محدث ، في تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، 80/43–81 ، و لطف الله بن أمير عمر بن أمير غازي الفارابي العميدي قوام الدين أبو حنيفة [–758هـ] ، فقيه حنفي مصنف ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، للبابلي ، 839/1، و علي بن أستكين الأمير أبو الحسن العميدي الحاجي النيسابوري [–522هـ] ، كان محدثًا ، خفيف الروح صالحًا عابدًا ، ترك الخدمة ولبس لباس الصالحين ، في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي [–748هـ] ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت–لبنان ، ط 2، 1993م، 77/36، وقد وجد الباحث كتابين– في غضون بحثه عن العميدي في كتب التراجم – معنونين بالعميدي ، والمقصد من تسميتهما بهذا الاسم الإشارة إلى اعتماد ما جاء فيهما من معلومات من أهل العلم أنفسهم و إلى عظم شأنهما أو قد يكون لأنهما كتبا لوالي خراسان و كان يلقب بالعميدي كما ذكرنا من قبل ، وأولهما كتاب العميدي لأبي الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب الأديب[–403هـ] ، كان يكتب للقادر بالله وهو صاحب الخبر والبريد في الديوان القادري ، وقد صنف كتاب العميدي والفخري والقادري ، تجد ذلك وأكثر في هدية العارفين=

والمحقق لا يعلم شيئًا عن شخصية جامع هذه الرسائل أو ناسخها ، ففي نهاية الرسائل وصف الناسخ نفسه بأنه "محرر" هذه الرسائل ، و ذكر أنه عثر عليها ، و أن هذا ما وجده منها فقط ، وأنه نسخها خشية الضياع ، وقد فرغ من نسخها أول ليلة من رمضان سنة 1247هـ، وكان قد صنع لها فهرسًا جميلًا بالأسود والأحمر، ولكن للأسف قد مُحِيَ اسمه من عليها – ويرى المحقق أن جور الزمان جعل أحدهم ممن يمقت الفاطميين ورجالهم وتاريخهم يكشط اسمه قاصدًا متعمدًا كما يظهر ذلك في خاتمة الكتاب –ومن المضحك أنه كتب متهكمًا في مقدمتها : " ...فقد علقت كفّي على هذه الرقاع ، عند غمر يعدها من سقط المتاع ، وربحت هذا العِلق النفيس ، من مغفلٍ لا يعرف الجمعة من الخميس " ، وقد أخذها هذا الناسخ (المحرر) بدون صفحة أولى ولا صفحة أخيرة كما صرح هو بذلك :" بيد أني ما ألممت على أول لها به يعرف منشئها ، ولا وقفت لها على آخر يُعرِب عن مطرزها وموشيها" [1]وهذه هي النسخة التي رمز لها المحقق بالحرف (س) ، و هنا يتبادر لذهن الباحث سؤالٌ ألم ير هذا الناسخ أو(المحرر) أثناء كتابته للرسائل ورود اسم العميدي وهو يتحدث عن نفسه خمس مرات في هذه الرسائل ؟!!

كما كثر الغموض والإبهام وسقوط كثير من الأسماء والأمور في ثنايا الرسائل ، فنرى ناسخ الرسائل يستعيض عن أسماء كثير من الأشخاص بلفظ فلان فيقول مثلًا وقد خاصمت فلان ونحو ذلك ، أو يقول ولمّا سهل الله أمر كذا دون أن يذكر هذا الأمر ، أو تكون الرسالة مصدرة إلى أهل بلد بعينهم فيأتي في ثنايا الرسالة ويقول " يا أهل بلد كذا " هكذا بنفس اللفظ ، إلى غير ذلك من أمارات الإبهام والغموض.[2]

=البابلي ، 71/1، و ثانيهما " البرهان العميدي" وهو كتاب في تفسير القرآن من عشرين مجلدًا لأبي الحسن المشاجعي علي بن فضال بن علي بن غالب القيرواني[–479هـ] ، نحوي ومفسر مصنف ،هجر مسقط رأسه ودوخ الأرض ذات الطول والعرض مصرًا وشامًا وعراقًا وعجمًا ، وكان في جماعة نظام الملك الحسن بن إسحاق الطوسي وزير دولة السلاجقة ، تجد ذلك وأكثر في إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للسيوطي ، 2/299–301.

[1] رسائل العميدي ، المقدمة ص (ن).

[2] انظر على سبيل المثال لا الحصر السابق ، ص: 107،119، 121 ، 144، 145 ، 148 ،326، 351 ، 346 ، 353 ، 370 ، 388 ، 389 ،395 ، 396 ، 405.

وقد نشر المحقق هذه الرسائل عام 2013م ضمن إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها ، جامعة الملك سعود ، الرياض–السعودية.

وفي أهمية هذه الرسائل عد المحقق لها خمس فؤائد هي[1]:

1–أنها توفر مادة أولية مهمة عن بعض رسوم الفاطميين وبعض إجراءاتهم الإدارية والاقتصادية.[2]

2–تظهر هذه الرسائل بعض الظواهر الاجتماعية التي كانت متفشية في المجتمع المصري في عهد الدولة الفاطمية ، مثل حدث استقبال الخليفة ، ومجالس اللهو والمرح و أشهر الأطعمة والمأكولات في ذلك العصر.[3]

3– توضح هذه الرسالة بقوة طبيعة العلاقات السياسية التي كانت تربط الدولة الفاطمية بدولة الروم والسلاجقة ، والدولة البويهية والخلافة العباسية ، فقد كانت تربط الفاطميين بأمراء الموصل و البويهيين علاقات قوية أدت في بعض الوقت إلى الدعاء على المنابر في العراق للخليفة الفاطمي[4] ، كما تظهر تلك النزاعات الانفصالية في اليمن ، وهو ما يساعد في دراسة التاريخين السياسي والاجتماعي لمصر والشام بدرجة كبيرة، وقد كان العميدي شاهد عيان و أحيانًا مشاركًا في بعض تلك الأحداث و في كل ذلك كان معبرًا عن وجهة النظر الرسمية، إلى جانب مكانة العميدي السياسية واتصاله المباشر بالخلفاء الفاطميين.[5]

---

[1] انظر : السابق، المقدمة ، ص : (ع–ص).

[2] انظر على سبيل المثال لا الحصر: رسائل العميدي أرقام : 9، 81،29.

[3] انظر على سبيل المثال لا الحصر: رسائل العميدي أرقام : 1، 24،17، 88.

[4] انظر: رسالته رقم 93 إلى أبي إسحاق الصابي [–384ه] ، وقد طلب الأخير منه رسائل الإسكافي ، ولا يخفي على أحد مكانة أبي إسحاق الصابي في الدولة البويهية وكان كاتبًا نابغة ، و انظر : رثاءه للقاضي الشريف الرضي [–406ه] ، صاحب كتاب نهج البلاغة ، وهو من أهم أركان الدولة البويهية ، وكان نقيبا للطالبيين رسالة رقم 94 ، وانظر: رسالته رقم 14 وهي موجهة إلى وزير قراوش بالموصل يشكو إليه تعرضه للسرقة وهو في الطريق ؛ وهي تظهر هذه العلاقة القوية والتحالف بين الفاطميين وأمراء العقيليين في الجزيرة الفراتية والموصل.

[5] انظر على سبيل المثال لا الحصر: رسائل العميدي أرقام: 14، 60 ، 77، 93.

4- ما حوته هذه الرسائل من وصف لحالة الطقس من حر وبرد وثلوج ورياح يمكن توظيفه في دراسة التاريخ ، ومن يطلع على فهرس الألفاظ والمصطلحات اللغوية والتاريخية والحضارية آخر الكتاب يعرف قيمة هذه الرسائل بما حوته من مصطلحات لكل منها قيمتها التاريخية والحضارية والدلالية في دراسة التاريخ.[1]

5- تساعد هذه الرسائل في فهم ثقافة العميدي وثقافة عصره ، وكذلك في الاطلاع على اتجاهات الكتابة الأدبية والفنية وخاصة أدب الألغاز و الأحاجي (المعميات) [2] ، كما أن في رسائل العميدي شيء من فن المقامات.[3]

وقد جاء أسلوب رسائل العميدي على منوال طرق الكتابة في العصر الفاطمي نفسه ، فأسلوبها يؤكد أنها خرجت من رحم الكتابة الفنية في العصر الفاطمي وهي إحدى النتائج التي يؤكدها هذا البحث ، مما يزيد الاطمئنان أكثر إلى صحة نسبة هذه الرسائل إلى العميدي موضع الدراسة ، كما شاعت فيها سمات التشيّع من قصر الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وآل بيته دون أصحابه ، وتخصيص الترضي على الإمام علي -رضي الله عنه- دون غيره من الصحابة ، والتأكيد أنَّه الوصي من آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى غيرها من الإشارات و الأمارات [4].

ويشهد الباحث – وما له غير ذلك- أن الأستاذ إحسان ذنون الثامري قد أفرغ وسعه وبذل جهده ، و قدم للدراسات الأدبية خدمة جليلة متمثلة في تقديمه تلك القمة الأدبية السامقة الكائنة في شخصية العميدي الكتابية ، فضرب سهما في كشف النقاب عن الحركة الأدبية في تلك الفترة المشحونة بالأحداث وأعطى العميدي جزءًا من حقه علينا ، لكونه كاتبًا بليغا و لغويًا فريدا ، وهو يقول في نهاية مقدمة تحقيقه: " لقد بذلت جهدي وسع الطاقة كي أخرج هذا المجموع المتكون من سبع وتسعين رسالة [منها الإخوانية والديوانية] ، على صورة يرضاها الباحثون والمهتمون والأساتذة المشتغلون بالتاريخ و الأدب والمثقفون والقراء ، وهو جهد أصرفه في

---

[1] انظر على سبيل المثال لا الحصر: رسائل العميدي أرقام: 2 ، 6، 90.

[2] انظر رسائل العميدي المعميات أرقام : 12 ، 26 ، 52، 54 ، 59، 79.

[3] انظر رسائل العميدي التي هي أشبه بالمقامات أرقام : 1، 15، 58، 88 ، وقد كان معاصرًا لبديع الزمان الهمذاني [358-398هـ].

[4] انظر على سبيل المثال السابق ، ص:15، 41 ، 42 ، 228، 115، 130 ، 231 ، 247 ،309، 364 ، 393 ، 394 ، 435.

خدمة تراث أمتنا ، وإحياء مآثرها بكل فخر واعتزاز وسعادة كبيرة ...وقد حاولت الوصول إلى نص صحيح مع الإشارة إلى الاختلافات في الحاشية ، لعل باحثًا آخرًا يجد فيها ما يصب في مصلحة العمل "[1] و لذا أرجو – بحول الله وقدرته– أن أكون ذاك الباحث .

7-1-0- لمحة عن الحياة الأدبية في عصره:

عاش العميدي في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري في مصر في ظلال الدولة الفاطمية ، فجاء أسلوبه في رسائله ضربًا مما عرف عن كتاب القرن الرابع الهجري من ميلهم إلى التصنع و إسرافهم في البديع ، وكل من يطالع رسائل صاحبنا يجده من الكتاب الذين التزموا السجع في كل رسائلهم كما يجد الرسائل قد أغرقت في صنعة المحسنات البديعية إغراقًا ليس إغراق متكلف وإنما إغراق كاتب ملك ناصية البيان ،وقد بلغت الرسائل في العصر الفاطمي منزلة عالية من الرقي والتمام ؛ لأن الفاطميين رأوا أنه من الضروري أن يلتف حولهم طائفة سامية من أفاضل الكتاب والشعراء والبلغاء لإقامة مذهبهم ، حتى إن الفاطميين عند مجيئهم من المغرب أتوا بابن هانئ الأندلسي معهم ليفاخروا به، و بجانب هؤلاء الشعراء الأفذاذ فقد ظهرت طائفة من الكتاب المتميزين الذين استخدمهم الفاطميون بدورهم في دواوينهم[2] ، يقول القلقشندي [–821هـ] : " لما ولي الفاطميون الديار المصرية ، صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكُتَّابه ، فارتفع به قدره ، وشاع في الآفاق ذكره ، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي...فكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران ، ثم ولي الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد العميدي"[3] ، وقد يكون أيضًا من عوامل ازدهار الكتابة في العهد الفاطمي هو كون وزراء العصر الأول من الحكم الفاطمي من الكتاب أصلًا ، فكانوا يعملون كُتَّابًا في الدواوين قبل توليتهم الوزارة كالبابلي والجرجائي والفلاحي –[جميعهم تولوا الوزارة في عهد المستنصر بالله]– وغيرهم ، أضف إلى ذلك أن نظام الحكم في عهد

---

[1] انظر: السابق ، المقدمة ص (ع) ، (ص).

[2] انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د.شوقي ضيف ، ص: 356 ، 359 .

[3] صبح الأعشى في ديوان الإنشاء ، للقلقشندي ، 96/1، وقد نقل الرواية عن القلقشندي كل من يوسف بن تغري بردي[–874هـ] في النجوم الزاهرة ، 337/7 ، وكذلك نقلها السيوطي [–911هـ] ، مع تصحيف في اسم العميدي فقال " أبو سعيد العبدي" وذلك في حسن المحاضرة ،233/2.

الفاطميين كان من أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الكتابة ؛ لأن الفاطميين كانوا يسجلون كل شيء مهما دق أو عظم في سجلات تخرج من الديوان ، فتعيين القضاة والوزراء والدعاة مثلا كان يخرج في سجل خاص مطول متضمن الحض على خشية الله وتقواه وعلى طاعة الإمام والتمسك بأهداب الدين القويم[1] و أولى الخصائص التي تطالعنا في رسائل هذا العصر هي الالتزام الشديد الظاهر بالسجع ، و قد رجح د.شوقي ضيف أن يكون العميدي من الكتاب الفاطميين الذين يميلون إلى نثر الشعر في رسائلهم و إلى الإكثار من الاقتباس من القرآن الكريم وهما ظاهرتان استمرتا في النثر المصري في القرن الرابع الهجري وما بعده، وكان هذا الترجيح من خلال الاطلاع على أسماء كتبه المثبتة له في التراجم مثل تنقيح البلاغة في عشر مجلدات و الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور ، وانتزعات القرآن ،وقد تساءل هل كان يستخدم العميدي الجناس في نثره كما كان يستخدمه في شعره مثل الأبيات التي أوردها ياقوت في معجم الأدباء له في آخر ترجمته؟ [2] وقد كان ترجيح د.شوقي ضيف في محله ؛ فرسائل العميدي – موضع الدراسة والتي نشرت حديثًا بعد وفاته بثماني سنين [تُوفّي 2005 م] – خير شاهد على التزام العميدي بنثر الشعر في كتابته وعلى توشيح رسائله بآي الذكر الحكيم ، كما تضمنت رسائله كل صنوف البديع من سجع وجناس وازدواج وتكرار ...إلخ .

فهذه المكانة التي أولاها الخلفاء الفاطميون للكتاب البارعين والشعراء دفعتهم إلى تنميق نثرهم بدرجة تكسر الحواجز بينه وبين الشعر ، فهو شعر منثور أو نثر منظوم ، لا فرق بينهما سوى أن النثر يعتمد على موسيقى السجع و ألوان البديع ، وقد بالغوا في زخرفة رسائلهم بألوان البديع حتى إن رسائلهم لتبدو مثل النقوش الفريدة ، ومن يطلع على آثار القرن الرابع الهجري يشعر بمذهب التصنيع –الإسراف في البديع– لم يقف عند كتاب الدواوين فحسب و إنما أخذ ينتشر بين كتاب الرسائل الشخصية أيضًا وفي مقدمتهم أبوبكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ، فقد تركا مجموعتين عظيمتين من الرسائل ، ذهبا فيهما ذاك المذهب من التصنيع والترصيع أو من السجع والبديع ، ولم يكونا فقط من يذهبان ذاك المذهب فحسب و إنما اتخذه جميع الكتاب من حولهما ، ويرجع السبب في انتشار هذا المذهب بين كتاب الرسائل الشخصية بخاصة دون غيرهم هو محدودية موضوعات رسائلهم بطبعها من عتاب ورثاء واعتذار وتهنئة واستسماح، فماذا يصنع ذاك الكاتب

---

[1] انظر : في أدب مصر الفاطمية ، محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، مصر ،ط 1 ،1950م ، ص 311– 312.

[2] انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د.شوقي ضيف ، ص: 358– 359.

المُصنِّع الذي يريد إثبات براعته ونبوغه؟ كان من الطبعي ألا يقتصر على سطور معدودة ؛ لإن هذا الاقتصار لا يمنحه الفرصة الكافية لإظهار تمكنه ، و إنما يطيل النفس و لأن المعاني بأصلها محدودة فلن يجد سبيلا إلى ذلك غير أن يتوسع في معانيه بكل طريقة ممكنة ، فلم ير أي مانع أثناء ذاك الامتداء من اللجوء إلى التهويل والمبالغة والاعتداد بتكثير العبارات ، حتى ليخيل إلى من يطلع على رسالة من هذا العصر للخوارزمي أو لبديع الزمان أو لغيرهم أنه يقرأ في أساليب إنما كتبت لتُحفظ لا لتعبر عن المعنى ، وقد فقدت المعاني قيمتها ، فلم يعد لها أي أهمية ، وإنما الأهمية كلها للفظ وما يطرز به من حلي ووشي[1] ، فقد تسربت عناصر من التصنع إلى آثار أصحاب مذهب التصنيع كأنَّ كل شيء في فن هذا العصر يريد أن يتصعب ويتعقد ، وليس ذاك بشيء غريب في تاريخ الحضارات ولا في تاريخ آداب الأمم المختلفة ، بل هو شيء طبعي ، فنحن نرى الأمم حينما ترقى حضاريًا وعقليًا تتحول من أحوال التعبير الطبعية إلى أحوال تعبير جديدة ، كلها تصعيب وتعقيد في الأسلوب والأداء ، مثلما حدث قديمًا عند اليونان في القرنين الرابع والخامس من الميلاد ، حتى رأينا شعراء الإسكندرية قد حولوا مذاهبهم إلى مجاميع من التعقيدات ، فكذلك كان الحال عند العرب أواخر القرن الرابع الهجري[2] ، ولم تستحدث الأقاليم العربية في ذاك العصر مذهبًا جديدًا في تاريخ الأدب العربي سواء أكان شعرًا أم نثرًا ، و إنما وقفت عند صورة هذه المذاهب الرئيسة الثلاثة وهي مذاهب الصنعة والتصنيع والتصنع ، وكل الذي أضافته إلى هذه المذاهب الثلاثة الرئيسة إنما هو التنقل فحسب بينها في غير نظام ، فبينما نجد الكاتب يكتب رسالة على طريقة أصحاب الصنعة ، نجده في رسالة أخرى يلتزم مذهب التصنيع، وهي ظاهرة تتصل بجميع متأخري كتاب العصر الفاطمي ، فليس أحد منهم قد استطاع أن يبتدع مذهبًا جديدًا أو طريقة جديدة ، إنما كان الجمود فقط عند المذاهب السابقة والطرق الموروثة .[3] " وكل ما يمكن الاطمئنان إليه في تقدير الخصائص النثرية لهذا العهد هو بروز العناصر الفنية التي ظهرت تباشيرها منذ القرن الأول ، فليس في القرن الرابع خصائص جديدة كل الجدة ، ولكن فيه خصائص كانت تلمح عند كتاب القرن الأول والثاني والثالث ، ثم ظهرت واضحة قوية على أقلام الفحول المبدعين :أمثال ابن العميد والخوارزمي وبديع

---

[1] انظر: السابق ، ص: 227– 229.

[2] انظر: السابق ، ص : 261 – 262.

[3] انظر: السابق ، ص: 363.

الزمان و أولى هذه الخصائص إيثار البديع ، فقد كان الكتاب السابقون يميلون إلى المحسنات البديعية ولكن في غير إسراف ، فلما جاء كتاب القرن الرابع الهجري قصدوا إليها قصدًا و أسرفوا في توشية الكتابة بفنون التورية والموازنة والمطابقة والجناس [1] .

وقد لخص د.زكي مبارك الخصائص الفنية للنثر في القرن الرابع الهجري في أربعة نقاط: [2]

1- التزام السجع التزامًا تامًا في جميع الرسائل حتى في تلك الرسائل المطولة التي كان يراد بها شرح مسألة أو تقييد مناظرة.

2- الحرص على تضمين الرسائل مختارات الأمثال و أطايب الشعر ما يحلون به تضاعيف الرسائل ، وتارة يذكرون اسم الشاعر وأخرى يخفونه.

3- أَلِف كتاب القرن الرابع الهجري الكتابة في بعض الموضوعات التي كانت مقصورة على الشعر كالغزل والهجاء والمديح ، فقد نقلوا للنثر محاسن الشعر من تشبيه واستعارة وخيال ، والنثر إذا أخذ خصائص الشعر أصبح في الوصف أقدر منه ؛ لخلوه من قيد القافية والوزن ، وقد أصبح النثر في هذا القرن أداة لتقييد الملاحظات النفسية والخواطر ،بحيث يجد القارئ من دقة الأسلوب وجمال الصنعة ما يغنيه عن النظر في قصائد الشعراء.

4-عدم التقييد بصيغة خاصة في بداية الكتابة ، فلم يبدءوا بما كان معهود الابتداء به في القرون قبلهم من حمد الله والصلاة على نبيه و إنما جروا على فطرتهم في تخير البدايات ، فكانوا يدخلون في الموضوع مباشرة ، و ربما بدءوا ببيت شعر أو بمثل معروف أو بحكمة مأثورة ، ولا يراعون القواعد إلا عند مخاطبة الوزراء والخلفاء فيبدءون بعبارات المجاملة والمديح ، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى ختام رسائلهم فقد درج أكثرهم على الاكتفاء بعبارة " والسلام" .[3]

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، د.ط، 2013 ، ص : 105.

[2] انظر: السابق ، ص:106-111.

[3] للمزيد من المعلومات حول طبيعة الكتابة الفنية في العصر الفاطمي وأهم خصائص النثر في تلك الفترة ، و التنبيه على أهم كتاب هذا العصر و رسائلهم ينظر : النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك ، ص 103- 196 ، ص 545- =

وقسم د.زكي مبارك كتّاب هذا العصر وفق توظيفهم للسجع في تَرسّلهم إلى ثلاثة طوائف:[1]

1- الطائفة الأولى :تلتزم السجع التزامًا تامًا مطلقًا، في الجد والهزل ، ولا تخرج عنه إلا قليلا في بعض الأحيان ومن هذه الطائفة بديع الزمان الهمذاني ، والخوارزمي . [ويذكر الباحث هنا أيضًا أن العميدي كان من هذه الطائفة].

2- الطائفة الثانية: تؤثر الازدواج والسجع من حين إلى حين وعلى رأسهم التوحيدي و ابن العميد.

3- الطائفة الثالثة : لا تسجع ولا تزاوج في النثر إلا قليلًا وهي تؤثر الحرية في الصياغة الفنية ، ومنهم الأصفهاني والجرجاني.

وقد أشاع كتاب القرن الرابع الهجري نظرية " الفن للفن" فعودوا القراء على تذوق الكتابة البليغة وحببوا النثر المصنوع إليهم ، وقد أصبح المتأدبون يتأملون قرار التركيب ومواقع الألفاظ ، وصارت فنون البديع من جناس وطباق وتورية أصولًا فنية يجد القارئ متعة كبرى حين يراها قد وقعت موقعًا حسنًا ، وأصابت الغرض منها ، ولهذه الزخرفة البديعية قيمة مهمة في فهم ثقافة ذلك العصر ؛ لأنها تدل على أن هؤلاء القوم قد عرفوا لغتهم معرفة قوية ، ووقفوا على طرائق تعبيرها و أسرارها ، فالصنعة التي عُرف كتاب القرن الرابع الهجري بها ، لها وجهان متضادان : وجه جميل يدل على براعتهم وحذقهم ووجه آخر يدل على بعدهم عن الوضوح وهو غاية البيان ، فالإغراق في الصنعة يعد بابًا من الغموض.[2]

= 722، في أدب مصر الفاطمية ، محمد كامل حسين ، ص: 309-317 ، 318-365. ، الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب ، د.محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية-مصر ، د.ط ، 1988م، ص 236- 257 ، 403- 510 ، ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابية [358هـ-568هـ]، سمير عبد الوهاب عبد ربه، رسالة دكتوراه ، ، جامعة مؤتة ، الأردن ، 2007م ، ص 127- 184 ، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، محمد موسى النعيمات، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، الأردن ، 2014م ، ص: 187- 232.

[1] انظر : النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك ، ص : 113.

[2] انظر : المرجع السابق ، ص : 176 ، 178 ، 179. .

8-1-0- لمحة عن الحياة الاجتماعية والسياسية في عصره:

ذكرت في مقدمة التمهيد أن العميدي عاش في مصر –كما تذكر كتب التراجم– في ظلال الدولة الفاطمية ، و قد عاصر العميدي قَطعًا الخلفاء الثلاثة الفاطميين الحاكم بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله ، والمستنصر بالله في أول عهده ، كما أنه من المحقق أنه عاصر العزيز بالله في بعض أيامه ، وغالب الظن أنه ولد في عهد العزيز بالله أو قبله لا بعده ، وهذا ظاهر من خلال الأسماء التي راسلها العميدي في الرسائل –موضع الدراسة– كما أشرت من قبل [1]، ويقال إن أصول الأسرة المؤسسة للدولة الفاطمية ترجع إلى إسماعيل بن جعفر الصادق [2]، والذي تكونت حوله الفرقة الإسماعيلية ، بينما تكونت الفرقة الاثنا عشرية حول أخيه موسى الكاظم ، وكانت هاتان الفرقتان تعيشان على التقية وعلى الدعوة سرًا لأئمتهما العلويين من سلالة موسى و إسماعيل، وقد ظهر في أواخر القرن الثالث داعٍ إسماعيلي من جنوبي الجزيرة يُكنّى بأبي عبد الله، صادف

---

[1] انظر : ص : 8 وما بعدها.

[2] فلقب الفاطميين الذي به عرف خلفاء عبيد الله يظهر من الوهلة الأولى أنهم من نسل علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء – رضوان الله عليهما – من نسل النبوة ، على أن قضية نسب الفاطميين والأسرة الحاكمة الفاطمية كان ولا يزال موضوعًا لم يُتفق عليه بعد من قِبل المؤرخين لا في الزمن الماضي ولا حتى في الزمن الحاضر وذلك لسببين أولهما هو التباين المذهبي والسياسي الذي ساد المسلمين بعد وفاته –صلى الله عليه وسلم – ، وثانيهما هو امتناع الفاطميين عن إعلان أنسابهم مدة من الزمن ، فضلًا عن تعمدهم إخفاء أسماء أئمتهم من أول محمد بن إسماعيل حتى عبيد الله المهدي في الوقت الذي اتخذوا فيه مبدأ ستر الأئمة. انظر: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام[297–567هـ/ 910–1171م] ،د.محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 2007م ، ص 53 ، وقد سُمي محمد بن إسماعيل جد عبيد الله المهدي بالمكتوم ، سمته الشيعة بذلك ؛ لإخفائه خوفًا عليه من المتغلبين عليهم ، وقد استغل ذلك العباسيون في التشنيع عليه والطنع في نسبه ، وكتامة هي قبيلة بربرية توجد في المنطقة الشرقية من دولة الجزائر ، وكان لها دور حاسم في مساعدة الفاطميين في دخول مصر ، وقد استمر الفاطميون في الاعتماد عليها في تكوين جيوشهم إلى أن أصبحت فيما بعد عصبة الحكام الفاطميين وأصحاب دولتهم ، انظر : إتّعاظ الحنفا ، للمقريزي ،46/1–48 ، والمواعظ والاعتبار، للمقريزي أيضًا : 20/2–183 ، 3/ 21–23 ، و تاريخ ابن خلدون : 4/ 43 ،45 ،48 ، 200/6 ، وللمزيد عن الخلاف القائم حول نسب عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية هل هو من بيت النبوة أم هو من أصول فارسية أم يهودية انظر: الفهرست ، لأبي الفرج محمد ابن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم [–438هـ] ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت– لبنان ، ط2، 1997م ، ص 232–235 ،و الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، 577/6–583 ، و وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، 117/3–119،. و إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، للمقريزي ، 22/1–54 وفيه أيضًا 103/1–106 نجد رسالة المعز لدين الله الفاطمي لأهل مصر على لسان جوهر الصقلي إبَّان دخوله البلاد.

أن التقي فى موسم الحج بجماعة من قبيلة كتامة المغربية، فقبلوا دعوته الإسماعيلية وأمَّروه عليهم فسار معهم إلى موطنهم، و جمع حوله منهم جيشا كبيرًا قضى به على حكام تونس الأغالبة سنة 296 هـ ويسير إليه من سلمية عبيد الله الفاطمي ويسلمه مقاليد الحكم، وتدين له البلاد، ويتلقب بالمهدي ، ويتسع نفوذ عبيد الله فى المغرب، ويضم إلى سلطانه الجزائر وليبيا ، ويشن جيشه غارات على مصر، لكنه يتوفى سنة 322 هـ ، و يخلفه ابنه القائم ويستولي جنده على المغرب، ويثور عليه الخوارج فى جبل أوراس ثورة عنيفة، ويتوفى سنة 334هـ ويخلفه ابنه المنصور فيقضي تمامًا على ثورة الخوارج ثم يتوفى سنة 341هـ ، فيعتلي عرش الإمامة الفاطمية ابنه المعز ، وتدين المغرب له بالولاء ماعدا فارس وسجلماسة ويخضعهما قائده جوهر الصقلي ، وكانت عين المعز على بلد الكنانة مصر ، فلما مات كافور الإخشيدي وبلغه نبأ وفاته ، شعر و كأنما هوى السد الذي طالما كان يحول بينه وبين الاستيلاء على مصر فجهز جيشًا من مائة ألف فارس ، معه كل ما يلزمه من عدة وسلاح تحت قيادة جوهر الصقلي ، ولم يكد يبلغ الإسكندرية حتى تتقدم له جماعة من المصريين برسالة من الوزير جعفر بن الفرات يطلبون فيها الصلح والأمان ، وتقدم جوهر بجيشه حتى وصل إلى الجيزة، ثم ولج الفسطاط والبر الشرقي بجيشه دون أية مقاومة تذكر من الكافورية والإخشيدية ، ولم يلبث أن ضم الشام إلى حكمه أيضًا سنة 359هـ ، وظل جوهر الصقلي مستقلاً بحكم مصر والشام أربع سنين حتى جاء المعز لدين الله الفاطمي ودخل مصر سنة 362هـ[1] ، وكانت تلك الفترة في مصر مشحونة بكثير من الأحداث والصراعات والنزعات الإنفصالية ، فكان الأدب صورة لهذا التقلبات والصراعات ، وكان الفاطميون يأخذون في حكمهم بمبدأ الإمامة ونظام الوراثة ، وذلك منذ نشأت دولتهم ، أي انتقال الإمامة إلى الابن من الأب عن طريق التعيين بالنص ، وفي بعض الأحايين كان الإمام يخالف هذه القاعدة ويحرم ابنه من ولاية العهد بعده

---

[1] انظر: تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة- مصر ، ط 1 ، 1960م-1995م ، 7/21-22. ، وللمزيد حول ظروف دخول الفاطميين مصر انظر : السابق ، 7/ 21-27 ، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي ، 4/69-74، و إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، المقريزي ، 1/134-143 ،و سفر نامه ،لأبي معين الدين ناصر خسرو [-481هـ] ، تحقيق د.يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 3 ، 1983م ، ص 86-90 ،و المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،للمقريزي ، ص: 183-190 ، و البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي [774هـ] ، دار المعارف ، بيروت-لبنان ، د.ط ، 1990م ، 11/272-274.

كمحاولة الحاكم بأمر لله حرمان ابنه الظاهر لإعزاز دين الله من ولاية العهد ولكن محاولته باءت بالفشل[1]، وقد عاصر العميدي أربعة أئمة فاطميين على الأقل ، أولهم العزيز بالله –ابن المعز لدين الله الفاطمي– وهو نزار بن معد بن إسماعيل حكم مصر إحدى وعشرين سنة من 365هـ إلى 386هـ ، وكان عهده عهدًا كله أفراح وأعراس ، وكان كثير الحلم والصفح ، متوقف في القتل [2] ، ثم خلفه ابنه الحاكم بأمر الله ، وهو المنصور بن نزار بن معد بن إسماعيل ، وقد ولي الحكم وهو حدث صغير فكان في الحادية عشرة من عمره وقد حكم مصر خمسة وعشرين سنة من 386هـ إلى 411هـ ، كان حكمه صورة لنفسيته المضطربة ما بين بخل وسخاء و جبن وشجاعة ، و تارة يجلس فى الظلام الدامس، وتارة يجلس فى الشمع ليلا ونهارا، وحينا يحب العلماء والصالحين، وحينا يفتك بهم بلا رحمة، وتارة يأمر بأن يكتب على جدران المساجد والجوامع سب ينال أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير و عائشة و وعمرو بن العاص و معاوية– رضوان الله عليهم أجمعين– ، وتارة أخرى ينهى عن ذلك، وكان ينهى عن بعض المأكولات كالترمس والملوخيا والجرجير والسمك الذي لا قشر له ! ، وتشدد في منع شرب الخمور فكان يجلد ويدخل السجن في ذلك ، كما منع بيع العنب وأمر بقطع كرومها، وفي حُكمِهِ قَتَلَ جمًا كثيرًا من كبار رجال الدولة وقادتها ، وكان يقتل بالمظنة ، كثير سفك الدماء خاصة في أول عهده ، كما أدعى أنه تجسيد للذات الإلهية !! ، وكان مقتله في شوال سنة 411هـ ، ويقال أن أخته ست الملك هي من حاكت مؤامرة قتله[3] ، وكان المصريون يوقدون الشموع الكبيرة طوال الليل أثناء مرور موكب الحاكم احتفالا به ، وكانت تعد الموائد الكبيرة بمختلف الأطعمة و الأشربة مع اللهو والغناء وخروج الرجال والنساء إلى الطرقات ، وقد شدد الحاكم بأمر الله على أهل الكتاب في مصر فكان يأمر النصارى واليهود بلبس الغيار وشد الزنار ، و أن يكون شعارهم بالسواد شعار العباسيين الغاصبين ، وقد مرت مصر في عهده بموجات

---

[1] انظر: مجموعة الوثائق الفاطمية ، جمع وتحقيق: جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة –مصر ، ط 1 ،2002 ، ص 24 ، 26 ، وللمزيد من التفاصيل حول نظام الإمامة والحكم في العصر الفاطمي انظر : السابق ، ص: 22–26.

[2] لنماذج من حلمه وصفحه ورثاء البلغاء له بعد موته انظر : إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، المقريزي ، 296/1–299.

[3] انظر : مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله ، المعروف بسبط ابن الجوزي[–654هـ] ، تحقيق محمد بركات و آخرين ، دار الرسالة العالمية ، دمشق –سوريا ، ط 1 ، 2013م ، 282/18 ، وأيضًا انظر : تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف ، ص: 23–24.

غلاء عاتية ، وفي سنة 395 هـ خرج الناس كلهم إليه يطلبون الأمان من كثرة ما وقع في عهده من إراقة دماء حتى خشى الناس جميعًا على أنفسهم [1] ، وقد ولي الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله الحكم بعده ، من سنة 411هـ إلى 427هـ – أي ما يقارب سبعة عشرة سنة في حكم مصر – وهو رابع الأئمة الفاطميين ، وكان له ست عشرة سنة لما تولى الحكم ، وقامت عمته ست الملك بتدير أمور دولته على أحسن وجه ، وبذلت الأموال الكثيرة في الجيش وساست الرعية سياسة حكيمة ، فاستقام أمر الظاهر ، وعدل في حكمه و أعلن البراءة من عقيدة النصيرية والدرزية التي تلبس بها أبوه ، و شيد الظاهر قصر اللؤلؤة ، وكان جوادًا حلميًا سمحًا محببًا للرعية [2] كما كان شديد البذخ ، وتتحدث كتب السير عن مدى الترف والسرف الذي كان عليه قصر الظاهر فقد زين وبسط بالذهب وعلقت فيه الستور المذهبة والستائر الديباج ، وعلقت السقائف كلها بالستور و فرشت بالقروش ، وفي سنة 418هـ شرب الظاهر الخمر وترخص فيه للرعية كما ترخص في شرب الفقاع – وهو شراب يتخذ من الشعير و يخمر حتى تعلوه فقاعته– وسماع الغناء و أكل الملوخية والأسماك بأصنافها فأقبل الناس على اللهو ، وظهر في عهده فسق شديد، واشتد الغلاء على الرعية، وتوفي الظاهر سنة 427هـ عن استسقاء طال به أكثر من عشرين سنة [3]، كما شهد أوائل القرن الخامس الهجري في عهده ضعفًا ظاهرًا في سيادة الدولة الفاطمية على جميع أقطارها ، ويرجع هذا إلى ما كان من صراع بينها وبين دولة الحمدانيين والروم والسلاجقة مما أدى إلى نزعات انفصالية قوية في الشام كالتي حدثت في سنة 420هـ عندما خرج صالح بن مرادس الكلابي على الظاهر واستولى على حلب و خرج حسان بن المفرج والي الرملة وتغلب على أكثر قطاع الشام ، فجمع هو وصالح بن مرادس الحشود لحرب الظاهر [4] ، وقد دحرهما الظاهر في موقعة الأقحوانة ، وقُتِل صالح بن مرداس، وعادت الشام إلى السمع والطاعة ، وفي رسائل العميدي –موضع الدراسة– رسالتان كتبهما على لسان الخليفة الظاهر بخصوص صالح بن مرادس أولهما لتهديده ، والثانية للفرح بالنصر عليه ونشرها في الأرجاء وهما الرسالتان رقم 56 ،60 [وقد اعتمد عليهما محقق الرسائل في إثبات صحة نسبة هذه الرسائل للعميدي كما أشرت من قبل] ، ورسالة في تهديد حسان بن جرّاح وهي

---

[1] انظر : إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، المقريزي ، 2/ 38 ، 53 ،54، 56 ، 74 ، 81 ، 91 ، 93.

[2] انظر : تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف ، 24/7.

[3] انظر : إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، المقريزي 129/2 ، 137 ، 140 ، 164 ،182.

[4] انظر : السابق 153/2–154، فيه تفصيل لما أحدثه صالح بن مرداس في الرملة من خراب و تدمير.

الرسالة رقم[57] ، و قد خلفه ابنه (المستنصر بالله) ، وهو أبو تميم معد بن الظاهر ، ولي مصر وهو ابن سبع سنين ، وظل في الحكم قرابة الستين سنة من 427هـ إلى 487هـ وهو خامس الأئمة الفاطميين ، وقد استوزر كثيرين منهم صدقة بن يوسف الفلاحي سنة 436هـ ، وكان أبو سعد التستري اليهودي يدبر له شئون الدولة ، وقد قتلا سنة 439هـ ،و حدث غلاء فاحش وقحط شديد في عهده استمر سبع سنين في مصر فيما عرف بالشدة المستنصرية من سنة 457هـ وحتى 464هـ ، فاستولى على مصر الوباء والخراب ، فكان الناس إذا مشوا فى الطرقات تساقطوا من شدة الجوع، ويقال إن البيضة بيعت بدينار و إن الرغيف بيع بخمسين دينارا ، وتوجهت أم المستنصر وبناتها إلى بغداد فى سنة 462هـ من شدة الجوع ، حتى كادت لا تبقى فى قصر الخليفة أي تحفة نفيسة إلا وقد بيعت بأرخص الأثمان، وبدا أنه من الصعب إنقاذ مصر في تلك الفترة من كل هذا البلاد لولا أن استنجد المستنصر ببدر الجمالي فى سنة 468هـ ،وكان قد تولى السواحل والشام للمستنصر، فاستدعاه وفوض الأمور إليه، فهدأت الفتن، و استقامت الأمور بحسن تدبيره، وأصبح الحكم والأمر كله لبدر الجمالي، وليس للمستنصر إلا الاسم و قد مات المستنصر قبله بأشهر، فعهد المستنصر بالأمر إلى ابنه الأفضل للقيام مكانه، و لقب بشاهنشاه أو ملك الملوك ، ثم لم يلبث أن توفي المستنصر سنة 487هـ [1]، وكان المستنصر بالله قد ولى العميدي ديوان الإنشاء ، و استُخدمه فيه بدلًا عن الكاتب ولي الدولة ابن خيران وذلك في صَفَر سنة اثنتين وثلاثين و أربعمائة فمكث العميدي فيه سنة إلى أن توفي 433هـ ، فلم يشهد العميدي من حكم المستنصر مصر إلا سبع سنين ولاه في آخرها ديوان الإنشاء[2].

[1] انظر : تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف ، 7/24-25

[2] ولمزيد من التفاصيل حول خلافة العزيز بالله و الحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله والمستنصر بالله انظر: إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، للمقريزي 1/ 236-299، 2/ 2-334 ،و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي ، 4/112 -285 ، 5/1-155 ، و مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، سبط ابن الجوزي ، 18/93،282-296 ،404-405 ، 19/463-464، و الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، 7/475-487 ،558-561 ،775 ، 8/383-384 ،و ديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون ، 4/65-66 ، 71-73 ، 75-79 ، و العبر في خبر من غبر ، لشمس الدين الذهبي ، 2/170 ، 171 ، 219 ، 220 ، 256 ، 257 ، 356.

المبحث الثاني

المدخل إلى الأسلوبية

1-2-0- الأسلوبية ومستويات اللغة:

يرى "جورج مونان" أن الأسلوبية تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي من خلالها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته الجمالية والتأثيرية [1] ، في حين يرى دي لوفر" أن الأسلوب الفردي للكاتب هو حقيقة، والدليل على ذلك هو تمكن من كان له بعض الخبرة أن يميز عشرين بيتًا من الشعر إن كانت " لكورناي" "Corneille" أم "لراسين " "Racine"، وأن يميز صفحة من النثر إن كانت "لستاندال" "Stendhal" أم "لبلزاك" "Balza" [2] ، فالأديب يعبر عن شخصيته تعبيرًا صادقًا يصف نزعاتها ومزاجها وتجاربها وطريقة اتصالها بالحياة لينتهي به الأمر إلى أسلوب أدبي متميز في طريقة التصوير والتفكير والتعبير ، هو ذاته أسلوبه المشتق من نفسه هو ، و عقله و خياله و عواطفه و لغته[3] ، بل لا يتكون أسلوب الأديب حسب نظرية " ماكس جاكوب" إلا إذا أحسسنا بأن طابع الانغلاق يغلف آثاره [4] ، فكل أسلوب يعد صورة خاصة بصاحبه يظهر طريقة تفكيره و نظرته للأشياء من حوله وتفسيره لها ، و طبيعة مشاعره وانفعالاته ، فأساس تكوين الأسلوب قائم على الذاتية [5]، ويرى " بيرند سبيلنر" أن معظم الباحثين يرون إرجاع مقولة الأسلوب إلى التنفيذ الخاص بالفرد للغة ، أي إلى مجال الممارسة والكلام ، وإن وجدت مع هذا الحل بعض المشكلات

---

[1] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط 5 ، 2006م ، ص : 33.

[2] انظر السابق : ص : 49.

[3] انظر: الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية –، أ.أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة– مصر ، ط 8، 1991 م ، ص 127–128.

[4] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص: 55.

[5] انظر : الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية –، أ.أحمد الشايب ، ص 134.

فهناك من يحاول إقامة مفهومه للأسلوب على كلا المستويين نقصد بهما النظام والاستعمال أو على نقطة تقاطعهما [1] .

و بالرغم من أن تسمية "علم الأسلوب" ترجع في الأصل إلى العصر الرومانسي ، فإن قواعده العلمية لم تتقرر بعد في شكلها الحديث إلا في السنوات الأولى من القرن الحالي –كما يرى ستيفن أولمان– وقد تطور هذا العلم الجديد –منذ بدايته– في اتجاهين مختلفين : عنيت فيه إحدى مدراسه بمعرفة تلك الإمكانات الأسلوبية للغات بعينها، أي تلك الحيل التعبيرية التي تضعها هذه اللغات بين يدي الكاتب والخطيب، أما المدرسة الأخرى فوجهت معظم الاهتمام إلى الطريقة التي يستعمل بها الكتاب المبدعون هذه الإمكانات ؛ ولهذا يجب أن نميز بين نوعين أساسيين من دراسات الأسلوبية : أولهما يستكشف أسلوب لغة ما ، وثانيهما يركز على أسلوب كاتب ما[2] وعند استخدام علم الأسلوب لدراسة لغة ما يرى " بالي " أنه لا يجب أن تتناول الدراسة عصرًا واحدًا فقط من عصور تطور هذه اللغة ، محرمًا على نفسه البحث عن براهين أو مواد في العصور السابقة أو اللاحقة ، بل يجب أن يُعنى بجميع مظاهر حياتها اللغوية من الأصوات والتراكيب والمتن..إلخ[3] .

فالأسلوب قائم على مفهوم الاختيار و المقصود به هو هذه الإمكانية من الاختيار بين عبارتين أو أكثر– أو بين البدائل الأسلوبية كما تسمى– تتوافقان في المعنى ولكنهما تؤديانه بطريقة مختلفة ، ويرى " تشارلز هوكيت " أنه متى ما وجدت عبارتان في لغة واحدة تفيدان تقريبًا نفس المعلومة، لكنهما تختلفان في بنيتهما اللغوية ، فمن الجائز القول بإنهما تختلفان في الأسلوب مثل عبارة "وصل قبل أوانه" و " بادر بالمجيء"[4] ، وينقل " روجر براون " حديثا دار في ندوة خاصة بعنوان " الأسلوب في اللغة" قال أحد أعضاء الندوة فيها إن لكل إنسان أسلوبه المميز له كبصمات أصابعه [5] ، و يرى " تشارلز بالي " أن مهمة علم الأسلوب الداخلي لا تزيد عن تعرية بذور الأسلوب ، وإظهار تلك " اللوالب" التي تحركه الموجودة في الأشكال اللغوية أشد ماتكون تلك الأشكال تفاهة ، ودراسة الآثار الناشئة –بشكل تلقائي– عند المستمعين لدى استخدام هذه

---

[1] انظر : علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، د.صلاح فضل ، فصول ، مج 5 ، ع1 ، أكتوبر ، 1984م،ص:49.

[2] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ،د. شكري محمدعيّاد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، د.ط ، د.ت ، ص: 84.

[3] انظر السابق : ص:48.

[4] انظر السابق : ص 86 .

[5] انظر السابق : ص 109.

الأشكال [1] ، ويرى " ميكل ريفاتير " أن اللغوي يجد كنزًا من الوقائع في النص والتي بالإمكان استعمالها لإعادة تكوين هذا الأثر الذي أحدثه أسلوب النص في عصره الذي كتب فيه ثم تصحح – طبقًا لهذه الصورة المستعادة– استجابات القراء المحدثين فهي نظرة تزامنية أشبه ما تكون بعمل عالم الآثار ، فإذا كان اللغوي يجمع كل سمات الحديث من راويته دونما استبعاد لأي شيء منها ، فإن على الأسلوبي أن يلتقط من بين تلك السمات ما يؤدي أغراض المؤلف فقط والتي يكون أشد وعيًا بها من غيرها [2]، ويرى أيضًا أن السياق الأسلوبي ما هو إلا نسق لغوي يقطعه عنصر آخر غير متوقع ، وأن المثير الأسلوبي إنما هو التقابل الناتج عن ذاك الاقتحام[3]، في حين يرى " يان موكاروفسكي" أن الشخصية عبارة عن سمة نوعية من الممكن تبينها داخل بنية العمل ، وبهذا يكون "موكاروفسكي" قد وضع دراسة العمل كمصدر بدلا من دراسة مصادر العمل[4] .

و بفحص الأسلوبية نجد أنها ترتبط بعلمين جديدين مهمين يركزان في البحث على الأقوال ، أو على تلك الوقائع اللغوية الجزئية بغاية الوصول إلى قوانين أعم من تلك القوانين اللغوية الخالصة ، فهي إما قوانين تتناول مختلف النظم " للعلامات" المشتركة ما بين المستقبل والمرسِل وهي " السميوطيقا" وتحتها تندرج الأعمال الفنية ، والأعراف اللغوية ، وسائر النظم الرمزية، وإما هي قوانين تتناول ذات الفعل اللغوي باعتباره نوعًا من سلوك بشري مشترك ما بين المرسِل والمستقبل وهي " البراجماطيقا" ، وهي وإن اختصت باللغة فهي تختلف عن العلوم اللغوية الخالصة في كونها تتناول اللغة من زاوية " الحدث" ولا تبحث عن النظام اللغوي في حد ذاته و إنما تبحث عن قوانين الحركة التي تحكم الحدث ، فهي مثل السيميوطيقا تشمل بنظرها " الأقوال" في أبسط صورها مثل كلمة يقصد بها تأثير ما في تعبير جارٍ ، أو جملة تقال في الحديث العادي ، إلى عمل أدبي متكامل ، فكل منهما يتشابك مع علمي النفس والاجتماع ، وهما يدفعان معًا علم الأسلوب إلى توسيع مجاله من خلال تحليل الأساليب الأدبية و اللغوية منها خاصة إلى تفسير النصوص الأدبية على أسس علمية منضبطة تعتمد على سيكولوجية القراءة من ناحية وعلى نظرية المعرفة من ناحية أخرى ، هذه هي المعالم الكبرى كما نعرفها اليوم للدراسات الأسلوبية ، لنقل إنها تشكل إطارًا يمكن تغيير حركة أضلاعه بحيث يتخذ

---

[1] انظر السابق : ص 27.

[2] انظر السابق : ص 130–131 .

[3] انظر السابق: ص 148.

[4] انظر السابق : ص 194.

أشكالًا متعددة ، أو خريطة لا تظهر عليها إلا خطوط الطول والعرض و التضاريس تاركة الحدود السياسية، و الأقاليم النباتية، والمناخية، ليتصورها الرائي بنفسه أو ليبحث عنها في مظان أخرى[1].

ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، بدت المناهج التقليدية في دراسة الأدب قاصرة ، فلم تعد قادرة على طرح شيء جديد في زيادة عمق فهم الظاهرة الأدبية ، وضبط أدوات الدراسة ، والخروج بهذه الدراسات من التفسيرات الشخصية والدراسات الانطباعية أو مجرد هذا التأريخ الخارجي الذي تحكمه أحيانًا فكرة العلية ، ومبدأ التطور في أحايين أخرى، وقد ظهرت اتجاهات جديدة في النقد مع مطلع القرن العشرين طامحة إلى تجاوز ما آلت إليه تلك المدارس التقليدية ، فسعت إلى تكوين أدوات منضبطة علمية لتحليل العمل الأدبي ، بادئة بفحص العمل الأدبي من الداخل ، وقد أفادت منجزات العلوم الحديثة تلك الاتجاهات الجديدة في تأسيس عملها وتطوير الأدوات الخاصة بها ، و خاصة علم اللسانيات ، وكانت حلقة براغ اللغوية إحدى الدوائر التي خرج من نواتها عدد من رواد هذا الاتجاه الجديد في دراسة الأدب ، فهي تعد امتدادًا بمعنى من المعاني لما يُسمى بحركة الشكليين الروس ، والتي دعت من قبل إلى هجر تلك المناهج التقليدية في دراسة الأدب ، وأثارت عدة أسئلة أساسية تتعلق بماهية الأدب، و تلك الخصائص النوعية التي تميز الأدب عن غيره من أنماط الكلام ، كما سعت إلى معرفة سمات العمل الأدبي و تحديد لغته من داخل العمل الأدبي نفسه ، ومن هنا بدأت هذه الحلقة عملها ، فشغلت نفسها بهذه القضايا ، لكنها قدمت حلولًا أبعد كثيرًا ممًا قدمته المدرسة الشكلية الروسية في بعض المشكلات ، ومن اللغويين الروس الذين انضموا لتلك الحلقة منذ بدايتها" رومان جاكبسون" "Roman Jakobson " وقد أكد البنيويون في حلقة براغ تلك العلاقات الداخلية للعمل الأدبي ، فهم يرون أن الوحدات الصوتية Phonetics لا يكون لها معنًى في ذاتها ، وإنما يظهر معناها بتعارضها مع غيرها من الأصوات ، وعلى ضوء هذا الفهم يناقش اللغويون المحدثون سائر العناصر اللغوية من عناصر صوتية Phonemic ، وعناصر نحوية تركيبية Syntactical ، وعناصر صرفية Morphological ، وعناصر معجمية Lexical، بحيث تعمل هذه العناصر مع بعضها على نحوٍ متبادل، وكذلك الحال بالنسبة للعمل الأدبي فليس هناك لأي مكون من مكوناته معنًى في ذاته بل يتحقق معنى كل عنصر من عناصر العمل الأدبي من خلال علاقته بكل العناصر الأخرى المكونة للعمل نفسه ، وذلك عن طريق التوافق أو التعارض ،

---

[1] انظر السابق : ص 212-213.

فيتحقق المعني للعمل الأدبي عندما تتداخل تلك المكونات في علاقة تعارض أو توافق مع كتابات أخرى للمؤلف ذاته ، أو كتابات من النوع نفسه ، أو كتابات ترجع لنفس الحقبة الزمنية ، أو تدخل في علاقة مع كل الكتابات التي زامنتها أو سبقتها [1]؛ لذا كان لدينا صعوبة في البحث الأسلوبي نابعة من افتقار ممارسته إلى التعاون مع نتائج العلوم الأخرى ، وذلك كما يقتضي النموذج المفترض ، بل إنه يتم في أسعد حالاته على أيدي دراسي أدب قد ظفروا ببعض معارف لغوية ضرورية ، أو على أيدي علماء لغة لهم اهتمام بالأدب ، ولكن ذاك لا يعدل شيئًا من الأمر الأساسي وهو أن هذا البحث الأسلوبي المعتمد على التحليل اللغوي واقع في المنطقة المشتركة بين العلمين [2] ، حتى إنه ليتراءى للناظر أحيانًا –كما يرى مؤلفو كتاب اللغة والأسلوب– أن علماء اللغة ونقاد الأدب يعمل كل فريق منهما من وراء جدار سميك يفصله عن الآخر ، ولكي يحدث اتصال مثمر بينهما لا يكفي أن يرفع كل منهما صوته ليسمعه زميله ، أو يمدا أيديهما من فوق الجدار ، بل من الضروري لهما أن يحفرا نفقًا يخطط بإحكام لكل يصل كل منهما للآخر، وقد تبين أن جل مشكلات الأسلوب تقع على وجه التحديد تحت ذلك الجدار الفاصل بين الدراسات الأدبية والدراسات اللغوية [3]، و يرى " د.عبد السلام المسدى " أن من أهم الصعوبات التي تواجه علم الأسلوب أنه قائم على "المجاذبة" فهو متمازج التخصصات في ذاته ، وهذا يجعله رهينًا لأي تطور يحدث في الفرعين العلميين اللذين يستمد منهما وجوده وهما علما اللسان والأدب أو حقل النقد الأدبي ، كما يتعرض علم الأسلوب لمجاذبة زمنية تتمثل في حضوره الآني ، وتصوره لمآل المستقبل مع رضوخه رغمًا عنه للماضي عن طريق هذا الضغط المسلط عليه من قبل العلوم البلاغية ، ليس على المستوى العربي فحسب وإنما على المستوى الإنساني كله[4] ويرى " الهادي الطرابلسي " أن الأسلوبية لم تنجح إلى الآن في إثبات أنها علم قائم بذاته، ولا أن تؤسس منطلقات مستقلة الذات واضحة الهوية ، لكنها توصلت إلى إثبات أنها قادرة على التعامل مع النص الأدبي من طرق مختلفة ، قد يصح أن تسمى علومًا مختلفة [5] ، أما "عز الدين إسماعيل" فيرى أن علم الأسلوب هو علم في حد ذاته

---

[1] انظر : اللغة الشعرية واللغة المعيارية ، يان موكاروفسكي ، تقديم وترجمة : ألفت كمال الروبي، فصول ، ص 37–38.

[2] انظر :علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، د.صلاح فضل ، فصول ، ص 47–48.

[3] انظر السابق : ص 53.

[4] انظر : ندوة العدد (الأسلوبية)، فصول ، ص: 222.

[5] انظر السابق : ص 218.

لأنه نشأ من تتضايف علمين وهما علما اللسان والنقد مثلما نشأ علم النفس اللغوي من تضايف علمي النفس و اللغة مع بعضهما، وكانا قبل تلك الإضافة علمين مستقلين لكل منهما كيانه المستقل، ومناهجه ، وأهدافه، وغاياته [1].

وقد عقدت ندوة بجامعة إنديانا بأمريكا سنة 1960 م ، وحضر إليها أبرز الألسنيين مع علماء النفس والاجتماع ونقاد الأدب و تركزت أبحاثهم حول الأسلوب و قد بشر بحث جاكبسون " الألسنية و الإنشائية" الذي قدمه في الندوة بسلامة الجسر الواصل بين الأدب والألسنية [2] ، ومن ثم بارك "ستيفن أولمان" "Stephen Ullman" عام 1969م في فصل خاص بعنوان اللغة والأسلوب من كتابه:

(Problemes Et Methodes De La Linguistique) من كون الأسلوبية علمًا نقديًا ألسنيًا يقول : " إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد ، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معًا "[3].

أما " تشومسكي" "N.Chomsky" فقد بالغ في الوصف فميز بين " الوصف البنيوي" و " الوصف اللغوي" إذ يتعامل " الوصف اللغوي" مع بنى سطحية يجزئ وحداتها ويصنفها ويعددها ، وهذا يعني أنه يدرس علم الفونولوجي Phonology ، وعلم الأصوات Phonetics ، والمورفولوجيا Morphology ، فيما يقوم الآخر بوصف التحويلات التي توصلنا إلى البنى السطحية [4] ، أما " رولان بارت " فيرى أن على الناقد الأسلوبي أن يتداخل مع النص فيحل فيه حلولًا صوفيًا ، بحيث يعيش مع النص فيرى مساراته، ودوائره، وحركاته ، دون أي فرض خارجي لرؤية سابقة على النص من الناقد نفسه والتي تنفصل عن البنية اللغوية للنص الأدبي المدروس ، وهذا يتطلب بنياته الصرفية ، وهياكله النحوية ، وتأليفاته ، واختياراته في ضوء تلك العوامل الوجدانية المنتشرة في ثناياه ، فقد تقتضي تلك الانفعالات السريعة المتتابعة مقاطع متلاحقة من

---

[1] انظر السابق : ص 223.

[2] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ،ص: 23.

[3] انظر السابق : ص 24.

[4] انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ، د.خليل عمايرة ، دار عالم المعرفة ، جدة–السعودية ، ط 1 ، 1984م ، ص54.

المفردات القصيرة، أما الفلسفات الذهنية والتأملات العقلية فتقتضي تركيبات ومفردات ذات مدى أكثر طولا واتساعًا حتى تبين امتدادات التفكير [1] ، فهناك أمورٌ تتضافر فيما بينها لتصنع دلالة معينة ، يشترك في تجسيدها المعنى المعجمي والنحوي والسياق اللغوي وهو ما قامت عليه الجملة أو الجمل [2].

فعند بحث مسألة علمية مثل مسألة الأسلوبية كثيرًا ما يصدق ذلك المثل الذي يذكرونه عن الفيل وجماعة العميان ، فالحل لا يكون – في الغالب– في جحد حقيقة الظاهرة أو رد ما قيل في تفسيرها ، بل يكون في معرفة المدخل الصحيح للمسألة لتفسيرها على وجه شامل ، وقد تناول القدماء ظاهرة الأسلوبية – بوجه عام– من مدخل التقاليد الفنية ، في حين أن المحدثين تناولوها من جهة التجربة النفسية و التعبير عن الذاتية ، وكلتا الرؤيتين لا تصلان إلى قلب الظاهرة ، فإذا تأملنا هذا الحشد الهائل من الأفكار والنظريات عن الأسلوب نجدها لا تُجمع فيما بينها إلا على شيء واحد وهو أن الأسلوب يعتمد على اللغة ، مما يمكننا أن نقول إن الأسلوب ظاهرة لغوية ، وأن المدخل الصحيح لتفسيره لا يكون إلا على هذا الأساس ، والواقع المشاهد أن علم الأسلوب لم يضع أولى خطواته إلا حينما ارتكز على علم اللغة ، وقد كان هذا التحول انقلابًا في الدراسات الأدبية ، ولكنه لم يصدر عن علم اللغة ذاته وإنما خرج من رحم الدراسات الأدبية نفسها ، ولكن سلامة المنهج اقتضت أن يكون علم اللغة العام هو المنطلق الذي يبدأ البحث منه في الأسلوب الأدبي ، باعتبار أن الثاني شعبة من الأول ، كما أن اللغة الأدبية في ذاتها ليست سوى نوعٍ خاصٍ من الاستعمال اللغوي [3] ، فالانقلاب الذي حدث في مطالع القرن العشرين في مباحث علم اللغة جعل البحث في تباين طرق التعبير – وهو أساس علم الأسلوب– إشكالية ملحة تتطلب المواجهة من اللغويين[4]، فالأسلوبية حسب رأي " م.آريفاي" "Michel Arrivé" هي وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات ، كما أنها حسب "دولاس" تعرَّف بأنها منهج

---

[1] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، الدار العربية ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2001م ، ص:132.

[2] انظر السابق : ص 193.

[3] انظر : علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، دار التنوير ، بيروت– لبنان ، ط 1 ، 2013م ، ص 136–137.

[4] انظر السابق : ص 141.

لساني [1] ، فالأسلوبية هي وجه الألسنية الجمالي ، وهي تبحث في الخصائص الشعرية والتعبيرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي ، وتتحلى طابعًا علميًّا تقريريًّا في وصفها وتصنيفها للوقائع بشكل منهجي موضوعي[2] ، ويمكن القول إن الأسلوبين قد درسوا النص الأدبي بمقاربتهم الظاهرة الأسلوبية بدءًا بالعلاقة بين المبدع والنص ، وهنا انصب جل جهدهم على دراسة مدى انعكاس شخصية مبدع النص فيه ، وتصبح الرسالة اللغوية عندئذ مطية للتعريف بشخصية المبدع ، مما يدخلها في علم النفس اللغوي إذا عددنا ذاك الأخير أحد مناهج المقاربة الأسلوبية [3] ، فإمكانية استخدام اللغة تحمل –ضمنًا– إمكانية تنوع هذا الاستخدام وتعدده ؛ وذلك لتمايز الوسيلة التعبيرية ، وهنا يظهر الفارق بين مبدع وآخر ، فلكل منهما منطقة أثيرة يتحرك فيها نحويًا ولغويًا وبلاغيًا فيصنع لنفسه معجمًا ينغلق عليه [4] ، وعلى هذا تصبح اللغة في جوهرها – من وجهة نظر الأسلوبي– مجموعة من الوقائع الأسلوبية يجب الاعتداد بها ، بل إن كلمة أسلوب المستخدمة هنا لتتجاوز حدودها التقليدية لتشمل كل عنصر حي وخلاق في اللغة يتنمي إلى الفرد عاكسًا أصالته [5] ، فالتعريف الصحيح لعلم اللغة هو أنه : العلم الذي يدرس اللغة من جهة بنائها الداخلي ، أو من جهة الأنماط المكونة لها من صوتية ونحوية ودلالية ولفظية ، ولما كان الاهتمام بوظيفة الصيغ اللغوية وماهية تراكيبها وكيفية تأديتها للمعنى أحد أهم غايات علم اللغة ، فإن دارسة اللغة من الطبعي أن تزيد من استيعابنا وفهمنا و إدراكنا لمضمون النصوص بوجه عام ، والنصوص الأدبية والفنية بوجه خاص؛ لأن النص الأدبي ما هو إلا نتاج نسق أو نظم لغوي معين ، وهذا النسق أو النظم لا يمكن فهمه فهمًا صحيحا دون الإلمام الدقيق الشامل للغة التي صيغ منها ، وبالتالي يمكن أن تسهم تلك التطورات الحديثة في علم اللغويات ، و خاصة في مجال علم الأساليب في دراسة النصوص

---

[1] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د.عبدالسلام المسدي ، ص: 41.

[2] انظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث) تحليل الخطاب الشعري والسردي ، د. نور الدين السد ، دار هومه ، الجزائر ، د. ط ، 2010 م ، 14/1.

[3] انظر : الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية ، د.مومني بو زيد ، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، الجزائر، مج 8 ، ع 2، 2014م، ص 99.

[4] انظر : قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، د.محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة –مصر، ط 1 ، 1994م ، ص 85.

[5] انظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، د.صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة –مصر ، ط 1 ، 1998 م ، ص : 13.

الأدبية عامةً ، و الأسلوب الأدبي خاصةً [1] ؛ ولهذا فإن المدخل المقترح لولوج حقل التحليل الأسلوبي ، هو المزج ما بين التحليل اللغوي والتفسير النقدي للنص ، والعنصر الأول هو عنصر موضوعي بحت ، أما العنصر الثاني فهو أميل إلى التفسير الانطباعي أو الشخصي ، على الرغم من أن كلا العنصرين يكملان بعضها بعضًا [2] .

ومن المحاولات الرابطة بين الأسلوب واللغة ما أشار إليه "جاكبسون" من خلال تحديده للوظائف اللغوية وفقا للعوامل الداخلة في التواصل اللغوي حسب النموذج الآتي:

السياق
الرسالة
المتكلم ـــــــــــــــ السامع
قناة الاتصال
الشفرة

وقد رسم "جاكبسون" خارطة للوظائف اللغوية طبقًا للتحليل السابق، معتدًا بالجانب الغالب عليها في كل رسالة ، على النحو الآتي:

إشارية
شعرية
عاطفية　　طلبية
تأكيدية
ميتالغوية

ونلاحظ من خلال النموذج السابق أن مختلف خواص الأجناس الأدبية تقتضي مشاركة متدرجة لتلك الوظائف اللغوية الأخرى فضلًا عن الوظيفة الشعرية، فهي وظيفة أساسية غالبة ، فالملحمة المتجسدة في ضمير الغائب تتضمن بشكل قاطع الوظيفة الإشارية للغة ، أما الشعر الغنائي الموجه نحو المتكلم والذي ينحو إلى التعبير

---

[1] انظر : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، د.علي عزت ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1996م ، ص: 1–2.

[2] انظر السابق : ص 6.

المباشر عن موقفه مما يقول فهي الوظيفة العاطفية أو التعبيرية للغة ، وأما الشعر الذي يعتمد على السامع والمخاطب كالشعر الاجتماعي والحماسي في أدبنا العربي فإنه يرتكز على الوظيفة الطلبية للغة ، والتي تتضمن النداء والأمر وما سواهما ، وإذا كان الغرض التأكد من إقامة اتصال بمده أو قطعه للتحقق من أن قناة الاتصال تقوم بعملها على الوجه الأكمل فتقول مثلًا : هل تسمعني؟ أو انتبه! وغرضنا في ذلك هو التحقق من قناة الاتصال فهي الوظيفة التأكيدية ، وإذا كان الغرض هو استخدام شفرة واحدة في فهم الأشياء ، حيث يركز عليها السامع والمتكلم كثيرًا أثناء حديثهما مثل أن يقول السامع: لا أفهم ما تعني . ماذا تريد أن تقول؟ أو يقول المتكلم : أريد أن أقول كذا فهنا يكون التركيز على الوظيفة الميتالغوية... ، ويرى " جاكبسون" أن النموذج التواصلي التقليدي والذي صاغه "بوهلير" من قبل اقتصر على الوظائف الإشارية والعاطفية والطلبية للغة في حين أنه ينبغي الاعتداد ببقية الوظائف اللغوية الأخرى[1] ، و يمكن أن نستنتج من نظرية الاتصال أن علاقة علم الأسلوب بعلم اللغة علاقة الفرع بالأصل والجزء بالكل ، وإن كان بقية الباحثين يرون بالاحتفاظ بينهما بلون آخر من العلاقة تعتمد على التوازي لا التداخل [2].

و إذا رجعنا إلى عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري نجد أنه كان على وعي تام بالفارق بين الكلام واللغة ، ذاك الفارق الذي أرسى دعائمه " فريناند دي سوسير" العالم السويسري المعروف ، وطوره "نعوم تشومسكي" في تفرقته بين الأداء والكفاءة ، فمعاني الألفاظ وقوانين النحو تمثل عند عبد القاهر الجرجاني النظام اللغوي القار في وعي الجماعة ، والذي تقوم اللغة بوظيفتها الاتصالية على أساسه ، أما الكلام فهو الظهور الفعلي لهذه القواعد و القوانين في حدث كلامي بعينه [3] .

وقد كان دي سوسير يرى أنّ اللغة خلق إنساني ونتاج للروح ونظام رموز تحمل الأفكار و اتصال ، فلم يكن جانب الفكر الفردي فيها أقل جوهرية من الجانب الخاص بالجذور الجماعية ، وعلى هذا يكون الفرد

---

[1] انظر: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، د.صلاح فضل ، فصول ، ص: 55 .

[2] انظر السابق ، ص: 56.

[3] انظر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني –قراءة في ضوء الأسلوبية– ، نصر أبو زيد ، فصول ، ص:14.

والجماعة مسهمين في إعطاء الأسلوب قيمة تعبيرية متجددة غير مكتفيين بتلقي القيم الجمالية في التعبير عن السابقين فقط ، و هذه النقطة الأخيرة هي التي ركز عليها "بالي". [1]

و قد أسس " دي سوسير" "De Saussure" المدرسة الوصفية في العلوم اللغوية القائمة على تقسيم النظام اللغوي إلى ما يمكن تسميته بالثنائية اللغوية ، وهي تقوم على تقسيم النظام اللغوي إلى مستويين: المستوى الأول : اللغة (Langage) ، و المستوى الثاني : الخطاب (parole) ، ويشمل الأول قواعد البنية الأساسية لأي لغة ، أما الثاني فيشمل اللغة في حالة الاستخدام[2] ، فاللغة تعكس شخصية المبدع وتبقى غير منفصلة عن سائر الوسائل الفنية الأخرى التي يمتلكها المبدع [3] ، فالمنظرون لتحديد ماهية الأسلوب من زاوية النص يفرقون بين وضع اللغة الموجودة في طيات معاجمها ، ووضعها حينما توضع في حيز الاستخدام ، فهذا التعريف يتعامل مع اللغة من منظور أنها ذات مستويين : الأول ساكن ، ويتمثل في وجودها الثابت قبل خروجها إلى حقل الاستعمال الخارجي ، والثاني متحرك ويقصد به حين تخرج من أطرها المعجمية بما تحتويه من قواعد صرفية ونحوية إلى ميدان عملها حين تؤدي وظيفتها الإخبارية المنوطة بها ، وهي نقل الأفكار وتوصيل المعلومات .[4]

وعند الرجوع إلى "بالي" نجده لم يعمد إلى التقسيم المعروف للظاهرة الكلامية و الذي بموجبه تكون لدينا لغتين ، لغة الخطاب الأدبي ولغة الخطاب النفعي وهو تقسيم أفقي ، و إنما ارتضى تقسيمًا جديدًا فرأى أن للخطاب نوعين : أحدهما حامل لذاته غير مشحون البتة و الآخر حامل للخلجات والعواطف وكل الانفعالات[5]

---

[1] انظر: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، أحمد درويش ، فصول ،ص: 64.

[2] انظر : الطيب صالح في منظور النقد البنيوي ، د.يوسف نور عوض ، مكتبة العلم ، جدة–السعودية ، د.ط ، 1983م ، ص:20.

[3] انظر: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، أحمد درويش ، فصول ،ص: 67.

[4] انظر : الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية – ، د.فتح الله أحمد سليمان ، مكتبة الآداب ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2004م ، ص: 15 –16.

[5] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص 35.

، غير أن أتباع بالي سرعان ما نبذوا هذه التقسيمة العمودية عازلين الأسلوبية عن كل خطاب إخباري صرف ، و إنما قصروا عليها الخطاب الفني فقط ، فأعادوا لقيصر ما لقيصر [1].

فالأسلوبية عند " بالي " لا تبحث عن شرعية حقيقة لوجودها إلا في الخطاب اللساني حيثما كان ، فهي إذن مطلقة الوجود أينما وجد كلام ، ولكن علة وجودها اليوم هي وقف على كينونة الحدث الأدبي[2] ، و مهمة علم الأسلوب عند " بالي" هي اكتشاف الصور التعبيرية التي تستخدم في حقبة معينة لإيصال الشعور وحركات الفكر لدى المتكلمين ، ودراسة الآثار الناتجة بصورة تلقائية على السامعين عند استعمال هذه الصور [3]، وقد حاول كروتشي في " علم الجمال والتعبير" أن يقضي على علم الأسلوب في مهده ذلك أنه يرى أن الإبداع والخلق الأدبي نابع من الحدس المركب و من البدهي ألا يخضع لقواعد تضبطه وتوضحه [4] ، و يرى بالي أنه على قدر اختصاص كل كاتب بتركيباته اللغوية يمكننا الحديث عن أسلوبه ، كما يظل الفارق قائمًا في الدرجة لا في النوع ، فعلم الأسلوب ينبسط على سائر رقعة اللغة ، وجميع الظواهر اللغوية بداية بالأصوات وانتهاء بالجمل، والأبنية الأكثر تركيبًا التي يمكن أن تكشف الحجاب عن خصيصة أساسية في اللغة المدروسة ، وجميع هذه الوقائع اللغوية مهما تكن يمكن أن تبين لمحة من حياة فكر المبدع أو نبضة من إحساسه ، فعلم الأسلوب لا يقتصر في دراسته على قسم معين من اللغة و إنما يدرس اللغة بأكملها منظورًا إليها من زاوية خاصة ، وهي زاوية التأثير الوجداني [5]، ونجد "مارسيل كراسو" "Marcel cressor" –أحد تلاميذ بالي– يرى أنه لا يمكن لأي أحد أن يناقضه في تأكيده أن الكاتب لا يظهر حسه ولا تأويله للموجود إلا إذا استخدم معاول ملائمة ، وأن الأسلوبي ليس له عمل سوى فحص هذه المعاول .[6]

---

[1] انظر السابق : ص 37.

[2] انظر السابق : نفسه .

[3] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي، د.شكري محمد عياد، ص: 27.

[4] انظر السابق : ص 30.

[5] انظر السابق : ص 30-31.

[6] انظر: البنيوية في الأدب ، روبرت شولز ، ترجمة حنا عبود ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق–سورية ، د.ط ، 1984م ، ص 220.

2-2-0-تعريف الأسلوبية :

جاء في لسان العرب لابن منظور عن مادة (سَلَبَ) " سلبه الشيء يسلبه سلْبًا وسلَبًا ، و الاستلاب: الاختلاس، والسَّلب ما يُسلَب.... وانسلبت الناقة إذا أسرعت في سيرها حتى كأنها تخرج من جلدها ... ويقال للسطر من النخيل أسلوب ، وكل طريق ممتد أسلوب ، قال : و الأسلوب الطريق، والوجه ، والمذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء ، ويُجمع على أساليب ،... والأسلوب بالضم الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول : أي أفانين منه " [1] ، وفي المعجم الوسيط " سلب الشيء سلبًا : انتزعه قهرًا ، و سلبت فلانة فؤاده، وعقله : استهوته ، و استولت عليه ، وسلب الشجر، أو النبات ، قشّره ، أو جرده من ورقه وثمره .... و الأسلوب : الطريق ، و يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا ، أي طريقته و مذهبه ، وطريقة الكاتب في كتابته ، والفن . يقال: أخذنا في أساليب من القول :فنون متنوعة ، والصف من النخل ونحوه ، والجمع أساليب" [2] ، و بالنظر إلى هذا التحديد اللغوي الخاص بكلمة أسلوب نجد أن لها بعدين : بعد مادي : الذي نتلمسه في ارتباط دلالتها بالطريق الممتد أو السطر من النخيل ، ومن حيث ارتباطها بالنواحي الشكلية من مثل عدم الالتفات يمنة أو يسرة عن الطريق ، وبعد فني : متمثل في ارتباطها بأساليب القول و أفانينه ، كما يقال: سلكت أسلوب فلان : أي سلكت طريقته وكلامه على أساليب حسنة [3] .

وقد سبق مصطلح الأسلوب– في الوجود والانتشار– بوقت طويل مصطلح الأسلوبية ، فالقواميس التاريخية الفرنسية تصعد بمصطلح الأسلوب إلى بداية القرن الخامس عشر الميلادي ، أما مصطلح الأسلوبية فتصعد به إلى بداية القرن العشرين ، فلم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا مع بداية ظهور الدراسات اللغوية الحديثة مطلع القرن العشرين ، هذه الدراسات التي قررت اتخاذ علم الأسلوب علما يدرس لذاته [4] ، و كانت كلمة أسلوب Stil تطلق في الأصل على السمة الشخصية لخط اليد ، ثم تطورت دلالتها لتعبر عن النوعية الخاصة لطريقة

---

[1] لسان العرب ، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور، دار صادر ، بيروت–لبنان ، ط 3 ، 1414هـ ، مادة (سلب) ، 1/471–473.

[2] المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة–مصر ، ط2 ، 1972م ، 1/ 440–441.

[3] انظر : البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان ، ط 1 ، 1994م ، ص : 10.

[4] انظر: الأسلوب والأسلوبية – مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه– ، أحمد درويش ، مجلة فصول ، ص:60–61.

رسم خطوط الكلمات المكتوبة كأن تكون الحروف سميكة ومتباعدة وقصيرة مثلا ، ومنه انتقلت للدلالة على النوعية الخاصة لطريقة التعبير اللغوي لما هو مكتوب ، وتفترض هذه "النوعية الخاصة" أولا توافر إمكانية الاختيار الحر بين نوعيات مختلفة ممكنة ؛ واختيار تلك النوعية الخاصة هو قوام الأسلوب [1]، ولعل من الطريف أن نلحظ أن كلمة " الأسلوب" في اللغة العربية مجاز مأخوذ معناه من " السطر من النخل أو الطريق الممتد " ، أما في اللغات الأوربية فلفظة Style مأخوذة من كلمة لاتينية أخرى وهي Stylus والتي تعني قضيبًا من الحديد ، كان القدماء يستخدمونه في الكتابة على ألواح الشمع [2] ، ويرى غالبية مؤرخي الأسلوبية أن " شارل بالي" هو من أصَّل علم الأسلوب ، ووضع قواعده النهائية، وذلك في عام 1902م ، ، مثلما فعل " دي سوسير" عندما أرسى أصول وقواعد علم اللسان الحديث ، حيث يدرس علم الأسلوب تلك العناصر التعبيرية المنظمة للغة من جهة محتواها التأثيري والتعبيري ، وقد جاء بعده " كراسو" و" ماروزو" ودعا كل منهما إلى إثبات شرعية الأسلوبية وعدها علما مستقلا له مقوماته، وموضاعاته، وأدواته الإجرائية ، ودعم هذا الرأي " جاكبسون" و "ستيفن أولمان" و" ميشال ريفاتير" و " دي لوفر" و "هنريش بليث" و "باختين" وغيرهم من الباحثين. [3]

وجاء تعريف الأسلوب (Style) في أبسط معانيه في معجم الأسلوبيات على أنه يدل على طريقة التعبير في الكلام أو الكتابة ، كما أن هناك طريقة خاصة في عمل الأشياء كالرسم أو لعب السكواتش مثلا ، وربما نحكم على كتابة شخص ما بأنها ذات أسلوب منمق أو نحكم على كلام أحد الأشخاص بأنه ذو أسلوب فكاهي ، وللأسلوب عند أرسطو وغيره معانٍ تقييمية ، فيمكن أن يكون الأسلوب سيئًا أو جيدًا [4] ، و الأسلوب أيضًا هو طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب ، أو لجنس من الأجناس المختلفة ، أو لعصر من العصور ، هذا ما هو ثابث في قواميسنا المعاصرة و الذي أخذته تلك القواميس عن القدماء كما هو ، ويعد (نوفاليس) أول من

---

[1] انظر :مناهج علم الأدب – الأسلوب الأدبي– ، ليوزف شتريلكا ، ترجمة مصطفى ماهر ، مجلة فصول ، ص :71.

[2] انظر : علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، ص : 127–128.

[3] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د.عبد السلام المسدي ، ص 21–24.

[4] انظر : معجم الأسلوبيات ، كاتي وايلز ، ترجمة خالد الأشهب ، مراجعة قاسم البريسم ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت – لبنان، ط1 ، سبتمبر 2014م ، ص:633.

استخدم مصطلح الأسلوبية ، وكان يختلط عنده بمفهوم البلاغة [1]، وقد يعني الأسلوب الطريقة الخاصة في الكتابة لأحد من الكتاب ، أو طريقة التعبير عن الفكر بواسطة اللغة ، وقد يعني الاختيار الجيد ، أو طريقة التعبير الخاصة بمجموعة من الأدباء ، وقد يدل على طريقة محادثة الآخرين وخطابهم ؛ و لذلك من الصعوبة بمكان تحديد مفهوم بعينه للأسلوب وخصوصا عند الغرب ، والسبب في ذلك يرجع لسعة مساحة الدرس الأسلوبي ، فضلا عن التعريفات الكثيرة للأسلوب والتي قد تصل أحيانا في مقدمات بعض الكتب إلى ما يقارب الثلاثين تعريفًا أو تزيد. [2]

ويُعَرف ريفاتير الأسلوبية بأنها : علم غايته الكشف عن العناصر التي من خلالها يتمكن المؤلف الباث من مراقبة حرية الإدراك عند القارئ المُستَقبِل ، والتي من خلالها أيضًا يتمكن من فرض وجهة نظرة في الإدراك والفهم على المُستَقبِل ، وينتهي من كل ذلك إلى عد الأسلوبية "لسانيات" تعنى بظاهرة حمل الذهن على إدراك مخصوص وفهم معين [3] ، يقول بوفون : " إن من الهين أن تنتزع المعارف والأحداث والمكتشفات أو أن تبدل ، بل كثيرًا ما تترقي إذا ما عالجها من هو أكثر مهارة من صاحبها ، كل تلك الأشياء هي خارجة عن ذات الإنسان ، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه ؛ لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه" [4]، فنسيج الإبداع الفني لدى الأديب المنشئ من التلقائية بمكان بحيث يعد تولدًا لا يصاحبه الإدراك في لحظة نشأته الأولى ، وعلى هذا الأساس عُرّف الأسلوب بأنه بصمات تحملها صياغة الخطاب فتكون مثل الشهادة التي لا تمحى ، و هذه الصورة هي التي صاغها "بروست" "Proust" ، وأخذها عنه كل من دي لوفر ومونان [5]، يقول بروست : " الأسلوب للكاتب كما هو للرسام ليس مسألة صنعة بل مسألة رؤية" [6]، و يقول شوبنهور : " إن الأسلوب هو سحنة العقل " ، ويقول فلوبير: " إنه وحده المسئول عن طريقة مطلقة في النظر إلى الأشياء" [7] ، و يرى

---

[1] انظر : الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، سوريا ، ط2 ، 1994م ، ص:9.

[2] انظر : الأسلوب والأسلوبية والنص الحديث(بحث منشور) ، محمد أحمد قضاة ، مجلة دراسات :العلوم الإنسانية والاجتماعية الجامعة الأردنية – الأردن ، مج 25 ، ع 2 ، 1998م ، ص : 247.

[3] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د.عبد السلام المسدي ، ص: 42.

[4] انظر السابق : ص: 53-54.

[5] انظر السابق : ص : 56.

[6] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ، د.شكري محمد عياد ، ص: 109.

[7] انظر: السابق نفسه.

ج.ب. ثورن أن مسمى " علم الأسلوب" يطلق على أنواع متنوعة من الدراسات ، لعل القاسم المشترك بينها هو عنايتها بشكل ما من الأشكال الخاصة بالتحليل اللغوي لبنية النص [1] ، و علم الأسلوب –حسب المدرسة الفرنسية– "هو دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة".[2]

ويرى "بلوش" أن الأسلوب هو بيان للرسالة التي تحملها معدلات تكرار التوزيع ، وأيضًا احتمالات تحولات خواصه اللغوية في حالة كونها مختلفة ، عن تلك الخواص التي لها نفس السمات في اللغة في جملتها [3] ، ويرى" ب.جراي" "B.Gray" أن من المُسَلَّم به في علم الأسلوب أن الأسلوب يمثل اختيارًا بين جمع من الإمكانات و أن الأسلوبية خاصية فردية للنص وأن الأسلوب هو نتيجة المواصفات والمعايير ومنطلقاتهما [4] ، و نجد " ستيفن أولمان" يطالعنا بانطباعه العام من خلال مسحه السريع للاتجاهات الحالية للدراسات الأسلوبية و هو أننا بإزاء علم ناشئ ، مفعم بالحيوية والحركة ، لكنه لا يزال غير منظم ولا محدد ، فهناك تجارب متعددة ، وأفكار كثيرة تختمر ، وفي نفس الوقت لا يملك هذا العلم نظامًا مسلمًا به من المصطلحات ، ولا تحديدًا متفقًا عليه في المناهج والغايات.[5]

ويرى الباحث أن التعريفات السابقة تدور حول أمرين هما السمات اللغوية الظاهرة بقوة والاختيار من قِبل الكاتب وعليه فيمكن تعريف الأسلوب بأنّه: أي سمة لغوية أو اختيار يميز طريقة فرد عن بقية الأفراد أو لغة ما عن بقية اللغات أو كتابة في عصر ما عن بقية العصور ، أو هو سمات تركيبية لغوية تميز كاتب في موضوع ما عن بقية أسلوبه في باقي الموضوعات، أو تميزه عن غيره من الكتاب المعاصرين له ،أو تميز جماعة لغوية عن غيرها في استخدامها للغة ، فهي أي سمات تركيبية لغوية تكون مميزة للنص أو منشئه عن غيره ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن تعريف " جاكبسون" للأسلوبية على أنها بحث عما يتميز به الكلام الفني أولًا

---

[1] انظر: السابق ، ص : 155.

[2] انظر: الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، ص:10.

[3] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص: 114–115.

[4] انظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، ترجمة وتعليق : د.محمد العمري ، دار أفريقيا الشرق ، بيروت –لبنان، ط2، 1999م ، ص :52.

[5] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ، د.شكري محمد عياد، ص: 120.

عن بقية مستويات الخطاب، و ما يتميز به ثانيًا عن سائر أصناف الفنون الإنسانية [1] ، في رأي الباحث قد جانب الصواب ؛ لأن الأسلوبية مدارها حول اللغة ومستوياتها المختلفة حيثما اعتمد الكاتب على عنصر من عناصرها بشكل مميز له ، وليس مجال الأسلوبية التفريق بين الأسلوب الأدبي والعلمي أو الأدبي وغيره من أنماط الكتابة ، كما أنه يجب التفريق ما بين اللغة الشعرية والأسلوبية ، فاللغة الشعرية والتي تعتمد على المجاز من كناية واستعارة وتشبيه لا تكون أسلوبًا إلا إذا تكررت بشكل ملفت يجعلها ملاحظة وتكتيك يميز أسلوب الكاتب عن غيره وهذا على غير ما رآه يان موكاروفسكي في بحثه اللغة المعيارية واللغة الشعرية [2] ، وهذا ما نبه بالي عليه من قبل حين رأى أن العالم اللغوي يكون دائم البحث عن قوانين لغوية تضبط عملية " الاختيار" و التي يقوم بها أي شخص مستعمل للغة ، وهو لا يبحث عن تلك القوانين الجمالية التي تخص فرع الأدب دون غيره من الأغراض التي تستعمل فيها اللغة [3] ، وهو يرى أن علم الأسلوب يجب أن يخرج من دائرة البحث عن كيفية استخدام الأدباء لمختلف التأثيرات الوجدانية ، فمثل هذه الأمور –في نظره– خارجة عن دائرة العمل الأسلوبي ، بل هي من اختصاص الناقد، فالدراس الأسلوبي – في نظر بالي– هو دارس لغوي محض يدرس مختلف " الخامات " اللغوية من جهة دلالاتها الإضافية ، مهما اختلفت طبيعة النص المدروس ، سواء أكان مأخوذا من العلم أم من الأدب أم من الإدارة أم من مختلف شئون الحياة العادية [4] ، وهو يرى أيضا أن علم الأسلوب فرعٌ من فروع علم اللغة ، كما أن إدراكه لحدود الدائرة الأسلوبية – والذى على أساسه أخرج الأسلوب الأدبي من دائرة أبحاثه– لفت الانتباه مبكرًا إلى أهمية دراسة الأسلوب ، وفتح الطريق أمام تلاميذه في خطوة تالية لدراسة الأسلوب الأدبي مثل دراسات "كريسو" "cressot "و "ماروزو" "Marouzeau "؛ لأن نشأة الأسلوبية كعلم كانت من خلال البحث عن الطرق الخاصة للمتكلم في بناء جمله رابطًا بينها وبين الصيغ المستعملة ، واختياره أدوات لغوية بعينها دون غيرها .[5]

---

[1] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص: 34.

[2] انظر : اللغة الشعرية واللغة المعيارية ، يان موكاروفسكي ، تقديم وترجمة : ألفت كمال الروبي،فصول ، مج 5 ، ع 1 ، أكتوبر ، 1984م

[3] انظر : علم الأسلوب – مدخل ومبادئ– ، د.شكري محمد عياد ، ص:31.

[4] انظر السابق : نفسه.

[5] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص : 40–41.

3-2-0-الأسلوب عند العرب:

وردت إشارة من طرف خفي عن الأسلوب في غضون حديث عبد القاهر الجرجاني[-471هـ] عن النظم و أنماطه يقول " وذلك أنَّا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في " الخبر" إلى الوجوه التي تراها في قولك " زيد منطلق" و" زيد ينطلق" و " ينطلق زيد" و " منطلق زيد" و " زيد المنطلق" ، و" المنطلق زيد" و " زيد هو المنطلق" و " زيد هو منطلق" ...." [1] فهذه الأمثلة التي طرحها عبد القاهر " للنظم" أو " لعلم النحو" ما هي إلا أمثلة دالة على الفروق بين التراكيب ، أو لنقل إنها أمثلة تشير إلى الفروق في الأساليب ، وهذه الأمثلة نجد الجرجاني قد خصص لكل مجموعة منها فصلا في كتابه " الدلائل" ، مما يؤكد أن عبد القاهر الجرجاني يحاول في كتابه أن يقيم علاقة بين المسائل النحوية المتعلقة بنظام الكلمات أو تشكيل العبارات وبين دراسة الأدب [2]، و هذا التماثل الكبير بين " النظم" و"علم النحو" في فكر عبد القاهر الجرجاني يؤكد بشكل كبير أن مفهوم " النظم" لديه يقترب بشكل كبير من مفهوم الأسلوب ، ويصبح هذا النظم الذي يصنع علم النحو وقواعده هو نفسه علم دراسة الأدب [3]، يقول الجرجاني : " واعلم أن " الاحتذاء" عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه ، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبًا – و " الأسلوب" الضرب من النظم والطريقة فيه– فيعمد شاعر آخر إلى ذلك " الأسلوب" فيجيء به شعره .. وذلك مثل أن الفرزدق قال :

أترجو ربيع أن يجيء صغارها.....بخير وقد أعيا ربيعًا كبارها [الطويل]

واحتذاء البعيث فقال:

---

[1] دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة- مصر ، ط3 ، 1992م ، 1/81-82.

[2] مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، نصر أبو زيد ، مجلة فصول ، ص:15.

[3] انظر السابق : نفسه.

أترجو كليب أن يجيء حديثها...... بخير وقد أعيا كليبًا قديمها [الطويل][1]

، وظاهر من استشهاده على الاحتذاء بالأبيات السابقة أن يقصد بالأسلوب أنه هو الطريقة الخاصة في التعبير.[2]

يقول الجرجاني : " وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل فيها الصور والنفوس ؛ فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة و النقش في ثوبه الذي نسج ، إلى ضرب من التخيير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أغرب ، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم " [3].

و عند حازم القرطاجني [–684هـ] نجد أنَّ الأسلوب هو طريقة الشاعر الخاصة في نظمه، وفي تناوله للغرض الشعري ، يقول : " لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد ، وكان لتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب ، وجهة وصف الخيال ، وجهة وصف الطلول ، وجهة وصف يوم النوى ، وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب ، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات ، والنقلة من بعضها إلى بعض ، وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب ، وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ ؛ لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول ، وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة ، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض ، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب" [4] .

---

[1] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، 1/ 468–469.

[2] انظر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، نصر أبو زيد ، مجلة فصول ، ص: 16.

[3] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، 1/ 87–88.

[4] منهاج البلغاء ورسائل الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجه ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت –لبنان ، ط 3، 1986م ، 2/ 363

و عند ابن خلدون [-808هـ] الأسلوب هو المنوال الذي ينسج الناظم عليه كلامه ، أو طريقته الخاصة في التعبير ، يقول : " ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة ، وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتباره إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ،ولا باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان .... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية ، باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب و أشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصًا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال"[1] ، وإن كان قد وردت بعض الإشارات الصغيرة عند سابقيهم ولكن ليس بهذا الإسهاب السابق ، فعرف ابن قتيبة [-276هـ] الأسلوب بالطريقة الخاصة في التعبير والافتنان في القول ، وهو الاحتذاء عند الخطابي [-388هـ] وبهذا يدور معنى الأسلوب عند قدماء العرب حول الطريقة الخاصة في التعبير ،أو الافتنان في القول، أو الضرب من النظم ، أو الاحتذاء ، أو طريقة تناول الغرض الشعري ، أو طريقة نسج الكلام وبنائه .[2]

هذا ما نجده عند قدماء العرب ، أما عند المحدثين فحتى سبعينيات القرن العشرين كانت ساحة النقد العربي شبه خالية تمامًا من أي نشاط أسلوبي بنيوي بمفهومه الغربي ، وإن كانت هناك بعض المحاولات مثل محاولة الشايب تحت مظلة علم البلاغة القديم [3] .

---

[1] مقدمة ابن خلدون ، لولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، تحقيق : حجر عاصي ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت- لبنان، د.ط ، 1988م ، ص 353.

[2] للمزيد حول آراء القدماء العرب في الأسلوب انظر : أسلوب طه حسين في الدرس اللغوي الحديث ، د.البدراوي زهران ، دار المعارف، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1982م ، ص 10-12 ، و علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، ص 121-127 ، والمنهج الأسلوبي في النقد العربي المعاصر ، نبيل قواس ، رسالة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر - باتنه 1 ، الجزائر ، 2017م ، ص18-21 ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة-مصر ، 1954م ، ص:10-11 ، وأيضًا : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرُّماني والخَطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، تحقيق د.محمد خلف الله أحمد ود.محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، ط 3 ، 1976م ، ص 65-66.

[3] انظر: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص: 68.

كان الأستاذ أحمد الشايب من أوائل المحدثين الذين تناولوا الأسلوبية وقضاياها في كتبهم كما في كتابه "الأسلوب" ، وقد اتجه فيه اتجاهًا معياريًّا كما هو الحال في الدراسات البلاغية القديمة، فقرر أن الأسلوب يدرس القواعد التي إذا اتبعها المنشئ أو الأديب صار التعبير بليغًا ، أي يكون مؤثرا واضحًا [1] ، ويرى الأستاذ أحمد الشايب أن تعريف الأسلوب قد غم الأمر فيه على بعض الدراسين ، و هو يرى أن تعريف الأسلوب ينصب بصورة بدهية على العنصر اللفظي ،فهو الصورة اللفظية التي يعبر الكاتب من خلالها عن المعنى ، أو هو تأليف الكلام ونظمه لأداء أفكار الكاتب وعرضه لخياله ، أو هو تلك العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني [2] ، ففارق بذلك منهج الأسلوبيين البنيويين من حيث توجههم نحو دراسة الأساليب الماثلة بالفعل في النصوص الأدبية ؛ للوقوف على علاقاتها وتشكيلاتها ، لا ما ينبغي أن تكون عليه [3] .

ويعد الدكتور إبراهيم أنيس من أوائل من قدموا المنهج البنيوي الوصفي للقارئ العربي تقديمًا علميًّا ولأول مرة في تاريخ الفكر اللغوي العربي المعاصر من خلال كتبه : " في اللهجات العربية" و "دلالة الألفاظ" و " الأصوات اللغوية" بما يمثل مستويات اللغة الأربعة : الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية [4] .

و يُفند " د.عبد السلام المسدي " الآراء حول علمية الأسلوب ، فيرى أن من البدهي أن أي علم من العلوم لا ينشأ إلا لأمر من أمرين : إما لعثوره على مادة جديدة في البحث لم يسبق أن وصل إليها علم من العلوم الإنسانية، أو أنه ينشأ لعثوره على منهج جديد في دراسة مادة من العلوم سبق إليها علم آخر، ولابد أن تكون هناك علة نشوء لعلم الأسلوب الحديث ، وهذه العلة لا يمكن أن تكون من النمط الأول إذ إنه لم يكتشف مادة جديدة في البحث ، لهذا يمكن استنتاج أن علم الأسلوب لم تتسن له شرعية الحدوث إلا لعثوره على مفتاح جديد يفتح أمامنا الأبواب أمام أسرار هذه الظاهرة ، و إن تحول الحديث عن هذه الممارسات بمصطلحات حديثة بعد الأسلوبية كعلم الخطاب الأدبي، وعلم النص، وعلم الخلق، أو الإبداع، أو علم الإنشاء، أو الإنشائية ، أو علم الكتابة ، و كلها لا ترقى إلى منزلة العلم المستحدث الجديد فهي لم تكتشف مادة جديدة ، ولم تنهِ

---

[1] انظر : السابق ص: 69.

[2] انظر : الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – ، الأستاذ أحمد الشايب ،ص :46.

[3] انظر: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ،ص : 70.

[4] انظر السابق ص : 70–74.

قطعية معرفية مع مستوى المنهج ، وإنما هي نوع من الانسلاخات ، والقاسم المشترك بينها هو محاولة الإنسان الحديث تطبيق النزعة العلمية السائدة عنده والتي تؤدي إلى تناول الظواهر الإنسانية –قدر المستطاع– بالأساليب العلمية الحديثة المفضية إلى نمط من الموضوعية يقارب موضوعية العلوم الدقيقة. [1]

وهي عند عدنان حسين قاسم آلية للتحليل خاضعة لأيديولوجية المحلل الأسلوبي و ذلك ؛ لأن خصوصية التراكيب الشعرية تكتسب أبعادها من جهة النسيج اللغوي أولًا ، ومن جهة الناقد الأسلوبي من حيث حركيته وقدرته ثانيًا.[2]

ومن هذا التخطيط السابق لتاريخ كلمة " أسلوب" في التراث النقدي العربي ، يتضح لنا وجود تفاوت شديد في معناها عند القدماء والمحدثين ما بين الخصوص والعموم الشديدين ، وهو مع هذا لا يخلو من التناقض الملحوظ ، فعند القدماء تدل تارة على ترتيب الألفاظ، وحينًا على ترتيب المعاني ، وأخرى على النوع الأدبي ، وهي عند المحدثين تدل في الغالب على تمام مطابقة الكلام لنفسية صاحبه ، بحيث يصح قولنا إن هناك عددًا من الأساليب بمقدار عدد الكتاب ، كما يمكن أن تدل أيضًا في الكتب التي تنظر للمدارس في مادة النقد الأدبي على أجناس الكتابة من نحو حديثهم عن " أسلوب أدبي" و"أسلوب علمي" [3]، فالجهود النقدية الأسلوبية في واقعنا العربي لم تصل إلى ابتداع منهج عربي أسلوبي خالص ، بحيث تضرب جذوره في تناول نصنا الشعري العربي ، فهي في مرحلتها الأولى تقتبس من المناهج الأسلوبية الغربية واتجاهاتها دونما امتلاك رؤية نقدية أو فلسفة تحكم سلطة الأخذ أو تبررها [4] ، و العرب و إن خلفوا تراثًا بلاغيًا نقديًّا هائلا فإنهم لم يضعوا تصورًا فلسفيًّا يحدد مرتكزاتهم الفكرية و منطلقاتهم في هذا المجال ، بخلاف الوضع عند الغربيين في حقل الدراسات الأسلوبية البنيوية .[5]

---

[1] انظر: ندوة العدد (الأسلوبية)، فصول ، ص 216–217.

[2] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص: 150.

[3] انظر : علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، ص: 136.

[4] انظر : المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح ، مجلة علامات ، النادي الأدبي الثقافي، جدة– السعودية ، مج 10، ع 40 ، 2001م ، ص303.

[5] انظر: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان قاسم ، ص: 21.

4-2-0- أنواع الأسلوبية:

لقد تعددت مذاهب الأسلوبية ، وكثر ممارسوها ، كما كثر منتقدوها أيضًا ، والقائلون بقرب زوالها و جفاف منابعها [1] ، فنجد "مولينيه" يؤكد هذا بقوله " كان يظن ما بين سنتي 1968 م و 1974 م أن الأسلوبية قد ماتت إذ إن للعلوم أعمارًا ...وابتداءً من سنة 1987م عشنا عودة الأسلوبية " [2].

و من المعلوم أن تشارلز بالي هو المؤسس الفعلي لعلم الأسلوب الفرنسي من خلال بحثه في الأسلوبية الفرنسية 1902م"Traité de Stylistique Françsis" [3]، وهي ثمرة طبعية لتتلمذه على أفكار العالم السويسري اللغوي دي سوسير ، فإذا كانت ألسنية دي سوسير قد أنتجت أسلوبية بالي ، فإن تلك الألسنية نفسها قد احتكت بالنقد الأدبي فأنتجت الهيكلية التي قامت عليها إنشائية تودوروف ، وأسلوبية ريفاتير ، وشعرية جاكبسون [4] .

ومن التصانيف الموضحة لتشعب اتجاهات الأسلوبية ، ما وضعه "هنريش بليت " حين اعتمد على نموذج التواصل (المرسل، والمتلقي، والرسالة، ونظام اللغة أو السنن) في تصنيفه للاتجاهات الأسلوبية، فبالرغم من كثرة المفاهيم التي اكتسبتها كلمة (أسلوب) وتعارضها مع بعضها ، فقد استطاع أن يصنفها اعتمادًا على نموذج التواصل السابق في أربع اتجاهات متشعبة بدورها إلى شعب فرعية على النحو الآتي: [5]

---

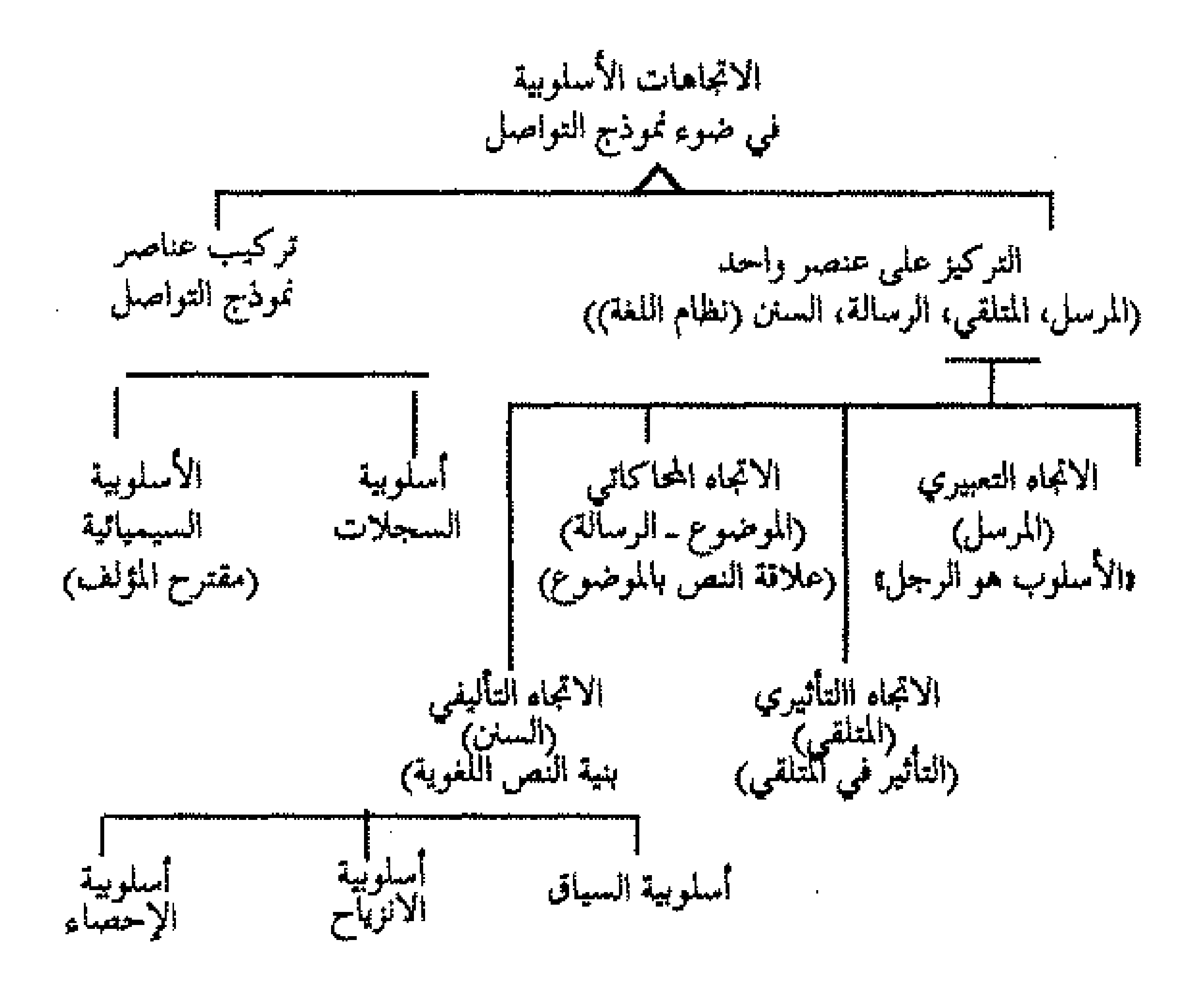
[1] انظر : الأسلوبية بين مجالي الأدب ونقده والدراسات اللغوية (بحث منشور) ، د.مومني بو زيد ، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، ص 85.

[2] انظر : مقال الأسلوبية ، مولينيه جورج ، تعريب صابر الحباشة ، جريدة الصحافة – الورقات الثقافية – ، تونس ، ع 29 أكتوبر 1999م ، ص 243.

[3] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم، ص :39.

[4] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د.عبدالسلام المسدي ، ص: 43.

[5] انظر : البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هرنيش بليت ، ترجمة د.محمد العمري ، ص:12– 13.



كما يمكننا تقسيم الاتجاهات وفقا لأشكال المقاربة الأسلوبية المختلفة للنصوص الأدبية إلى قسمين رئيسين هما : الأسلوبية المثالية والأسلوبية الوصفية ، فمنها ما يتجه اتجاهًا خاصًا قائمًا على بناء العوالم الخاصة بالناقد ، وتصدر أحكامه بحيث تسمح بعدد كبير من الآراء المتنوعة تبعا لاختلاف الثقافات والنفسيات ومنها ما يستخدم أدوات تحليل علمية لا مجال فيها للحدس الشخصي و المشاعر و الأحاسيس.[1]

ومن أنواعها الأسلوبية التكوينية أو الفردية : وهي التي تتناول تحليل لغة شاعر ما أو كاتب معين ، ومنها ما يتناول دراسة لغة مدرسة أدبية بعينها ، أو دراسة لغة عصر أدبي بعينه ، أو دراسة فن أدبي ما ؛ ولهذا تعد الأسلوبية التكوينية لونًا من ألوان النقد التطبيقي ، وقد أسماها جيرو بالنقد الأسلوبي.[2]

---

[1] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص: 67.

[2] انظر: علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، ص: 53-54.

ومن أنواعها الأسلوبية الصوتية: والتي تهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي وتعمل على كشف التوظيف الصوتي من خلال التقابل والتكرار والتوازي في مستوى السياق الصوتي ، ومستوى الأصوات المفردة تتابعًا وتطريزًا مستندة على علمي الأصوات والفونولوجيا.

ومن أنواعها الأسلوبية النفسية وهي قائمة على فرضية تقول إن هناك صلة بين أسلوب الكاتب ونفسيته ، ويرأس هذا الاتجاه(ليو شبتسر) ، فقد نشأ في فينا ، وتأثر بنظريات فرويد في سن مبكر ، ثم تأثر بنظرة بندتو كروتشي وكارل فسلر إلى اللغة بكونها تعبير فني خلاق عن الذات ، فأنتج طريقته الخاصة المسماة " بالداوئر اللغوية" ملخصًا منهجه بقوله: " الذي يجب أن يطالب به الدارس على ما أعتقد ، هو أن يتقدم من السطح إلى مركز الحياة الباطني للعمل الفني : بأن يبدأ بملاحظة التفاصيل عن المظهر السطحي للعمل الذي يتناوله ...ثم يجمع هذه التفاصيل محاولًا أن تتكامل في مبدأ إبداعي لعلَّه كان موجودًا في نفسية الفنان ، ثم يعود إلى سائر المجموعات من الملاحظات ليرى إن كان الشكل الباطني الذي كونه بصورة أولية قادرًا على أن يفسر الكل "[1] " ، وهناك ثلاث مراحل متتابعة في الدائرة اللغوية عند شبتسر : فالمرحلة الأولى عنده هي القراءة ثم القراءة بصبر وثقة حتى يتشبع المرء بجو العمل، وعندئذ يبدهه تكرار سمة أسلوبية معينة ، وفي المرحلة الثانية يبحث عن تفسير سيكولوجي لهذه السمة ، أما في المرحلة الثالثة فإنه يحاول العثور على أدلة جديدة تشير إلى وجود العامل ذاته في نفس المؤلف"[2]، وقد نعت عبدالسلام المسدي اتجاه ليو شبتسر (Leo Spitzer) بتيار الانطباعية (Impressionism) ؛ لأنه يرى أن كل قواعده العلمية والنظرية منه قد أغرقت في بحار من التحليل الذاتي ، مؤمنة بنسبية التحليل ، كافرة بعلمانية البحث الأسلوبي .[3]

ومنها الأسلوبية التعبيرية: و هي الأسلوبية التي تدرس الوقائع اللغوية المعبر عنها في شكل لغوي ما ، فهي تركز على الاستعمال المقصود من المنتج والذي يهدف إلى توصيل الصيغ اللغوية الجمالية للمتلقي ، وقد قسموا الأسلوبية التعبيرية إلى مجموعة متنوعة من القيم المختلفة كالقيم الانطباعية والمفهومية و التعبيرية

---

[1] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ،د. شكري محمدعيّاد ، ص 69-70 ، وأيضا ص :110.

[2] انظر السابق ص : 111.

[3] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص : 21.

، إلى غيرها من أنواع الأسلوبية ، كالأسلوبية النحوية والوظيفية والأدبية والإحصائية واللغوية...إلخ [1]، ومنها الأسلوبية البنيوية وهي أحدث أنواع الأسلوبية ، و آخر ما وصلت إليه الأسلوبية في الوقت الراهن ، وهو ما جعل " د.عبد السلام المسدي" يرى أن الأسلوبية لم تتجاوزها الأحداث ، فما زال الحديث عنها قائمًا في أمريكا ، وذلك في إطار الأسلوبية البنيوية ، و التي نبعت عندهم بعد كتاب بارت بنحو عقدين من الزمن تقريبا أو أقل من هذا بقليل [2] ، ويعنى مصطلح البنيوية (Structuralism) بالكيفية التي شيد على أساسها بناء ما ، أو التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما ، أو هي مجموعة عناصر متماسكة بحيث يُفهَم كل عنصر من خلال علاقته ببقية العناصر ، فتكون هناك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء ، و يتوقف معنى كل عنصر على الموقع الذي يحتله في مجموعته [3]، وقد كان انطلاقها في أصلها ردة فعل سياسية على الاتجاه الذي أيدته الثورة الروسية ، ومضمونه قائم على إلغاء فكرة العلّيّةِ الغيبية الممثلة في الذات الإلهية باعتبارها القوة المدبرة والخالقة والمسيطرة على الكون كما ترسمها الشرائع السماوية [4]، " وقد نشأت النظرية البنيوية في كنف التجريب العلمي الدقيق ؛ فحاولت أن تؤسس منهجًا يعتمد على النظرية العلمية الصارمة في دراسة الأدب على غرار العلوم التجريبية ... ؛ للخروج من الذاتية في الأدب بعيدًا عن المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية التي تجعل من تاريخ الأدب مادة لمقارباتها أكثر من معالجاتها للنصوص الأدبية ، مما دعا أولئك العلماء والنقاد

---

[1] انظر : سورة الرحمن دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) ، مها الصافي عباس عبد الصبور ، جامعة الإسكندرية ، 2018م ، ص :2 ، وللمزيد حول أنواع الأسلوبية ينظر: علم الأسلوب مدخل ومبادئ ، د.شكري محمد عياد ص45-55 ، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هرنيش بليت ، ترجمة د.محمد العمري ، ص 51-64 ، الأسلوبية ، لبيير جيرو، ترجمة منذر عياشي ، ص 49-135 ، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث) تحليل الخطاب الشعري والسردي ، د.نور الدين السد ، ج 1 ، ص 62-126، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث (رسالة دكتوراه) ، إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد ، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ، عمان-الأردن ، 1994م ، ص111-211 ، المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي ،د.عبد الحفيظ حسن ، المؤلف هو الناشر نفسه ، د.ط ، د.ت ، ص:38-44.

[2] انظر : ندوة العدد (الأسلوبية)، فصول ، ص: 216.

[3] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص:14.

[4] انظر : السابق ص:13.

الغربيين إلى أن يكون الجسد الفيزيقي للنص Text هو موطن التشريح للوقوف على عناصره وشبكة العلاقات التي تربط بينها " [1].

ويعود النقد الأسلوبي البنيوي في طور نشأته و تطوره واكتماله إلى حدود النصف الثاني من القرن العشرين متأثرا بالتطور الكبير الذي طرأ على دراسات علم اللغة العام منذ بدايات القرن التاسع عشر ، فمنذ هذا التاريخ انبرت المناهج التجريبية في سحب البساط من أسفل المنهج التاريخي بعدما بسط سيطرته على الدراسات الإنسانية أمدًا بعيدًا [2] ، ويبدو هذا التأثير واضحا حتى في المصطلحات التي يستخدمها هؤلاء الأسلوبيون البنيويون ، فهي مصطلحات مقتطعة من العلوم التجريبية والفلسفية والرياضية والنفسية ، فالبعد من العلوم الرياضية الهندسية ، والتشبع من مصطلحات الكيمياء و الاستنباط من علم النفس ، والباث من مصطلحات الفيزياء. [3]

ويعد فرديناند دي سوسير[1857م–1913م] واضع أسس قواعد التفكير البنيوي في اللسانيات من خلال كتابه "محاضرات في الألسنية العامة" "Course in General Linguistic " والذي نُشر في عام 1915 م ، متخذًا من اللغة ذاتها ميدانًا لدراسته ، رافضًا أي اعتداد بأي معيار خارجي عنها ، بشكل حاسم وصارم ، قائلًا: "يجب أن يكون الانطلاق من اللغة نفسها " ، وقد بنى على هذا الأساس قاعدة أصيلة تدعو إلى اعتبار النظام اللغوي منظومة لا تعترف إلا بترتيبها الخاص بها ملتزمًا بالقاعدة الدستور: " داخلي هو كل ما يغير المنظومة مهما تكن درجة التغيير" [4] ، فالنشاط البنيوي لا يصدر عن تخطيط مسبق أو حركة ذات توجه أيديولوجي مفروضة عليه من خارج النص أو توجه لمدرسة ما ، و إنما هو نشاط عقلي قائم على تقسيم الظاهرة المدروسة وتحليلها إلى عناصرها الأولية ثم إعادة تركيبها على نحو يظهر القواعد التي تتحكم في وظائف تلك العناصر المكونة [5].

---

[1] السابق ، ص:15.

[2] انظر: السابق ، ص: 27.

[3] انظر : السابق ، ص : 29.

[4] انظر : السابق ، ص : 30.

[5] انظر : النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا (نصوص –جماليات–تطلعات) ، د. فؤاد أبو منصور ، دار الجيل ، بيروت –لبنان ، د.ط ، 1985م ، ص :281–282.

وقد عمل الشكلانيون الروس مع البنيويين – الذين اقتفوا آثارهم – على اكتشاف كافة القوانين الحاكمة للاستخدام الأدبي للغة بداية من تركيب البناء الوظيفي وانتهاء بالصيغ الشعرية [1]، فالبنيوية قائمة على قواعد الشكليين الروس ، ويؤكد تينيانوف Tynjanov– وهو أحد الشكليين الروس – سنة 1927م أن الوظيفة البنائية لأي عنصر من عناصر النص الأدبي مرتبطة بإمكانية دخوله في علاقات متبادلة مع عناصر أخرى في بنية النظام ، وبالتالي مع النظام بأكمله ، وقد أصبحت تلك الرؤية سمة أصيلة من سمات البنيوية " فالمنهج البنائي في صميمه يعتبر تحليليًا وشموليًا في نفس الوقت ، ويرفض معالجة العناصر على أنها وحدات مستقلة " .[2]

وقد كان لوظيفة اللغة عند البنيويين دور كبير حتى إنهم ردوا شعرية النص إليها ، وهو شيء متفهم ؛ لأنها المادة التي يصنع منها النصُ جمالياتِه ، فالعلامات التي في النص الأدبي هي دوال في ذاتها بما في ذلك المفاهيم نفسها ، واللغة في النص الأدبي ليست علامات دالة على مدلولات وإنما هي دوال منغلقة على نفسها في نظام النص فحسب ، وفي هذا الصدد يقول بارت " إن تأويل النص الأدبي لايعني أبدًا أن نصنع له معنًى من المعاني ، بل هو يعني على العكس من ذلك ، أن نتملي من أي جمع للدوال تكون " [3].

والحقيقة أن الاتجاه الأسلوبي البنيوي قد تأرجح ما بين النجاح والإخفاق ، و الموضوعية والذاتية ، و صرامة الوصف اللغوي ومطاطية الذوق الفني [4].

ويعد د.إبراهيم أنيس من أوائل من قدموا للقارئ العربي المنهج البنيوي الوصفي تقديمًا علميًّا ولأول مرة في تاريخ اللغويات العربية الحديثة وذلك من خلال كتبه: " في اللهجات العربية " و " الأصوات اللغوية" و " دلالة الألفاظ" ، وهي تمثل المستويات الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية للغة. [5]

---

[1] انظر : البنيوية في الأدب ، روبرت شولز ، ترجمة حنا عبود ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق –سوريا ، د.ط ، 1984م ، ص:16.

[2] نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د.صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1998م ، ص :133، وانظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس –ليبيا ،د.ط ، 1984م ، ص: 139.

[3] انظر : من قراءة "النشأة" إلى قراءة "التقبل " ، حسين الواد ، مجلة فصول ، ص :113.

[4] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، ص: 67.

[5] انظر : العربية وعلم اللغة البنيوي، د.حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية–مصر ، د.ط ، 1987م ، ص:148.

5-2-0- الإحصاء و الدراسات الأدبية:

العصر الذي نعيش فيه هو عصر معلوماتي من الدرجة الأولى ، ومن أهم الأدوات التي تستخدم في ضبط المعلومات هي الحصر والإحصاء ، ولكن دخول الإحصاء في المباحث الأدبية قد أدى إلى خلل كبير في تناول النص ، لعدم تناسبه مع طبيعته الأدبية ، ولهذا يرى ستيفن أولمان في كتابه " New Bearings in Stylistics " " اتجاهات جديدة في علم الأسلوب " : أن استخدام الوسائل العددية في علم الأسلوب يشتمل على مشكلات أكبر من نفعه ؛ فكثيرًا ما تكون الدقة المستفادة من هذه الوسائل غالية الثمن ، وفيما يلى عرض لبعض الاعتبارات التي رأى أولمان أنها تقلص من فائدة الإحصاء في هذا المجال :

أولًا : الطريقة الإحصائية تفتقر إلى الحساسية الكافية لالتقاط بعض الملاحظات الدقيقة في الأسلوب : مثل الظلال الوجدانية ، والتأثيرات الإيقاعية الدقيقة ، والأصداء الموحية وما إلى ذلك .

ثانيًا: البيانات العددية من الممكن أن تضفي دقة زائفة على معطيات أشد تعقيدًا ، أو أعسر ضبطًا من أن تجمع بمثل هذه الطريقة.

ثالثًا: من أكبر المآخذ على هذا الاتجاه أنه لا يراعي تأثير السياق ، مع عظم خطره في التحليل الأسلوبي للنص الأدبي.

رابعًا : من مخاطر هذه الطريقة هي تقديمها الكم على حساب الكيف ، وحشدها مجموعة عناصر شديدة التباين على صعيد واحد ، لوجود تشابه سطحي فقط فيما بينها .

خامسًا : ربما أفضت النتائج من خلال القوائم الهائلة من الأرقام إلى نتيجة لم تكن لتخفى أبدًا على العين المجردة ؛ أو لم تكن تحتاج – لشدة بيانها– إلى إثبات ، كما عبر ليو شبتسر مازحًا : هل نحتاج إلى بيانات عديدة توضح ارتفاع نسبة ورود كلمة مثل " حب" في الشعر ، وهو شيء لا يبدو مستغربًا أكثر من ورود كلمة " سيارة" مثلا في سياق إخباري عن سباق للسيارات ، أو كلمة مثل " بنسلين" في مجلة طبية.

ورغم هذا كله يرى أولمان أنه من الخطأ استبعاد الإحصاء استبعادًا تامًا من حقل الدراسات الأسلوبية فهناك جوانب في دراسة الأسلوب يمكن أن تستفيد فائدة كبيرة من المعايير العددية ، مثل أن تعطي فكرة تقريبية عن تكرار حيلة فنية ما أو عن كثافتها في عمل ما، فلا تتساوى قيمة عنصر فني تكرر مرة واحدة مع عنصر

تكرر عشرات المرات مثلا في كتاب ما ، كما أنها قد تكشف عن شذوذ لافت في توزيع عدد العناصر الأسلوبية ، ومن خلال ذلك نتنبه إلى مسائل مهمة في التفسير الجمالي والنقدي و النفسي .[1]

6-2-0- الأسلوبية والبلاغة والنحو والأدب:

شق التيار الأسلوبي طريقه في النقد الأدبي منذ مطلع القرن العشرين ما بين شكوك متكاثفة انهالت على شرعية وجوده من البداية ، دافعةً به مدًّا وجزرًا تارة إلى القواعد التعليمية القديمة وأخرى إلى ضبابية الحس اللغوي والذوق الفني [2].

فقد كان مصطلح الأسلوب مواكبًا لما يسمى بمصطلح البلاغة " La Rhétorique " و كان متضمنًا مبادئها دون حدوث أي تعارض بينهما ، بل كان الأسلوب بالنسبة للبلاغة مساعدًا لها على تصنيف قواعدها المعيارية التي تسوقها إلى الفكر الأدبي والعالمي ، منذ عهد الحضارة الإغريقية بشكل عام ، وكتابات أرسطو بشكل خاص ، ولهذا اكتسب الأسلوب شهرة التقسيم الثلاثي الذي كان عليه بلاغيو العصور الوسطى، فيما يسمى "بدائرة فرجيل" ، حين ذهبوا إلى أن هناك ثلاثة أنواع من الأساليب وفقا للطبقة الاجتماعية، ومن ثم يكون توزيع الصور والمفردات ،وأسماء الحيوانات ، ومظاهر الطبيعة ، والأماكن ، والآلآت، في الأساليب موافقًا لما يناسب كل طبقة من الطبقات ، وهذه الأساليب هي : الأسلوب البسيط وهو الأدب الذي يُوجه نحو المزارعين ، والأسلوب المتوسط وهو الأدب الذى يُوجه نحو التجار والصنَّاع ، والأسلوب العالي وهو الأدب الذي يوجه إلى طبقة المفكرين والقادة [3] ، وقد كانت الهزة العنيفة لمبدأ طبقية الأسلوب ولبعض قواعده المعيارية على يد جورج بوفون [1707م-1788م] حين أدان في عمله المشهور " مقال في الأسلوب" Discours Sur Le Style" " فكرة أن الأسلوب هو الطبقة لينتهي إلى أن الأسلوب هو الرجل .[4]

و من أبرز المفارقات التي نجدها بين المنظورين الأسلوبي والبلاغي هو أن البلاغة علم معياري يعطي الأحكام التقييمية ، و يهدف إلى تعليم مادته، و موضوعه هو : بلاغة البيان ، أما الأسلوبية فتنفي عنها كل

---

[1] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ،ترجمة د. شكري محمدعيّاد ، ص: 106-108.

[2] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص: 21.

[3] انظر: الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، ص:23-24.

[4] انظر: الأسلوب والأسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه) ، أحمد درويش ، فصول ، ص61.

معيارية، و تتجنب إرسال الأحكام التقييمية سواء أكانت بالتهجين أم بالمدح ، غير ساعية البتة إلى أي غاية تعليمية، فالبلاغة تحكم مستندة إلى تصنيفات جاهزة أو أنماط مسبقة بينما الأسلوبية تتقيد بقيود مناهج العلوم الوصفية ، والبلاغة تهدف إلى خلق الإبداع الفني بناءً على وصاياها التقييمية في حين أن الأسلوبية تعلل الظاهرة الإبداعية بعدما يتقرر وجودها ، كما أن البلاغة قد اعتمدت في أصولها على الفصل بين المضمون والشكل في الخطاب اللساني ففرقت في وسائلها العلمية بين الأغراض والصور ، وعلى النحو المقابل نجد أن الأسلوبية ترغب عن أي مقياس قبلي ، رافضة الفصل بين الدال والمدلول ، فلا وجود لكليهما إلا متقاطعان معا ، مكونان للدلالة ، فهما لها وجهين لعملة واحدة [1] ، و بمقارنة مجالات التماس والتقاطع للأسلوبية مع كل من اللسانيات والبلاغة يتضح لنا أنهما يمثلان محورين متعامدين على بعضهما طولا وعرضًا ، ويأتي علم النحو ليكون البعد الثالث و الأخير وهو بعد العمق ، فيخرق حقول التباعد والتداخل ليصبح مركز الثقل مستقطبًا جاذبية الأسلوبية على نحو ما من التناظر ، فالنحو هو مجال القيود بينما الأسلوبية هي مجال الحريات ، وعلى هذا الأساس كان النحو سابقا في الوجود للأسلوبية ، فهو شرط واجب لها ، فكل أسلوبية رهينة للقواعد النحوية الخاصة باللغة المستخدمة وليس العكس ، فالنحو هو الذي يضبط لنا قوانين الكلام ، بينما تتناول الأسلوبية ما في وسعنا التصرف فيه عند استعمال اللغة ، فالأسلوبية تثبت والنحو ينفي ، وهذا معناه أن الأسلوبية هي علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في إطار القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة.[2]

و من المعروف لدينا أن علم الأسلوب هو الجسر الممدد بين حقلي اللغويات والأدب أو بصورة أخرى بين اللغة الطبيعية المأخوذة من أفواه أهلها والمضبوطة بالمعاجم والنحو ، وبين تلك اللغة الفنية التي تتحكم فيها ثوابت ومتغيرات فيما نسميه بالشعور بالجمال أو الشعور الفني ، وإذا أخذنا باصطلاح "دي سوسير" يمكن أن نقول إن البحث في أنواع الأقوال هو غاية البحث في علم الأسلوب ، ولا سيما النوع الفني منه ، فهو يتحرك على مستوى ما بين اللغة من حيث كونها نظامًا عامًا ومجردًا ، وبين الأقوال من حيث كونها وقائعَ جزئية تخضع لمختلف العوامل المحيطة بالاستعمال اللغوي.[3]

---

[1] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، د.عبد السلام المسدي ، ص:44.

[2] انظر السابق ، ص:46.

[3] انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي ، د.شكري محمد عياد ، ص: 211-212.

ويذكر "ستيفن أولمان" أن أغلب الباحثين ينظرون إلى علم الأسلوب على أنه أحد فروع علم اللغة ، فعلم الأسلوب هو الأقرب إلى المنطق على أساس اعتباره علمًا مساوقًا لعلم اللغة ، وهو لا يُعنى بعناصر اللغة من حيث هي ، بل من حيث إمكاناتها التعبيرية ، و على هذا يكون لعلم الأسلوب نفس الأقسام التي هي لعلم اللغة ، فإذا سلمنا بأن هناك ثلاثة مستويات للتحليل اللغوي وهي : المستوى الصوتي والتركيبي والمعجمي ، فيكون واجبًا على علم الأسلوب أن يميز ما بين هذه المستويات الثلاثة عينها ، فنبحث الدلالات الأسلوبية لظواهر لغوية مثل الترادف ، واختراع الألفاظ ، والمقابلة بين المجرد والمحسوس ، والغريب والمتداول ، والمبهم والمحدد ، و أخيرًا تأتي أسلوبيات الجملة لتدرس القيم التعبيرية من جهات ثلاثة هي : أجزاء الجملة أو تلك الأشكال النحوية المفردة ، والانتقال من قسم لآخر من أقسام الكلام، وتركيب الجملة – أي ترتيب أجزائها ، وتحليل الأساليب التي فيها – ، والوحدات الكبرى والتي تجمع جُملًا مفردة كالكلام المباشر وغير المباشر والكلام الحر ، وهناك على المستوى المعجمي للغة أنواع عدة من التأثيرات الإيحائية : كالكلمات المستحدثة ، والكلمات المهجورة ، و العاميات ، والشعارات المبتدعة ، واللهجات، والكلمات الدخيلة ، والاصطلاحات الفنية ، و كل ذلك بالطبع له ظلاله الخاصة على الجوانب الأسلوبية [1] .

ويرى " ستيفن أولمان" أن الاختفاء القوي لعلوم البلاغة التقليدية قد أحدث ثغرة كبيرة في الدراسات الإنسانية ، و قد أوجبت هذه الثغرة على الدراسات الأسلوبية أن تقطع شوطًا كبيرًا لملء هذه الثغرة ، و أنه ليس من الخطأ المحض أن يوصف علم الأسلوب بأنه " بلاغة جديدة" تناسب المتطلبات والمستويات العلمية المعاصرة في حقلي اللغويات والأدبيات على حد سواء ، فيقول: " إن ظهور علم الأسلوب يمكن أن يساعد أكثر من أية ظاهرة جديدة أخرى على رأب الصدع الذي يوجد في الوقت الحاضر بين الدراسات اللغوية والدراسات الأدبية ، سواء في التعليم أم البحث ، وجدير بالذكر أن هذا الوضع لم يُعرف إلا في العلوم الإنسانية الحديثة ؛ أما الآداب القديمة فقد سلمت منه ، وبفضل علم الأسلوب يمكن أن تستعاد الوحدة الأساسية في المادة على مستوى تركيبي أعلى ، وهو مستوى "النقد الكلي" الذي يهدف إلى دراسة شاملة متكاملة من كافة النواحي لبنية العمل الأدبي وتأثيره " [2]

---

[1] انظر : السابق ، ص : 96-98.

[2] انظر : السابق ، ص:121.

ويرى الباحث فيما يخص علاقة الأسلوب بالأدب ، أن التفرقة المشهورة بين الأسلوب الأدبي والعلمي والمبني عليها تصنيف الكلام إلى كلام يصلح للأسلوب الأدبي وآخر للعلمي ليس له علاقة وثيقة بعلم الأسلوب ؛ لأن علم أسلوب موضوعه البحث عن السمات اللغوية التي تميز كاتب النص عن غيره بحيث تبقى علامة مميزة للشخص، إلّا لو بحدثنا في استخراج السمات الأسلوبية المميزة للأسلوبين العلمي والأدبي ، وليس ادعاء أن توظيف الكاتب للخيال في كتاباته يعد أسلوبًا بمعنى علامة مميزة له ، كما يرى الباحث أن علاقة علم الأسلوب بالبلاغة تتمثل في كون البلاغة هي المحدد الأصيل للمعايير السابقة على الأساليب الأدبية، وهي الضابط لما يستحسن في الاستخدام الأدبي منها وما يستكره ، كما أنَّ الانزياح أو الانحراف لا يعد أسلوبًا بمعنى سمة خاصة بطريقة الكاتب تُمَيّزه عن غيره إلا إذا استخدمت بطريقة ملفتة تكون مميزة لطريقة كتاباته عن سائر الطرق ، فموضوع علم الأسلوب هو تناول السمات اللغوية المميزة أو العلامات المميزة لكاتب النص وليس تناول المجاز والاستعارة الواقعة فيه ، فهو مجال علم البلاغة ، ولذلك لا يرى الباحث صواب ما ذهب إليه الأستاذ أحمد درويش حين قال : " لكننا إذا أردنا أن نضرب مثالا مبسطا لظاهرة المجاوزة ، فيمكن اللجوء إلى المثال الشائع : إذا قلت " البحر أرزق" فأنت تتكلم وأنت في "درجة الصفر" التعبيرية ، لكن عندما تقول مثل هومير : " البحر بنفسجي" ، أو" البحر خمري" فأنت تصنع أسلوبًا " .[1]

وعن علاقة علم الأسلوب بعلم اللغة فيرى الباحث أن علم اللغة هو أصل علم الأسلوب ؛ لأن علم الأسلوب يعتمد على دراسة الجوانب اللغوية التي أكثر صاحب النص من توظيفها بحيث أصبحت علامة مميزة على أسلوبه وبصمة خاصة به، فهو متصل باللغة بشكل قطعي ، وهو معتمد في المقام الأول على جانب اللغة في مستوياتها المختلفة الصوتية ،والصرفية، والنحوية، والدلالية باحثا عن السمات أو التقنيات أو البصمة الخاصة بالكاتب في ذلك.

---

[1] انظر : الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ، أحمد درويش ، فصول ، ص:63.

الفصل الأول

الأسلوبية ، والشكل النَّصي وبنيته

وفيه توطئة و أربعة مباحث:

توطئة.

1-1- صور استفتاحات رسائل العميدي.

1-2- صور اختتامات رسائل العميدي.

1-3- صور عناوين رسائل العميدي.

1-4-توصيف رسائل العميدي.

توطئة :

كان العميدي من كبار رجال الدولة الفاطمية بمصر ، تولى ديوان الترتيب في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم تولى ديوان الإنشاء في عهد المستنصر ، وكان لعمله تحت لواء هذين الديوانين كبير الأثر في أسلوبه في الكتابة ، وعلى الأطر العامة المستعملة في إخراج رسائله ، والقوالب الخاصة بها من استفتاح و تخلص وخاتمة وعناوين خاصة فيما يتعلق بالرسائل الديوانية منها ، إلى جانب السمات الأسلوبية العامة التي كان لها ظهور قوي في رسائله وأسلوبه الفني.

وقد عرض الباحث في هذا الفصل البناء الفني لرسائل العميدي محاولا التعرف إلى أهم خصائصه الأسلوبية مع الوضع في الاعتبار ما كانت عليه سنن الكتابة في عصر الدول الفاطمية بمصر ، الذين نهضت على أكتافهم الكتابة في الديار المصرية ، حتى لقد ضاهت بغداد في ذلك الوقت ، لما أظهروه من عناية بالكتابة والكتّاب ومبالغتهم في ذلك ، فكان العصر الفاطمي بمصر بالنسبة للكتاب عصرًا نضج فيه النثر نضجا كبيرًا ، حتى إننا نجد كتّاب العصرين الأيوبي والمملوكي قد مضوا على الطريق التي خطها الكتّاب الفاطميون. [1]

1-1- صور استفتاحات[2] رسائل العميدي :

من الخصال التي تميزت بها رسائل الكتّاب الفاطميين بحيث نجدها ظاهرة في كل سجلاتهم بشكل واضح ، ابتداء سجلاتهم ورسائلهم بحمد لله ، ثم الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ، و الصلاة على الوصي

---

[1] انظر: رسائل القاضي الفاضل (دراسة تحليلية)، محمد عبد الرحمن عطا الله ، دار الحضارة ، طنطا–مصر ، ط1، 2000م ، ص: 245.

[2] مادة فَتَحَ: فَتَحَ بين الخصمين فتحًا : قَضَى بينهما ، وفي التنزيل العزيز : " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق " [الأعراف /89] ، و فَتَح عليه هداه ، وأرشده ، فَتح الكتاب : نَشر طيه ، فَاتَحه في الأمر : بدأه به وقاضاه، افتتح الباب ونحوه : فتحه ، والعمل : بدأه ، ومنه قولهم افتتح دورة المجمع أو المجلس ، ويقال افتتح الكلام باسم الله. انظر: المعجم الوسيط ، 2/ 671 ، واستفتح يستفتح استفتاحًا ، فهو مُستفتِح والمفعول مُستفتَح ، الشيء بكذا ، بدأه ، ابتدأه به " استفتح الجلسة بالذكر الحكيم " ، و استفتاح[مفرد] : مصدر استفتح ، الفاتحة : من الكتاب الكريم سورة الحمد ، وفاتحة كل شيء أوله ومبتدؤه. انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ.د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ، القاهرة– مصر، ط1 ، 2008 ، 3/1664–1665.

، وعلى الأئمة من أهل البيت ، ويتعمدون أن يذكروا دائما أن محمدًا جد الأئمة ، فعقيدتهم الدينية وتمذهبهم بالمذهب الشيعي الفاطمي كان دافعًا للالتزام بمثل هذه الاستفتاحات ، كأنهم يحاولون إثبات نسبهم في استفتاح كل رسالة من رسائلهم ، والعلة في ذلك أن السجلات الفاطمية كانت أقرب ما يكون إلى البلاغات الرسمية التي تخرج عن ديوان أي حاكم في عصرنا الحديث[1].

يقول صاحب الصناعتين[–395هـ]: إذا كان الابتداء مليحًا رشيقًا ، حسنًا بديعا ، كان في نفسه داعية إلى الاستماع لما يأتي بعده من الكلام ، ولهذا المعنى قال الله –عزوجل– " كهيعص و آلم و حم و طسم و طس " في فواتح بعض السور؛ ليكون ذلك داعيًا لهم لحثهم على الاستماع لما بعده والله –سبحانه– أعلم بكتابه ؛ ولهذا جعل أكثر ابتداءات السور بالحمد ؛ لأن النفوس تتشوف للثناء على خالقها فهو داعية إلى الاستماع ، و قد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم : " كل كلام لم يُبدأ فيه بحمد الله –تعالى– فهو أبتر" . [2] ، ويقول صاحب كتاب " إحكام صنعة الكلام" [–542هـ] : وقد قدمنا في فصل العنوان من قبل أن الإشارة فيه إلى المعنى المراد و الغرض المذكور أصلٌ جللٌ يكون العنوان مفتقرًا إليه ، فيجب المحافظة عليه ؛ فإذا كان هذا هو رأينا في العنوان فما ظنك برأينا في صدر الكتاب ؟! [3] .

وقد تأثر العميدي في الاستفتاحات بما جرت عليه العادة في المكاتبات في العصر الفاطمي و سنن الأولين وخاصة أنه كان متوليًّا ديوان الإنشاء الفاطمي ويذكر صاحب موادّ البيان – وكان من كبار رجال الدولة الفاطمية– في معرض حديثه عن رسوم المكاتبات الصادرة من البلاط الفاطمي إلى مختلف الأرجاء : و إن كانت المكاتبة من الخليفة فيجب أن يفصل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بعد ذلك ببسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول ؛ لأن البسملة أولى ما يستفتح به ثم يكتب بعد ذلك في سطر ثانٍ يلاصقها و يخرج عنها

---

[1] انظر : في أدب مصر الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، القاهرة –مصر ، ط1 ، 1950م ، ص: 321–323.

[2] انظر : كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه) ، القاهرة–مصر ، ط 1 ، 1952م ، ص 437.

[3] انظر : إحكام صنعة الكلام ،لذي الوزارتين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت –لبنان ، د.ط ، 1966م ، ص 67.

يسيرًا " من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان " يبدأ أولًا بذكر نعته إن كان الخليفة قد شرفه بنعت ثم يقول : " سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الأئمة المهديين ويسلم تسليمًا" ويكون ذلك التصدير في سطرين يجعل بينهما فضاء بمقدار شبر ، ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه ، ثم يترك بعد هذين السطرين فراغًا بمقدارٍ يضعف الذي بينهما ، ثم يقول : أمَّا بعد ، ثم يقتص المعاني معنًى معنى... ويقول للمُخاطَبين من الطبقة العليا من الدولة : و السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ويفرد بالسلام من دون هذه الطبقة .... وهذه القواعد عامة للناس جميعًا في كل الأمور السلطانية التي تنشأ الكتب فيها من الدواوين[1] ، وعن أضرب الاستفتاحات و الابتداءات للرسائل الإخوانية يحدثنا الأعشى [-821هـ] فيقول : وجملةً فابتداءات الرسائل الإخوانية وصدورها لا تنحصر في مصطلح بعينه ؛ لاختلاف مذاهبهم في ذلك، والغالب في المكاتبات الإخوانية الدائرة بين أعيان الدول أنها على سبعة أساليب : الأسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة بالدعاء، الأسلوب الثاني : توسط الدعاء صدر الكتاب بعدما يبدأ الكاتب بكلام مناسب للحال، الأسلوب الثالث: افتتاح الكتاب بلفظ " كتابي" ، كما كتب الصابي إلى فخر الدولة بن بويه على لسان الوزير أبي عبد الله الحسن بن سعدان في بشارة فتح ، يقول : " كتابي – أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل فخر الدولة– ومولانا الملك السيد صمصام الدولة وشمس الملة جارٍ على أفضل حالٍ ، الأسلوب الرابع : افتتاح الكتاب بلفظ " كتبت" ، الأسلوب الخامس : افتتاح الكتاب بالخطاب – أي النداء– ، الأسلوب السادس: افتتاح المكاتبة بلفظ: "أنا" ، الأسلوب السابع : افتتاح المكاتبة بلفظ " أصدرت " أو " صدرت " [2].

وبتتبع استفتاحات رسائل العميدي وجد الباحث أن أسلوب العميدي فيها هو الالتزام بالاستفتاح بمقدمة في أول الرسالة –على سنن وضوابط سنذكرها لاحقًا– هذا هو الجانب الأغلب ، وهو أيضا قد يتغاضى عن هذه المقدمة فيدخل في موضوعه مباشرة دونما أية مقدمات وهذا هو الجانب الأقل ورودًا ، كما أن جميع

---

[1] انظر : موادّ البيان ، لأبي الحسن علي بن خلف الكاتب [-437هـ]، تحقيق أ.د. حاتم صالح الضامن ، دار البشائر ، دمشق –سوريا ، ط 1 ، 2003 م ، ص: 326-328.

[2] انظر : صبح الأعشى ، 138/8-143.

رسائله الإخوانية والديوانية موضع الدراسة جاءت على ضربين : إمَّا ابتداء للخطاب أو رد للجواب ، وقد جاءت استفتاحات رسائله على ثلاثة صور : الاستفتاح بالكلام المنثور أو بالشعر أو بالقرآن الكريم .

1-1- الاستفتاح بالكلام المنثور : وقد جاء على أربعة أضرب على النحو الآتي :

1-1-1-1-: (الجملة الاسمية)(و هي أكثرهن ورودًا) :

وفيه يعتمد العميدي على المركب الإسنادي للجملة الاسمية من المبتدأ والخبر ، أو إنَّ الناسخة واسمها وخبرها أو كان الناسخة واسمها وخبرها ، وفيه ثلاث صيغ:

أ- الصيغة الأولى: مبتدأ محذوف تقديره (هذا) + الخبر مضاف إلى ياء المتكلم (لفظة كتابي).

، وقد جاءت على عدة أنماط:

(1) : كتابي + جملة اعتراضية بالدعاء للمرسل إليه + ذكر مكانه حين أرسل الرسالة + التاريخ + التخلص من لفظ(كتابي) بواو الحال و جملته الفعلية المحققة بقد.

يقول في استفتاح رسالته السادسة إلى الوزير أبي الفرج أحمد بن محمد القشوري: " كتابي –أطال الله بقاء مولاي الشيخ – من تدمر ظهيرة يوم الإثنين ساعة وصولي إليها ، والصيف قد شب ضرامه ، والحرّ قد نشر أعلامه... " [1] ، فقد تخلص [2] من لفظ (كتابي) بواو الحال وجملته الفعلية المحققة بقد كما رأينا ، و قد جاء في مغني اللبيب في أنواع الواو : والثاني من أنواع الواو ، هي واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية مثلما تقول : أتى زيدٌ والشمس طالعةٌ ، وتسمى بواو الابتداء ، وقد قدرها سيبويه والأقدمون بإذ ، وهم لا يريدون أن

---

[1] رسائل العميدي ، ص 32 ، وانظر أيضًا ص : 23.

[2] التَّخَلُّص : " خَلَص خُلُوصًا و خِلاصًا : صفا وزال عنه شوبه ، ويقال: خلص من ورطته : سلم منها ونجا ، وخلص من القوم : اعتزلهم وانفصل عنهم ، وفي التنزيل : " فلمَّا استيأسوا منه خَلَصُوا نجيًّا " [يوسف/ 80] " انظر: المعجم الوسيط : 1/249-250 ، واصطلاحًا يطلق على " الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة ، قال في الإتقان في فصل المناسبة بين الآيات : ويقرب من الاستطراد ، أو حتى لا يكاد أن يفترقا ، وحسن التخلص هو أن ينتقل مما ابتديء به الكلام إلى المقصود على وجهٍ سهلٍ يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع الثاني بشدة الالتئام بينهما " انظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد بن علي ابن القاضي التهانوي [ت بعد 1158هـ]، تحقيق د.علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1996م ، 1/398 .

يقولوا إنها بمعنى إذ ، فلا يرادف الحرف الاسم ، بل أرادوا أن يقولوا إن واو الحال وما بعدها قيد للفعل السابق ، مثلما الحال مع إذ ، ولم تُقدّر بإذا ؛ لأن إذا لا تدخل على الجمل الاسمية ، و قد وهم أبو البقاء عندما زعم أن الواو في قوله –تعالى– : " وطائفة قد أهمتهم أنفسهم " [آل عمران:154] هي واو الحال ، وقيل بل هي بمعنى إذ ، و قد سبقه إلى ذلك مكي ، وزاد عليه عندما قال : الواو للابتداء ، وقيل أيضًا هي للحال ، وقيل بمعنى إذ ، والثلاثة آراء بمعنى واحد ، فإن أراد بقوله بالابتداء الاستئناف ، يكون قولهما سواء ، ومن أمثلة دخولها على الجملة الفعلية قول الشاعر:

بأيدي رجالٍ لم يشيموا[1] سيوفهم....ولم تكثر القتلى بها حين سُلَّتِ [الطويل]

ولو قدرتها واوًا عاطفة لانقلب المدح ذمًا في الحال [2] .

وهذه الصيغة هي الصيغة الرسمية التي اعتمدت في هذا العهد ، وقد التزمها العميدي في خطابه مع كبار رجال الدولة الفاطمية من أمثال الوزير أبي الفرج أحمد بن محمد القشوري ويحيى بن سلامة الموصلي كاتب قائد القواد حسين بن جوهر وبعض الأشراف في مراسلته إياهم متوددًا إليهم بالتهنئات أو بالاطمئنان عليهم و أحيانا بتعزيتهم في مصابهم ، والأصل في المكاتبة المصدرة بلفظ كتابي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يكتب في استفتاح بعض المكاتبات الصادرة عنه " هذا كتابٌ من محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانيين" فلما جاءت أيام بني بويه استنبط كتَّابها من هذا المعنى الابتداء بلفظ " كتابي إليك" في حال ما لو كانت المكاتبة إلى النظير ومن في مستواه ، والابتداء " بكتابنا إليك " في حال ما لو كانت المكاتبة صادرة عن الملوك ونحوهم ،؛ وكانوا يشفعون ذلك بالدعاء بطول البقاء ، مثل " كتابي إليك – أطال الله بقاءك–" أو " كتابنا إليك –أطال الله بقاءك– " وربما عبر بهذه الطريقة وما أشبه ذلك ، ويكون تخلصه إلى مقصده بواو الحال كأن يقال : " كتابي إليك والأمر على كذا " ونحو ذلك وربما نجد التخلص يقع بخلاف ذلك ، ويكون الاختتام فيه مرة بالدعاء وتارة بالسلام و أخرى بغير ذلك [3] ، ففي القرن

---

[1] أي لم يُغمِدوا سيوفهم.

[2] انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لأبي محمد عبدالله بن يوسف ، المعروف بابن هشام الأنصاري [–761هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، د.ط ، 1991م ، 2/414–415.

[3] انظر : صبح الأعشى ، 321/6.

الرابع الهجري تطور الاستهلال الذي شاع فيه ذكر اسم المرسل إليه أو المُرسِل في صدر الرسالة ليصبح مركبًا من الضمير الذي ينوب عن هذا الاسم ، مع إضافة لفظ (كتاب) إليه ، ومن هنا شاع بين كثير من كتّاب هذا القرن استفتاح رسائلهم بصيغة(كتبت) أو (كتابي) أو (كتبنا) إلى غير ذلك من الصيغ الأخرى التي تشابها، ولعل صيغة (كتابي) كانت أكثر أساليب الاستهلال استعمالًا في رسائل هذا القرن ، و غالبًا ما كان يردف بلغاء كتاب هذه الصيغة بالتعبير عن السلامة ، أو بجملة اعتراضية دعائية ، أو بغير ذلك ، ثم ينتقل الكاتب إلى الغرض الرئيس للرسالة. [1]

وقد يكتفي بالاستفتاح بلفظ كتابي ثم يتخلص منه بواو الحال والدعاء بطول البقاء لمن يراسله ، فيأتي النمط على النحو الآتي :

كتابي + التخلص من لفظ (كتابي) بواو الحال وجملته الاسمية + أطال الله بقاء.. (من يراسله).

وقد استفتح بها رسالته إلى القاضي أبي الحسن بن أبي الدبس يصف له رحلته إليه يقول : " كتابي وشوقي إلى الشيخ القاضي – أطال الله بقاءه – شوق الصادي إلى الماء وقد أرهقته غُلَّته ، والعليل إلى الشفاء وقد أقلقته عِلته، والمهجور إلى الوصل وقد أضنته حرارة الهجر ...."[2]

وقد ينص على طيب عيشه في ظلال الدولة الفاطمية في هذا الاستفتاح ثم يردفه بحمد الله –تعالى– والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين ، فيكون النمط على النحو الآتي :

كتابي +أطال الله بقاء..(من يراسله)+ التخلص من لفظ (كتابي) بالنص على طيب عيشه في ظلال الدولة الفاطمية في جمل حاليّة مسجوعة متزاوجة تبدأ بواو الحال + حمد الله + الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته الطاهرين.

---

[1] انظر : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري (العراق والمشرق الإسلامي) ، د.غانم جواد رضا الحسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 2011 ، ص: 368–369 ، وقد أحصى مؤلف الكتاب الاستفتاح بصيغة (كتابي) عند أعلام كتاب القرن الرابع الهجري كالخوارزمي وبديع الزمان وغيرهما فوجد أن هذا الاستفتاح قد غلب على أكثر استهلالات مقدمات رسائلهم.

[2] رسائل العميدي ، ص: 18.

يقول في استفتاح رسالته إلى بعض الأشراف وكان قد وعده بشيء ثم أخلف موعده : " كتابي –أطال الله بقاء الشريف– و أنا على جملة من السلامة يعجزني تفصيلها ، وفي ذروة من السعادة تقصر المنى عن إدراكها وتحصيلها ، و أحوالي بعد الدولة القاهرة مستقرة على سنن انتظام واعتدال ، وأموري مستمرة على أحسن ما أوثره من عز و إقبال ، ولله الحمد كما هو أهله ، وصلاته على سيدنا محمد وعترته"، ثم يتخلص من المقدمة الاستفتاحية بالواو العاطفة وقد التي للتحقيق وكان واسمها وخبرها يقول : " وقد كان الشريف – أعزه الله– واثقني على ما لاخفاء به عليه ، وصافحني على ما رأى نفسي نازعةً إليه ...."[1] وقد استخدم هذا التركيب الذي يدل على وقوع الحدث في الماضي البعيد ليثبت هذا الوعد الذي وعده إياه أحد الأشراف وهو إعطاه كتاب الفَسْر حيث يأتي بناء (كان قد فعل) ، أو (قد كان فعل) للدلالة على الماضي البعيد كما في قوله –تعالى– : " جزاءً لمن كان كُفِر" [القمر / 14] [2] ، وقد يتخلص بحرف الشرط أمَّا وبيت من الشعر ، كما في رسالته إلى الشيخ أبي القاسم منصور بن محمد وهو بخراسان يقول : " كتبت إليه كتابي – أطال الله بقاء الشيخ العميد و أدام علوه وسموه – وأنا معتصمٌ من كفاية الله بحبل متين لا انفصام لعُروته ، وملتجىءٌ من وقايته إلى حصن حصين لا ترتقي همم الحوادث إلى ذَرْوَتِه ، والحمد لله كفاء نعمته ، وصلواته على محمدٍ والطاهرين من عترته ، الطيبين من ذريته ، فأمَّا حنيني إلى طلعة الشيخ – أدام الله إشراقها– :

حنين امرىءٍ ظمآن شاهد مَشْرَعًا..... من الماء سلسالًا فحنّ إلى الشرب [الطويل] ، وأمَّا نزاعي إلى محادثته ومقاربته ومجالسته ومداعبته :

نزاع فتىً قد صدَّ عنه حبيبه...... فهام ولم يسليه شيءٌ سوى القرب [الطويل] ... " [3] وهكذا يمضي في الرسالة كلها ، وهي رسالة أدبية قائمة في أغلبها على أبيات من الشعر لا يُعلم قائلها ولعله صاحبها فقد كان كاتبًا شاعرًا ، يقول ضياء الدين ابن الأثير [–637هـ] وقد جعل التخلص الركن الثالث من أركان الكتابة يقول: الركن الثالث من أركان الكتابة ، أن يعتمد الكتاب على توظيف رابطة عند خروجه من

---

[1] السابق : ص 38 ، وانظر ص : 79 ، 163 ، 321 .

[2] انظر : دلالة الأفعال (ماضٍ–مضارع–أمر) في سورة لقمان ، لبثينة خضير و آخرين ، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي –الجزائر ، 2020م ، ص: 15.

[3] رسائل العميدي، ص: 327.

معنىً إلى معنًى ؛ حتى تكون رقاب المعاني آخذةً بعضها ببعض ، ولا تكون مقتضبة [1] ، وقال صاحب الصناعتين [-395هـ] : ومن حلية البلاغة معرفتك بمواضع الفصل والوصل ، فالبلاغة متى اعتزلها العلم بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ المنثورة بلا نظام " " وقد ورد عن أن المأمون قوله : ما أتفحص من رجل شيئًا تفحصي عن مواضع الفصل والوصل في كتابه ، و تخلصه من المحلول إلى المعقود ؛ فلكل شيء جمالٌ ، وجمال الكتاب وحليته إيقاع الفصل موقعه ، و إجالة الفكرة و شحذها يكون في لطف تخلصك من المعقود إلى المحلول ، والمقصود بالمعقود والمحلول هو أنك إذا ابتدأت مخاطبة فلم تنته بالتخلص إلى الموضوع الذي عقدت عليه كلامك، سُمي الكلام معقودًا إمّا إذا أبنت عن الغرض المنزوع إليه ، وشرحت المنثور ، سُمي الكلام محلولًا . [2]

وقد ينص على حاله من فرح وسرور أو حزن و غموم أو على نجاته في الطريق من قطاع الطرق ووصوله بأمان إلى حيث يريد في استفتاح رسالته مع التنبيه على مكانه ، فيأتي النمط على النحو الآتي:

(2) كتابي + أطال الله بقاء.. (لمن يراسله) + مكان إرساله الرسالة + التخلص من لفظ (كتابي) بالنص على حالته من فرح وسرور أو حزن وغموم بجمل حاليّة مسجوعة متزاوجة مبدوءة بواو الحال + حمد الله + الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته الطاهرين.

كما في استفتاح رسالته إلى صديقه عليّ بن أحمد الضيّف من طرابلس يقول: " كتابي – أطال الله بقاء مولاي القائد و أدام سعادته – من طرابلس ، وقد وصلت بها فخلفت خلفي كل آفةٍ ، و أمنت من كل فزعٍ ومخافةٍ ، و أنا في سلامةٍ لولا بعدي من حضرته ، وعافيةٍ لولا شوقي إلى طلعته ، والحمد لله كفاء نعمته ، والصلاة على محمد وعترته " ثم تخلص من هذه المقدمة الاستفتاحية بظرف الزمان المتعلق بالفعل الماضي المتأخر يقول : " وقبل أن ألقيت عصا السفر ، ونفضت عنِّي غباره ،.....طالعت مولاي –أدام الله نعمته – بذكر ما قاسيته في هذه المسافة الطويلة من الأهوال...[3] ، و أيضًا في استفتاح رسالته إلى حاجب بعض

---

[1] انظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين نصر الله بن محمد ، المعروف بابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة–مصر ، ط 1 ، 1960م ، 97/1.

[2] انظر : كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص438 ، 441.

[3] رسائل العميدي ، ص :76.

الرؤساء في غلامٍ أبق منه يقول : " كتابي – أطال الله بقاء سيدي – عن مدينة السلام و خاطري بها متقسم ، وقلبي من خطوب الدهر متظلم ، و جدّي إذا هم بالانتباه أدركه وسن ، و أمري إذا شارف الاستقامة تعاورته محن ، و لله الحمد على كل ما يسوء ويسر وينفع ويضر، والصلاة على سيدنا محمد وعترته الطاهرين " ثم يتخلص بالواو العاطفة و المركب الإسنادي للجملة الاسمية المكون من المبتدأ وجملة الشرط التي سدت مسد الخبر بما يناسب مقام النصح و الإرشاد يقول : " والإنسان – أدام الله عزك– إذا ترك الحزم في الأمور ، ثم نُكِّب فهو غير معذورٍ..." [1] ، وأيضًا في استفتاح رسالة له جوابًا عن رسالة أرسلت إليه ، و عنوانها " جواب كتاب أبي القاسم الكردي من دمشق وكان بطبرية " يقول : " كتابي –أطال الله بقاء مولاي الشيخ ورئيسي ، و أدام تمكينه– من دمشق ، وأنا به مستظل بظل الدولة الزاهرة ، ومتقلب من بركاتها في النعم الوافية الوافرة ، ولله الحمد والمنة على ما أثله لي من عزّ تحت الدولة الغراء ، برغم مغاطس الأعداء ، وألبسنيه من نعم صافيةٍ عن شوائب الأقذاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهرين " ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالجملة الفعلية المُصدَّرة بالفعل (وصل): " ووصل كتاب مولاي الشيخ – أدام الله سعادته – جوابًا عن كتابي النافذ كان إليه ، فأهدى إلى النفس فرحةً موصولةً بفرجة.."[2] ، يقول صاحب إحكام صنعة الكلام : و رأيت الرسائل على قسمين هما : ابتداء الخطاب ، و رد الجواب ، فمن الألفاظ التي توصلوا بها في ردهم الجواب إلى غرض الكتاب ، قولهم : ورد، أُلقِي ، ، وصل ، وفي القرآن الكريم : " إني أُلقِي إليّ كتابٌ كريمٌ " [النمل / 29]. [3] ، يقول القلقشندي : الضرب الأول من ضروب افتتاح رسائل رد الجواب أن يفتتح الجواب بما افتتح به الابتداء ، ثم يشير إلى وصول الكتاب والجواب عنه ، وذلك إمَّا أن يكون بعد كلام طويل ، و إمّا أن ملاصقًا لأول الابتداء ، ومن شواهد الثاني ، ما كتب الصابي: " كتابي – ووصل كتاب مولاي وفهمته ، وجلّ عندي قدره وموقعه ، وسكنت إلى ما دل عليه من سلامته ، وسألت الله أن يسبغ عليه ظلّها ، و يملّيه نعمه كلها ، فأمّا ما ذكره من كيت وكيت إلى آخر الكتاب". [4]

---

[1] السابق: ص 68 ، وانظر أيضًا ص : 49.

[2] السابق ، ص: 54 .

[3] انظر : إحكام صنعة الكلام ، ص69–70.

[4] انظر : صبح الأعشى ، 8/ 143.

وقد يذكر مكانه و تاريخ إرساله الرسالة في النمط السابق فيصبح على النحو الآتي:

كتابي + أطال الله بقاء.. (لمن يراسله) + مكانه + التاريخ + التخلص من لفظ (كتابي) بالنص على حالته من فرح وسرور أو حزن وغموم في جمل حاليّة مسجوعة متزاوجة قد تبدأ بواو الحال + مكان إرساله الرسالة + حمد الله + الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته الطاهرين.

كما جاء في استفتاح رسالته إلى وزير قِرْواش وهو بالموصل و إليه أمرها يقول : " كتابي –أطال الله بقاء مولاي وسيدي الأستاذ– من الجزيرة صبيحة يوم الخميس ، والدهر يريني كل يوم عجبًا ، ويسقيني من صنوف صروفه كُرَبًا و نُوَبًا .... و أنا مُعِدٌ له على جميع أحواله جُنّةً من الصبر لا تنفُذ فيها صوائب سهامه ونباله ، حامدًا لله سبحانه على ما أفاضه عليّ حالًا بعد حالٍ من بدائع إنعامه ، ومصلّيًا على سيدنا محمد وعلى الأخيار من آله" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالجملة الفعلية يقول : ويعز عليّ أن أزيد في اشتغال مولاي الأستاذ –أدام الله تمكينه–و إن كنت عالمًا بأنه يغتنم السعي فيما يؤدي إلى المصالح ،ويفتح أبواب المناجح"[1]

وقد يكتفي بالنص على التاريخ فقط دون ذكر مكانه في النمط السابق فيأتي على النحو الآتي :

كتابي + أطال الله بقاء .. (من يراسله) + التاريخ + تكرار الدعاء لمن يراسله + ثم التخلص من لفظ (كتابي) بالنص على شوقه إلى من يراسله في جمل حاليّة مسجوعة متزاوجة مبدوءة بواو الحال+ حمد لله + الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته الطاهرين.

كما في استفتاح رسالته إلى صديق له في السوق – ولعله من الأشراف – يقول: " كتابي – أطال الله لسيدي بقاءه– بتاريخ يوم السبت غرة شهر رمضان ، لا زال معرَّفًا صنع الله في مستهل كل شهر ومستقبله ، منتهيًا إلى أقصى أمله ، مستوفيًا أوفر الحظوظ من جدله ، آمنا من الدهر ووجله ، سالمًا من صروفه وعلله ، وادعًا في أمره وعمله ، وأنا سالمٌ لولا شوقٌ إليه يحرمني لذيذ المطعم و المشرب ، ونزاعٌ نحوه ينصبني حليف النصب و الوصب ، وتلهفٌ على مفارقته يرددني بين زفرة وعبرة ، و أنّةٍ مشفوعة بحسرة ، ولله الحمد كفاء إحسانه ، وصلواته على المصطفى محمد و أهل بيته . " ثم تخلص منه بواو العطف ولام التوكيد و قد التي للتحقيق والجملة الفعلية يقول : " ولقد جفاني سيدي – أدام الله عزه– جفوةً تظلم لظلمتها الكواكب ، ويُسمك

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 72–73.

عنها المزن الصائب....." [1]، فهي جفوة حديثة العهد ؛ لأن من معاني قد مع الفعل الماضي بالإضافة إلى التحقيق نحو قوله –تعالى– : " قد أفلح من زكاها "[الشمس/9] ، تقريبه من الحال ، فإذا قلنا " قام زيد" ، فيحتمل أن هذا القيام وقع في الماضي البعيد أو القريب ، أمَّا عندما نقول : " قد قام زيد" فلا يُفهم من ذلك إلا أن الحدث كان في الماضي القريب .[2]

وقد تفردت هذه الصيغة بإيراد الصلاة على النبي –عليه أفضل الصلاة والسلام– وذلك ؛ لأنه يغلب عليها الطابع الرسمي لمحادثته كبار رجال الدولة الفاطمية في هذه الرسائل [3]، ولم تأتِ الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– في أي استفتاح آخر للعميدي بدأ بغير لفظ " كتابي" ، و لا نزاع في أن الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم – مطلوبة جملةً ، ويكفي قوله –تعالى–: " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا " [الأحزاب / 56] ، و أمّا الأحاديث الواردة في الحث على هذا أكثر من أن تحصى ؛ فناسب أن تكون في استفتاحات الكتب تبركًا و تيمنًا ، و قد جاء في تفسير قوله –عز و جل – : " ورفعنا لك ذكرك " [الشرح /4] ، أن المعنى ما ذُكِرتُ يا محمد إلا و ذُكِرتَ معي ، لذا إذا أتى بالحمد في أول كتابٍ، فمن المناسب أن يأتي بالصلاة على الرسول –صلى الله عليه وسلم – لإيراد ذكره بعد ذكر الله –تعالى– ، قال المدائنيّ في كتاب " القلم والدواة": وقد رأينا بعض الكُتّاب ممن لا يرى الصلاة على الرسول– صلى الله عليه وسلم– في الكتب ، فباءوا بأعظم الأوزار مع ما فاتهم من الثواب [4] ، وفي سنن الكتابة الواردة عن الكتاب الفاطميين في استفتاحات رسائلهم الديوانية فيما كانوا يكتبونه على لسان الخليفة نفسه يقول القلقشندي إنها : " تفتتح بالتصدير ، وهو : من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان بن فلان بالألقاب الموصوف بها من ديوان الخلافة ، ثم يدعي له بدعوتين أو ثلاث ، ثم يقال : سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، و يسأله أن يصلي على جده محمد – صلى الله عليه وسلم– و على أخيه ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم يأتي بالثناء على الخليفة ومدحه

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 45.

[2] انظر : مغني اللبيب 1 / 195 ، 197.

[3] وقد جعل القلقشندي صياغة " كتابي إليك" من الصيغ المعتمدة في استفتاحات الرسائل الديوانية ، ولذلك غلبت هذه الصيغة على مراسلات العَميدي مع كبار رجال الدولة أيضًا ، انظر صبح الأعشى، 321/6.

[4] انظر: صبح الأعشى، 218/6.

بأوصفاف بما يناسب المقام .[1] ؛ لذا جاءت الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم– في مثل هذه المكاتبات ؛ لأنها مرسلة إلى كبار رجال الدولة الفاطمية ، فهي لازمة أساسية في رسائلهم وخاصة في تلك الرسائل التي تحمل طابعًا رسميًا أو ديوانيًّا.

ولا يخفى أن أمارات التشيع ظاهرة في هذه الصياغة من تخصيص الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم – و عترته و آل بيته و على الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – دون التعرض إلى الترضي ولو مرة واحدة على أصحاب رسول الله – رضوان الله عليهم أجمعين – وقد وردت الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – في ثلاثة عشر موضعا في رسائل العميدي كلها في استفتاحات رسائله وكلها لازمت الاستفتاح بلفظ " كتابي" عدا واحدة [2] وهي الأخيرة ذكرًا، وكلها لم تتفق على صياغة واحدة فجاءت على النحو الآتي :

1- وصلاته على سيدنا محمدٍ وعِترته – والعِترة هي الذرية والنسل –.

2- وصلواته على المصطفى محمدٍ و أهل بيته.

3- وصلواته على محمدٍ وأهل بيته الطاهرين.

4- والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى عِترته الطاهرين.

5- والصلاة على سيدنا محمدٍ وعلى الطاهرين من آله.

6- والصلاة على سيدنا محمدٍ وعِترته الطاهرين.

7- مصليًا على محمدٍ و على الأخيار من آله.

8- والصلاة على محمدٍ وعِترته.

---

[1] انظر : السابق : 318/10.

[2] وقد استفتح هذه الرسالة بالحمد والثناء على الله يقول : " الحمد لله المنعم على عباده مبديًا ومعيدًا ، والمبدع لهم في كل وقتٍ صنعًا جديدًا ..." وهي الرسالة المعنونة ب " وله كتاب نسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيِّهم وطائيِّهم بشرح الحال إلى صديق له بدمشق " ويغلب أن يكون هذا الصديق من كبار رجال الدولة الفاطمية ؛ لالتزامه مثل هذه الصياغة في الاستفتاح، انظر رسائل العميدي ، ص : 308.

9- وصلواته على سيدنا محمدٍ و على الأبرار من ذريته.

10- والصلاة والسلام على محمدٍ والطاهرين من آله.

11- والصلاة على محمدٍ و آله أرباب الكرم و ألبابه.

12- وصلواته على محمدٍ والطاهرين من عترته ، الطيبين من ذريته.

13- فصل الله عليه صلاة دائمة قائمة... وسلم عليه و على من هو من نبعته و السابق إلى بيعته... علي بن أبي طالب وعلى سلالته العترة الطاهرة ، وثمرة الشجرة الناضرة ذريته ، الأئمة الأخيار ، الطاهرين الأبرار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرًا .[1]

وفي خاتمة رسالته الخامسة والتسعين يتوسل بجاه النبي-صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته في تفريج كربه يقول : " فقد جعلت محمدًا و أهل بيته إليه عزَّ اسمه وسائلي ، بعفوه ورحمته وكرمه ورأفته" .[2]

ومن العناصر التي لازمت هذه الصياغة أيضًا الحمد والثناء على الله - عز وجل- ، فالتحميد يعد من العناصر الشكلية المهمة التي لا تكاد تخلو مقدمة رسالة أدبية أو إخوانية أو ديوانية منها ، فقد حافظ الكتاب الفاطميون على الاستفتاح بالحمد في جل رسائلهم الفنية التي بقيت لنا من العصر الفاطمي في مصر ، فهي على اختلاف أنواعها و إن خلت من التحية أو العنوان أو البسملة فإنها لم تخل أبدًا من الحمد. [3] يقول القلقشندي : لما كان الحمد أمرًا مطلوبَ الإتيان به في أوائل الأمور طلبًا للتبرك و التيمن ، عملًا بحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- أنه -صلى الله عليه وسلم - قال : " كُلّ عملٍ لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم "[4] فقد اصطلح الكتاب على الاستفتاح به في كثير مما يكتبونه من الولايات و المكاتبات وغيرهما

---

[1] هذه الاستفتاحات في رسائل العميدي على الترتيب ، ص : 38 ، 45 ، 49 ، 54 ، 59 ، 68 ، 72 ، 76 ، 79 ، 163 ، 321 ، 327 ، 309.

[2] السابق ، ص: 435.

[3] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، محمد موسى النعيمات ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية ، الأردن ، 2014م ، ص 194.

[4] حديث ضعيف ، ضعفه الألباني ، انظر : تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - [-1420هـ] ، دار الراية ، الرياض - السعودية ، ط 2 ، 1408هـ ، ص : 333.

مما له شأن وبال ، فالأصل أن يأتي الكتاب في صدر المكاتبة بحسن الافتتاح المطلوب في مختلف أنواع الكلام ، ويرجع حسن افتتاح المكاتبات إلى معنيين رئيسين ، المعنى الأول: وفيه يكون الحسن راجعًا إلى المبتدأ به ، كالافتتاح بحمد الله كما في بعض المكاتبات ؛ وذلك لأن النفوس تزكو بالثناء على الله – تعالى– أو بالدعاء للمُراسَل، أو بالسلام الذي جعله الشرع الحنيف مفتتح الخطاب أو نحو ذلك ، فإن أمر المكاتبات مبنيٌّ في الأصل على تأليف القلوب واستجلاب الخواطر و التملق ، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى [1] ويقول صاحب المثل السائر [–637–هـ]: من حذاقتك في هذا الباب أن تجعل التحميدات الآتية في صدور الكتب السلطانية ملائمة لمعاني تلك الكتب ، و إنما خصصت بقولي الكتب السلطانية دون غيرها ؛ هذا لأن التحاميد لا تصدر في غيرها ، فهي غالبًا ما تتضمن أمورًا لائقة بالتحميد ، كهزيمة جيش العدو ، أو فتح معقل ، أو ما جرى هذا المجرى [2] ، و يعلق د. محمد كامل حسين على سجل ليوسف بن محمد المعروف بابن الخلَّال – وهو آخر من تولى رئاسة ديوان الإنشاء الفاطمي وظل في منصبه قرابة ربع قرن – يقول : ويظهر في هذا السجل طابع الكتابة المصرية خلال فترة العصر الفاطمي كما هو ظاهر عند كل كتاب الدواوين ، حيث حمد لله والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم– و على الأئمة و الوصي ، و إلحاح الكتاب على انتساب الخليفة الفاطمي الحالي للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولعلي بن أبي طالب – كرم الله وجه– ، و كذلك التعرض لشيء من معتقدات الشيعة الإسماعيلية في مسألة الإمامة ، كل ذلك و أكثر من مظاهر الكتابة المصرية في هذه الفترة [3] .

الصيغة الثانية: المبتدأ (ضمير المتكلم أنا) + الخبر(جملة اسمية أو فعلية أو جملة شرطية سدت مسد الخبر) ، وفي صورتها الموسعة تأتي على النحو الآتي :

أنا + جملة اعتراضية بالدعاء ، أطال الله عزّ الشيخ / أطال الله بقاء الشيخ /... + الخبر جملة اسمية أو فعلية أو جملة شرطية سدت مسد الخبر . (وهو يلج بهذه الصيغة في الموضوع مباشرة).

---

[1] انظر: صبح الأعشى 215/6 ، 263–264.

[2] انظر : المثل السائر ، 108/3 .

[3] انظر : الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2018م ، ص: 198.

كما جاء في استفتاح الرسالة الخامسة والأربعين إلى أحد أصدقائه يقول : " أنا – أدام الله عزّ الشيخ – إذا كتبت إلى صديق لي رقعة ، صدرتها أولًا بوصف محاسن مولاي الوزير الأجل – أدام الله أيامه–..." [1] واستخدم أيضًا هذه الصياغة في استفتاح رسالته إلى صديقه وهب بن صدقة في الإذكار بحاجته يقول : " أنا إذا ظمئت إلى الشيخ –أدام الله عزه – بعد الخَمس والعَشر، عللت نفسي باقتراب القرب فأنقع بها غليلًا ، ومنَّيتها بورود منهله العذب ؛ لتسكن قليلًا ... " [2] يقول القلقشندي في الأسلوب السادس من أساليب استفتاح الرسائل الإخوانية : والأسلوب السادس أن تفتتح المكاتبة بلفظ " أنا" وشاهده ما كتبه الصابي عن نفسه يهنِّئ الأثير أبي الحسن بعيدٍ: " أنا – أطال الله بقاء سيدنا الأستاذ الأثير– أحاول الخدمة له والقربة منه منذ وصلت إلى العسكر المنصور ، فيعترض دون ذلك عوارض يجري بها المقدور ، إلى الحين الموقّت المسطور ، وقد علم مني وشهر عني كيت وكيت ، إلى آخر الكتاب ...[3]

و في استفتاح رسالته إلى الوزير صفي الدين يهنئه بانتقاله إلى دار ابن كِلِّس– وهي دار عليا من دور الدولة – يقول : " أنا – أطال الله بقاء الوزير الأجل –أستصغر أن يكون مسكنه من الأرض القصر ذات الشرفات من سنداد ، بل إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ..." [4]

وفي رسالته إلى حسين بن بشر متولي ديوان الخاص ، يشكو إليه تأخر صرف جاريه يقول : " أنا عن أمر هذه الحوالة – أدام الله سلامة الشيخ – في أصعب حالة ، ومن التحير فيها بين سآمة وملالة ، اقتضاءٌ مثل النار ، ومواعيد طويلة الأعمار... " [5] ، وهنا نلحظ ولوجه في الموضوع مباشرة من خلال الخبر للفظة الاستفتاح (أنا) ، فهو في المثال الأخير يتحدث مباشرة عن سوء أحواله وتقلب الزمان عليه وشكواه من تأخر صرف راتبه ، مما جعله يوظف ضمير المتكلم المفرد في الاستفتاح لأنه يتحدث عن أزمات طالت ذاته ونفسيته ، وكل الرسائل المفتتحة بنفس الصيغة رسائل إخوانية تدور بينه وبين أصدقائه من كبار الدولة فهي رسائل شخصية تدور حول ست معانٍ نفسية متعلقة بذاته ك " العتاب – الاعتذار – الشكوى – الشكر– استماحة

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 221.

[2] انظر السابق ص 352 ، وانظر أيضًا : ص 144 ، 403.

[3] انظر : صبح الأعشى ، 8/142–143.

[4] رسائل العميدي ، ص 216.

[5] السابق ، ص 250 ، وانظر أيضًا ص : 87 ، 184 ، 224 ، 238 ، 339.

الحوائج – التهنئة " وقد جاء هذا موافقًا لسنن الأولين في الكتابة إلى جانب اعتداد العميدي بشخصيته الذي دفعه أن تبدأ بعض رسائله بمثل هذه الصياغة .

الصيغة الثالثة : وتتضمن أنماطًا خمسة لطرق مختلفة في تشكيل الجملة الاسمية :

(1) المبتدأ (بغير لفظة محددة) + وقد ينادي من يخاطبه (ياسيدي /...)+ جملة اعتراضية بالدعاء + الخبر (مفرد / جملة / جملة شرطية سددت الخبر)+ جمل متوازنة على نفس صياغة الخبر +وقد يكرر الدعاء مرة أخرى وقد يأتي ببيت شعر+ التخلص بحرف الإعلام نعم ، أو حرف التحقيق قد والجملة الفعلية ، أو حرف الشرط لمَّا .

يقول القلقشندي في غضون حديثه عن أساليب استفتاح الرسائل الإخوانية: الأسلوب الثاني من أساليب افتتاح الإخوانيات : أن يبدأ بكلام مناسب للحال يتوسط صدره الدعاء ، كما كتب أبو إسحاق الصابي كذلك على لسان أحد الأمراء إلى أمير آخر ، مبشرًا إياه بفتح ، قال: " ومن أعظم النعم – أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل – خطرًا و أحسنها أثرًا ، نعمةٌ سكّنت ثورة ...". [1]

ومثال ذلك ما جاء في استفتاح رسالته إلى صاحب ديوان الخاص يعاتبه على تأخير صرف راتبه يقول : " سيدي الشيخ – أدام الله عزه– لا ينحو من المقاصد إلا آمنها و أحمدها ، ولا يزجر من السوانح إلا أيمنها و أسعدها ، ولا يسلك من المناهج إلا أوضحها صراطًا..... لا فارق الخصب شعابه ، ولا جانب الغيث جنابه ، ولا سلبه الإقبال جلبابه ، ولا أغلق دونه أبوابه." ، ثم تخلص من المقدمة بقوله : " نعم هذا الجاري الذي أُجري عليّ مجرى الصدقات على الفقراء.." [2] يقول ابن هشام : نعم ، بفتح العين حرف تصديقٍ و إعلام و وعدٍ ، فالأول الذي هو بعد الخبر نحو (ما قام زيدٌ)، و(قام زيدٌ) ، ، والثاني هو ما يأتي بعد الاستفهام في نحو هل جاءك زيدٌ ؟ ، وقيل : و قد تأتي للتأكيد في حالة إذا وقعت صدرًا ، كقولك : نعم ، هذه أطلالهم ، والثالث هو ما يأتي بعد افعل ولا تفعل ، وما أتى في معناهما كهَلّا لم تفعل، وهَلَّا تفعل ، وبعد الاستفهام نحو هل تطعمني ؟ ويجوز أن تفسر في هذا بالمعنى الثاني ، إلّا أن الحق في ذلك أنها حرف إعلام ، وهي جواب

---

[1]انظر: صبح الأعشى ، 140/8.

[2] رسائل العميدي ص : 89 .

لسؤال مقدر ، ولم يذكر سيبويه أن نعم تأتي بمعنى الإعلام البتة ، وإنما قال : "وأمَّا نعم فعِدة وتصديق "، كأنه رأى أنه لو سأل أحد فقال : " هل قام زيد؟" فأجيب بنعم ، فإنها تكون في هذه الحالة لتصديق ما بعد الاستفهام ، لكن الأولى ما ذكرته من أنها للإعلام ، والدليل على ذلك أنه لا يصح أن تقول لقائل مثل ذلك : صدقت ؛ لأن الأسلوب إنشاء لا خبر [1]، وقد يتخلص بنعم كجواب لسؤال مقدر ، كذلك في استفتاح رسالته إلى الشريف القاضي أبي الحسن بن أبي طالب الزيدي يستزيره بمصر يقول : " سيدي الشريف القاضي – أدام الله نعمته وسعادته– نازلٌ من الشرف على شرفٍ لا يُنال مكانه ، ويقيم من المجد على طورٍ لا تتزعزع أركانه ، ومحلٍ من طهارة النسب بجلالٍ يَرفُلُ في حُليّه و حُلَلِه...أبقاه الله كيف يشاء وكما يختار ، ليقي الدين ببقائه معمور الجوانب ، و أحياه ليحيا الفضل بحياته منصور المواكب ، فإنه حجةٌ على النواصب ، وجمالٌ لآل بني طالب " ثم تخلص من هذا الاستفتاح بقوله : " نعم ، أنا أتحقق أنَّ سيدي الشريف القاضي – أدام الله نعمته– إذا عقد عقدًا قوّى عِنانه بالكُربِ (الفتل)...."[2] فكأن أحد سأله هل تتحقق أن السيد الشريف إذا عقد عقدًا قوّى عِنانه بالكرب؟ فأجاب عليه.

وفي استفتاح رسالته إلى بعض المستخدمين بالشام في الترتيب ، لمَّا انصرف من الخدمة ، يوضح له أسباب عزله يقول : " النعم –أدام الله عز سيدي– إذا لم تكن مربوطة بالشكر الدائم تبادرت إليها أيدي الارتجاع ، و إذا لم تكن محوطةً بالحمد اللازم هجمت عليها آفة الانقطاع .... لا أخلانا الله من التوفيق لشكر ما أنعم علينا باطنًا وظاهرًا ، والتقرب إلى طاعته رائحًا و باكرًا ، والعمل بما يرضيه جازعًا وصابرًا ، إنه خير موفق ومعين " ثم تخلص من هذا الاستفتاح بقوله : " ولمَّا علم أمير المؤمنين – سلام الله عليه– أنَّ عبده ضعيف القوة ، قصير الخطوة .... رأى – أعلى الله رأيه– أن يريح خاطره عن تعب الفكر.." [3] ، فمن الأساليب التي اتبعها الكتاب الفاطميون في ربطهم بين أجزاء الرسالة استعمال اللفظ " لمَّا" وذلك في مستهل أغلب الفقرات ؛ بغية الوقوف على الأسباب الدافعة لتولية أحدهم مهمة ما [4] ، ومن أوجه لمَّا اختصاصها بالفعل الماضي ،

---

[1]انظر: مغني اللبيب ، 2/ 398–399.

[2] انظر رسائل العميدي ص : 364 ، وانظر أيضًا ص : 167 ، 191 ، 207 ،230، 234 ، 255 ، 261 ، 350، 355، 389.

[3] انظر السابق : ص 136–137.

[4] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، النعيمات ، ص : 204.

فتعلق جملتين ، تحصل ثانيتهما عند حصول أولاهما ،كقولك : " لمّا جاءني أكرمته" ، ويقال فيها في هذه الحال حرف وجود لوجود ، ويرى بعضهم أنها : حرف وجوب لوجوب [1] ، فلما تحقق للخليفة ضعفه في تولي ديوان الترتيب توجب عليه عزله من منصبه.

وقد يتخلص من الاستفتاح بكان واسمها وخبرها كما جاء في استفتاح رسالته المعمَّاة إلى بعض أصدقائه بمصر يقول : " الطبع إذا لم يصقله يا سيدي – أدام الله عزك– انشراح الصدر ، ولم تسعده مساعدة الدهر ، صدئ وكَلَّ .... وما أقل إنصاف أهل زماننا لأولي الفضل ، وأكثر اعتسافهم في العماية والجهل ..نسأل الله أن يقِفَنا على منهج الحق ، ويوفقنا لقول الصدق ، ويحط عن كاهلنا موبقات الأوزار ، ويختم عمرنا بمصالح الآثار ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه " ثم تخلص من الاستفتاح بقوله : " كنت يا سيدي – أيدك الله– أهديت إليَّ تحفة أوّل حروفها مقرونٌ بالقرآن..." [2] .

وقد لا يأتي بالدعاء في استفتاح رسالته لمن يراسله لعدم ملائمة ذلك لمضمون الرسالة كأن تكون في ذم أو هجاء من يراسله وقد يختم استفتاحه بالدعاء لنفسه تعريضًا بمن يراسلة و إمعانًا في ذمه ، يقول في استفتاح رسالة في ذم الحسد يعرض فيها ببعض الرؤساء من الأشراف : " الحسد مذهبٌ لا يعتقده إلا من ضعف دينه ، ومركبٌ لا يعتقده إلا من سخف يقينه ، وطريقةٌ لا يركبها إلا من قلَّت ثقته بربه ، وخليقةٌ لا يقربها إلا من استولى الرَّين على قلبه....نسأل الله أن يطهر قلوبنا من درن الحسد ، ويغفر ذنوبنا الخافية عن أعين الرَّصد ، ويزيّننا في الدنيا بالزهادة ، التي هي سبب السعادة ، وفي الآخرة بالغفران الذي هو تمام الإحسان بكرمه ومجده " ثم تخلص منه بلفظ " أنا" والخبر ، يقول : " أنا يا سيدي – أدام الله بقاءك ، وكفاك شر من أحسنت إليه– أتعجب من جريك في مضمار الحرص إلى أقصى غايتك..." [3]

وفي استفتاح رسالته إلى بشير يعرض فيها بإنسان رئيس احتجب عنه ورده بوّابه و أذن لغيره من الكتاب وكأنه ولج في الموضوع مباشرة يقول : " الوقوف بأبواب الملوك فضلًا عن الأجلاف ، أمر من تجرع السُّمّ الزُّعاف ، والصبر على حجاب الأشراف ، فضلًا عن الأحلاف ، أصعب من الموت الجُزاف ، ومن لم تبلغه

---

[1] انظر : مغني اللبيب ، 1 / 309.

[2] رسائل العميدي ، ص: 263-264.

[3] السابق ، ص: 342-343.

مقاساة ذلٍّ وهوان ، فما هو بإنسان ، ومن لم يزعجه معاناة عيشٍ مرٍّ ، فما هو بحر ... ومن كان قصير باع الهمة ، كان مستحقرًا عند الأمّة، ومن كان صغير النفس قليل الاستنكاف ، كان غرضًا لسهام الاحتقار والاستخفاف." [1]

وقد يخلو استفتاح الرسالة بمثل هذه الصيغة من الجملة الاعتراضية بالدعاء للمرسل إليه لعظم الموضوع المتحدث عنه أو لكون الرسالة ديوانية مطلوب إرسالها إلى الأطراف ، كما فعل في كتابه المُعَنون بنسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيِّهم وطائيِّهم بشرح الحال إلى صديق له يقول : " الحمد لله المنعم على عباده مبديًا ومعيدًا ، والمبدع لهم في كل وقتٍ صنعًا جديدًا ، الذي لم تزل الألباب شاهدة بأنه القادر الذي لايلحقه عجز فيما يقدره ويقضيه ، والقاهر الذي لا يرهقه ضعف فيما يدبره ويمضيه ..... فصلى الله عليه صلاة دائمة قائمة ، نامية سامية ، لا انتهاء لمددها ، ولا انقضاء لمُددها ، وسلم عليه وعلى من هو من نبعته .... علي بن أبي طالب ، وعلى سلالته العِترة الطاهرة ، وثمرة الشجرة الناضرة ذريته ، الأئمة الأخيار ، الطاهرين الأبرار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرًا " ثم تخلص من هذا الاستفتاح ب: " أمَّا بعد ، فإن نعم الله – تعالى ذكره–على عباده و إن كانت متفاوتة الأقدار....فأعلاها قدرًا...نعمة أيدت الدين بعدما هَمَّ بنيانه بأن يتزعزع..." [2] فلعظم الحدث كأنه انشغل عن الدعاء للمراسله بالحدث الذي يتحدث عنه ، وهو انتصار الدولة الفاطمية على صالح بن مرادس الذي أعلن العصيان والتمرد و أَلَّب البلاد على الدولة الفاطمية ، فكانت الرسالة بمثابة تأريخ لهذه الواقعة ، ولهذا استعضاء عن الدعاء بالصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ، يقول القلقشندي : وحيث افتتحت مكاتبك بحمد لله كان التخلص منها إلى غرض الرسالة ب " أمَّا بعد" ، وربما يقع التخلص بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارة بالدعاء ، وتارة بالسلام ، وتارة بغير ذلك.[3]

وكذلك استغنى عن جملة الدعاء الاعتراضية لمراسله في استفتاح رسالته على هذه الصيغة ، عند مراسلته صديق أمرد له يعاتبه ويتعطفه يقول: " بعض هذا الجفاء يا مولاي يكفي ، وجزءٌ من هذا الإعراض يُجزي ،

---

[1] السابق ، ص 397. وانظر أيضًا ، ص: 93 ، 102 ، 200.
[2] السابق ، ص : 308–309 .
[3]انظر: صبح الأعشى ، 6/ 320.

وعلى قليل من صدودك تلهفٌ كثير ، وفي يسيرٍ من وعيدك إسراف وتبذير ... و إن شتمتني ففي أذني صمم ، وإن كلّمتني فما بجرحٍ إذا أرضاك ألم ، و إن أحببت الظلم فمرحبًا لأجلك بكل ظالمٍ ، و إن آثرت لومي فأهلًا وسهلاً بكل لائم " .[1] فكأنما استعاض بهذه المقدمة الاستعطافية عن الدعاء لمن يراسله ، و كما جاء في استفتاح رد جوابه على سَنيّ الدولة القاهرة يجيبه عمّا ألزمه به من التفضيل والتمييز بين كاتبين يقول : " الحق أحقُّ ما يتبع الإنسان طريقته ، والصدق أصدق ما يشيد به المرء مودته ، فما خسرت قط صفقة محق ، و إن أكسد له سوقًا ، ولا ربحت تجارة مبطل ؛ لأن الباطل كان زهوقًا.....ومن عند الله نسأل توفيقًا ينقذنا من الجهالة ، ويهدينا عن الضلالة ، ويعيننا على طاعته .. إنه خير موفق ومعين " ، ثم تخلص من هذا الاستفتاح إلى موضوع بالرسالة بظرف الزمان ، وحرف العطف الواو والجملة الفعلية على غير عادته يقول : " و منذ رجعت من عند سيدي الشريف سَني الدولة – أدام الله سلامته– وجرى في أمر القسي خطاب ، بل خَطب ، وعتابٌ بل عَتب .." [2].

(2) وقد يتركب المركب الإسنادي للجملة الاسمية من (ما) التعجبية وفعلها أو (ما) الموصولة وجملة صلتها وخبرها على النحو الآتي :

أ- المبتدأ (ما التعجبية) + الخبر (فعل التعجب) + النداء (يا سيدي)+ جملة اعتراضية الدعاء(لمن يراسله)+ المتعجب منه.

كما جاء في استفتاح رسالته في ذم أهل الزمان يعرض فيها بابن بنان الكاتب متعجبًا من تقلبه وتغيره عليه وقد ولج في موضوعه مباشرة يقول : " ما أسرع يا سيدي – أطال الله بقاءك ، وجعلني من الأسواء فداءك ، ووقاك النسيان في الإنسان– وما أكثر تلون إخواننا في هذا الزمان ..." [3] .

ب- المبتدأ (ما الموصولة) + جملة الصلة + الدعاء بجملة اعتراضية (لمن يراسله) + الخبر جملة.

---

[1] رسائل العميدي ، ص : 105.

[2] السابق ، ص : 152 .

[3] السابق ، ص: 174.

كما جاء في استفتاح رسالته إلى صديقه معقل بن جيهند يبشره بما أُمِر له من إطلاق جاريه (راتبه)، وقد ولج في الموضوع مباشرة يقول : " ما أبشر به الشيخ – أدام الله عزه – ما تجدد لي من جميل رأي الوزير الأجل – أدام الله سعود أيامه– وتوفر عليّ من جزيل إنعامه .." [1]

(3)خبر شبه جملة مقدم(جار ومجرور)متعلق بمحذوف تقديره موجود+ جملة اعتراضية بالدعاء+ مبتدأ مؤخر+ جمل متوازنة مسجوعة + قد يأتي بالدعاء في آخر هذه الصيغة.

كما جاء في استفتاح رسالة معمّاة إلى صديقه أبي سعيد عمار بن هارون يقول : " لاستخراج المعميات ، يا سيدي – أدام الله لي بقاءك– خواطرٌ ذكية لا تخبو نيرانها ، وسرائرٌ نقية لا تكبو فرسانها .... ونحن نسأل الله الهداية والكفاية إنه خيرُ مسئول" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بفعل الأمر إلى مضمون الرسالة وهي كتابة اللغز لصديقه كي يحله يقول: " ابْنِ لي – أعزك الله– ما مملوكة صورتها صورة المرأة الحسناء..." [2] ، وفعل الأمر دال على الاستقبال فلا يكون الأمر أبدًا بفعل شيءٍ إلَّا على جهة الاستقبال والحال لا الماضي ؛ لأن هذا محال ، فزمن فعل الأمر هو الاستقبال وذلك باعتبار الحدث المأمور به ، وأمَّا القول بتجريدها من دلالتها على الزمن كما ادعي ذلك بعض النحاة المحدثين ، فهو قول لا يتفق وأسلوب العربية في التعبير. [3]

(4) كان (وقد تسبق بحرف قد للتحقيق) + اسمها +جملة اعتراضية بالدعاء(لمن يراسله)+ خبرها جملة فعلية + جمل مسجوعة متتابعة.

ذهب أغلب النحاة إلى أنَّ (كان) تخلو من عنصر الحدث وأنها تجردت للزمن فقط ، وكان –كما هو معلوم– فعلٌ ماضٍ ناقص ، ومع ذلك فهي لا تختص بالماضي فقط ، بل قد تأتي لغيره ، و أبرز معانيها التي تدل عليها هي الماضي المنقطع –وهو الغالب عليها– كقولك : كان عمر عادلًا ، فإذا جاء خبرها فعلًا ماضيًا ، دل ذلك على أن هذا الأمر قد حصل مرة واحدة ، فثمة فرق ما بين قولك : كان محمدٌ كاتبًا ، وقولك

---

[1] السابق ، ص: 214.

[2] انظر السابق ، ص : 305–306 ، وانظر أيضًا استفتاح رسالته التسعين في هجاء إنسان ساقط من الملقبين بالإمارة يدعي معرفته علومًا كثيرًا وهو لا يحسن منها شيئًا وقد ولج في الموضوع مباشرة، ص: 414–415.

[3] الزمن في القرآن الكريم –دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه –، د.بكري عبد الكريم ، دار الفجر ، القاهرة–مصر ، ط2 ، 1999م ، ص 126.

: كان محمد كتب في هذا الأمر ، فأولهما تفيد الوصف الدائم ، والجملة الثانية تفيد أنه قام بالفعل مرة واحدة فقط [1] ، مثلما جاء في استفتاح رسالته إلى صديقه ابن عبد الرزاق الكاتب في المداعبة والتعريض بإبراهيم الحداد ، وقد ولج مباشرة في الموضوع ، يقول : " قد كانت الموافقة –أدام الله عز سيدي – استقرت بيننا على استدعاء فلان المغنّي إلى منزلنا بالقرافة للاجتماع فيه على الجملة التي شرحها، والصورة التي اقترحها ، واجتماع الجماعة بعد هذه الجمعة يتعذر إلى أن يمر شهر رمضان وينقضي ، ويقضي الله من نظام الحال والألفة ما يقضي" .[2] فالموافقة انعقدت هذه المرة فكانت هذه المقامة الأدبية البديعة ، لذلك ناسب قوله استقرت وليس مستقرة ؛ لمناسبتها ظروف حكي القصة فتكون هذه الموافقة التي استقرت وقعت مرة واحدة و هي الخاصة بهذه الرسالة فقط دون غيرها ، وليس مستقرة من قبل ومعها.

(5) إنَّ أو إحدى أخواتها + اسم إنَّ أو اسم إحدى أخواتها (وقد يتأخر)+ قد يأتي نداء لمن يخاطبه + جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) + الخبر جملة أو شبه جملة (وقد يتقدم) +جمل مسجوعة + قد يأتي الدعاء.

يقول في استفتاح رسالته إلى أبي الفتح الهروي يتضمن تعنيفًا واستخفافًا به ، وقد ولج في هجائه مباشرة بلا تقدمة : " لعلك يا فلان – أرشدك الله إلى الخير– تحققت أنَّ في هذا الوقت للدَّخمسة سوقًا تروج بضاعتك فيها وتَنفُق ، وتبتاع سلعتك التي تتاجر بها وتُنفِق ، فامتريت من الوقاحة درَّ أخلافها ، و جمعتها على صنوف اختلافها ، وملكتها بأجناسها و أوصافها ...فبئس الرأي الذي رأيت ، وبإبليس في هذا الباب اقتديت. " [3]

و في استفتاحه لرسالته إلى صديق له بالشام يطالعه بما أنعم عليه أمير المؤمنين يقول: " إن من حكم ما شرفني به أمير المؤمنين –سلام الله عليه– من إنعامه الذي أشرق الأمصار أكبره ، وسار في الأقطار ذكره وخبره ... إشادةً بذكر إحسانه ، ودلالةً في علو قدره وشانه ، واستعانةً بمن يجمعني و إياه ظلُّها الظليل ، وعزُّها المستطيل ، على التحدث بمواجب النعمة ، والتهالك في لوازم الخدمة ، واستدامةً لموادِّ النّعمة ، والارتهان بما يؤذن بالسعادة في العُقبى ، ومن عند الله المعونة ، وبيده التوفيق والسداد." ، ثم تخلص من هذا الاستفتاح

---

[1]انظر : معاني النحو ، لفاضل السامرائي ، دار الفكر ، الأردن ، ط 1 ، 2000م ، 1/ 209-211.

[2] رسائل العميدي ، ص 119. ، و انظر أيضًا ص: 266 ، 368.

[3] السابق، ص: 346 .

بلفظ " لمَّا" التي تسبق تعليل الأحكام و الأعطيات والمنح عند الفاطميين كما أشرت من قبل ، يقول : " ولمَّا نظر أمير المؤمنين –سلام الله عليه– بعين الرضا إلى عبده ، وجرده بعد الاختيار والاختبار من غمده...كانت رغبتي في اجتلاب مودة سيدي –أدام الله عزه– " [1] ، ففي هذا الاستفتاح تأكيد على وجوبٍ ألزم العميدي به نفسه وهو أن يحفظ الجميل لسيده الذي أغدق عليه بالعطاء والمنن معتمدًا على التوكيد الذي تضفيه إنّ الناسخة عند دخولها على الجمل ، قال ابن هشام : إنَّ المكسورة تأتي على وجهين : أولاهما أن تكون حرف توكيد فتنصب الاسم بعدها وترفع الخبر ، وقد تنصبهما معًا في لغة كقوله :

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن .... خطاك خفافًا إنَّ حراسنا أُسْدًا [الطويل]

وثانيهما أن تكون حرف جوابٍ أي تكون بمعنى نعم ، خلافًا لرأي أبي عبيدة. [2]

وهذه الرسائل المبدوءة بالصيغة الثالثة ، كَثُر فيها الاستفتاح بالحِكَم أو بما يجري مجرى الحكم ، وقد ساعدها في ذلك الاعتماد على المركب الإسنادي للجملة الاسمية بما يضفيه من إفادة التحقق والثبوت ، حيث تدل الجملة التي مسندها اسم على الثبوت ، والجملة التي مسندها فعل على الحدوث[3] ، وقد وجاء ذلك في ثماني رسائل ، وقد غلب على استخدام هذه الصيغة توظيفها في رسائل العتاب والهجاء و استماحة الحوائج ، وأكثر رسائل المعميات ، ومن شواهد استفتاحه بما يجري مجرى الحكمة بالاعتماد على المركب الإسنادي للجملة الاسمية ما جاء في استفتاح رسالته إلى بعض المستخدمين في ديوان الترتيب بالشام يعلمه أسباب عزله من وظيفته يقول : " النعم – أدام الله عزَّ سيدي – إذا لم تكن مربوطة بالشكر الدائم تبادرت إليها أيدي الارتجاع ، وإذا لم تكن محوطة بالحمد اللازم هجمت عليها آفة الانقطاع ، والشكر مُعينٌ قويٌّ على استزادة النعم واستدامتها ، وأمين على استقامتها..." [4] ، و أيضًا ما جاء في استفتاح رسالته المعمَّاة إلى أحد أصدقائه بمصر يقول : " الطبع إذا لم يصقله يا سيدي – أدام الله عزك– انشراح الصدر ، ولم تسعده مساعدة الدهر، صدئ وكلَّ ، والكاتب إذا تعاطى ما ليس في قدرته ، حاد عن الطريق وضل ، ومن عرف قدر نفسه ، لم يتطاول

---

[1] انظر السابق، ص : 141-142.

[2] انظر: مغني اللبيب ، 1 /46-47.

[3] انظر : معاني النحو ، لفاضل السامرائي ، 1/ 16.

[4] رسائل العميدي ، ص: 136 .

على أبناء جنسه ، ومن تأمَّل صورة حاله ، لم يخطر الكبر بباله ، ومن لم يقف في صناعته عند مقداره ، لم يأمن الفضيحة عند اختباره...."[1].

2-1-1-1- الاستفتاح بالجملة الفعلية :

وقد جاء هذا الاستفتاح على عدة صيغ منها ما وافق سنن الأولين في الكتابة ومنها ما لا ينضبط على قاعدة ، ولا يسعه حصر وقد جاء الاستفتاح بالجملة الفعلية على ثلاث صيغ:

الصيغة الأولى : البدء بأفعال ماضية محددة متصلة بتاء الفاعل :

كالاستفتاح بلفظ كتبت وهي صيغة رسمية من صيغ استفتاح الكتابة في دواوين الإنشاء ، يقول القلقشندي : الأسلوب الرابع من أساليب استفتاح الرسائل الإخوانية : افتتاح الكتاب بلفظ كتبت ، وشاهده ما كتبه الصابي إلى صاحب الجيش في تعزية له يقول : كتبت –أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجيش– والعين عبرى ، والكبد حرى ، والصبر مسلوب ، والعزاء مغلوب بالفجيعة في سيدي فلان نضر الله وجهه...[2] ، وقد استُفتِحت رسالتين بهذه اللفظة إحداهما إخوانية والثانية ديوانية ،و الإخوانية في تعزية أيضًا يعزي فيها في وفاة الشريف القاضي الرَّضي يقول : " كتبت– أطال الله بقاء مولاي الشريف السيد – وبناني لا تجري ، ولساني لا يُملي ، وخاطري متبلد متهيب ، وقلبي على جمر الغضا متقلب ، إكبارًا لما نُعي إليّ من موت الشريف السيد الأوحد، تغمده الله بغفرانه.." [3]، وقد تخلص من لفظ " كتبت" بواو الحال وجملة الحال الاسمية بعده.

أما الرسالة الديوانية فقد كتبها إلى ابن مسلمة يذكره بركوب أمير المؤمنين من القاهرة إلى بنها و يأمره بإذاعة سلامة رجوع أمير المؤمنين إلى قصره بين العامة ، وهو يحرص على ضبط تاريخ الرسالة في المقدمة ، يقول : " كتبت هذه الرقعة غداة يوم الجمعة ، الجامعة لشمل الدولة المؤذنة بالسعادة المتصلة بذكر ما تجدد أمس يوم الخميس ، وهو أسعد يومٍ أسفر عنه صباح ولاحت على وجهه غررٌ و أوضاح ، من النعمة بركوب

---

[1] السابق ، ص: 263 ، وانظر أيضًا ص: ،200، 207 ،234، 342 ، 350 ، 397.

[2] انظر : صبح الأعشى ، 8/ 141–142.

[3] رسائل العميدي ، ص: 429.

أمير المؤمنين في صبيحته من قصر الخلافة إلى مصر على الطريق الشارع لابسًا من ملابس العزِّ أفخره و أعلاه..." وقد تخلص من لفظ الاستفتاح بالجار والمجرور في قوله " بذكر ما تجدد" [1]

كذلك الاستفتاح بلفظ ركبت فجاءت الصيغة على النحو الآتي :

ركبت + جملة اعتراضية بالدعاء للمرسل إليه + مبكرًا/ مبتكرًا + على أن ألتقي بسيدي / أقصد حضرته + فأتبرك بها / أتشرف بها + ثم يتخلص من لفظ الاستفتاح بحرف العطف + جملة اسمية/ فعلية.

كما جاء في استفتاح رسالته الثانية إلى الوزير أبي الفرج القشوري بدمشق يذكر له فيها ما ما تكبده من المشاق في رحلته إليه، يقول : " ركبت – أدام الله تعالى بقاء الشيخ ، وأدام الله أيامه ، وأسبغ عليه إنعامه – مبكرًا على أني أقصد حضرته ، فأتشرف بها ، وأستوفي أقسام السعادة بقربها " ثم تخلص من الاستفتاح بقوله :" فوجدت الهوى أبرد من مزاج الثقيل..." [2] ، أما رسالته الثانية المفتتحة بهذه الصيغة فهي إلى الشريف أبي الحسن بن أبي طالب الزيدي يستزيره ، يقول في استفتاحها : " ركبت مبتكرًا يومي هذا على أن ألتقي بسيدي الشريف – أدام الله سعادته – فأتبرك بلقائه ، و أزوره في داره التي عمرها الله بطول بقائه ، ثم نسير معًا على الموافقة التي استقرت بيننا إلى القرافة" ، ثم تخلص من الاستفتاح بقوله : " وهو يعلم أن القرافة محل الرأفة ، والحرم من الآفة والمخافة...". [3]

الصيغة الثانية : البدء بأفعال ماضية محددة متصلة بتاء التأنيث أو غير متصلة بها (وهي خاصة باستفتاحات رسائل رد الجواب) (وهي على نمطين) :

(1) لفظ وصلتْ + المفعول به (رقعة فلان) + جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) + جمل حاليّة تبدأ بلفظ (مشتملة) + الدعاء.

كما جاء في استفتاح رسالته المعنونة ب " وله رقعة إلى الشريف أبي طالب ابن بنت الزَّيدي جوابًا عن رقعته" يقول : وصلت رقعة الشريف الأديب – أطال الله مدته ، وأدام سعادته ، وحرس من نوائب الدهر مهجته

---

[1] السابق ، ص: 117.

[2] السابق ، ص: 13.

[3] السابق ، ص: 336.

– مشتملة على ما تفضل به من ركوبه إلى دار فلانٍ نسيبي ، وناطقةً بما ذكره من إيصاله رقعتي من يده إلى يده ، أعطاه الله كتابه بشماله ،و لقَّاه عاجلًا و آجلًا سيئات أعماله. " [1] ثم تخلص منها بالواو العاطفة والجملة الفعلية المُصَدّرة بلفظ " فهمت" يقول : " وفهمت ما وعد به ، وتيقنت أنه أكذب من عرقوبٍ ميعادًا ، وأسوأ من إبليس في الأخبار اعتقادًا ، لا ينفعني عنده الرقاع والكتب ، ولا يرفعني لديه العلم والأدب " [2]

يقول القلقشندي في المهيع الثاني في الأجوبة على المكاتبات وهي على ضربين ،أمّا الضرب الثاني منهما : فهو أن يفتتح الجواب بلفظ وصل أو وَرَد ونحوهما ، وشاهده ما كتبه الصابي على لسان الوزير ابن سعدان وذلك في جواب كتاب ورد عليه ، يقول : "وصل كتابك – أطال الله بقاءك– و فهمته ، وأدى فلان ما تحمله عنك ووعيته..."[3]

وقد ترد الصيغة السابقة، ولكن يستخدم النداء فيها قبل جملة الدعاء الاعتراضية فتأتي على النحو الآتي:

لفظ وصلتْ +المفعول به (رقعتك) + المنادى (أيّ)+ جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) .

كما جاء في استفتاح رسالته المعنونة ب " وله جواب رقعةٍ وردت عليه من إنسان أن يضرب بينه وبين صديقٍ له " يقول : " وصلت رقعتك أيها الشيخ – حرس الله مدتك ، وجعل الرشاد والسداد في كل ما تأتيه و تذره عمدتك وعدتك–..." ثم تخلص منه بما النافية و الجملة الفعلية يقول : " ما دعوتك شيخًا لكبر سنك ، ولا لاستحضار ذهنك ، ولا لفرط مواد تجربتك ... بل شيختك حفظًا لنظام الخطاب ، واقتداءً بمذاهب الكتاب ، واتباعًا لسنتهم في المسامحة بالألقاب..." [4]

---

[1] السابق ، ص: 148.

[2] السابق ، ص 148 ، وانظر أيضًا ص : 426.

[3] انظر : صبح الأعشى ، 8 / 145.

[4] رسائل العميدي ، ص 379.

(2) لفظ (ورد) + الفاعل (كتاب فلان) + جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله).

كما جاء في استفتاح رسالته إلى بعض أصدقائه جوابًا على رسالته إليه وقد شكا إليه غلامًا استعصى عليه في بغداد وفارقه عنادًا وكيادًا يقول : " ورد كتاب مولاي وسيدي – أطال الله بقاءه وأدام سعادته–فضمنته إلى صدري ، وأعددته أمانًا من خطوب دهري....." [1]وهنا تخلص العميدي من هذا الاستفتاح بالفاء العاطفة ولفظ (ضممته).

الصيغة الثالثة: البدء بأفعال ماضية أو مضارعة مختلفة لا تنحصر في أفعال بعينها وقد جاءت على ستة أنماط :

النمط الأول :

أفعال ماضية متصلة بتاء الفاعل + المفعول به + جملة اعتراضية بالدعاء (وقد لا تأتي)+ جمل مسجوعة متتابعة + الدعاء.

كما في استفتاح رسالته المعمّاة إلى صديق له من الأشراف بمصر يقول : " رأيت فلانًا – أدام الله عزه– لما سمع المعمّاة التي قصرت عن فهمها الأفكار والخواطر ، وعميت دون استخراجها الأبصار والبصائر ، اهتز لها طربًا ، وقضى منها عجبًا ...ولولا أن الله –سبحانه– بحكمته يرزق الأنعام كما يرزق الأنام ... لهلك أكثر من يتحلّى بما ليس فيه سَغَبًا، ولمضى على وجهه في الأرض هربًا ، ولكن الأمر بيد الله ينعم على كل مصيب ومصاب ، ويرزق من يشاء بغير حساب." ، ثم تخلص من هذا الاستفتاح بحرف التحقيق(قد) وكان واسمها وخبرها ، يقول: " قد كان سيدي – أدام الله عزه– أحب أن أُهدي إليه الطائر الأصفر...." .[2]

---

[1] السابق، ص: 83.

[2] السابق ، ص121–122 ، وانظر أيضًا ص : 111، 424 ، وقد ولج فيهما في الموضوع مباشرة ، فالأولى أشبه بمذكرات له وتسمى رسالة التوبة ، والثانية رسالة اعتذار للوزير– ولم يصرح باسمه– لعدم تمكنه من عيادته في علته ، وقد ولج في الاعتذار مباشرة.

النمط الثاني :

أفعال ماضية متصلة بياء المتكلم + قد يأتي النداء لمن يخاطبه + الفاعل + قد تأتي جملة اعتراضية بالدعاء لمن يراسله.

كما جاء في استفتاح رسالته إلى صديق له يصف له فيها دعوة له لأحد من الكُتّاب الآخرين له يقول : " دعاني يا سيدي – أطال الله بقاءك – فلانٌ إلى منزله –لا أخلى الله من الفَناء فِناءه ، ولا حمى من الأسواء قضاءه ، ولا أراني الله أبدًا لقاءه ، ولا أماط نحسه وشقاءه –" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بقوله : " وكانت دعوته دعوة على كل من حضرها وشهدها، وشقوة على جميع من أبصرها وشاهدها.." [1]

وفي استفتاح رسالته إلى بعض أصدقائه من الأشراف في المداعبة يقول : " فارقني الشيخ – أيده الله– و إن كانت وحشتي لفراقه غير بارحة ، وباعدني فجرح ببعاده كل جارحة ...لا زال من النعمة في أخصب جناب و أرحبه ، ومن السعادة في أطيب عيش و أعذبه... بمنه وعونه" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالمركب الإسنادي للجملة الاسمية يقول : " الشريف الظريف – أيده الله– لا زال يذكر من أوصاف الطعام ما يبعث به كل شهوة خامدة.." [2] .

و كما جاء في استفتاح رسالة في رد الجواب وعنوانها " رسالة إلى صديقٍ له جوابًا عن مسائل سُئل عنها يعرض فيها بإنسان متكاتب " يقول : " سألتني يا سيدي – أدام الله عزك– عن اللفظ والمعنى في الكتابة أيهما يحفظ للكاتب البليغ حده ، ويصرف إلى تهذيبه جده ؟.... وفهمت جميع ما سألت عنه" ثم جاء التخلص بحرف الشرط والتفصيل أمَّا وجوابها يقول : " أمَّا الألفاظ التي تختلف يا سيدي – أدام الله ليّ بقاءك– ومعناها فكالسيف ، والأسد ، والحجر، والخمر ، وأسماء الدواهي... " .[3]

---

[1] السابق ، ص: 405 ، وانظر أيضًا ص: 410، وقد ولج في الموضوع مباشرة ، وهي رسالة في الهجاء فناسب الدخول في الموضوع مباشرة.

[2] السابق ، ص: 301-302.

[3] السابق ، ص: 400.

النمط الثالث:

فعل ماضٍ / مضارع متصل بكاف الخطاب + النداء لمن يراسله (ياسيدي / يا غرُّ)+ قد تأتي جملة اعتراضية بالدعاء لمن يراسله.

كما جاء في استفتاح رسالته المعمّاة إلى صديقه أبي الحسن المدبِّر يقول: " أراك يا سيدي –أدام الله عزَّك– مُغرًى باستخراج المُعَمَّيات والألغاز ، مدعيًّا في استنباط غوامضها ضروبًا من الإعجاز ، والأمر على خلاف ما يجول في ضميرك ، وبضدِّ ما في تقديرك..." ، وقد تخلص منه إلى نص المعمّاة بجملة الشرط يقول " فإن كان لك ذكاءٌ فقل لي : ما هنةٌ تشبه الأفراح....." [1]

النمط الرابع :

قد (للتحقيق) + الفعل الماضي + الفاعل + جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) + من كذا / في كذا+ جمل مسجوعة + الدعاء.

كما جاء في استفتاح رسالته إلى عميد الدولة حسن بن صالح في الاقتضاء إلى لقائه وقد ولج في الموضوع مباشرةً ، يقول : " قد تفضل الشيخ عميد الدولة – أدام الله فضله ولا أزال حناظله –فيما تحشمه وتلطف فيه من الإذكار بحديث الجاري ، وجرى على كريم عادته في إعادته بعد انقطاع مدته...و أخلصت رغبتي إلى الله في أن يمده بالمعونة على ما يتولاه ، ويعضده بالكفاية فيما يتحراه ، ويبلغه الإرداة فيما يتمناه ، ويؤيده بالسعادة في أُولاه و أُخراه ، بلطفه وكرمه."[2] ، وفي استفتاح رسالته إلى المستخدم بالرماية في تهنئته يقول : " قد علم سيدي ،بما تكفل الله من نصرة الدولة و إعلاء رايتها ، وإسعاد المتحلين بشعار دعوتها؛ لأنها تولي الأولياء سبق العز و الإظفار ، مع الغلبة و الإظهار ؛ حيثما ساروا في أرضه ....وإليه الرغبة في أن يوزعني شكر نعمته ، ويزلفني بما انتهي فيه إلى غاية رضاه ومسرته بمنه وقدرته " ثم تخلص من هذا الاستفتاح الطويل

---

[1] السابق ص : 378 ، وانظر أيضًا ص : 420 ، وهي رسالة فُقِد عنوانها وقد ولج في موضوعه مباشرة وهي في الغلاميات.

[2] السابق ، ص : 357 .

بلفظ " لمَّا" والرسالة في تهنئة شخص ما لتولّيه وظيفة الرماية ، يقول : " ولمَّا سهل الله أمر كذا ، وتنسمت من أخبار سيدي – أيده الله– واستقامة أموره ما تعجلت به نشاطًا....تقدَّمت بالمراسلة والمكاتبة..." [1]

النمط الخامس :

حرف نفي (ما / لا) + فعل ماضٍ / مضارع + قد ترد جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) + الفاعل.

كما في استفتاح رسالته السادسة والثلاثين إلى الوزير أبي الفرج القشوري يعاتبه ، وقد ولج في العتاب مباشرة يقول : " لا يحسن – أطال الله بقاء سيدي – بالعاقل أن يطلب قاعة غيره ، وقاعة نفسه عليه ممتنعة ، أو يستمد مودّة سواه وموادُّ مودّتِه عنه منقطعة..." [2]

النمط السادس :

حرف نهي + فعل مضارع لفعل ينصب مفعولين+ المفعول به أول (ياء المتكلم) + الفاعل + جملة اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله) + المفعول به الثاني.

كما جاء في استفتاح رد جوابه إلى صديقه ابن اللّحّام في اعتذار له يقول : " لا يحسبني الأمير الموفق – أدام الله توفيقه– غافلًا ، وقد أصبحت باقلًا ، ولا يقدرني ذكيًّا ، وقد بلغت من الكبر عِتيًا..." ثم تخلص منه بلفظ " وردت" والجملة الفعلية، يقول : " وردت عليَّ رقعته – أدام الله رفعته – يلتمس فيها إصدار كتابه إلى فلان ، وكنت مشتغل القلب بشيء سمعته..." [3].

وتدور هذه الرسائل في فلك (العتاب – الهجاء– الاعتذار– ما أشبه بالمذكرات– المعميّات–الوصف– التهنئة –الغلاميات – جواب طلب).

---

[1] السابق ، ص : 387 –388.

[2] السابق ص : 170 ، وانظر أيضًا ص: 432 ، وهي أشبه أيضًا بمذكرات دون فيها حزنه وتحسره على جميل ما مضى من أيام عمره أثناء إقبال الدولة عليه.

[3] السابق ، ص 326.

3-1-1-1- (الاستفتاح بجملة النداء):

يقول القلقشندي في غضون حديثه عن الأسلوب الخامس من أساليب استفتاح الرسائل الإخوانية : افتتاح الكتاب بالخطاب ، وشاهده الرسالة التي أرسلها صاحب ديوان الإنشاء زمن المسترشد إلى وزير دمشق بعد تحقق هلاك زنكي بن اقسنقر ، و قد صدرها بقوله : " أيها السيد الرئيس المحامي عن سربه ، والذي قصر إلا في المعالي، رب ناءٍ بجسمه ، وهو دانٍ بقلبه..." [1]

وقد جاءت الاستفتاح بجملة النداء عند العميدي على نمطين :

النمط الأول : (استخدام حرف النداء يا) على النحو الآتي :

يا من يفعل كذا / يا سيدي ومولاي + قد ترد جمل اعتراضية بالدعاء (لمن يراسله).

وهي صياغة خاصة باستفتاح ثلاث رسائل أرسلهن إلى أصدقائه إحداهن رسالة أدبية ، وحرف النداء (يا) عند ابن هشام [-761هـ] هو حرف موضوع لنداء البعيد سواء أكان حقيقةً أم حكمًا ، وقد يُنادى بها القريب على سبيل التوكيد ، وقيل بل هي مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل أيضا بينهما وبين المتوسط ، وهي أكثر حروف النداء استعمالًا ؛ ولهذا السبب لا يُقدّر عند الحذف سواها كما جاء في قوله – تعالى-" يوسف أعرض عن هذا "[يوسف /29] ولا يُنادى اسم المستغاث ولا اسم الله -عزوجل- ،ولا أيتها و أيها ، إلا بها ، ولا المندوب إلا بواو أو بها [2] ، وقد وظفها العميدي في استفتاح رسالته الأولى المسماة بالمطبخية إلى بعض أصدقائه يقول : " يا سيدي ومولاي – أطال الله بقاءك ، وأدام نعمك ، وأحسن عن حسن عقيدتك في المودة جزاءك -" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالجملة الفعلية :" تُراك تتعجب كثيرًا من قعودي في البيت وحدي، واشتغالي بقراءة الدفاتر التي عندي ..." [3] وقد جاءت هذه الصيغة أيضًا ، في استفتاح رسالة هي محلول قصيدة لأبي تمام اقترحها عليه بعض الرؤساء حلّها في مجلسه ، ولم اهتدِ إلى هذه القصيدة ، وقد ولج في حلها مباشرة ، يقول : " يا من يواصل في سيره بين إيجافٍ وإهراع، ويسارع في طريقه بين إرتاعٍ و إمتاع ،

---

[1] انظر : صبح الأعشى ، 142/8.

[2] انظر : مغني اللبيب ، لابن هشام ، 429/2.

[3] رسائل العميدي ، ص 5 ، وانظر أيضًا ص : 362 .

ويطوي الفلا إذا قام عنها الدليل....." [1] ، وقد جاء النداء فيها على وجه المجاز ، جاء في حاشية الخضري : النداء اصطلاحًا : طلب الإقبال –أي مطلق الإجابة– بيا أو بإحدى أخواتها ، وفي حاشية الصبّان جاء في تعريف النداء: هو طلب الإقبال الحقيقي أو المجازي بحرفٍ ناب مناب الفعل أدعو ، سواء أكان ملفوظًا به أم مُقدرًا ، كما في نحو قولك : يا أله ، ولا يَرِد مثل يا زيد لا تقبل ؛ و العلة في ذلك أن (يا) إنما هي لطلب الإقبال لسماع النهي ، والنهي إنما يكون عن الإقبال بعد التوجه [2] ، وفي استفتاح رسالته المعمَّاة إلى بعض أولاد الرؤساء بمصر يقول : " يا سيدي – أدام الله عزك– المحنة في هذه البلدة قد لازمتني ملازمة الغريم ، والهمة قادتني إلى لُجَة الهموم ، والصبر على مثل هذه الحالة التي أنا عليها صعب ، وخطاب من لايفهم خَطب ، وقد حضرني اليوم صديق ...." ثم تخلص من هذا الاستفتاح إلى مضمون الرسالة وهو اللغز بالخبر شبه الجملة المقدم والمبتدأ المؤخر يقول: " وله في الجزيرة بيتٌ له عيونٌ نُجل، وجيوبٌ فُتل..." [3]

النمط الثاني : (استخدام حرف النداء أيُّ متصل بهاء التنبيه) على النحو الآتي:

المنادى (أيُّها) + النعت / البدل + قد ترد جمل بالدعاء لمن يراسله ، وقد يرد بيت شعر.

وهي صياغة خصصها العميدي لرسالتين في الذم والهجاء ، كما جاء في استفتاح رسالته في ذم محسن بن بدروس وكان على بيت المال لما بلغه أنه ذكره بالحضرة بالقبيح ، يقول : " أيها الشيخ ، أعانك الله على الطاعة والتقوى ، وجزاك عن نيتك الجزاء الأوفى ، وهداك إلى سبيل الخير والهدى.

وهذا دعاءٌ لو سكتُّ كُفيتُه .... لأني سألت الله فيك ، وقد فعل [الطويل]" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بحرف التحقيق قد والجملة الفعلية يقول : " قد تعجبت –يعلم الله– من فرط دهائك

---

[1] السابق ، ص : 395.

[2] انظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، للشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخضري [–1287هـ] ، دار الفكر ، بيروت–لبنان ، ط 1 ، 2003م ، ص: 642. ، و حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، لأبي العرفان محمد بن عليّ الصبّان [–1206هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1997 ، 3/ 197 .

[3] رسائل العميدي ، ص: 66.

، ونكرك واستهزائك ومكرك و اهتدائك ، من التقريب إلى ضروب لو عاش معاوية بن حرب لما اهتدى إلى بعضها....." [1] .

4-1-1-1- الاستفتاح بجملة الشرط :

وقد جاء هذا الضرب على نمطين (باستخدام حرفي الشرط لو و أمّا) :

النمط الأول:

لو الشرطية + فعل الشرط (فعلٍ ماضٍ) +جملة اعتراضة بالدعاء (لمن يراسله) + جواب الشرط مقترنًا باللام.

جاء في النحو الوافي أن لو الشرطية الامتناعية لها معنيان مجتمعان : أولاهما إفادتها الشرطية ، و ثانيهما أنَّ تلك الشرطية لم تتحقق في الزمن الماضي لامتناع وقوعها فيه ، فإفادتها الشرطية تستوجب تعليق شيء على آخر ؛ وهذا التعليق يستوجب- قطعًا – أن يقع بعدها جملتان ، بينهما ترابط واتصال معنوي ؛ يغلب أن تكون الجملة الأولى هي السببية ، و الثانية هي " المسببية" ، مثل لو تعلم الجاهل لتجنب الوقوع في الخطأ ، لكنه لم يتعلم ، و أمّا إفادتها امتناع وقوع المعني الشرطي في الزمن الماضي فتستلزم أن شرطها لم يقع فيما مضى من الزمن قبل الكلام ، فهي تفيد الجزم بأن معناه لم يَحصُل [2] ، ولإفادتها الشرطية بالزمن الماضي وغيره فارقت إنْ أم الباب؛ لأنّ إن إنما تكون لعقد السببية و المسببية فيما يستقبل من الزمن ؛ ولهذا السبب قالوا : إن الشرط بإن سابق على الشرط بلو ؛ والعلة في ذلك أن الزمن المستقبل في الأصل سابقٌ على الزمن الماضي ، ألا ترى أنك تقول : " إن قابلتك غدًا أكرمتك " ، فإذا انقضى الغد ولم تقابله قلت: " لو قابلتني أمس لأكرمتك" [3] ، و يقول العميدي في استفتاح رسالته لعميد الدولة في المعاتبة والاقتضاء وقد ولج في الموضوع مباشرة : " لو كان العيب – أدام الله عزَّ عميد الدولة – في دوام عطلتي وعزلتي ، وامتداد أيام بطالتي ، وانثلام حالتي لا رمّاء غير متعدٍّ وِعارَها ، وقْصاء غير متخطٍّ منارها ، لاحتملت ملام الغائب ،

---

[1] السابق، ص: 374 ، وانظر أيضًا ، ص : 198 .

[2] انظر : النحو الوافي ، عباس حسن [-1398هـ]، دار المعارف ، القاهرة –مصر ، ط 15 ، د.ت ، 4 / 491.

[3] انظر : مغني اللبيب ، 1/ 284.

ولقبلت كلام العائب"[1] ، فالعيب في صناعته غير موجود لبراعته وحذقه ، فكيف يكون الإبعاد والإقصاء جزاءه ، ولامتناع شرطها استخدم " لو".

النمط الثاني :

أمّا بعد + (التخلص من لفظة الاستفتاح بإنَّ و اسمهما و خبرها + جملة الشرط).

يقول القلقشندي في أثناء حديثه عن الأسلوب الثالث من أساليب استفتاح الرسائل الديوانية : الافتتاح بلفظ أمَّا بعد ، و هو ما عليه وردت بعض المكاتبات الصادرة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعن الخلفاء الراشدين من بعده ، ويقول : اعلم أنَّ " أمَّا بعد " تستخدم في صدور الولايات و المكاتبات ، وربما استخدمت في ابتدائها ، وهي مركبة من لفظين اثنين أحدهما " أمَّا" والثاني بعد ، "فأمَّا هي حرف شرط ، وبعد هو ظرف زمان يبنى على الضم إذا أُفرد، كما جاء في قوله –تعالى – : " لله الأمر من قبل ومن بعدُ " [الروم :4] ، وتقع أمّا في العربية لتوكيد الخبر والفاء لها لازمة لتصل بها ما بعدها بما قبلها ، قال ابن حاجب النعمان: وإذا جاءت أمّا بعد ، بعد البسملة فيكون معناها أمّا بعد قولنا : " بسم الله الرحمن الرحيم " لقد كان كيت وكيت[2] ، قال سيبويه : و في أمَّا معنى الجزاء ، كأن تقول : أمّا زيدٌ فمنطلق ، والمعنى : مهما يكن من أمر فزيدٌ منطلق ، ألا ترى الفاء لازمة لها أبدًا ، وما جاز قولك : أمَّا يوم الخميس فإنك ذاهب ، إلّا لأن أمَّا فيها معنى : يوم الخميس مهما يكن من شيء فإنك ذاهب [3].

وقد خص العميدي بتوظيف هذا النمط في رسالتين ديوانيتين فقط ، هما على لسان الخليفة إلى حسان بن جراح و صالح بن مرداس لمَّا نهبا الشام والرملة وخالفا الدولة يقول في استفتاح رسالته إلى صالح بن مرداس : " أمّا بعد فإن الشكر عِقال النعمة ، فمن أراد أن يرتبطها بفنائه مقيمة ، ويضبطها عن التحول والتنقل سليمة ، ويحبس لديه جمالها لئلا يتنقَّص ، ويحرس عليه ظلالها لئلا يتقلص ، أطلق عنان الشكر لموليها حتى يجمح

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 360 ، وانظر أيضًا ص: 245 ، وهي رسالة في الشكر والمدح والاسترضاء للوزير وقد ولج في الشكر مباشرة.

[2] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 319 ، 222.

[3] انظر : الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، الملقب بسيبويه [–180هـ] ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط 3 ، 1988م ، 235/4 ، 137/3.

مرحًا في مضماره .." [1] ، ويقول في استفتاح رسالته إلى حسان بن جراح : " أمَّا بعد ، فإن نِعم أمير المؤمنين ، وإن كانت فائضة على أولياء دولته ، واصلةً إلى المتصلين بدعوته ، عامةً أقطار مملكته ، تامةً عند أجناده ورعيته ، فإنك يا حسان ابن جراح مخصوصٌ من نعمه العميمة باطنًا و ظاهرًا ، ورحمته العظيمة غائبًا وحاضرًا بما لو تأملت أمرك لحسر من معرفة قدرها لسانك ..". [2]

وأمّا الصورة الثانية من صور استفتاحات رسائل العميدي فيو:

2-1-1- الاستفتاح بالشِعر:

يقول صاحب المثل السائر [-637هـ] في حديثه عن سنن الاستفتاح : ومن محاسن هذا الباب افتتاح الكتاب بآي من القرآن الكريم ، أو بخبر من أخبار السنة النبوية ، أو ببيت من الشعر ، ثم بعد ذلك يبني الكتاب عليه ...[3]

ويقول القلقشندي في مثل هذا الاستفتاح : و الأصل الثاني من أصول افتتاح المكاتبات الإخوانية أن يأتي في أول المكاتبة ببراعة الاستهلال المطلوبة إيرادها في كل فن من فنون الكلام ، وذلك بأن يأتي في صدر المكاتبة ما يستدل به على معرفة عجزها ؛ ليعلم من مبدأ الكتاب ما الغرض المراد منه.[4]

و قد استفتح العميدي بهذا الاستفتاح في بعض الرسائل الأدبية و الإخوانية – التي تدور في العتاب والشكوى– دون الديوانية لعدم مناسبة ذلك في الرسائل الديوانية " فأمَّا المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة إليهم ، فقد ذُكر في " موادّ البيان" أنه لا يتمثل فيها بشيء من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوب العبارة عن عزائم أوامرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يخالف نمطها و وضعها ؛ لأن الشعر صناعة مغايرة لصناعة

---

[1] رسائل العميدي ص : 284 .

[2] السابق ، ص : 267.

[3] انظر : المثل السائر ، 3 / 118.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 265/6.

الترسل ، وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن " [1] ، ومن الرسائل الإخوانية التي استفتحها بالشعر رسالته في معاتبة حسين بن بشر متولي ديوان الخاص يقول :

" ما أسهل الأشياء حين يسوقها ... قدرٌ و أعجزها إذا لم تقدر[2] [الكامل]"

ثم تخلص منه بقد والجملة الفعلية يقول : " قد مزّقتُ – أدام الله عز سيدي – صحائف الذرائع والشوافع ، وطلقت أمَّ الوسائل والمسائل ، وتحققت أن النية إذا كانت كدرة لم تصفها العنايات...." [3]

ومن الرسائل الأدبية التي استفتحها بالشعر رسالته إلى الشريف القاضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي يصف له رحلته إليه يقول :

مضى لي زمان لو أُخير بينه...وبين حياتـــي خـالدًا أبدَ الـدهرِ

لقلت ذروني ساعة وحديثها ...على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري [الطويل] [4]

كتابي – أطال الله بقاء مولانا الشريف الجليل و أدام دولته وسناءه ، وكبت أعداءه – من آمد" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بواوا الحال و قد وجملة الحال الفعلية يقول: " وقد طالت أيام بُعدي عنه حتى حسبتها دهرًا ، وانطوت أحشائي على شوقٍ إلى حضرته أحسبه جمرًا .." [5] ، وفي استفتاح رسالته المعروفة برسالة الرؤيا يُعرض فيها بجماعة من السَّفِل الذين سعوا في إفساد أمره ، ذكر أبياتًا من الشعر تحوي قصةً ، لا يُعلم قائلها ولعله صاحبها فقد كان شاعرًا يقول : "

رأيت في النوم كأني في بلـدْ.... أطلب إنســانًا وما فــيه أحــدْ

فَعنّ لي شخصٌ كتمثال الأسدْ.....في مركــب يعلــوه مــوجٌ وزَبَــدْ

---

[1] السابق ، 6 / 295.

[2] وقد ذكر محقق الرسائل أنَّ هذا البيت ينسب لعبد الله بن يزيد الهلالي و لعبد الله بن المبارك أيضًا ، انظر رسائل العميدي ، ص: 132.

[3] السابق ، ص: 132 .

[4] وقد ذكر محقق الرسائل أنَّ هذين البيتين ينسبان لقيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى و لجميل بثينة أيضًا ، انظر السابق ، ص: 28.

[5] السابق ، ص: 28 .

فيه رجالٌ وسلاحٌ وعُددْ.......وفيه أقوامٌ بأثوابٍ جُددْ
فخانني صبري ولم يلق جَلَدْ..............فقلت من أنت ، وما هذا الحشدْ ؟
فقال : إني ملكٌ على الرّصدْ ......أدعو إلى عبادة الفرد الصمدْ [الرجز] "
ثم تخلص من هذا الاستفتاح بحرف العطف " الواو" و" أمَّا " الشرطية يقول : " و أمَّا هؤلاء فهم أعواني سلطهم الله على الحُساد ليهتك ستورهم ، ويُحبط أجورهم ، وينغص سرورهم ...." [1]

وقد يُردف بيت الشعر بحكمة كما جاء في استفتاح رسالته الأخيرة إلى أبي الحسن التميمي المستخدم بمصر يشكو كاتبه ابن البنَّاء حيث استفتح ببيتين من الشعر لا يُعلم صاحبهما ، ثم أردف بحكمة يقول : "

إليك فإننا بعد المُعلى ....بُلينا بالمنيح من القداح
ألا فالموت راحة كلِّ حرٍ....يُقاسي الضَّيم من نَذْلٍ وقاحِ [الوافر]
كنت قرأت –أدام الله عز الشيخ– في وصية بعض الحكماء : " إياك أن تستحقر في الدنيا شيئًا ، فالقذاءة الصغيرة في العين ربما تُرمِد وتُعمِي ، والنُبل الصغيرة تقصِد وتُصْمي......" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالمركب الإسنادي للجملة الفعلية يقول : " ذكر الثابت عني في استخراج مال الحوالة أنه إذا شكا الشيخ– أدام الله عزه– أمر خَصيم مُلدّ، أو غَريم مُلحّ ، جرد العناية في مطالبته تجريد من وُفِق في كل ما يحله و يعقِدُه...." [2] ، وقد استفتح رسالة له في عتاب بعض الرؤساء من الخدم ببيتين من الشعر ينسبان للحكم بن قنبر المازني البصري [–150هـ] [3]، يقول :

مستقبلٌ بالذي يهوى و إن كثُرت .....منه الإساءة معذورٌ بما صنعا
في خُلُقِه شافعٌ يمحو إساءته...... من القلوب مكين حيثما شفعا [البسيط] "
ثم تخلص من هذا الاستفتاح بالمركب الإسنادي للجملة الاسمية يقول : " أنا مع الأستاذ – أدام الله تمكينه–

[1] السابق، ص: 124.
[2] السابق ، ص: 437.
[3] انظر ترجيح المحقق ذلك ، السابق ص: 366.

بين حالتي تعجُّبٍ و إعجاب ، وعتابٍ واستعتاب ، فإذا رأيت إعراضه عنِّي تعجّبتُ ، و إذا سمعتُ بما يعتقده فيَّ فرِحتُ وأُعجِبت....." [1]

وأمّا الصورة الثالثة من صور افتتاحات رسائل العميدي فهي:

3-1-1-الاستفتاح بآيات من القرآن الكريم :

و هي من براعة الاستهلال كما ذكرت من قبل ،و قد وظف العميدي هذا الشكل في رسالة واحدة فقط ، وهي رسالة ديوانية على لسان الخليفة إلى أهل دمشق يحمد إليهم ما أظهروه من الصبر والجَلَد في قتال الأعداء يقول : " يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا (9) إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (10) هنالك ابتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا " [الأحزاب/ 9-11]" ثم تخلص من هذا الاستفتاح بلفظ أمَّا بعد + إنَّ واسمها وخبرها ، يقول : " أمَّا بعد ، فإن أحق الرعايا بأن تفاض عليهم ملابس الإنعام ، وتضاف إليهم نفائس الإحسان والإكرام ... رعيةٌ حسنت في الإخلاص أسرارهم وسرائرهم ، وسلمت من الانتقاض أبصارهم وبصائرهم، و أُحمِدت في المشايعة والولاء عقودهم وعقائدهم .... " [2] ، أمَّا في الاستفتاح بآيات القرآن الكريم فقد ذكر ابن شيث في كتابه معالم الكتابة: أنها توضع في صدر الكتب ، وقد يستعملها الأدنى للأعلى فيما يوافق معنى ما يكتب فيه ، كقوله –تعالى– : " وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزن إن ربنا لغفورٌ شكور " [فاطر / 34] أو " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرًا.. " [يوسف / 96] إلى غير ذلك من الآيات المقاربة للوقائع ، وإن كان إيرادها في أثناء الكتاب جائزًا ، و قد استشهد جماعة من الكتاب بها في خلال كتبهم مما رآه .[3]

---

[1] السابق ، ص: 366.

[2] السابق ، ص: 370 .

[3] انظر : صبح الأعشى ، 6/ 294 ، وانظر أيضًا : معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، لجمال الدين عبد الرحيم بن عليّ بن شيث القرشي [–625هـ] ، المطبعة الأدبية ، بيروت–لبنان ،د.ط ، 1913 م ، ص 48.

وبتحليل جميع التخلصات من استفتاحات رسائل العَميدي تكون العناصر التي استخدمها العميدي في تخلصه من استفتاحات رسائله – على النحو الأغلب– مرتبة تنازليًا حسب مساحة توظيفها على النحو الآتي:

الواوا العاطفة ، ثم قد+ الجملة الفعلية ، ثم حرف الإعلام نعم ، ثم حرف التفصيل أمَّا ، ثم حرف الشرط لمَّا ، ثم الجملة الاسمية ، و أخيرًا الجملة الفعلية.

وقد جاءت الرسالة السادسة والستون فقط بلا استفتاح وبلا تخلص ؛ فقد سقطت مقدمتها وضاعت وهي رسالة في العتاب وتقع في صفحة واحدة .[1]

4-1-1–تتمة :

من العناصر التي لازمت أغلب الاستفتاحات ، الاستفتاح بالدعاء لمن يراسله ، وكان العميدي يعتمد على هذا التكنيك للاستعاضة أحيانًا عن المقدمة الرسمية التي تشتمل على حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم – وآل بيته ، ويأتي هذا الدعاء إما في جمل اعتراضية أو في جمل مسجوعة متتابعة في بداية الاستفتاح على الصور سالفة الذكر ، وقد راعى في هذا العنصر آدابه ، فأعطى كل طبقة من طبقات رجال الدولة من التملق والدعاء ما يناسب رتبهم ، يقول القلقشندي متحدثًا عن آداب الدعاء ومراعاة المنازل فيه والرتب : فيأتي بالدعاء في مكاتبة السلطان بإطالة البقاء ودوام سلطانه وخلود ملكه وما جرى مجراه ، ويأتي في مكاتبه الأمراء بالدعاء بعزّ النصر، و عزِ الأنصار ، ومضاعفة النعمة ، ومداومتها ، وما جرى مجراه ،وينبغي للكاتب أن يحذر من تنزيل أحدٍ عن حقه ، أو إعطائه فوق ما يستحق ، فقد قال صاحب "موادّ البيان" : إن الملوك لتسمح ببدرات المال ولكن لا تسمح بالدعوة الواحدة [2] ، و جاء في إتّعاظ الحنفا أن الحاكم بأمر الله نهى أن يُخاطب حسين بن جوهر –قائد القواد – في الرقاع التي ترفع إليه بلفظ سيدنا أو مولانا ، و إنما يُخاطب بلفظ القائد فقط ، ومن فعل غير ذلك أُحل دمه [3] ، ويقول صاحب صبح الأعشى في معرض حديثه عن الأسلوب الرابع من أساليب افتتاح المكاتبات : الافتتاح بالدعاء ، والأصل في ذلك ما روي أن

---

[1] انظر رسائل العميدي ، ص: 436.

[2] انظر : صبح الأعشى ، 6 / 273.

[3] انظر : إتّعاظ الحنفا ، 2/ 29–35.

معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه– عند وقوع الخلاف بينهما وجريان الحرب بين جيشيهما : "أمَّا بعد ، عافانا الله و إياك من السوء" ، ثم زاد الناس في صور الدعاء بعد ذلك ، والمعنى في الدعاء في صدر المكاتبات التودد والتحبب.[1] ، فالرسائل الإخوانية التي بقيت لنا من العصر الفاطمي في مصر ، نلاحظ سلوك كتابها في مقدماتها أساليب عدة ، كأن تفتتح المكاتبة بالدعاء مثلا، ومن ذلك الدعاء بطول البقاء... [2] ، فقد أكثر الفاطميون من استعمال الجمل الدعائية في خطبهم على اختلاف موضوعاتها و أنواعها ، وهذه الجمل غالبا ما تفيد التعظيم و الترحم ، كما نلاحظ أن هذه الجمل الدعائية قد وردت في صورة جمل اعتراضية في الكتابات الفاطمية ، وربما كان هذا الدعاء الاعتراضي في العصر الفاطمي رسمًا من رسوم المخاطبة أو ضربًا من ضروب المجاملة في هذا الوقت ، ومن أهم صوره " أعزك الله ، أطال الله بقاءك، رحمكم الله " فكأن آداب التخاطب آنذاك قد اقتضت مثل هذه العبارات. [3] ، وقد التزم ذلك العميدي في استفتاح رسائله ، حتى في رسائل الذم والهجاء فكان يستفتحها بالدعاء لمن يهجوه جريًا على رسوم المخاطبة في ذلك العصر، يقول في استفتاح الرسالة الثمانين إلى رجلٍ أراد أن يوقع بينه وبين صديق له : " وصلت رقعتك أيها الشيخ –حرس الله مدتك ، وجعل الرشاد والسداد في كل ما تأتيه وتذره عُمدتك وعُدَّتك – ما دعوتك شيخًا لكبر سنك ، ولا لاستحضار ذهنك ، ولا لفرط موادّ تجربتك ، ولا لقوّة أمداد حنكتك و دربتك ....بل شيختك حفظًا لنظام الخطاب ، واقتداءً بمذاهب الكتاب ، واتباعًا لسنتهم في المسامحة في الألقاب... " [4]

أمَّا عن سنن الدعاء فيقول القلقشندي : والكتّاب على مذهبين في الخطاب بالدعاء ، أولاهما أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب من مثل : " أكرمك الله ، و أطال الله بقاءك ، و أدام كرامتك ، وسعادتك و ما جرى مجراه ، وثانيهما أن يقع الدعاء بلفظ الغائب نحو : " أطال الله بقاء سيدي ، أو أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك[5] ، والصيغتان وردتا في استفتاحات رسائل العميدي ، وغالبًا ما استخدم الدعاء بلفظ الخطاب في

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 322–323.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، النعيمات ، ص : 198.

[3] انظر: حركة النثر في العهد الفاطمي في المغرب العربي[260–370هـ / 873–980م]، صفاء فرحان سعيد السرحان ، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة آل البيت، الأردن ، 2016م ، ص 131.

[4] رسائل العميدي ، ص 379 ، وانظر أيضًا ص : 148 ، 346 ، 374.

[5] انظر : صبح الأعشى ، 6/ 325.

رسائله لأصدقائه ، أمّا رسائله لكبار رجال الدولة فغالبًا ما كان يميل إلى استخدام لفظ الغيبة ، و من الرسائل التي استفتحها بلفظ الخطاب ، رسالته الأولى إلى بعض أصدقائه وهي المسماة بالمطبخية يقول : " يا سيدي ومولاي – أطال الله بقاءك ، وأدام نعمك ، و أحسن عن حسن عقيدتك في المودة جزاءك – تراك تتعجب كثيرًا من قعودي في البيت وحدي..." [1] ، ومن الرسائل التي استفتحها بلفظ الدعاء للغائب رقعته إلى الوزير أبي الفرج القشوري يصف له الطريق خلال رحلته إليه يقول : " ركبت – أدام الله تعال بقاء الشيخ ، و أدام الله أيامه ، وأسبغ عليه إنعامه – مبكرًا على أني أقصد حضرته فأتشرف بها ..." [2]

يقول القلقشندي : ومن الدعاء ، الدعاء بإطالة العمر ، والدعاء بإطالة البقاء ؛ و الدعاء بإطالة البقاء يكون أرفع من الدعاء بإطالة العمر ؛ لأن البقاء لا يدل في لفظه على مدة تنقضي ؛ فهو ضد الفناء ، والعمر يدل في لفظه على مدة تنقضي ، ولذلك كان وصف الله –تعالى– بالبقاء ، لا العمر، ومنها الدعاء بدوام النعمة و بمضاعفتها ؛ فالدعاء بمضاعفتها يكون أعلى من الدعاء بدوامها فقط ؛ لأن الدوام أقصى غايته استصحاب ما هو عليه ، أمّا المضاعفة فهي لاستصحاب ما هو عليه والزيادة على ذلك [3] ، وقد التزم العميدي أيضًا بهذه السنة فكل دعائه في استفتاح رسائله يكون بالدعوة بإطالة البقاء وليس العمر ، أمّا في الدعاء بالنعمة فجل أمره في رسائله بالدعاء بدوامها دون الدعاء بمضاعفتها. [4]

ومن صيغ دعاء العميدي:

(1) الدعاء بطول البقاء نحو : أطال الله بقاءك / أطال الله بقاء سيدي / أطال الله بقاء فلان/...ونحوه.

ويكاد أن يكون العميدي قد اقتصر في توظيف هذا الدعاء في استفتاحات الرسائل فقط دون إيراده في متنها، وهو لا يقتصر في استخدامه لهذا الدعاء على جماعة أو طبقة بعينها فهو يدعو بهذه الصيغة لبعض

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 5 ، وانظر أيضًا على سبيل المثال ص : 66 ، 378 ، 400 ، 405.

[2] السابق ص : 13 ، وانظر أيضًا على سبيل المثال ، ص : 18 ، 23.

[3] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 272.

[4] انظر على سبيل المثال ، رسائل العميدي ص: 5 ، 357 ، 364.

أصدقائه في بعض الأحيان ، كما يدعو بها في استفتاحات رسائله إلى كبار رجال الدولة وهو الجانب الأعم الأغلب[1].

(2) الدعاء بالعِز نحو : أدام الله عزك / أعزه الله / أدام الله عزه / ...ونحوه.

فهي أيضًا ترد في الغالب الأعم في استفتاحات رسائله دون المتن ، وقد يدعو بها في استفتاحات رسائله إلى بعض كبار رجال الدولة – في رسائل المعاتبة– وهو الجانب الأقل ، كما يستخدمها في استفتاحات رسائله إلى بعض أصدقائه – في رسائل المعميات والألغاز– وهو الجانب الأغلب.[2]

وكذلك دعاؤه (متعني الله –تعالى– بإخائك) / أدام الله إمتاعي ببقائه / حفظك الله وأمتع بك ، فقد خصص مثل هذه الصيغ للدعاء لأصدقائه في استفتاح رسائله إليهم و أغلبها رسائل أدبية وبعضها رسائل في الغلاميات يقول في إحدى رسائله في المجون إلى قواد معروف بالقيادة : " أخي لا من النسب ولا من الرضاعة ، ومعتمدي من بين الجماعة – أدام الله إمتاعي ببقائه ، وعمر رباعي بأضوائه ، وأكمل أنسي بتلامذته وتبعه ، ووفر ربحي من بضاعته وسلعه – أستاذ غير مدافع في إصلاح ذات البين، وحفظ نظام المتحابين..." [3] والرسالة من أولها لآخرها مكتظة بأبيات شعرية له و لغيره من الشعراء.

يقول القلقشندي في الضرب الخامس من ضروب الرسائل الإخوانية : المكاتبة إلى الفتيان والخطاب فيها يكون بالكاف قال النحاس : يدعي لهم : "أطال الله بقاء النعمة عليك ، وعليّ فيك ، أو صرف الله السوء عنك ، وعن حظيّ منك ، أو أدام بقاءك ، أو ملّاني الله إخاءك ، أو أمتعني الله ببقائك ، وجمع أملي فيك بجمعه للمكارم لك، أوببقائك متّعت ، وفقدك منعت ..." [4]

---

[1] انظر ص: 73–79.

[2] انظر على سبيل المثال رسائله إلى بعض كبار الدولة في المعاتبة ، رسائل العميدي ص : 132 ، 170 ،208 ،224 ، وكذلك رسائله إلى بعض أصدقائه في المعميّات و الألغاز ص : 66 ، 121 ، 263 ، 378، وغيرها ص : 5 ، 45 ، 119 ، 214 ، 257 ، 352.

[3] السابق ، ص 191 ، وانظر أيضًا رسائله إلى أصدقائه ص : 127 ، 350.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 8/ 135.

(3) أدعية خص بها كبار رجال الدولة :

أ- خص العميدي الخليفة الفاطمي بالدعاء بلفظ " سلام الله عليه " ، أو " عليه السلام" ،أو " أعلى الله رأيه".[1]

ب- كما خص العميدي كبار رجال الدولة من الأمراء و القضاة والوزاراء والأشراف بأدعية غلبت على رسائله إليهم من مثل :

أدام الله تمكينه / أدام الله تمهيده / أدام الله إجلاله / أدام الله دولته/ أدام الله علوه / أدام الله سموه / أدام الله أيامه / أدام الله سعود أيامه / أدام الله تأييده / أدام الله نعمته/ أدام الله فضله / أدام الله بسطته / أدام الله رفعته / أحسن الله ولايته وأدام كفايته ووقايته / أدام الله عمر الوزير الأجل / أدام الله بقاءه/ أعلى الله رأيه / أعلى الله جده .[2]

ج- مما خصه العميدي من الدعاء لحضرة الخليفة أو الوزير أو الأمير ولحضرة الدولة الفاطمية الآتي:

الحضرة زاد الله شرفها / آنسها الله / زاد الله في جلالتها / حرسها الله / حضرة مولاي الوزير الأجل – أدام الله جلالتها بدوام بقائه وصانها من عادية الزمان واعتدائه / أدام الله إجلالها للوزير / زاد الله في جلالها للوزير / زاد الله في جمالها ببقاء الأمير/ الدولة السعيدة شيد الله أركانها و أيد بنيانها. [3]

و يُلاحَظ أنه يغلب على هذه الصيغ الدعوة بالدوام والزيادة دون الدعاء بغيرهما من الصيغ ،وهي من سنن الأولين في الدعاء يقول صاحب إحكام صنعة الكلام : ومما يحسن من ألفاظ الدعاء مجاله ، وتُرجى معه استمالته للمُخاطَب ، واستنزاله لفظ : زاد ، و أدام ، وما جرى مجراهما ، نحو : زاد في علو قدرك ، أدام الله توفقيك ، فهذا اللفظ عندهم آثر من قولك : وفقك الله، و أعلى قدرك ، قال عديّ بن الرقاع :

---

[1] انظر على سبيل المثال رسائل العميدي ص : 136 ،137، 138 ، 141 ، 142 ، 247.

[2] انظر على سبيل المثال ، السابق على الترتيب ص : 58 ، 65 ، 70 ، 17 ، 184 ،239 ، 63 ، 201 ، 212 ، 203 ، 237 ، 243 ، 204، 249 ، 261 ، 214 ، 57 ، 60 ، 73 ، 357 ، 364، 357 ، 369 ، 252 ، 262 ، 326 ، 255 ، 245 ، 59 ، 137 ، 219.

[3] انظر على سبيل المثال ، السابق على الترتيب ص : 137 ، 30 ، 146 ، 86 ، 424 ، 184 ، 225 ، 235 ، 168 ، 184 ، ولبيان مراتب الدعاء وما يناسب كل طبقة منه انظر: صبح الأعشى، 8/ 131-138.

صلى المليك على امرئٍ ودعته ....و أتمَّ نعمته عليك وزادها . [الكامل]
قال القُتَبيّ: ومن هذا الشاهد أخذ الكتاب قولهم : "و أتمَّ نعمته عليك ، و زاد فيها عندك" . [1]

ولهذا التزم بها العميدي في خطابه إلى كبار رجال الدولة مثل رسالته إلى يحيى بن سلامة الموصلي كاتب قائد القواد حسين بن جوهر يقول في استفتاح الرسالة : " كتابي – أدام الله بقاء مولاي وسيدي و أدام تمهيده و علوَّه وتمكينه – من دمشق سلخ ذي الحجة عن سلامة أجر بها ذيلي فرط نشاطٍ ومرح...." [2] والرسالة مع قِصَرها ممتلئة عن آخرها بالدعاء في أكثر من خمسة عشر موضعًا ؛ لأهمية موقع المرسل إليه في الدولة.

ومن شواهد التزام العميدي بالتصنيف السابق رسالته الثامنة إلى صديق له بالسوق فقد استفتحها بقوله :" كتابي – أطال الله لسيدي بقاءه– بتاريخ كذا ... " وهذا يتوافق مع القول بإن الدعاء بطول البقاء عند العميدي يشترك فيه العام والخاص وهو دعاء عام له وعندما بدأ بتوجيه الكلام لصديقه قال " ولقد جفاني سيدي – أدام الله عزه– جفوة تظلم لظلمتها الكواكب " وهذا يتوافق مع القول بإن الدعاء بالعزّ عند العميدي يغلب على دعائه للأصدقائه ، وعندما تحدث في نفس الرسالة عن السادة الأشراف قال : " و إن كان أولئك السادة الأشراف– أدام الله أيامهم – أنزلوني من عيونهم بين الأطباق " ، وعندما تحدث عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد في نفس الرسالة قال : " ولو أني –بعد صنع الله الجميل، وإحسانه الجزيل – لذت من حضرة قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد – أدام الله تمكينه – إلى جبلٍ لا مطمع للحوادث في ذروته.." فكأنه يتدرج في الدعاء ، ويعطي كل طبقة ما يناسبها و يلائمها من الدعاء .[3]

---

[1] انظر: إحكام صنعة الكلام ، للكلاعي ص : 74.

[2] رسائل العميدي ، ص 59.

[3] وانظر أيضًا رسالته الخمسين إلى وزير في الشكر والاقتضاء والمدح والاسترضاء ، السابق ، ص 245–249 ، و كيف كان الدعاء له في طيّات الرسالة بأطال الله بقاء مولاي الوزير الأجل ، أدام الله أيامه ، أدام الله دولته ، أدام عمر الوزير الأجل .. ولكن عندما تحدث عن أمير المؤمنين قال : مولانا – عليه السلام– ، وعلى هذا الأساس رجح الباحث أن تكون الرسالة السابعة عشرة ، موجهة إلى صديق له من كبار رجال الدولة وليس صديقًا عاديًا لما تواتر فيها من الدعاء بالصيغ الخاصة بكبار رجال الدولة في أثنائها ، وإن كان عنوانها يقتصر على التنبيه على أنه مجرد صديق له ، فجاء عنوانها : " وله رقعة إلى بعض أصدقائه جوابًا وقد شكا إليه من غلامٍ استعصى عليه في بغداد وفارقه عنادًا وكيادًا " ومن الأدعية الواردة في الرسالة : مولاي وسيدي –أطال الله بقاءه وأدام سعادته – ، أدام الله تمكينه ، أدام الله تأييده ، أطالع حضرته –حرسها الله تعالى– ، مما يُرجح ما ذهب إليه الباحث من أنها رسالة إلى صديق له من كبار الدولة ، وليس رجلًا عاديًّا ، انظر السابق ، ص:83–86 =

والدعاء عند العميدي في استفتاح الرسائل كان عنده بمثابة النقطة التي يَخلُص بعدها إلى غرض الرسالة سواء أكان هذا الدعاء بالصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – في الصيغة الرسمية[1] أم بالدعاء العام الذي ينهيه غالبًا بألفاظ ترجع إلى الله – عز وجل – من مثل :

" بجوده ومجده / بمنه وعونه / بمنه وقدرته / بفضله ورحمته / بفضله وكرمه / بكرمه ومجده / إنه خير موفق ومعين / إنه خير مسئول / إنك سميع الدعاء / إنه ولي ذلك والقادر عليه " .

وقد يستعيض عن الدعاء في الاستفتاح بمقدمات تمهيدية – وهو أمر قليل في رسائله– تشتمل غالبًا على نصح أو توبيخ أو تعطف أو ما يشبه طريقة كتابة المذاكرات مثل رسالته الثالثة والعشرين وعنوانها : " نسخة رسالة التوبة ، كتبها من القرافة إلى الشريف " يقول في استفتاحها : " تذكرت أيام الصِّبا و أنا غِرّ ، وعلى الغواية مُصِر ، وبالسفاهة مقر...." [2]، على أن الجانب الأغلب على هذه الرسائل أن تكون رسائل في الهجاء و الشكوى والعتاب والذم.[3]

ومن العناصر التشكيلية التي خلت منها استفتاحات رسائل العميدي البسملة والسلام ، ولعل البسملة قد سقطت من ناسخ الرسائل ، فهي في الغالب من عمله ، ويُرجع الأستاذ أحمد أمين سبب خلو استفتاحات الرسائل من البسملة إلى ميل الكُتّاب إلى الاختصار ؛ لأنه أمر معروف لا حاجة لتأكيده ، كما أنه أمرٌ لا يقع على منشئ الرسالة و إنما على جامع الرسائل.[4] وقد كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها " باسمك اللهم" و لهذا الأمر قصة طريفة أوردها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، مؤداها أن استفتاحهم إحدى كتبهم

= وكذلك الرسالة الثانية والستون والتي جاء عنوانها " وله رقعة اعتذار إلى صديقٍ له وهو ابن اللّحّام " والرسالة منصوص في طياتها نسبة لفظ الأمير إليه ، كما أنَّ الدعاء في الرسالة ومضمونها يوضح أنه أمير وليس صديقًا عاديًّا كما قد يفهم من العنوان ، فمن الدعاء الذي جاء له ، أدام الله توفيقه ، أدام الله رفعته ، أدام الله علوه ،وكبت عدوه ، إلى جانب مضمون الرسالة من اعتذار العميدي له لتأخره في إصدار كتاب له ، و قد نعته في استفتاح الرسالة بالأمير : " لا يحسبني الأمير الموفق – أدام الله توفيقه – غافلًا وقد أصبحت باقلًا..." كل ذلك يؤيد ما ذهب إليه الباحث ، انظر السابق ، ص: 326.

[1] انظر ص : 75– 80.

[2] انظر : رسائل العميدي ، ص: 111.

[3] انظر السابق ، ص : 93 ، 102 ، 105 ، 198 ، 267 ، 284 ، 395 ، 397 ، 410 ، 414 ، 420 ، 432.

[4] انظر: الرسائل في مصر الإسلامية إلى نهاية الدولة الإخشيدية ، أ.أحمد أمين مصطفى ، مطبعة السعادة ، القاهرة –مصر ، د.ط ، 1990م ، ص : 255.

ب" باسمك اللهم" قد عصم حاملي الكتاب من شرور الجن في طريق سفرهم ، فجعلوه عمدة لهم ، وكلمة يستفتحون بها كتبهم ، قال إبراهيم الشيباني : لم تزل الكتب تستفتح بلفظ : " باسمك اللهم " حتى نزل قوله – عز و جل – : " إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم " [النمل/ 30] فاستفتح بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد نزولها وصارت سنة من بعده . [1]

وقد سقط السلام أيضًا من استفتاحات رسائل العميدي ، ولعله أيضًا من باب الاختصار ، وعن سنة الاستفتاح بالسلام في الرسائل يقول القلقشندي : إنما قد جُعِل السلام في صدور الكتب و ابتدائها ؛ لأنه تحية الإسلام المشروعة لتأليف القلوب ، فكما يفتتح به الكلام طلبًا للتأليف ، كان افتتاح صدور المكاتبات به طلبًا للتأليف.[2]

وقد جاء لفظ السلام في بعض رسائل العميدي ولكن في خاتمتها دون استفتاحها ، و يغلب على هذه الرسائل الهجاء والذم والتهديد ، فكأنه استلهم فعل النبي –صلى الله عليه وسلم والخلفاء والملوك من بعده في رسائلهم في التهديد والحروب ، كما جاء في استفتاح رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل ملك الروم : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى : أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أَسلِم تَسلَم..." [3] ، يقول العميدي في خاتمة رسالته العشرين في ذم و هجاء الوزير شمس الملك مسعود بن طاهر : " ....فإن قبلت كلامه ونصحه ، وتركت مذهب اللجاج وقبحه ، تغابيت و أغضيت من جزائك ، وإن أصررت على ما أعرفه من أخلاقك الفجّة تخفيت وجئت بالحذاء للقائك والسلام ". [4]

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 211/6 ، ولقصة الجن مع حامل الكتاب المستفتح ب " باسمك اللهم " ، انظر: 6/ 208–210.

[2] انظر: السابق ، 6/ 220.

[3] انظر : حديث رقم 1773 ، صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري [–261هـ] ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، القاهرة –مصر ، ط1 ، 1955 ، 1393/3 .

[4] رسائل العميدي ، ص: 101 ، وانظر أيضًا ص : 104 ، 199 ، 283 ، 351، وقد ورد السلام في خاتمة رسالة أدبية أشبه بالمقامة ص : 304 ، وفي آخر رسالة معمَّاة إلى أحد أصدقائه ص : 67.

2-1- صور اختتامات رسائل العميدي[1]:

جاء في صبح الأعشى في الأصل الحادي عشر من أصول يعتمدها الكاتب في المكاتبات : أن يأتي الكاتب في المكاتبة بحسن الاختتام الراجع إلى معنيين هما ، المعنى الأول : أن يكون فيه الحسن راجعًا إلى معنى ما يختتم به ، إمَّا أن يكون بمعاطاة الأدب من المرؤوس إلى رئيسه ونحو ذلك ، و إمَّا أن يكون بما يقتضي التوقير و التعزير من الرئيس إلى المرؤوس ، من مثل الاختتام بالدعاء وما إلى ذلك ، مما يقع في مصطلح كل عصر و وقت ، و أمّا المعنى الثاني : أن يكون فيه الحسن راجعًا إلى ما يستوجب التحسين من حسن السبك ، و سهولة اللفظ ، وتجنب الحشو، ووضوح المعنى ، إلى غير ذلك من موجبات التحسين ؛ مثلما كتب الصاحب بن عباد في خاتمة رسالة له : " لئن حنثت فيما حلفت ، فلا خطوت لتحصيل مجدٍ ، ولا نهضت لاقتناء حمدٍ ، ولا سعيت إلى مقام فخرٍ ، ولا حرصت على علو ذكرٍ " ، قال العسكري : " فهذه اليمين لو سمعها عامر بن الظّرب ، لقال هذه اليمين الغموس لا القسم باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى " ، إلى نحو ذلك مما يجري مجراه [2] ، وقد مضى العميدي في اختتام رسائله ، كما فعل في استفتاحها سائرًا على هدي الأولين في اختتام رسائلهم ، وجل اختتامات رسائله تتضمن المعنى الأول الذي ذكره القلقشندي من معاطاة الأدب مع من يراسله بالدعاء والتحية وخلافه ، و كل ذلك وفق ما كانت عليه سنن الكتابة آنذاك ، والتي لم تكن تربط بين لفظي الاستفتاح والاختتام على ضابط بعينه ، يقول القلقشندي متحدثًا عن سنن الكتابة المحدثة بعد السلف عند أهل المشرق ، والتي جاءت على هديها سنن الكتابة في العصر الفاطمي في مصر : اعلم أنه لم يكن لاختتاماتهم ضابط ، ولا ما يتطلب ملازمة اختتام معين لصدر معين ، وإنما كل ذلك موكول إلى رأي الكاتب ، لا يطالب فيه إلا برعاية علو الرتبة ، ثم الاختتامات جاءت لديهم على أنواعٍ شتى : فمنها الاختتام باستماحتهم الرأي وهو على مراتب : فأعلاها مرتبة : " ولمولانا علو الرأي في ذلك " ، ودون

---

[1] خَتَم / خَتَمَ على / خَتَمَ لـ/ يختِم خَتمًا و خِتامًا ، فهو خَاتِم ، والمفعول مَختُوم ، خَتَم الرسالة / خَتَم على الرَّسالة: أثر فيها بنقش الخاتم ، وضع عليها الخاتم ، خَاتِمة [مفرد] : ج خاتمات وخواتم وخواتيم ، وهي عاقبة كل شيء و آخرته ونهايته . انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة 613/1-614، ختم النَّحل خَتمًا وخِتامًا : ملأ خليته عسلًا ، وعلى الطعام والشراب وغيرهما : غطى فوهة وعائه بطين أو شمع أو غيرهما حتى لا يدخله شيء ، ولا يخرج منه شيء ، فهو مختوم ، وفي التنزيل العزيز : " يسقون من رحيق مختوم " [المطففين/25] ، والخاتمة من كل شيءٍ : عاقبته و آخره . انظر : المعجم الوسيط ، 1/ 218.

[2] انظر: صبح الأعشى ، 300/6-301، وفي أمور كلية يلتزمها الكاتب في مكاتباته ينظر : صبح الأعشى 263/6-303.

ذلك الاختتام بقولهم : " فإن رأى كذا وكذا فعل " ، ودونه: " فرأيك في كذا وكذا " ، ومنها الاختتام بالدعاء ، ومنها كذلك الاختتام بطلب مواصلة الكتب ، مثلما كتب الصابي في خاتمة كتاب له : " و أنا أسأله أن يواصلني بكتبه ، مضمنة أخباره الطيبة ، وأمره المتمثل ، وأوطاره ومهماته ، معتمدًا بذلك ، إن شاء الله تعالى" ، ومذهب أكثر الكتاب على عدم تفضيل بعض هذه الاختتامات على بعض[1] ، فكما اشتملت هذه الأنماط ابتداءات تتلاءم ومضمون الرسالة ، آخذةً بيد القارئ لتعبر به إلى المضمون ، مهيئةً له لتقبل ما تتضمنه الرسالة من خطاب ، فقد أدركوا أهمية انسجام الخواتيم واتصالها مع تلك الابتداءات والمضامين معًا ، فنرى الكاتب يحسن من خلالها انتهاءه من الخطاب محافظًا على تواصله بالمتلقي ؛ لذا فقد جاءت الخواتم بما تحتويه من عناصر كطلب الرد و الجواب ، بالإضافة إلى الحمدلة والصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم– و التحية و التعليق بالمشيئة ، محققة للمتلقي الراحة النفسية ، حاثة له على التفاعل معها. [2]

وقد جاءت خواتيم رسائل العميدي على ثلاث صور ، إمّا بالكلام المنثور أو بالقرآن الكريم أو بالشعر.

1-2-1- الاختتام بالكلام المنثور وهو على خمسة معانٍ :

1-1-2-1-الاختتام بالطلب : وهو على قسمين : إمَّا طلب مواصلة الكتب بينه وبين مراسله متضمنة طلب المطالعة بأخبار مراسله ليسكن إليها ، و أوامره ليلتزمها ، و إمَّا أن يكون في استماحة الحوائج .

وقد جاء القسم الأول من الضرب الأول على ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى : (استخدام المركب الإسنادي للجملة الفعلية):

[قدمت / كتبت/ علقت هذه الأحرف]+ استخدام الفعل المضارع (من الفعل طَالَع) + الفاعل المستتر + الجار والمجرور المتعلقان بالفعل + المفعول به وقد لا يَرِد + ليسكن إليها / ليقف عليها + المشيئة.

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 8/ 145–147 ، وقد جاءت الكتابة في الديار المصرية في عهد الدولة الفاطمية على مثل هذه السنن ، انظر صبح الأعشى ، 170/8.

[2] انظر: الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد الدروبي ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان–الأردن ، ط1 ، 1999م ، ص: 501.

وقد كثر في هذه الصيغة ظهور تراكيب نحو : أتطلع لورود كتبه / يطالعني فيما يتجدد/ تطالعني بالأخبار/ أطالع حضرته/ يؤنسني بأخباره/ يكاتبني بأخباره/يجري على عادته في مكاتبتي / يشرفني بكتبه.

كما في خاتمة رسالته الخامسة إلى الشريف القاضي أبي الحسن الموسوي يقول : " وكتبت هذه الأحرف وأنا على وفاز رحلة و أطالع حضرته من بعد بالآصال والبكر ، إذا ألقيت عصا السفر ، وأتطلع لورود كتبه مضمّنة ذكر أوامره ونواهيه إن شاء الله تعالى " [1] ، وفي خاتمة رسالته إلى صديقه أبو البيان يقول : " و أنا أتحقق أنَّ فيه أريحيةً تهزه على اكتساب المكارم وابتنائها ، واجتلاب المحامد واقتنائها ، ويطالعني فيما يتجدد ، فإني أراعيه ، إن شاء الله تعالى " [2] ، وفي خاتمة رسالته إلى بعض أصدقائه وقد شكا إليه غلامًا استعصى عليه في بغداد يقول : " و أنا إن ظفرت به وتمكنت من خطابه ، عركته عركَ الأديم ،وبشّرته بالعذاب الأليم ، وبلغت من خطابه وملامه ما يتجرع منه الموت عند استماعه ، و أبلغت في استبشاع ما أقدم عليه واستفظاعه ، وأطالع حضرته –حرسها الله تعالى– بما يكون منه إن شاء الله." [3] ، وفي خاتمة رسالته إلى صديقه عليّ بن أحمد الضّيف يقول : " وقدمت هذه الأحرف مُعرّفًا إياه بما استقر عليه عزمي ؛ ليسكن إليه ويؤنسني بأخباره – أطابها الله– واستقامة أموره– أتمَّها الله– ؛ لأستريح إليها ، وأشكر الله عليها إن شاء الله " [4] ، وفي خاتمة رسالته إلى بعض المستخدمين بالشام في الترتيب وقد بَيّن له أسباب عزله من وظيفته يستخدم المصدر، يقول : " فعلقت هذه الأحرف بشرح ما جرى ليعرف صورة الحال ، ويجري على عادته في مكاتبتي بما يسنح له من المهام والأشغال ، ومطالعتي من أخبار سلامته بما أسكن إليه ، وأعتدُّ به إن شاء الله تعالى". [5] ، وقد يستخدم الفعل الماضي في نفس هذه الصياغة كما جاء في خاتمة رسالته الستين يشرح لصديق له ما جرى من أحداث بين صالح بن مرادس والدولة الفاطمية يقول : " طالعته بذكر ما جرى ؛ ليقف عليه ، ويسكن إليه إن شاء الله" [6].

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 31 ، وانظر أيضًا ص : 27 ، 82.

[2] السابق ، ص: 363 ، وانظر أيضًا ص: 71، 388.

[3] السابق ، ص:86.

[4] السابق ، ص:78.

[5] السابق ، ص 139–140 ، وانظر باقي الأمثلة ص: 58 ، 143 ، 354.

[6] السابق ، ص: 320

الصيغة الثانية : (استخدام المركب الإسنادي للجملة الاسمية):

المبتدأ (غالبًا الضمير المتكلم المفرد أنا) + الخبر (مفرد / جملة / شبه جملة)+ لأسكن إليها / أقف عليها + المشيئة.

وقد كثر في هذه الصيغة ظهور تراكيب نحو : أنا منتظر تشريفي بكتبه / أنا أنتظر جواب كتابي/ أنا من بعد أكاتبه / وهو أولى أن يشرفني بكتبه/ فعلى مولاي تشريفي بكتبه / أنا متطلع.

كما في خاتمة رسالته إلي الوزير أبي الفرج القشوري من تدمر عند خروجه من بغداد يقول : " و أنا منتظر من مولاي الشيخ – أدام الله أيامه– تشريفي بكتبه ، كل وقتٍ منتظَر ؛لأسكن إليها ، وتعريفي أخبار سلامته التي أشكر الله عليها ، وتصريفي بين أوامره ونواهيه منعمًا إن شاء الله تعالى " [1] ، وفي خاتمة رسالته في تعزية القاضي أبي عليّ بن أبي الدبس في وفاة كلبٍ له عزيزٍ عليه يقول : " وأنا أنتظر جواب كتابي بما ألهمه الله من التصبُّر والتبصُّر على مصابه ؛ لأقتدي فيه بآدابه إن شاء الله تعالى" [2] ، وفي خاتمة رسالته إلى يحيى بن سلامة الموصلي كاتب قائد القواد يقول : " فعلى مولاي وسيدي – أدام الله تمكينه– ....تشريفي بكتبه التي بها أصول على حوادث الدهر فأقلُّها ، وبمكانها أبسط عُقد الآمال فأحلُّها ، إن شاء الله تعالى " [3]، ويقول في خاتمة رسالته يُعزِي الشريف القاضي الرَّضي في موت أخيه : " وهو – أدام الله سعادته– أولى من أن يشرفني بكتبه مشتملةً على أوامره ونواهيه ، ومتضمنةً ذكر ما ألهمه الله من الصبر الذي يَعظمُ الأجر به وفيه ، إن شاء الله تعالى " [4] .

وقد يعتمد على المركب الإسنادي للجملة الاسمية المنسوخة (بإنَّ) كما جاء في خاتمة رسالته في تهنئة الوزير أبي الفرج القشوري بالوزارة يقول : " و إلى أن يمن الله عليّ فيُريحَني من مقاساة هذه السَّفرة وصعوبتها ، ويسعدني بمشارفة تلك الحضرة ومقاربتها ، فإني متطلع لما يشرّفني به من كتابه الذي أهزم به

---

[1] السابق ، ص : 37 ، وانظر أيضًا ص : 75.

[2] السابق ، ص:325.

[3] السابق ، ص: 65 .

[4] السابق ، ص: 431 ، وانظر باقي الأمثلة ص: 44 ، 110.

عنِّي خطوب الدهر ، و ألبس بمكانه ملابس الفخر ، و أتقلّده حرزًا لي طول الطريق ، وأستمدّ به من عند الله محاسن التوفيق ، إن شاء الله وبه الثقة. " [1]

الصيغة الثالثة : (جملة الشرط) :

و إذا + أجراني / عدل + سيدي + جملة اعتراضية بالدعاء + على كذا / عن كذا + كان قد فعل كذا.

كما في خاتمة رسالته إلى صديق له في السوق يقول: " و إذا أجراني سيدي- أدام الله فضله- على المعهود من سجيته ، والمحمود من طريقته في إيناسي كل وقتٍ بأخباره ومهمات أوطاره ، كان قد عمّر طرق مجده ، و أنبأ عن كرم عهده ، إن شاء الله تعالى " [2] ، وفي خاتمة رسالته إلى الشريف القاضي يستبطئه يقول : " و إذا عدل سيدي الشريف القاضي- أدام الله سلامته – عن طريق الجفاء الذي لا يليق بعدله وفضله ، ولا يُستحسن من فرعه و أصله ، وذكرني في منازل الرحمة التي جوارحي إليها سوابق ...وكاتبني بمهمَّاته و أوطاره ، وبشَّرَني بما أرتاح له من طيبات أخباره ، قلدني مِنّةً ، وأكسبني مُنّة " .[3]

ويغلب على هذا المعنى من معاني الاختتام أن يكون في اختتام رسائله إلى كبار رجال الدولة الفاطمية ، وغالبًا ما تفتتح هذه الرسائل السابقة بلفظ " كتابي" [4].

القسم الثاني من الصورة الأولى وهي الاختتام بالطلب عمومًا و استماحة الحوائج خصوصًا ، وقد جاء على صيغتين:

الصيغة الأولى : (المركب الإسنادي للجملة الفعلية):

(أ) الفعل الماضي + الفعل المضارع مسبوقًا بلام التعليل + لفظ السلام / لفظ المشيئة .

---

[1] السابق ، ص: 53.

[2] السابق ، ص: 48 .

[3] السابق ، ص: 166.

[4] انظر على سبيل المثال ، السابق ، ص: 23 ، 32 ، 38 ، 45 ،49 ،54 ، 59 ، 68 ، 72، 76 ،79 ،163 ،321.

وجاء ذلك في خاتمة رسالة معمَّاة إلى بعض أصدقائه ، يقول له بعدما فرغ من الحديث عن أوصاف لغزه : " عَرَّفْتك؛ لتقف عليه والسلام" [1] ، وفي خاتمة رسالته الديوانية إلى ابن مسلمة يعلمه بسلامة رجوع الخليفة إلى قصره ، ويأمره بإذاعة ذلك بين الخاصة والعامة يقول : " فبادرنا لهذه البشارة العظيمة إليك ؛ لتعرف قدر الموهبة فيما منَّ الله –تعالى– بها له من السلامة ، ولحضرته الشريفة من الانتظام والاستقامة ، وتذيع ما جرى في الخاصة والعامة إن شاء الله" [2] .

(ب) الفعل المضارع (أحبُّ/ أُؤمّل) + أن تجتمع/ يشرف / يتفضل / يتطول + سيدي/الشيخ + جملة اعتراضية بالدعاء+ بفعل كذا + المشيئة / السلام.

كما جاء في خاتمة رسالته إلى الحسين بن بشر متولي ديوان الخاص في شفاعة يقول : " و أُحبُّ أن يتفضل سيدي – أدام الله فضله– بقبض يده عن التعرض لهذا الرَّبْع ، وتعريفه بما ادَّخَر له من الصَّفع ، إلى أن يسهل الله بيعه ، حينئذٍ هو بريءٌ من التوارة إن لم يسع في خرابه ، ولم يبالغ في هدمه وانتهابه . ويأتي في هذا الباب بما يؤْذن بحسم المادة ، ويمنعه من الإعادة وقبيح العادة ، إن شاء الله. " [3] ، وفي خاتمة رسالته إلى وزيرٍ يشكره ويمدحه، ويطلب منه الأمر بصرف راتبه، يقول : "و أُؤمّل –أدام الله أيامه– أن يشرِّف عبده ، وينبه صاحب الديوان على وُفور محلِّه عنده ، و أرى منه في هذا الباب اهتزازًا خالصًا يرد كيد الحساد على عقبه ناكصًا إن شاء الله تعالى وبه الحول و القوة."[4] .

الصيغة الثانية : (المركب الإسنادي للجملة الاسمية):

المبتدأ + الخبر + تتمة الطلب + المشيئة/ جملة الشرط.

كما جاء في خاتمة رسالته إلى الوزير صفيّ الدين يشكره على ما أجراه من الأمر بصرف جاريه ، ويطلب منه التدخل للتعجيل بصرف جاريه يقول : " وهذه جملةٌ تفصيلها ما أُوثره من تفضُّل الشيخ – أدام الله فضله–

---

[1] السابق ، ص: 67.

[2] السابق ، ص: 118.

[3] السابق ، ص: 369 ، وانظر أيضًا ص: 215 ، 351.

[4] السابق ، ص: 249.

بالتقدم إلى الجهبذ بتعجيل مال هذا الشهر الواحد ؛ لأتبرك بعود الجاري ، وقد طال جموده من عدم الماء ورَقُهُ وعُوده ، أو مطالعة الوزير الأجل – أدام الله أيامه– ليرى فيما التمستُهُ رأي حضرته العالي إن شاء الله ." [1] ، وقد يختم رسالته بالاسم الموصول (المبتدأ) وجملة صلته والخبر ، كما جاء في خاتمة رسالته إلى أبي عليّ محمد بن الحسين بن بشير وهي أيضًا في طلب إطلاق جاريه ، يقول : " والذي أسأله أن يتفضل – أدام الله عزه– بإطلاق جاريَّ شهرًا واحدًا بعدما وقّع بإطلاقه ؛ لأتبرك بعودته ، بعد طول غيبته ، وتطيب النفس بالظفر به بعد استحكام يأس وخيبة ، وإن احتاج إلى مطالعة حضرة مولاي الوزير الأجل بما سألته قدم الأمر فيه." [2].

ونلاحظ أن هذا القسم من الرسائل قد غلب على رسائل الشفاعات والشكوى واستماحة الحوائج خاصة و قد قطع الراتب عن العميدي أكثر من خمس سنين.

2-1-2-1- الاختتام باسترضاء واستعطاف من يكاتبه :

وقد جاء هذا الاختتام على أربع صيغ :

الصيغة الأولى :

تأكيد طلبه (على غير صيغة محددة) + الحال المفردة (عالمًا / واثقًا/ معانًا/..) + حرف الجر الباء + إنَّ + اسمها ياء المتكلم + خبرها + المشيئة.

كما جاء في خاتمة رسالته يعاتب حسين بن بشر متولي ديوان الخاص يقول : " ومن شروط المروءة والحرية أن ينصفني في القضية ، ولا يقدم عليّ في مال الديوان من تؤخره صناعته عند الامتحان ، واثقًا بأنّي أَجْرَى الناس في حلبة الشكر ومضماره ، و أجرؤهم على إعلانه و إسراره إن شاء الله ." [3] ، وفي خاتمة رسالته إلى عماد الدولة في باب الاقتضاء والإذكار والمعاتبة يقول : " والثقة بعد صنع الله الجميل ، وفضله المأمول ، بتفضل الشيخ عماد الدولة – أدام الله تعالى سعادته– في إنهاء صورة حالي إلى تلك الحضرة الجليلة ، تغيبُ

---

[1] السابق ، ص: 223.

[2] السابق ، ص: 404.

[3] السابق ، ص: 135 ، وانظر أيضًا ص: 386

عن من يحضرها النحوسُ و الإعسار ، وتَخدُمُ من يخدُمُها السعادة واليسار ....عالمًا بأن شكري أسير في الآفاق من الأمثال ، وأشهى إلى النفوس من أيام الإقبال ." [1] ، وفي خاتمة رسالته في المعاتبة لعميد الدولة يقول : " وقد شرحت صورة حالي له في رقاعٍ عدّة سبقت إليه ، وذكرت له ما تحقَّقت أنه لا يتعذر عليه ، من ذكر حالي بالحضرة المقدسة وإصلاحها، إن تغيرت معاهدها ، أو تكدرت مواردها ،(عالمًا) بأني زاهدٌ في هذه الأيام في الأعمال و إن كانت جليلة، وقانعٌ بتلك الصدقة التي كانت عليَّ برسم الجاري وإن كانت قليلة ، (وواثقًا) بأنَّ هذه المِنّة إذا أتمها كانت واسطةً في قلائد مننه الغُرّ ، وصنيعةً أتحدَّث بجمالها إلى آخر العمر ، إن شاء الله " [2] ، ويظهر توظيف العميدي للحال في هذه الصيغة ، و الحال كما ذكر عند ابن مالك [-672هـ] في ألفيته :

"الحال وصف فضلة منتصب........مُفهِمٌ في حال كفردًا أذهب

فهو عنده : الوصف المنتصب الفضلة الدال على هيئة نحو : فردًا أذهب ، ففردًا تعرب حال لوجود القيود المذكورة فيه ، و أمّا قول المصنف : مفهمٌ في حال فهو معنى قولنا : الدال على الهيئة [3] ، وعند ابن عصفور الإشبيلي [-669هـ] : الحال كل اسم – أو ما هو في تقديره منصوبٌ – نيةً أو لفظًا – مؤكد لما انطوى عليه الكلام ، أو مفسرٌ لما انبهم من الهيئات ، فالمفسر نحو قولك :جاء خالدٌ ضاحكًا ، والمؤكد نحو : تبسم خالدٌ ضاحكًا [4] ، واعتماد العميدي على الحال بكثرة في رسائله و في الصيغة السابقة خصوصًا لميله العام إلى الوصف ، فهو يحرص على تصوير عِظَم ولائه لمخاطبه، وكيف أنّه سيكافئه بإطلاق لسانه بمديحه إن هو فعل ما يطلبه منه ، فناسب استخدام الحال لإحكام تصوير هذه الهيئة.

---

[1] السابق ، ص: 213 ، وانظر أيضًا ص: 367.

[2] السابق ، ص: 361 ، وانظر أيضًا ص: 254.

[3] انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي ، المعروف بابن عقيل [-769هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة–مصر ، ط 20 ، 1980م ، 2/241-242 .

[4] انظر: المُقرّب ومعه مثل المُقرِب ، لأبي الحسن عليّ بن مؤمن ، المعروف بابن عصفور الإشبيلي [-669هـ] ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص: 211.

الصيغة الثانية: (المركب الإسنادي للجملة الاسمية):

تأكيد الطلب(بغير صيغة محددة) + المبتدأ+ الخبر + المشيئة.

كما جاء في خاتمة رسالته في معاتبة صديق له يقول : " وسيدي – أدام الله عزه– ولي التفضل على هذه الجملة ، واستقباح ما جرى من أخيه ، وتعريفه ضجري لاعتدائه وتعدّيه " ثم يسترضي مخاطبه بقوله: " وتصريفي بين أوامره ونواهيه، معانًا بالتوفيق ، إن شاء الله تعالى . " [1] وأيضًا في خاتمة رسالته إلى الشريف القاضي أبي الحسن بن أبي طالب الزيدي يستزيره بمصر يقول : " و أنا راغبٌ إلى تفضله ، ومعوِّلٌ على ما أعهده من جميل تطوُّله ، وملتمسٌ إجرائي على جميل عادته ، في تشريف الجماعة ، وعمارة سبيل المودة بقربه ، وبتِّ قرائن الاعتذار بالابتدار إلى الدار ، إن شاء الله تعالى." [2]، وقد يقع الاسترضاء في خاتمة رسالته بالمركب الإسنادي للجملة الاسمية المنسوخة بإنَّ أو بإحدى أخواتها أو بكاد أو بإحدى أخواتها ، كما جاء في خاتمة رسالته في عتاب ابن القشوري يقول : " فليقف سيدي الشيخ –أدام الله عزه –على هذه الجملة ، وليعرِّفني بهذه الخصلة ، ولا يؤاخذني بما أفضت عليه من سجال عتاب يفُلُّ العزائم ، ويورث الأحقاد والسخائم " ثم يسترضيه بقوله : " فإني أرجو أن يلين مِعطفه ولا يشتد ، ويسكُن غضبه ولا يحتد ، ولا يضيق عليه نطاق احتماله ، ولا يجري إلا على المشكور من أحواله إن شاء الله ." [3] ، وفي خاتمة رسالته بعد عتابه الشيخ عماد الدولة يسترضيه يقول : " فعسى أن تدركه الرّقة فيُعيذَني مما أصمتني به سهام الأعادي، ويبني في بابي مكرمةً تنهدم المباني ، وهي باقية مشيدة ، وتبلى الأيام والليالي وهي ناميةٌ جديدة ، وتكسب بما تعمله في هذا الأمر شكرًا يُقرعُ بذكره رؤوس المنابر ، وتؤرَّخ بمثله صحائف المفاخر والمآثر ،إن شاء الله تعالى ." [4].

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 147 ، وانظر أيضًا ص: 262 ،359، 390.

[2] السابق ، ص: 365.

[3] السابق، ص: 173.

[4] السابق ، ص: 228–229 .

الصيغة الثالثة : (المركب الإسنادي للجملة الفعلية):

تأكيد الطلب (بغير صيغة محددة) + الاستعطاف والاسترضاء باستخدام الجملة الفعلية (الفعل المضارع+ الفاعل+ المفعول به) + المشيئة / السلام.

كما جاء في خاتمة في رسالته في معاتبة ومطايبة للشيخ عماد الدولة يقول : " والشيخ عماد الدولة – أدام الله نعمته– أولى من يكفيني مؤنة التذرُّع إليه بالشوافع والذرائع .... ويأتي في هذا الباب شكرًا يتجدد على مرِّ الجديدين ذكره ووصفه ، ويفوح في الخافقين نشره وعَرفُه ، إن شاء الله." [1] ، وقد يعتمد على الجملة الفعلية المسبوقة بلا الناهية في خاتمة رسالته ، كما جاء ذلك في رسالته في المداعبة إلى بعض أصدقائه وكان قد وعده بمَأدُبة عنده يقول : " فليكن –أدام الله سلامته– فيما وعد مجدًّا ، وللأمر مستعدًّا ، " إنما نعدُّ لهم عدًّا" [مريم /84] ، ولينتبه الطّبّاخ على إصلاح الألوان ، وتعبئة الجفان ، لئلا ينام الناس عن الشكر لنعمته ، وليأمر بتسويد مطبخه ؛ ليبيض وجوه عارفته " ثم استرضاه بقوله : " ولا يؤاخذني باللغو بغُلُوِّي في المجون ، ففي هذا الوقت طرفة محبوبة ، ولا يستوحش من دعابتي فالعادة مطلوبة ، والسلام. " .[2]

الصيغة الرابعة : (جملة الشرط):

فإن + فعل الشرط + فعل جواب الشرط + المشيئة.

وقد جاء ذلك في خاتمة رسالة واحدة وهي جواب على رقعة لأبي إسحاق الصابي ، و كان قد طلب منه رسائل الإسكافي ، فبعدما فرغ من إعطائه ما يريد قال : " فإن رأى – أدام الله تمهيده– أن يجري في قبولها إلى عادة بره و إنعامه ، فعل إن شاء الله. " [3]

3-1-2-1- (الاختتام بالدعاء) (وهي الأكثر شيوعًا):

وقد جاء هذا الضرب على ثلاث صيغ :

---

[1] السابق ، ص: 244 ، وانظر أيضًا ص: 233 ، 237 .

[2] السابق ، ص: 304.

[3] السابق : ص428.

الصيغة الأولى : (المركب الإسنادي للجملة الفعلية):وتأتي على نمطين على النحو الآتي:

(أ) الفعل المضارع (نسأل / أرجو/ أُؤمل/ أبتهل) + الفاعل (محذوف وجوبًا) + المفعول به (الله / أن الله/ إلى الله) + يفعل كذا / أن يفعل كذا+ تتمة الدعاء (بفضله وطوله/ بلطفه وعطفه/..) / المشيئة.

كما جاء في خاتمة رسالته إلى الشيخ أبي القاسم منصور بن محمد وهو بخراسان وهي رسالة أدبية، يقول :" نسأل الله –تعالى– أن يختم بالسعادة أعمالنا ، فقد انقضت في الخطايا أعمارنا ، وأن يحقق في كرمه آمالنا ، فقد عظمت آثامنا و أوزارنا ، وأن يبدل الحسرات الباقية في القلوب بغفران ....إنه وليٌّ الإجابة بفضله وطوله."[1]

وفي خاتمة رسالته الأدبية أيضًا وهي محلول قصيدة لأبي تمام يقول : " و أؤمل أن الله تعالى يمتّعني عاجلًا و آجلًا ببقائه ، ويسعدني راجلًا ونازلًا بالنظر إلى لقائه ، بلطفه وعطفه ." [2] ، وفي خاتمة رسالته في تهنئة الوزير صفي الدين يهنئه بانتقاله إلى دار ابن كِلِّس – وهي دور إدارية للوظائف العليا في الدولة الفاطمية– يقول : " وأبتهل إلى الله –سبحانه– في إدامة هذه الأيام المشرقة ، و إبقاء هذه الأفراح المتسقة ، و أرغب إليه جلّ اسمه في أن يُجري طالع هذا التحويل سعيدًا...بلطفه وعطفه." [3] ، وقد يختم الرسالة بالتوسل بجاه النبي –صلى الله عليه وسلم– كما فعل ذلك في رسالته في التحسر على تقلب الأيام عليه إلى أبي طاهر البهركي يقول : " و أرجو من الله أن يكشف عني هذه الغمة عن كثب ، ويُردف بضياء من عنده مُرتَقب...فقد جعلت محمدًا وأهل بيته إليه عزَّ اسمه وسائلي ، بعفوه ورحمته ، وكرمه ورأفته" [4] ، والفعل المضارع في ذلك كله هو للاستقبال ؛ لأنه للدعاء فالأفعال بالنسبة إلى الزمان على ثلاثة أقسام : ماضٍ بالوضع كفَعَل ومبهم بالوضع كيفعل ، ومستقبل بالوضع كافعل ، فالفعل المستقبل بالوضع لا تأتي قرينة تزيله عمَّا وضع له ، و أمّا المبهم بالوضع فله قرينتان تصرفان معناه دون لفظه إلى المضي ، وهما لو و ربما ، وقرينة تجعله للاستقبال ، وهو الدعاء و لام الأمر ، و كذا لا في النهي والدعاء ، و لا في النفي ، و لام القسم ، وحرف التنفيس،

---

[1] السابق ، ص: 335 ، وانظر أيضًا ص: 402.

[2] السابق ، ص: 396 ، وانظر أيضًا ص : 17 ،206.

[3] السابق ، ص: 220.

[4] السابق ، ص:435.

ونونا التوكيد ، والنواصب كلها ، وإعماله في الظرف المستقبل ، وأدوات الشرط كلها إلا لو ، و أمّا الماضي بالوضع فله قرائن تصرف معناه دون لفظه إلى الاستقبال ، وهي أدوات الشرط كلها إلا لمَّا الظرفية ولو ، وله قرينتان تصرفان لفظه دون معناه إلى المبهم وهما لمَّا و لم الجازمتان. [1]

(ب) الفعل الماضي + الفاعل (لفظ الجلالة) + الجار + المجرور + تتمة الدعاء (بسعة جوده / بجوده وكرمه/ ..) / الحسبلة.

كما جاء في خاتمة رسالته المسماة برسالة التوبة ، يقول : " ورغبت إلى كرمه في أن يقبل توبتي واستغفاري ، ويحط عن كاهلي ثِقل آثامي وأوزاري ....إنه وليّ الخير و أهله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو حسبي ونعم الوكيل ." [2] ، وفي خاتمة رسالته في الاعتذار لصديقه ابن اللّحّام ، يقول : " أعانني الله على النهوض بمفترضاته ، ووفقني لما أحرص عليه من توخِّي مرضاته بسعة جوده." [3] ، فالفعل الماضي يدل أحيانًا على الزمن الحالي ، وذلك متى أريد به الإنشاء نحو قولك: زوجتك ابنتي ، كما قد يدل على الاستقبال وذلك إذا أريد به الدعاء نحو قولك : سامحك الله ، غفر الله لك ، ، شفاك الله [4] ، وقد جاء اعتذاره في الرسالة مقتضبًا على عادته في هذا الغرض بخلاف المعتاد في عام أسلوبه من الإسهاب والإطناب ، وهذا أمر يتوافق وشخصية العميدي المعتدة بنفسها.

الصيغة الثانية : (المركب الإسنادي للجملة الاسمية) : وتأتي على النحو الآتي:

ذكر سبب إرسال الرسالة (وقدمت رقعتي هذه....) + المبتدأ + الخبر+ تتمة الدعاء(بجوده وطوله/بمنه وجوده/...)/الحسبلة.

كما جاء في خاتمة رسالته في الاعتذار لعميد الدولة لتخلفه عن تهنئته بالوزارة ، يقول : " فقدمت هذه الأحرف نائبةً عني في التقرير ، ومزيلةً سمة التأخير والتقصير ، و أنا أسأل الله أن يسعده بهذا العيد وبسائر

---

[1] انظر: المقدمة الجزولية في النحو ، لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي [–607هـ] ، تحقيق د.شعبان عبد الوهاب محمد ، مطبعة أم القرى ، السعودية ، د.ط ، د.ت ، ص 33.

[2] رسائل العميدي ، ص: 116.

[3] السابق ، ص: 326 ، وانظر أيضًا : ص: 123 ، 162 ، 436.

[4] انظر:النحو الأساسي ، د.أحمد مختار عمر وآخرين ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط 4 ، 1994 م ، ص : 178.

أيامه ، ويضاعف لديه سوابغ إكرامه وإنعامه ، ويُبلِّغه نهاية مراده ومَرَامِه ...بمنه وجوده." [1] ، وفي خاتمة رسالته يعود الشيخ نجيب الدولة في علَّتِه ، يقول : " وقدمت رقعتي هذه نائبةً في الاعتذار ، ومقدرة الضرورة التي حالت بيني وبين الاختيار ، وأنا أبتهل إلى الله في أن يجعل مقامه مديدًا ، ويَعقُبَه عاجلًا ركوبًا حميدًا...بلطفه وعطفه ." [2] ، وقد تعتمد هذه الصياغة على كان أو إحدى أخواتها واسمها وخبرها ، يقول في خاتمة رسالته إلى بشير مُعرِّضًا فيها بإنسان رئيس احتجب عنه ، وردَّه بوّابه وأذن لغيره من الكتاب ، وقد خرج الدعاء مخرج التمني : "فكأنك بسحابة الصيف وقد تقشعت ... وبالأسباب المتنافية وقد انصرمت ، وبالأبواب الشاهقة العالية وقد انهدمت ...وبالأوغاد الذين كايد الدهر أُولي الفضل بهم وقد مدُّوا أيديهم بالسؤال في الطرق ، وذلوا مطروحين في المزابل كالخِرَق ، فحينئذٍ قُدْهم بأزمّة الصغار إلى سوءِ مقامهم...ووفِّ قَضمَهم من العفص المقلوب ، وأُذِلَّ منهم كل جبارٍ عنيد ، وما ذلك بمشيئة الله ببعيد. " [3] ، وقد تختتم الرسالة بالاعتماد على ما النافية للجنس واسمها وخبرها كما جاء في خاتمة رسالته إلى الشريف أبي طالب ابن بنت الزيدي جوابًا على رقعته وقد طلب منه أمرًا ، يقول : " والشريف القاضي –أدام الله فضله– أولى من أن يُجلَّ قدمه عن الركوب إلى فلان ، ويطهر عرضه من مخاطبته ومعاتبته ، وموافقته على ما يبلغني عنه ومحاسبته " ثم يدعو : " فلابد من أن الأيام– بإذن الله ومشيئته ، وحوله وقوته– تنفض عنَّا هذا الغبار ، ويعقب هذا الاصطبار انتصار ، ويكافئ كُلًّا مِنّا على قدر اعتقاده ، وتبلغه في وليّه وعدوّهِ غاية مراده، وما ذلك ببعيد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل."[4] قال ابن هشام : " لا إنما تكون على ثلاثة أوجه : إحداها أن تكون (لا) نافية ، وعندئذٍ تكون على خمسة أوجه : أولهما أن تعمل عمل إن ، وذلك إذا أريد بها نفيها للجنس على سبيل التنصيص ، وتسمى في هذه الحال لا التبرئة ، و يظهر نصب اسمها إذا كان خافضًا كقولك : لا صاحب جود ممقوت ، وقول المتنبي:

فلا ثوب مجدٍ غير ثوب ابن أحمد.... على أحدٍ إلَّا بلؤم مُرَقَّعِ [الطويل]

أو رافعًا نحو قولك : لا حسنًا فعله مذموم ، أو ناصبًا كقولك : لا طالعًا جبلًا حاضر ، أو قولك : لا خيرًا

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 341.

[2] السابق ، ص: 356 ، وانظر أيضًا ص : 169 ، 409 ، 413 ، 425.

[3] السابق ، ص: 151 ، وانظر أيضًا ص: 88.

[4] السابق ، ص: 151.

من زيدٍ عندنا.[1] فلحسن ظنه بالله ، ورجائه فيه ، وحسن أمله ثم لقربه من الخليفة الفاطمي وعلو شانه ، استخدم لا النافية للجنس لينفي أي مفرٍ قد تهرب عنه فيه سعادته ، أو يخيب أمله فيه.

وقد تعتمد الخاتمة على ما العاملة عمل ليس واسمها وخبرها ، كما جاء في خاتمة رسالته إلى أبي الحسن التميميّ المستخدم بمصر ، يشكو ابن البنّاء كاتبه ، يقول : " وما على الله بعزيز أن يَنعم الأحرار كافّةً برمي هؤلاء السُّقّاط بسهام الأوابد ، وإخلاء المشاهد من بضائعهم الكواسد ، بقدرته وسلطانه وقهره و امتنانه." [2]

الصيغة الثالثة : (المفعول المطلق): وقد جاءت على النحو الآتي :

حرف العطف(و)+مفعول مطلق لفعل محذوف+لفظ الجلالة مضاف إليه+تتمة الدعاء(بمنه وعونه)/الحسبلة.

كما جاء في خاتمة رسالته إلى عميد الدولة حسن بن صالح في طلب شفاعة منه ، يقول : " ومعاذ الله أن أرمى بسهام المِحَن ، و أُحْوَج إلى الاعتذار من التُّهم والظّنن ، و أمير المؤمنين مُلاحظي بعين إحسانه وإنعامه ، والشيخ عميد الدولة متكفلٌ بمصالحي في نظره وأيامه ، ومن عند الله التوفيق والمعونة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ." [3] ، وفي خاتمة رسالته في عتاب بعض إخوانه ، يقول : " وإذا خالفت هذه القضية كنت كمن اختار على الوفاء الغدر ، وعلى الشكر الكفر ، وعلى الحمد الذّم ، وعلى المدح اللُّؤم " ثم يدعو : " ومعاذ الله أن يراني بهذه الصورة ، أو أرضى قُبح هذه الخُلّة المذكورة ، والله تعالى يبقيه ويقيه ، ويمتتعني به وفيه ، بمنِّه وعَونه." [4] ، والمفعول المطلق كما قال ابن مالك :

"المصدر اسم ما سوى الزمان من ... مدلولي الفعل كأمنٍ من أمن
توكيدًا أو نوعًا يبين أو عدد...كسرت سيرتين سير ذي رشد

فهو ذاك المصدر المنتصب إمّا توكيدًا لعامله ، أو إبانةً لعدده ، أو لنوعه ، نحو ضربت ضربًا ،أو ضربت ضربتين، أو ضربت ضرب زيد ، ، و إنما سُمي مفعولًا مطلقًا لصدق المفعول عليه دون أي تقيدٍ بحرف جرّ

---

[1] انظر: مغني اللبيب ، 1/ 264 ، وللمزيد حول أحكام لا النافية للجنس و ما تفترق به عن إنَّ ، انظر نفسه ، 1/ 264-266.

[2] رسائل العميدي ، ص: 440 ، وانظر أيضًا ص:345.

[3] السابق ، ص: 190.

[4] السابق ، ص: 266.

وغيره بخلاف غيره من المفعولات [1] ، فلميل العميدي إلى المبالغة و رغبته في تأكيد عدم تلبسه بعداوة لصديقه ، أو أن يتبادر لذهن مخاطبه أنه يذمه أو يشكوه ؛ فإنه يؤكد ولائه ، و ثبات محبته بتوظف المفعول المطلق المؤكد لفعله المحذوف و تقديره (أعوذ) ، وأصل الكلام : أعوذ بالله معاذًا ، أي ألتجىء إلى الله.

وهذا الضرب الخاص بالاختتام بالدعاء لم يختص به نوع بعينه من رسائله ، فقد جاء الاختتام بالدعاء في حوالي 27 رسالة من رسائله ، أي ما يقارب ربع رسائله ، ولم تتفق على نوع محدد من رسائله ، فجاء الاختتام بالدعاء في خواتيم بعض رسائل الهجاء و التهنئة و الاعتذار والشكوى والعتاب دون اقتصاره على غرض محدد بعينه ، وإنما الاختتام بالدعاء حسب ما يقتضيه الموقف والكلام.

4-1-2-1- الاختتام بالتهديد:

ويجيء هذا الضرب غالبًا في رسائل الهجاء والعتاب ، ويعتمد العميدي على استخدام الجُمل الشرطية ، مختتمًا رسالته في أغلب الأحيان بلفظ (والسلام) ، والتهديد بالضرب بالحذاء [2]، وقد جاءت صيغته على النحو الآتي:

حرف عطف (و)+أداة الشرط (إن / إذا) + فعل الشرط + فعل جواب الشرط + والسلام.

كما جاء في خاتمة رسالته إلى شمس الملك مسعود بن طاهر يهجوه و يعاتبه ، يقول : " وقد أرسلت صاحبك فلانًا ليخرجك من ظلامك ، ويُوقظك من منامك..." ثم يختم بتهديده مستخدمًا جملة الشرط ، يقول : " فإن قبلت كلامه ونصحه ، وتركت مذهب اللَّجاج وقبحه ، تغابيتُ و أغضيتُ من جزائك ، وإن أصررت على ما أعرفه من أخلاقك الفجّة تخفَّيتُ وجئتُ بالحذاء للقائك ، والسلام. " [3] ، وفي خاتمة رسالته إلى بعض النصارى وهو ابن البنّاء مُستخِفًا به ، يقول : " والله إن مقاساة أمثالك صعب :

فإن كنت من الناس ....فما فوق الثرى كلبُ .[الهزج] "

ثم جاء التهديد باستخدام جملة الشرط : " وإذا كتب الله عليَّ الشقاء بلقائك ، خاطبتك قولًا لا فعلًا ، فالنعل

---

[1] انظر: شرح ابن عقيل ، 2/ 170-171.

[2] انظر رسائل العميدي ، ص: 101 ، 104 ، 131 ، 377.

[3] السابق ، ص: 101.

أشدُّ تأثيرًا من الكتب ، والسلام. " [1] ، و الشَّرط في الاصطلاح : هو تعليق حصول شيء بحصول شيء آخر ، بحيث إذا وُجد الأول ، وُجد الثاني معه ، وقيل الشرط : هو الذي يتوقف عليه وجود الشيء مع كونه خارجًا عن ماهيته ، وقيل الشرط : ما يتوقف عليه ثبوت الحكم [2] ، فهو يناسب التهديد فإن لم يفعل مراسله ما يريد من رفع يديه عن الإساءة إليه ويرتدع وقع الجزاء فوق رأسه فور ما تكون مخالفته ، يقول ابن السراج : وأمَّا ربطك جملة بجملة فنحو: إن يقم زيدٌ يقعد خالدٌ ، وكان أصل الكلام يقوم زيدٌ يقعد خالدٌ ، فيقوم زيدٌ ليس متصلًا بيقعد خالد ، ولا منه في شيء ، فلما دخل حرف" إن" على الجملتين جعل إحدى الجملتين شرطًا والأخرى جوابًا [3].

وقد يستخدم الجملة الفعلية (فعل مضارع + الفاعل محذوف وجوبًا+ أن نفعل كذا + فترى كذا) فيخرجها مخرج الشرط ، يقول في خاتمة رسالته في هجاء محسن بن بدروس وكان على بيت المال ، لمَّا بلغه أنه ذكره بالحضرة بالقبيح : " وما دامت طريقتك الافتراء على الفضلاء ، والاقتداء بمذاهب السفهاء ، والتَّقرُّب إلى الحَضْرة بالنواميس التي بحارها عندك واسعة ...فالقدر طالبك ومطالبك " ثم يختم بالجملة الفعلية التي أخرجها مخرج الشرط تهديدًا ، يقول : " و أرجو أن نلتقي معًا في الحضرة الشريفة ، فترى كيف أخاطبك بحذاء الخدم ، وأحاسبك بما تنصرف عنها بالعمى والصَّمم ، إن شاء الله وبه الثقة. " [4]

5-1-2-1- رد آخر الرسالة إلى أولها:

وقد جاء ذلك في خاتمة رسالة واحدة أرسلها العميدي إلى بعض أصدقائه في المداعبة والتعريض عن طريق توظيف كان التامة وحرف التحقيق قد مع تقدير الفاعل ، يقول : " والذي أوثره مبادرة سيدي الشيخ – أدام الله عزه– إلى استدعائه وتعريفه اجتماعنا على مدحه و إطرائه ...فإذا ألقى مقاليد هذا الأمر إليه ، واعتمد في كتابه عليه ، علمت أنه أعطى القوس باريها ، والزناد موريها ، وحصلت الحاجة عندنا بقدر اللَّمح بالبصر

---

[1] السابق ، ص: 104 ، وانظر أيضًا ص : 131 ، 199 ، 283 .

[2] انظر: كتاب التعريفات ، لعليّ بن محمد بن عليّ الجرجاني [–816 هـ] ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط 1 ، 1983م ، ص: 125 .

[3] انظر: الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج [–316هـ] ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت–لبنان ، د.ط ، د.ت ، 1/ 43 .

[4] رسائل العميدي ، ص: 377.

، فكان قد ، إن شاء الله " فقد التي في آخر رسالته والتي يَعد بأن تحدث في قوله " فكان قد " هي قد التي جاءت في استفتاح الرسالة يقول : " قد كانت الموافقة– أدام الله عزَّ سيدي– استقرت على استدعاء فلان المغنّي إلى منزلنا بالقرافة للاجتماع فيه على الجملة التي شرحها ، والصورة التي اقترحها" [1]، أي أنه يريد أن يقول إن جهزت ما عليك من التحضيرات والترتيبات ، يحصل ما قد اتفقنا عليه في استفتاح الرسالة من الاجتماع في المنزل مع المغنّي المستدعى بالصورة التي ذكرتها ، فكأنما رد آخر الرسالة إلى أولها.

أمّا الصورة الثانية من صور اختتامات العميدي لرسائله فهي :

2-2-1- (الاختتام بأبيات من الشِعر) :

كما جاء في خاتمة رسالته الأدبية الأولى إلى بعض أصدقائه ، التي هي أشبه شيء بالمقامة ، يقول : " وهذه– أدام الله عزك– مزحةٌ خفيفةٌ على الفؤاد ثقيلةٌ على الأكباد ، يغوص على معناها العاقل ، ولا يفهم فحواها الجاهل " ثم أنشد بيتين لا يُعلم نسبتهما ، ولعله صاحبهما فقد كان شاعرًا ، يقول : "

ولولا ارتباكي في سِبابِك مُخبِتي....لَقُلتُ وقشَّرتُ العَصا أيَّما قَشرِ
ولكن لأمرٍ ما تراني ساكتًا......... وتحت ضلوعي ما يَزيد على الجَمرِ [الطويل] " [2]

وقد يختم بأبيات الشعر رسائل المعميات متضمنة مختصرًا عن اللغز الموجود في الرسالة إلى جانب تَحدّيه مُراسله أن يعرف ما سطره في الرسالة من اللغز ، وهي أبيات من تأليفه ، كما جاء في خاتمة رسالته إلى بعض أصدقائه وهو بمصر، يقول : " .....وإن تحققت معناه فظرفٌ ظريف ، وإن تأمَّلت أعلاها فشكلٌ طريف " ثم أنشد "

هدّيةُ مَن لا يُسترابُ بِوُدّهِ.....وتُحفةُ من طابت وفاحت شمائلهْ
فمن يكشف المستور عمّا شرحته....وهيهات قد سُدّت عليه مداخلُهْ [الطويل] " [3]

كما اختتم أيضًا بأبيات الشعر رسائل في العتاب والهجاء ، كما في خاتمة رسالته التي عاتب فيها أحد الإشراف

---

[1] السابق ، ص : 119–120.

[2] السابق ، ص: 12 ، وقد اختتم أيضًا رسائل أدبية أخرى بالشعر يُنظر ص: 197 ، 419 ، 423.

[3] السابق ، ص: 265 ، وقد اختتم أيضًا رسائل أخرى في المعمّيات بالشعر يُنظر ص : 260 ، 307 ، 378.

لإنكاره حقه بدمشق يقول : "... وأسباب المعاتبة و أبوابها عنه منقطعة ، و أوامره فيما يمثِّله لي مرتَسَمةٌ متَّبَعة " ثم أنشد بيتين لعله صاحبهما:

"وجملة أمري لا خلاف لأمره.......أُقَرَّبُ أم أُقصى وأسخط أم أرضى

جعلت روحي فداءً من الردى ......ونفسي مملوكًا وخدِّي له أرضًا. [الطويل] "[1]

وفي خاتمة رسالته في هجاء أبي الفتح الهروي المستخدم بديوان الترتيب بصور يقول له : " وقد جرى في الموقف الأشرف – زاد الله في جلالته – من ذكر أعمالك الجالبة لك العمى وما يُصِمّ أُذُنَيْك ، ويُسخِنُ عينَيْك ، وإليك يساقُ الحديث" ثم أنشد شطر بيت لقُراد بن أجدع ، يقول : " و إن غدًا لناظره قريبُ. [الوافر] " [2]

وأمّا الصورة الثالثة من صور اختتامات العميدي لرسائله فهي :

3-1-1- (الاختتام بآيات من القرآن) :

اختتم العميدي خمس رسائل بآيات من القرآن الكريم ، ثلاثة منهم رسائل ديوانية و اثنتين إخوانيتن ، فمن الرسائل التي اختتمها بآيات من القرآن الكريم رسالته الديوانية على لسان الخليفة إلى صالح بن مرداس لمَّا ورد الشام ونهب ضياعها في الوعد والوعيد ، يقول : " ... وإن ضرب الشيطان بينك وبين الإنابة بالأسداد ، وسدَّ عليك الخذلان أبواب الرَّشاد والسَّداد ، أوردك مَوْرِدًا ما عنه صَدَر ، وتركك ولا يبقى لك أثر، " وسيعلم الكفار لمن عُقبَى الدار[الرعد / 42] " [3] ، وفي خاتمة رسالته الديوانية الأخرى على لسان الخليفة أيضًا في إحماد أهل دمشق لما أظهروه من الصبر والجد في قتال الأعداء والجهاد ، وكان قد استقتحها بثلاث آيات من سورة الأحزاب تصف جهاد المؤمنين في غزوة الخندق ، يقول في خاتمة الرسالة : "... وتعملوا أنَّ في نظرةٍ

---

[1] السابق ، ص: 394.

[2] السابق ، ص: 349 ، والبيت كاملًا : (فإن يَكُ صدرُ هذا اليوم وَلىَّ....فإن غدًا لناظره قريب) ، ولهذا البيت قصة مشهورة مؤدّاها أنّ النعمان بن المنذر كان قد أمر بقتل رجلٍ يدعى الطائي ، فاستأذنه في أن يبقيه حولًا يودع أهله ويوصي أهله قبل موته ، فضمنه في ذلك قراد بن أجدع ، فلما جاء اليوم الذي قبل انتهاء المدة التي أعطاها النعمان للطائي ، قال النعمان لقراد ستقتل غدًا ، فأنشده هذا البيت ، وقد أتى الطائي بالفعل غدًا ، ولم يقتله النعمان لا هو ولا قراد لوفائه بالعهد ، انظر القصة كاملة في مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني [–518هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت– لبنان ، د.ط ،2004م، 70/1 .

[3] رسائل العميدي ، ص: 300.

من نظراته – أي الخليفة الفاطمي الظاهر – ما يأسو كُلومَكم ، ويُزيلُ هُمومَكم ، وتَقَرُّ عيونُكم.... ويُعيد بلدكم إلى أحسن ما كان عليه عِمارةً و حُسنًا ، ويُبدِلُكم بتوفيق الله من بعد الخوف أمنًا ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب " [1] ، وقد تمثل بآيتين في آخر جملتين في خاتمة الرسالة ، وهما مَحلُول قوله –تعالى– : " وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنَّهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " [النور / 55] ، وقوله –تعالى– على لسان نبيه شعيب – عليه السلام –: " ....وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب " [هود/ 88]. [2]، أمّا الرسالتان الإخوانيّتان فواحدة منهما في الهجاء وأخرى في الاستزارة ، فأمَّا التي في الهجاء فهي مرسلة لابن بنان الكاتب ، حيث يدعو العميدي عليه في خاتمة رسالته وعلى من على شاكلته، فيقول : " .. وأن تقصر خطاهم عن بلوغ مُناهم... وسعودهم آفلة ، وشموسهم كاسِفة، ونفوسهم خائفة ، ونحوسهم مترادفة ، و أيامَهم سُودًا كدِرة ، و وجوههم عليها غبرة ، لَعَلَّهُ ترهقها قَتَرَةٌ ، أولئك هم الفجرة الكفرة "[3] وقد تمثل في آخر الرسالة بقوله –تعالى– في خواتيم سورة عبس : " ووجوه يؤمئذٍ عليها غبرة (40) ترهقها قترة (41) أولئك هم الكفرة الفجرة (42) " [4] ، والرسالة الثانية يستزير الشريف أبا الحسن بن أبي طالب الزَّيْدي إلى منزله ، يقول : " فليبادر الشريف – أدام الله سلامته– إلى منزلي ، فإنَّ أيام اللّذات إن أدركتها ففُرَص ، وإن فاتتك فغُصَص...وليعلم أنَّ في إحياء هذه الليالي الشريفة بتلاوة القرآن ، ومحادثة الإخوان ، استعمالًا للزهادة يُخلِّص من الكدِّ والكروب..... ومن سعى

---

[1] السابق ، ص: 373.

[2] وانظر أيضًا تمثله بآيات من القرآن الكريم في آخر جملتين من رسالته الديوانية إلى حسان بن جراح لما نهب الرَّملة وخالف الدولة ، ص: 283، يقول له : " فإن وُفقِّتَ للتوبة والإنابة فلا مقنط من إصلاحك، وإن عدمتها رأيت سوء صباحك ، والسلام على من اتبع الهدى " فآخر جملتين هما مَحلُول قوله –تعالى– : " فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنذَرين " [الصافات/ 177] ، وقوله –تعالى– : " فأتياه فقولا إنَّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى " [طه / 47] .

[3] السابق، ص: 183.

[4] وقد أقحم المحقق –سهوًا – لفظة " لَعَلَّه " في نص الآية ، وجعلها مع الآية باللون المظلل ، وقد أخرجتها من نص الآية ، وجعلته تمثلًا لا استشهادًا ، انظر رسائل العميدي، ص: 178.

للآخرة فقد ربح و أفلحت تجارته ، ومن تعلَّق بالدنيا فقد افتضح ، واتضحت خسارته " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" [آل عمران / 185] ، " ولله عاقبة الأمور" [الحج /41]." [1]

تتمة : بتناول صور اختتامات العميدي لرسائله ظهرت بعض العناصر التي تداخلت مع صيغ الاختتام كعبارات المشيئة و التسليم والحسبلة و تتمة الدعاء وتفصيلها على النحو الآتي:

(أ) عبارات المشيئة جاءت في خواتيم رسالته على أربع صيغ وهي :

صيغة (إن شاء الله –تعالى–) / صيغة (إن شاء الله) / صيغة (إن شاء الله وبه الثقة) / صيغة (إن شاء الله –تعالى– وبه الحول والقوة)[2] .

ولم تختص عبارات المشئية بنوع معين من الرسائل دون غيره ؛ إلا الرسائل الإخوانية التي كان العميدي يرسلها إلى كبار رجال الدولة الفاطمية ، فلا تكاد تخلو خواتيمها من لفظ المشيئة غالبًا بصيغة (إن شاء الله تعالى) ، وخاصة في الرسائل التي تستفتح بلفظ كتابي[3] ، يقول القلقشندي موضحًا أهمية اختتام الرسائل بالمشيئة : اعلم أنه يُستحب للكاتب عند وصوله إلى خاتمة ما يكتبه من ولاية أو مكاتبة أو غيرهما أن يكتب " إن شاء الله –تعالى– " تيمّنًا و تَبَرُّكًا ، و رغبة في نجاح مقصد كتابه ، قال –تعالى– : " ولا تقولن لشيءٍ إنِّي فاعلٌ ذلك غدًا إلا أن يشاء الله " [الكهف / 23] ، ولا خلاف في كونها أول خاتمة تكتب من خواتيم المكتوب ، و موضعها من الدّرج يكون أسفل المكتوب في وسط الوصل ، محاطة ببياض عن يمينها وشمالها ، و المسافة بينها وبين السطر الآخر من المكتوب كالمسافة ما بين سطرين أو دونه. " [4]

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 338.

[2] انظر السابق على سبيل المثال على الترتيب ، ص: 31 ، 37 ، 44 ، 48 ، 65 ، 120 ، 140 ، 143 ، 147 ، 229 ، 75 ، 78 ، 82 ، 86 ، 88 ، 118 ، 135 ، 173 ، 206 ، 215 ، 223 ، 27 ، 53 ، 71 ، 377 ، 249.

[3] انظر على سبيل المثال السابق ، ص: 27 ، 37 ، 44 ، 48 ، 53 ، 65 ، 75 ، 78 ، 325.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 223–224.

(ب) عبارات التسليم :

ويعتمد العميدي فيه على لفظة (والسلام) وغالبًا ما ترد عنده في خاتمة رسائل الهجاء والعتاب والشكوى [1]، فكأنه استلهم سنن النبي –صلى الله عليه وسلم والخلفاء و الملوك من بعده في رسائلهم في التهديد والحروب ، وقد اختتم رسالته الديوانية إلى حسان بن جراح لمَّا نهب الرَّملة وخالف الدولة بقوله : " والسلام على من اتبع الهدى " وهو اقتباس قوله –تعالى– لنبيه موسى –عليه السلام– : " فأتياه فقولا إنَّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى " [طه / 47] ، وقد استخدم النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الصيغة في التسليم في رسالته إلى هرقل ملك الروم كما أشرت من قبل [2] ، قال القُتَبي [–276هـ]: السلام صفة من صفات الله –سبحانه– والسلام لغةً: بمعنى السلامة ، كالرضاع والرضاعة ، فسمى الله نفسه –سبحانه– سلامًا لسلامته من العيوب التي تلحق بالمخلوقين ، و أمّا قولهم السلام عليكم فمعناه : اسم السلام عليكم ، وقد بيَّن الشاعر لبيد ذلك فقال :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما......... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر. [الطويل]

وممَّا يجب على الكاتب أن يتعاطاه : تقديم لفظ السلام ، فيقول: السلام عليك ، وقد تفنن الناس كثيرًا في ألفاظ السلام وكيفيته ، فكانوا في بداية الأمر يقولون : والسلام عليك ، ثم قالوا : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم تفنَّنوا بعد ذلك و تعمقوا [3] ، يقول أحمد بن يوسف : اكتب في مفتتح كتابك "سلام عليك " تحيةً ، وفي آخره " والسلام عليك" وداعًا ، فسلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكرةً ، وأمّا سلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً ؛ وذلك لرجوعه إلى الأول[4].

---

[1] انظر على سبيل المثال رسائل العميدي ، ص: 101 ، 104 ، 199 ، 351 ، وقد وردت في خاتمة رسالة أدبية ص: 304 ، وأخرى في معمَّاة إلى بعض أصدقائه ص : 67.

[2] انظر : ص 113 ، وانظر رسائل العميدي ، ص: 283.

[3] انظر: إحكام صنعة الكلام ، ص: 79–82 ، وانظر إرشادات عامة للكتابة وطرق مخاطبة الملوك والسادة والنظراء ، نفسه ص: 250–261.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 220/6.

(ج) الحسبلة :

جاءت الحسبلة في خواتيم رسائل العميدي في الهجاء والشكوى و في آخر رسالة له تسمى رسالة التوبة يُعلن فيه ندمه على ما فرطه في جنب الله ، وهو استخدام طبيعي لهذا العنصر ، وأصل هذا الأمر ما دلَّ عليه قوله –تعالى– : " الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (173) فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم (174) " [آل عمران /173–174] ، فجعل قولهم : حسبنا الله سببًا لحسن مُنقَّلبهم وصونهم عن حصول السوء لهم ، وقد قيل : من قال حسبي الله ونعم الوكيل لم يخب عن مراده ، أمّا ما يُكتب من الحسبلة فقد اصطلح الكتّاب على أن يكتبوا " حسبنا الله ونعم الوكيل" بنون الجمع ، على سبيل أنَّ المتكلم يتكلم بلسانه ، ومعه لسان غيره من الأمّة ، وليس للتعظيم ؛ لأنه غير مناسب للمقام ، وقد استحب بعض الكتّاب أن يكتب " حسبي الله" بلفظ الواحدة ، وذلك فرارًا من اللبس في الظن بأنها للتعظيم ، وأمَّا موضعها في الكتابة ، فقد اصطلح الكتّاب على أن يكتبوها سطرًا واحدًا وذلك بعد سطر الحمدلة والتصلية ، وتكون المسافة بينهما كالمسافة ما بين كتابة إن شاء الله – تعالى– ، و السطر الآخر من البياض ، قال ابن شيث [625–هـ] : وموضعها– أي الحسبلة– ثلث السطر من جانبه الأيمن إلى حيث ينتهي. [1]

وقد جاءت الحسبلة في رسائل العميدي على صيغتين:

1– الواو العاطفة + المبتدأ ضمير منفصل + الخبر جملة فعلية + واو عاطفة + الفعل (نِعْمَ) + فاعلها .

فتأتي صيغة : " وهو حسبي ونعم الوكيل " [2] وقد اختتم بها رسائله إلى بعض أصدقائه ، كما اختتم بها رسالته الثامنة و الثلاثين إلى عميد الدولة حسن بن صالح في الشفاعة ، وهو موافق لما جاء في النص السابق عند القلقشندي ، وقد يكون المبتدأ لفظ الجلالة فتأتي الصيغة : " والله حسبنا ونعم الوكيل " [3] ، وقد

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 258–259.

[2] انظر رسائل العميدي ، ص: 116 ، 190 ، 386.

[3] انظر السابق ، ص: 169.

اختتم بهذه الصيغة رسالته إلى الأمير أبي القاسم وليّ العهد ، فلعه من باب أنه يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمّة كما ذكر ذلك القلقشندي أيضًا.

2– الواو العاطفة +الخبر جملة فعلية مُقدَّمة + المبتدأ مؤخر(لفظ الجلالة) + واو عاطفة + نِعْمَ + فاعلها.

فتأتي الصيغة الأشهر في الباب : " وحسبنا الله ونعم الوكيل." [1] ،و كلها رسائل لأصدقائه ، وهو موافق لما ذكره القلقشندي .

(د) تتمة الدعاء : (وهي الجملة أو شبه الجملة العائدة إلى الله –عزوجل– في خواتيم رسائله):

وقد جاءت تتمة الدعاء في خواتيم رسائله على ثلاث صيغ :

(1) أن تكون تتمة الدعاء بإنَّ واسمها وخبرها ، نحو(إنه ولي التوفيق / إنه معطي الخير ووليه / إنه ولي ذلك). [2]

(2) أن تكون تتمة الدعاء ما العاملة عمل ليس واسمها وخبرها ، نحو (وما ذلك على الله بعزيز / وما ذلك بمشيئة الله ببعيد) .[3]

(3) أن تكون تتمة الدعاء حرف الجر (الباء) مجرورًا به إعرابًا إحدى صفات الله –عزوجل– ، نحو (بمنه ورحمته / بجوده وكرمه/ بلطفه وعطفه/ بمنه وعونه/ بسعة جوده/ بفضله وطوله/ بمنه وجوده/ بطوله وحوله / بطوله وحوله وجوده ومجده/ بجوده ومجده / بعفوه ورحمته وكرمه ورأفته/ بقدرته وسلطانه وقهره وامتنانه). [4]

---

[1] انظر السابق ، ص: 151 ، 413.

[2] انظر السابق على الترتيب ، ص: 123 ، 162 ، 402.

[3] انظر السابق على الترتيب ، ص: 92 ، 399.

[4] انظر السابق على الترتيب ، ص: 17 ، 110 ، 436 ، 220 ، 356 ، 396 ، 266 ، 326 ، 336 ، 341 ، 425 ، 345 ، 409 ، 435 ، 440.

ومن العناصر التي خلت منها خواتيم رسائل العميدي ، الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم– فبالرغم من ظهور الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– في العديد من استفتاحات رسائله ، فقد خلت خواتيم رسائله من هذا العنصر، إلا في خاتمة واحدة ، هي خاتمة رسالته الخامسة والتسعين والتي اختتمها بالاستغاثة بجناب النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته لتفريج كربه ، يقول : " فقد جعلت محمدًا وأهل بيته إليه عزَّ اسمه وسائلي ، بعفوه ورحمته ، وكرمه ورأفته" [1] ، أمّا عدا ذلك فلم تحفل خواتيم رسائله بالصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– مثلما حفلت العديد من استفتاحات رسائله ، وهو يوافق ما ذهب إليه الباحث موسى النعيمات حين قال : ورغم اهتمام الفاطميين في استفتاحات رسائلهم بالصلاة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب –كرم الله وجهه– و على الأئمة من بعدهم ، وحفاظهم عليه مكونًا رئيسًا لمقدمات رسائلهم ، وتوظيفهم إياه للدفاع عن حقهم في الإمامة، وتأكيدهم صحة انتسابهم لآل البيت به، فخواتيم رسائلهم لم تكن تحتفي بها. [2]

---

[1] السابق ، ص: 435.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 206.

3-1- صور عناوين رسائل العميدي :

من الواضح أن عناوين [1] رسائل العميديّ ليست من وضعه ، بل يظهر فيها تدخل يد ناسخ الرسائل في كتابتها كلها ، فغالبًا ما يبدأ العنوان بضمير الغائب المفرد المتمثل في الهاء العائدة إلى العميدي ، أو ما يفهم منه أنها مكتوبة عنّه[2] ، من مثل : (له رقعة / له رسالة/ له كتاب / نسخة كذا / له جواب رقعة/...) ، وقد غاب ضمير المتكلم فيها جميعًا مما يدل على تدخل أيدي النُّساخ في كتابتها، ولأنها ليست من صنع العميدي فقد تأخر الحديث عنها.

قال صاحب موادّ البيان : والعنوان كالعلامة وهو يدل على مكانة المكتوب إليه من المكتوب عنه ، والأصل في ذلك الإخبار عن اسمهما حتى لا يصبح الكتاب مجهولًا ، والمعنى أنه يكتب فيه " لفلان من فلان" أو من فلان إلى فلان" ، والذي تُعنون به الكتب عن الخلفاء الفاطميين : " من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام كذا أمير المؤمنين " ، وذلك في الناحية اليمنى من جهة الطنبة ، وفي الناحية اليسرى يكتب: " إلى فلان بن فلان " ، فإن كان المُكاتب ممن يُكنَّى و ينعت ، بدأ بنعته فكنيته ثم اسمه واسم أبيه [3] ، قال الكلاعي في تعليل تسمية عنوان الكتاب بذلك : ويحتمل أنه سُمي بذلك لوجهين: أولهما لدلالته على غرض الكتاب ، فإذا عنونت بنحو : (أزاح الله أرزاء فلان، الواجد لوجده) ، دل على أنه تعزية ، فإذا عنونت بنحو

---

[1] العنوان له سبع لغات حكاها ابن حاجب النُّعمان[-351ه] في كتابه " ذخيرة الكتاب" : وهي عُنوان ، بضم العين وواو بعد النون ، والثانية عُنيان ، بضم العين وياء تحتية بعد النون ، والثالثة عِنيان بكسر العين ، والرابعة عُلوان بضم العين ولام بدل النون ، والخامسة عَلوان بفتحها ، والسادسة عِلوان بكسرها ، والسابعة عِليان بالكسر مع إبدال الواو ياءً ، ويجمع عُنوان على عَناوين ، و عِلوان على علاوين ، ويقال عَنوَنتُ الكتاب عَنونَةً ، وعَلونته علونةً ، وعنّنته بنونين الأولى منهما مشددة تعنينًا ، واختُلف في اشتقاقه ، فمن قال عُنوان جعله مأخوذًا من العُنوان بمعنى الأثر؛ لأن عُنوان الكتاب أثر بيان ممن هو إلى من هو ، وزعم بعضهم أن العنوان مأخوذ من قول العرب : عَنَت الأرض تَعنُوا ، إذا أخرجت النبات ، وأعنَاها المطر ، إذا أظهر نباتها ، وقيل هو مأخوذٌ من عنَّ يَعنّ إذا عَرَض وبدا ، وقيل عُلوان مشتق من العلانية ؛ لأنه خط ظاهر على الكتاب، ومن قال : عِنيان وعُنيان جعله من عَنَيت فلانًا بكذا ، إذا قصدته . انظر صبح الأعشى ، 6/ 335-336 ، وانظر موادّ البيان ، ص: 330-333.

[2] انظر على سبيل المثال ، عَنوَنة هذه الرسائل بضمير الغائب العائد إلى العميدي ، رسائل العميدي ، ص: 102 ، 105 ، 111 ، وقد يوضح الناسخ شيئًا عن مضمون الرسالة انظر ص: 38 ،68 ، 83، 93 ، 400 ، 429.

[3] انظر: موادّ البيان ، ص : 330 ، 332.

: (اللاهج بتطنيب ذكره فلان، رهين شكره) ، دل على أنه في شكر ، و ثانيهما : أنَّه سُمي بذلك ؛ لأنَّه يدل على الكتاب إلى من و ممّن هو ، وهذا القول الصحيح ، و أمّا الدليل على صحته فهو أنهم كانوا يكتبون أولًا فيه: من فلان إلى فلان ، فلما كثرت الصناعة ، وتشذذ فيها القالة ، زادوا فيها هذه الزيادة الشريفة ، و أشاروا إلى أغراضهم بهذه الإشارة اللطيفة ، التي من لم يأت بها في هذا الزمان فقد نزل عن درجة الإحسان ، وأخلَّ بصنعة البيان، وهو يختلف باختلاف الأزمان ، فكانوا فيما مضى من الزمان لا يزيدون عن قولهم : (من فلان) ، وفي القرآن الكريم : " إنه من سليمان " [النمل/ 30] ، ثم زادوا بعد ذلك فقالوا : (من فلان إلى فلان) ، وبهذه الصورة كان يُكتب عنه –صلى الله عليه وسلم– ويكتب الناس إليه ، ثم تفننوا بُعد وتعمقوا . [1]

و العناوين في رسائل العميدي[2] غالبًا ما تتركب على النحو الآتي:

وله + التنبيه على نوع الرسالة (رقعة / رسالة / كتاب/ رقعة رسالة/ جواب كتاب/..) + إلى فلان + الغرض من الرسالة (غالبا يقال يفعل كذا) + مكانه وقت إرساله الرسالة.

مثل عنوان رسالته التاسعة عشر إلى الحسين بن بشر والتي جاءت صيغتها : " وله رقعة رسالةٍ إلى صاحب ديوان الخاص في العتاب والاقتضاء ، وهو الحسين بن بشر بعد الصّدَر. " [3] ، وكذلك رسالته الثانية والأربعون إلى الشيخ عماد الدولة والتي جاء عنوانها : " وله رقعة إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد عماد الدولة في باب الاقتضاء والإذكار والمعاتبة بعد الصّدَر بمصر ." [4] ، هذا هو التركيب الأكثر ورودًا في عناوين رسائله ، وقد يستغني عن لفظ (له) فيأتي التركيب على النحو الآتي:

رقعة /إلى فلان/ كتاب/ جواب كتاب/ جواب رقعة /في كذا + إلى فلان + الغرض من الرسالة+ مكانه وقت إرسال الرسالة.

---

[1] انظر: إحكام صنعة الكلام ، ص: 52–53.

[2] وقد اعتمد الباحث على العناوين المثبة في ثنايا الكتاب ، ولم يرجع إلى العناوين المثبتة في الفهرس ؛ لوجود بعض الاختلاف بينهما زيادةً ونقصانًا، فاعتمد على ما جاءت في ثنايا الكتاب ؛ لأنها أدق و أكمل.

[3] رسائل العميدي ، ص: 89 .

[4] السابق ، ص: 207 ، وانظر باقي الشواهد، ص: 5 ، 38 ، 117 ، 184 ، 238.

منها رسالته الثالثة والثمانون وقد جاء عنوانها : " رسالة إلى بعض الأشراف يعاتبه لإنكار حقه بدمشق" [1] ، ورسالته الرابعة والسبعون وعنوانها : " إلى الشريف القاضي أبي الحسن بن أبي طالبٍ الزَّيْدي يستزيره وهما بمصره. " [2] ، وقد استخدم ناسخ الرسائل لفظ رقعة في عنوان الرسائل حوالي (58) مرة ، أي في أكثر من نصف الرسائل ، بينما استخدم لفظ رسالة في العناوين (10) مرات ، ولفظ كتاب (9) مرات ، ولفظ نسخة مرتين ، وإلى فلان (15) مرة ، وفي كذا (غرض الرسالة مباشرة) مرتين ، وهناك رسالتان إحداهما سقط عنوانها فقط ، والأخرى سقط عنوانها ومقدمتها وهما الرسالتان على الترتيب (91) ، (96).[3]

1-3-1-استعمال لفظة رقعة في عنونة الرسائل :

وبالملاحظة نجد أن الناسخ قد استخدم لفظة رقعة أكثر من أي لفظ آخر في تدوينه عناوين الرسائل وبالرجوع إلى المعجم نجد أن لفظ رقعة من : " رقَع الثوب والأديم بالرَّقاع ، يَرْقَعُه رَقْعًا ، ورَقَّعَه أَلحَمَ خَرْقه ، وفي الحديث " المؤمن واهٍ راقعٌ، فالسعيد من هلك على رَقْعِه " قوله : واهٍ أي يَهَي دينه بمعصيته ، ويَرْقَعُه بتَوبَتِه ، قال عمر بن أبي ربيعة :

وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعنني.....خَرَجنَّ فرقَّعْنَ الكُوى بالمحَاجر" [الطويل]

والرُّقعة : ما رُقّع به : وجمعها رُقَع ، ورِقاع ، والرَّقُعَة : واحدة الرِّقاع التي تُكتب ، وفي الحديث : يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع تَخفِق " أراد بالرِّقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرِّقاع . " [4] وفي المعجم الوسيط : " الرَّقعَة : ما يُرَقع به الخَرق والقطع ، وقطعة من الورق أو الجلد تُكتَب" [5] ، والرَّقعة تكون مستديرة

---

[1] السابق ، ص: 391.

[2] السابق ، ص: 364 ، وانظر باقي الشواهد ، ص: 49 ، 54 ، 170 ، 174 ، 255 ، 327 ، 357 ، 360، 368 ، 414 ، 424.

[3] الرسالة (91) أثبت المحقق عنوانًا لها في الفهرس وهو : " رسالة إلى أمرد يتمنع" ، أمَّا الرسالة (96) فقد كتب المحقق في عنوانها : " من آخر رسالةٍ فُقِد أولُها " ، انظر ص: 420 ، 436 ، 504.

[4] انظر : لسان العرب ، مادة (رقع)، 8/ 131 .

[5] المعجم الوسيط ، مادة (رقع)، 1/ 365 ، فمعناها يدور حول أمرين : إمَّا من ترقيع الشيء أي لَحمِه ، أو من الرَّقعة التي هي القطعة من الشيء كالورق أو الجلد يكتب فيها ، أو القطعة من الأرض انظر أيضًا : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(مادة رقع)، لأحمد بن محمد بن عليّ الحموي [-770هـ] ، المكتبة العلمية ، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت ، 226/1 ، و تاج العروس من جواهر القاموس (مادة رقع)، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي [-1205هـ]، تحقيق جماعة من المختصين =

الشكل ، جاء في تعريف القلقشندي للبَلْدَة وهي المنزلة الحادية والعشرون من منازل القمر التي ينتقل فيها من أول الشهر إلى الثامن والعشرين منه ، قوله : هي فرجة في السماء تكون مستديرة شبه الرُّقعة و تخلو من الكواكب..[1] ، فلعل استخدام الناسخ للفظ رقعة في العنوان إشارة إلى نوع ورقة الجلد وشكلها التي كتبت عليها ، فالورق الطلحي هو الورق الذي كان يكتب عليه في ديوان الإنشاء، وقد شاع استعماله بمصر وخاصة في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله سنة 415هـ ، وينسب إلى الطالح ، شجر عظام ينبت في أرض الحجاز ، وهو أعظم العضاه – أي الشجر الذي له شوك– و أطيبه ريحًا وأكثره ورقًا وأشده خضرة [2] ، ولم تختص هذه الرسائل المعنونة بهذا اللفظ بغرض معين دون آخر ، فجاءت في عناوين رسائل المدح والهجاء والذم والشكوى والشكر والتعزية والتهنئة على حدٍ سواء [3].

2-3-1-استعمال لفظة كتاب في عنونة الرسائل :

أمَّا لفظة كتاب فجاء في لسان العرب ، مادة كَتَبَ : " الكتاب : معروفٌ ، والجمع كُتُبٌ ، وكُتْبٌ ، قال الأزهَرِيّ: الكتاب اسمٌ لما كتب مجموعًا ، والكتاب مصدرٌ والكتابة لمن تكون له صناعة ، الكِتَاب : ما كتب فيه ، وفي الحديث : " من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنَّما ينظر في النار " ، والكتاب الصحيفة. " [4]، وفي القاموس المحيط : " الكتاب : ما يكتب فيه ، والدَّواة ، والتوراة ، والصحيفة ، والفرض ، والحُكمُ والقَدَر والكاتب : العالم ، والمكتب : موضع التعليم ، اكتتب : كتب نفسه في ديوان السلطان" [5]، وفي المعجم الوسيط : " الكاتب : من يتعاطى صناعة النثر ، ومن يتولى عملًا كتابيًا إداريًّا (مو) (ج) كُتّاب وكَتَبة ، والكِتاب :

= من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، الكويت ،ط1 ، 1965–2001م ، 113/21 ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (مادة رقع) ، 2/ 928.

[1] انظر: صبح الأعشى ، 2 / 179.

[2] انظر: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي ، سمير عبد الله سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 2006م ، ص:104، 118.

[3] انظر على سبيل المثال ، رسائل العميدي ، ص: 13 ، 23 ، 49 ، 68 ، 87 ، 119 ،132 ،170 ، 234 ، 261.

[4] لسان العرب (مادة كَتَبَ) ، 1/ 698– 699.

[5] القاموس المحيط (مادة بكت) ، لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي [–817هـ] ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة رسالة ، مؤسسة رسالة ، بيروت –لبنان ، ط 8 ، 2005م ، ص : 128–129 ، ونجد المعاني نفسها في المصباح المنير (مادة كتب) ، 524/2 ، تاج العروس (مادة كتب) ، 107-100/4 .

الصُّحُف المجموعة والرسالة (ج) كُتُبٌ ، والقرآن والتوارة والإنجيل ومؤلف سيبويه في النحو ، وأمُّ الكتاب : الفاتحة..."[1] ، فنلاحظ أن جميع معانيها تدور حول أشياء قيّمة مهمة مُعظَّمة ، مثل كتاب الله –عزوجل– ، وكتاب النحو لسيبويه المسمى بالكتاب وهو عَلَمٌ في بابه ، واستكتب أي كتب نفسه في ديوان السلطان إلى غيرها من المعاني الشريفة مما يوحي بأهمية هذه الرسائل المعنونة بهذا اللفظ ، وقد استعمل الناسخ هذا اللفظ في عنوان ثمانية رسائل كلها مهمة ، إمَّا لأهمية الموضوع أو لأهمية المُرسَل إليه ، كرسالته التي عنوانها : " كتابٌ إلى الشيخ أبي القاسم منصور بن محمد بن كثير، وهو العميد ابن العميد ابن العميد ، وهو بخراسان" [2]، وقد عُنوِنت رسالتان ديوانيتان بهذا اللفظ وهما الرسالتان المرسلتان إلى صالح بن مرداس وحسان بن جراح وقد جاء عنوانهما : " وله كتاب وعيدٍ إلى حسان بن جرّاح لمَّا نهب الرَّمْلة وخالف الدولة. " " وله كتابٌ إلى صالح بن مرداس لمَّا ورد الشام ونهب ضياعها في الوعد والوعيد والتوبيخ والتفنيد ، وهي مثل رسالة حسان بن جرّاح. "[3]

3-3-1-استعمال لفظة رسالة في عنونة الرسائل :

أمَّا لفظة رسالة فجاء في لسان العرب (مادة رَسَل) : " الرَّسَل: هو القطيع من كل شيء ، والجمع أرسال ، والرَّسَل: الأبل ، قال الأعشى :

يِسقِي رياضًا لها قد أصبحت غَرَضًا...زَوْرًا تَجانف عنها القَوْدُ والرَّسَلُ. [البسيط]

، والترسيل في القراءة : هو التحقيق بلا عجلة ، والإرسال: التوجيه ، والاسم الرِّسالة والرَّسالة ، والرَّسُولُ ، والرَّسِيلُ. " [4] ، وفي المعجم الوسيط : " الرِّسالة : ما يُرسلُ، والخطاب ، وكتابٌ يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوعٍ واحدٍ " [5] ، وقد عرَّفها القلقشندي نفسه فقال : الرّسائل جمع رسالةٍ ، والمراد بها أمور يرتبها

---

[1] المعجم الوسيط (مادة كَتَبَ) ، 2/ 775.

[2] رسائل العميدي ، ص: 327.

[3] انظر السابق على الترتيب ، ص: 267 ، 284 ، وانظر باقي الشواهد ، ص: 54 ، 141 ، 163 ، 308 ، 327 ، 387.

[4] لسان العرب (مادة رَسَل) ، 11/ 281–282 ، و هو نفس ما جاء في المصباح المنير ، (مادة رَسَلَ) ، 1/ 226 ، وفي القاموس المحيط (مادة لَرَسَ: " الإرسال : التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه ، والاسم : الرّسالة بالفتح والكسر ، وتراسلوا : أرسل بعضهم إلى بعض" ص: 1005–1006.

[5] المعجم الوسيط (مادة رَسَلَ) ، 1/ 344.

الكاتب ، عن حكاية حالٍ لمدحٍ أو تقريض ، أو عَدْوّ أو صيدٍ أو مفاخرة بين شيئين ، إلى غير ذلك ، مما يجري نفس المجرى ، وعلة تسميتها بذلك أن الأديب المنشئ لها قد يكتب بها إلى غيره مخبرًا فيها بصورة حالته مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات من استفتاحات، ثم تُوسع فيها فافتتحت بها أيضًا الخُطَب وغيرها.[1] ، وعند مراجعة الرسائل التي عُنونِت بلفظ رسالة ، نجد أنَّ استخدامها قد غلب على عنونة الرسائل الأدبية للعميدي ، وبعض رسائل المعمّيات –الألغاز والأحاجي– ، مثل رسالته الأولى وهي أشبه بالمُقامة وعنوانها : " وله رسالة إلى بعض أصدقائه –تسمى المطبخية– بالرَّقّة " [2]، ووفقًا لتعريف القلقشندي للرسالة من أنَّها أمور يرتبها الكاتب عن حكاية حالٍ من عدوّ أو صيد....إلخ ، يُرجح أن يكون الناسخ عَنوَن الرسالة السابعة والعشرين للعميدي بهذا اللفظ لاشتمالها على قصة سفره في البر وبلائه فيه بجماعة من السَّفِل ، فجاء عنوانها : " وله رسالةٌ تُعرف برسالة الرُّؤيا ، يُعرّض فيها بجماعةٍ من السَّفِل الذين سعوا في إفساد أمرهم " [3] ، وقد أثبت الناسخ اسم الرسالتين في العنوان ، و أيضًا رسالته الأدبية الأخرى التي أقامها كلها على الشعر فجاء عنوانها : " رسالةٌ في المجون إلى قوّادٍ معروفٍ بالقيادة على يد محمد بن عبد الرزّاق." [4] ، ووفقًا لتعريف المعجم الوسيط للرِّسالة من أنها كتاب يشتمل على قليل من المسائل في باب واحدٍ ، يمكن معرفة سبب عَنوَنة الناسخ لرسالة العميدي السادسة والثمانين بلفظة رسالة ؛ لأنها كانت جوابًا عن مجموعة مسائل سُئل عنها ، كما تناول فيها بعض المسائل النقدية كتقديم اللفظ على المعنى حسب الأهمية والعكس ، فجاء عنوانها : " رسالةٌ إلى صديقٍ له جوابًا عن مسائل سُئل عنها يُعرّض فيها بإنسان متكاتب " [5] ، وقد جاءت لفظة رقعة مصاحبةً للفظة رسالة في رسالتين إحداهما معمّاة إلى صديقه والأخرى في العتاب والاقتضاء فجاء عنوانهما كالآتي : " وله رقعة رسالةٍ إلى صاحب ديوان الخاص في العتاب والاقتضاء ، وهو الحسين بن بشر بعد الصّدَر" و " وله رقعة فيها رسالة في معمّاة إلى صديق له من الأشراف بمصر" [6] ، ويظهر في العنوان الأخير إشارة الناسخ

---

[1]انظر: صبح الأعشى ، 14/ 157.

[2] رسائل العميدي ، ص: 5.

[3] السابق ، ص: 124.

[4] السابق ، ص: 191 ، وانظر باقي الشواهد ص: 391 ، 395 ، 397 ، 400 ، 405 ، وبعض رسائل المعمّيات مثل، ص: 255، 305.

[5] السابق ، ص: 400.

[6] السابق على الترتيب ، ص: 89 ، 121.

إلى طبيعة شكل الرسالة ومادتها من كونها قطعة مستديرة من الجلد وإشارته إلى ما تضمنته من قيم أدبية في شكل ألغاز وأحاجي بصورة فنية أدبية.

4-3-1-استعمال لفظة نسخة في عنونة الرسائل :

أمَّا لفظة (نسخة) فجاء في لسان العرب : " نَسَخَ الشيء ينسَخُه نَسْخًا ، وانتسَخَه ، واستنسَخَه، اكتَتَبَه عن مَعَارِضه ... النَّسخ: اكتتابك كِتابًا عن كِتاب حرفًا بِحرف ، والأصل نُسخةٌ ، والمكتوب عنّه نُسخة ؛ لأنه قام مقامه ، والكاتب ناسخٌ ، ومُنتَسِخٌ ، والاستنساخ : كَتبُ كِتابٍ من كِتاب ، وفي التنزيل : " إنَّا كنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون" [الجاثية/ 29] ؛ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة ، فيثبت عند الله ، والنَّسخ : إبطال الشيء و إقامة آخر مقامه ، وفي التنزيل " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " [البقرة /106] ، والنَّسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان ، ونَسَخَ الشيء بالشيء ينسَخه ، وانتسَخَه : أزاله به وأداله..."[1] ، وهي لفظة أقرب ما تشير إلى عمل ناسخ الرسالة ، و لم ترد هذه اللفظة سوى في عنوان رسالتين إحداهما ديوانية و الأخرى إخوانية هما الرسالة الثلاثة والعشرون وعنوانها : " نسخة رسالة التوبة ، كتبها من القرافة "[2]، والرسالة السابعة والسبعون وهي رسالة الديوانية وعنوانها: " نسخة إحماد لأهل دمشق لمَّا صبروا وجدّوا في قتال الأعداء وجاهدوا "[3] ، فكأنها إشارة من الناسخ إلى عمله ، وقد جاءت إحداهما رسالة ديوانية وهو ملائم لفكرة عمل ديوان الإنشاء من نسخ الرسالة عدة مرات ؛ لإرسالها إلى عدة جهات.

وقد يتجاهل الناسخ لفظ رقعة / كتاب/ نسخة/ رسالة ، ويلج في الغرض من الرسالة مباشرة ، وقد وقع ذلك في عنوان رسالتين السابعة والثلاثين ، والحادية والستين فجاءت أولهما : " في ذم أهل الزمان إلى صديق

---

[1] لسان العرب (مادة نَسَخَ) ، 61/3 ، وعلى هذه المعاني دار تعريف النَّسْخ في معاجم اللغة ، انظر على سبيل المثال مادة نَسَخَ في : المصباح المنير ، 603/2 ، وتاج العروس ، 7 / 356-357 ، و المعجم الوسيط ، 2 / 917 ، و معجم اللغة العربية المعاصرة ، 3/ 2201-2202.

[2] رسائل العميدي ، ص: 111.

[3] السابق ، ص: 370.

له وهو المعروف بابن عبد الرّزاق ويُعرّض بابن بنان الكاتب. " وثانيهما " في المداعبة يُعزي بكلبٍ كان للقاضي أبي عليّ الحسن بن أبي الدبس فهلك بدمشق." [1]

5-3-1-العنونة بلفظة إلى فلان :

وقد يُصَدّر عنون الرسالة بحرف الجر(إلى) ثم فلان – قد يَذكر اسم الشخص وهو الأغلب ، وقد يُلمح إليه دون ذكر – دون استخدام لفظ رقعة أو رسالة أو كتاب أو نسخة ، و قد جاء هذا النمط في حوالي (15) رسالة إخوانية ، أغلبها كان في مراسلة كبار الدولة كما جاء في عنوان رسالته الثالثة والثلاثين : " إلى سنِّي الدولة القاهرة يجيبه عمَّا ألزمه من التفضيل والتمييز بين كاتبين. " ومثلها الرسالة الثانية والتسعين: " إلى الوزير يعتذر من تأخر عنه لعلةٍ لحقته من الركوب ، ويهنئه بالبرءِ من علته ، والركوب على عادته إلى حضرته. " [2] ، وقد يغيب اسم الشخص المُرسل إليه في رسائل ذم وهجاء ، وأخرى رسائل إلى بعض أصدقائه ، مثل رسالته التسعين وعنوانها : " إلى إنسان ساقط من المُلَقّبين بالإمارة يَدّعي علم النجوم وعلم الأوائل ، ويذكر أنَّه يقوم بالإلهيات والربانييات والطبيعيات ، وهو لا يحسن منها جزءًا " [3] وهو أقرب إلى طريقة الأرشفة منه إلى العَنوَنَة ، وأيضًا رسالته الثامنة وعنوانها : " وله إلى صديق له في السوق [كتبها من الرَّي] ." [4]

6-3-1-تتمة :

قد يثبت الناسخ مكان المُرسل إليه في عنوان الرسائل ، كما جاء في عنوان الرسالة الرابعة : " وله رقعة إلى أبي الحسن عليّ بن الحسن يُعزّيه عن أبيه المتوفَّى ببلاد الدَّيْلم ، كتب به من بلاد الرَّي إليه. " [5]

---

[1] انظر : السابق على الترتيب ، ص: 174 ، 321.

[2] انظر: السابق على الترتيب ، ص: 152 ، 424 ، وانظر باقي الشواهد ، ص: 49 ، 136 ، 141 ، 364 ، 366، 368 ، 429 ، 432.

[3] السابق ، ص: 414 ، وانظر أيضًا ، ص: 198.

[4] السابق ، ص: 45 ، وانظر أيضًا ، ص: 221.

[5] السابق ، ص: 23 ، وانظر باقي الشواهد ، ص: 72 ، 163.

وقد يثبت الناسخ تاريخ إرسال الرسالة في العِنوان ، وهو مما يستدل به على الفترة الزمنية التي ترجع إليها هذه الرسائل ، وعلى نسبتها أيضًا للعميدي الذي عاش في تلك الفترة ، من ذلك رسالته السادسة عشر ورسالته الثامنة والثلاثون ، فأولاهما : " وله رقعة إلى أبي الفرج أحمد بن محمد القشوري من الحضرة في سنة أربعٍ وتسعين " وثانيهما " وله رقعة إلى بعض أصدقائه من الأشراف [سنة ثلاثٍ وأربع مئة] في المداعبة " ، وكذلك رسالته إلى عميد الدولة فنص في العنوان على أنَّها أُرسلت أيام وزارته : " وله رقعة في الشفاعة إلى عميد الدولة حسن بن صالح أيام وزارته بعد الصّدَر. " [1] ، وهي كلها رسائل لكبار رجال الدولة ، لذلك أثبت في عنوانها التاريخ، قال محمد المدائني في كتابه " القلم والدواة " : أجمعت الحكماء و العلماء والكتّاب والأدباء والحسّاب على كتابة التاريخ في جميع المكاتبات ، و قال صاحب نهاية الأرب : ولا غِنية لأحد عنه ؛ لأن التاريخ يستدل به على قرب مسافة الكتاب أو بعدها ، وتحقق الأخبار على ما هي عليه وقت إرسال الكتاب ، قال بعض أئمة الحديث : "لمَّا استعملوا لنا الكذب ، استعملنا لهم التاريخ" ، وقد اصطلحوا على تأريخ الولايات و المكاتبات ونحوهما مما يصدر عن الملوك والأمراء ، والنّواب ، وقضاة القضاة ، والوزراء ومن ضاهاهم ، هذا بخلاف المكاتبات الصادرة عن عامة الناس ، فإنها لم تجر العادة بكتابة تاريخ فيها.[2]

ولا يثبت الناسخ أبدًا في عناوين الرسائل اسم العميدي ، وإنما يشير إليه بضمير الغائب كما بينت ، وينص فقط على اسم المُرسل إليه ، وقد يكتفي الناسخ بإيراد اسم المُرسل إليه فقط وذلك في بعض رسائل العتاب ، مثل : رسالته السادسة والسبعين وعنوانها : " إلى الحسين بن بشر في شفاعة والتعريض بإنسانٍ ذي رَقاعة" ، أو اسمه ولقبه معًا ، وهو غالبًا ما يقدم اللقب على الاسم لاشتهاره ، مثل رسالته الثامنة والثلاثين وعنوانها : " وله رقعة إلى عميد الدولة حسن بن صالح أيام وزارته [بعد الصّدَر] " ، أو اسمه وكنيته ولقبه ، مثل رسالته الثانية والأربعين وعنوانها : " وله رقعة إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد عماد الدولة في باب الاقتضاء والإذكار والمعاتبة [بعد الصّدَر] بمصر " ، أو اسمه وكنيته فقط ، مثل رسالته الثانية وعنوانها : " وله رقعة إلى أبي الفرج أحمد بن محمد القشوري بدمشق " ، أو لقبه وكنيته و وظيفته فقط دون اسمه لاشتهاره ، مثل رسالته الرابعة والثلاثين : " وله كتابٌ إلى الشريف القاضي بمكة من مصر ، وهو أبو علي يستبطئه " يقصد

---

[1] انظر: السابق على الترتيب ، ص: 79 ، 301 ، 184 ، وانظر باقي الشواهد ص: 200 ، 339.

[2] انظر: صبح الأعشى ، 226/6.

صديقه أبي الحسن بن أبي طالب ابن بنت الزيدي ، أو يكتفي بكنيته لاشتهاره بها مثل رسالته الحادية والعشرين وعنوانها : " وله رقعة إلى بعض النصارى ، وهو ابن البنّاء يستخف به " ، وقد يثبت الناسخ اسم المُرسَل إليه وكنيته ولقبه ووظيفته كما جاء في عنوان رسالته الخامسة : " وله رقعة إلى الشريف القاضي ذي الحسبين أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي كتب إليه من طبرستان" أو يكتفي بذكر وظيفة المرسل إليه دون التعرض لاسمه ، إمَّا لسقوطه سهوًا ، أو لجهل الناسخ بمن أُرسِلت إليه ، ويكثر ذلك في رسائل الهجاء والشكوى أو الرد على شكوى مثل رسالته الثالثة عشر وعنوانها : " وله رقعة إلى حاجب بعض الرؤساء في غلامٍ له أَبَقَ منه " ، و رسالته الأربعين وعنوانها : " إلى بعض الأمراء يَمجُنُ به وهو بمصر" ، أو يكتفي بالنص على أنَّ المُرسَل إليه صديق له ، أو أنّه أحد الأشراف من أصدقائه ، أو أنّه من بعض أصدقائه ، دون إثبات اسمه ، كما جاء في عنوان رسالته السادسة والعشرين : " وله رقعة فيها رسالة في معمّاة إلى صديقٍ له من الأشراف." ورسالته الثانية والعشرين وعنوانها : " رقعة إلى صديقٍ أمردٍ يعاتبه ويتعطفه بدمشق. " [1] ، جاء في صبح الأعشى : قال صاحب موادّ البيان : ولم يزالوا يتكاتبون بأسمائهم حتى وَلِي عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الخلافة فلُقب بأمير المؤمنين ، و كُتب " من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" ثم وقع الاصطلاح بعد ذلك على العَنوَنة للرؤساء و المرؤوسين ، و النّظراء و الأتباع بأسمائهم ، ثم تغير هذا الرسم كذلك ، وقد ورد أن المأمون كان يكتب في أول عناوين كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكان يكتبها قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه ، و ذكر النحاس أنَّ ذلك بقي حتى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة ، ثم بَطُل ذلك، و أكثر كتاب زماننا يقتصرون في أكثر عناوينهم على ذكر المكتوب إليه فقط دون المكتوب عنه ، ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في كتابات خاصة قليلة ، قال في " صناعة الكتاب" : ولا يجوز أن يتكنى

---

[1] انظر رسائل العميدي على الترتيب ، ص: 368 ، 184 ، 207 ، 13 ، 163، 102 ، 28،68 ، 198 ، 121 ، 105. ومن الرسائل التي عُنوِنت باسم المُرسَل إليه فقط ص: 89 ، 170 ، 214 ، 230 ، 350 ، 352 ، 387 ، 397 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت باسم المُرسَل إليه ولقبه فقط ص:93، 184 ، 221 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت باسم المُرسَل إليه ولقبه وكنيته ، ص:207، 238 ، 327 ، 364 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت باسم المُرسَل إليه وكنيته فقط ص:79 ، 305 ، 337 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت بلقب المُرسل إليه وكنيته ص: 163 ، 378 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت بكنية المُرسَل إليه فقط ص: 54، 167 ،170، 326 ، 362 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت بذكر وظيفة المُرسل إليه فقط ص: 66 ، 136 ، 234 ، 245 ، 261 ، 366 ، 424 ، ومن الرسائل التي عُنوِنت فقط بالإشارة إلى أنَّ المُرسَل إليه أحد أصدقائه أو خلَّانه من الأشراف دون الإشارة إلى اسمه ص:5، 38، 45 ، 87 ،111، 141 ، 144 ، 263 ،266، 301، 308 ، 391 ، 400 ، 405.

المكتوب عنه على نظيره ، و إنما الصواب أن يتسمى له ومن فوقه ، ثم يقول بعد ذلك : المعروف بأبي فلان ، فإن كانت كنيته أشهر من اسمه ، و من اسم أبيه جاز أن يكتبها بغير ألف ، ويجريها مجرى الاسم. [1]

وقد يَسقط اسم المُرسَل إليه تمامًا من عنوان الرسالة ووظيفته ، دون أيَّة إشارة إليهما ؛ لجهل الناسخ بهما ، أو لسقوطهما سهوًا، وذلك في بعض رسائل الهجاء كما في رسالته الثمانين وعنوانها : " وله جواب رقعة وردت عليه من إنسان أنْ يضرب بينه وبين صديقٍ له" [2] ، أو يكتفي الناسخ بذكر غرض الرسالة دون التعرض لاسم المُرسَل إليه ، مثل رسالته الحادية والأربعين وعنوانها : " وله رقعة اقتضاء ومعاتبة وهي أول رقعة إليه في الوزارة بعد الصّدَر " ويظهر من العنوان السابق سقوط بعض الكلمات منه ؛ فالجملة لا تكاد تستقيم ، فمن هو هذا الوزير الذي يراسله العميدي ويرسل له أول رقعة إليه بعد وزارته ، هذا لا يظهر ، ولا يتضح أيضًا من متن الرسالة.[3]

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 6/ 336–337 ، وموادّ البيان ص: 331 ، والعَلَم ينقسم إلى اسم و لقب و كنية وذلك ، إن بُدئ بأب أو أمٍ كان كنية كأبي عمروٍ وأم عمروٍ و أبي بكر وأم بكر ، وإلا فإن أشعر بضعة المُسمَى كقُفّة وبَطّة وأنف الناقة أو برفعته كزين العابدين فلقبٌ ، وإلا فاسمٌ كعمرو و زيدٍ ، وإذا اجتمع الاسم مع اللقب وجب في الاستعمال الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب ، وقد يُقدم اللقب أحيانًا على الاسم لاشتهاره كما في قوله تعالى " ..إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله " [النساء/171]

قال ابن مالك:

واسمًا أتي وكنيةً ولقبا....وأخرنَّ ذا إن سواه صَحِبا ، يُنظر : شرح قَطر النَّدى وَبلِّ الصَّدَى، لأبي محمد عبد الله بن يوسف جمال الدين ، ابن هشام [–761هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الخير، دمشق–سوريا ، ط1 ، 1990م ، ص:98–100 ، وألفية ابن مالك في النحو الصرف ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي [–672هـ] ، دار السلام ، القاهرة–مصر ، ط2 ، 2003م ، ص:25 ، قال الفيروز آبادي [–817هـ] : اللقب : اسم يُسمى به الإنسان غير اسمه الأصلي ، يُراعى فيه المعنى وذلك بخلاف الأعلام ، والألقاب ثلاثة : لقب تَعريفٍ، و لقب تشريفٍ ، ولقب تسخيف ، وهو المقصود في قوله– تعالى– : " ولا تنابزوا بالألقاب " [الحُجُرات/ 11] ، ويقال ولقّبتُه بكذا فتلقب . انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة– مصر ، ط1 ، 1992م ، 438/4 ، وقال المبرد [–286هـ] :

لا تَكرهنَّ لقبًا شُهِرت به......فلرب محظوظٍ من اللقب

قد كان لُقّب مرةً رجلٌ....بالوائلي فعُدَّ في العرب.[الكامل] ، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ،لأحمد قَبِّش ، دار الرشيد ، دمشق –سوريا، ط3 ، 1985م ، ص254.

[2] رسائل العميدي ، ص: 379 ، وانظر باقي الشواهد ص: 410 ، 414.

[3] السابق ، ص: 200 ، وانظر أيضًا ، ص: 124 ، 360 ، وهي من سَقَطات الناسخ.

وقد يثبت الناسخ اسم حامل الرسالة إلى المُرسَل إليه في العنوان ، وقد حدث هذا في رسالة واحدة ، وهي الرسالة التاسعة والثلاثون وعنوانها : " رسالة في المجون إلى قوّادٍ معروف بالقيادة على يد محمد بن عبد الرازق." [1]

وقد يشتمل العنوان على سخرية وتهكم بالمُرسَل إليه وكل ذلك بالطبع في رسائل الهجاء مثل عنوان رسالته التسعين وهو : " إلى إنسانٍ ساقطٍ من الملقَّبين بالإمارة يدعي علم النجوم وعلم الأوائل ، ويذكر أنَّه يقوم بالإلهيات والربانيّيات والطبيعيّات ، وهو لا يُحسن منها جزءًا " [2] ، كما قد يشتمل العنوان على ثناء طويل ومدحٍ للمُراسَل ، مثل عنوان رسالته الرابعة والأربعين : " وله رقعةٌ إلى الوزير الأجلِّ صفي الدين [موضع سر أمير المؤمنين دون خاصته المُنتَجَب لصائب التدبير وخالصتِه] يهنئه فيها بانتقاله إلى الدار المباركة المنسوبة إلى ابن كِلِّس بعد الصّدَر." [3]

وقد يأتي غرض الرسالة في العنوان فيه ازدواج وسجع وجناس [4] ، مثل رسالته السابعة والأربعين وعنوانها : " وله رقعة إلى أصحاب الدواوين في شكايةٍ ومعاتبةٍ ، وإرعادٍ ومعاقبةٍ ، وهو حسين بن بِشر متولي ديوان الخاص" [5] والسجع ظاهر مابين لفظتي (معاتبة ومعاقبة) والازدواج بَيِّن في الجملتين (شكاية ومعاتبة) و (إرعاد ومعاقبة) ، وكذلك الجناس الناقص ما بين لفظتي (معاتبة ومعاقبة) ، وكذلك رسالته السابعة والخمسون وعنوانها : " وله كتابٌ إلى صالح بن مرادس لمّا ورد الشام ونهب ضياعها في الوعد والوعيد ، والتوبيخ والتفنيد ، وهي مثل رسالة حسان بن جرّاح " [6] ، والسجع ظاهر بين (الوعيد والتفنيد) والازداوج واضح بين الجملتين (الوعد والوعيد) و(التوبيخ والتفنيد) ، والجناس الناقص يتضح بين لفظتي (الوعد و الوعيد) ، وقد يكتفي في العنوان بالازدواج والجناس الناقص كما جاء في رسالته الثالثة والخمسين : " وله رقعة إلى الوزير في اقتضاء

---

[1] السابق ، ص: 191.

[2] السابق ، ص: 414 ، وانظر أيضًا ص: 93 ، 368.

[3] السابق ، ص: 216 ، وانظر أيضًا ، ص: 327.

[4] السجع هو تواطؤ فواصل الكلام المنثور على حرف واحد ، أمَّا الازدواج فهو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزِّنة دون التقفية ، والجناس هو أن تتشابه حروف كلمتين دون المعنى ،وللمزيد حول هذه المصطلحات انظر ص :278،293، 316 .

[5] رسائل العميدي ، ص: 230 ، وانظر باقي الأمثلة ص: 238 ، 245.

[6] السابق ، ص: 284 ، وانظر أيضًا ص: 267.

ومدح ، وشكرٍ وحمدٍ " [1] فالازدواج ما بين جملتي (اقتضاء ومدح) و (شكرٍ وحمد) ، والجناس الناقص واقعٌ بين لفظتي (مدحٍ) و(حمدٍ).

[1] السابق ، ص: 261 ، وانظر أيضًا ، ص: 250.

4-1- توصيف رسائل العميدي :

الترسُّل في الاصطلاح : يعني على الجانب الأخص إنشاء المراسلات ؛ لأنهم يريدون من خلالها معرفة أحوال كلٍّ من الكاتب والمكتوب إليه من حيث المصطلحات الخاصة المناسبة لكل طائفة و الأدب وهو ما يتغير مع الأعصر، ويشتمل على المراسلات ومقدمات الكتب والخطب ؛ لأن أساليبها متشابهة [1] ، وقد يُعبر عن كتابة الإنشاء بصناعة التَّرسل من باب تسمية الشيء بأعم أجزائه ، إذ المكاتبات و التَّرسل أعظم كتابة الإنشاء وأعمها حيث إنه لا يَستغني عنها أي أحدٍ لا مَلِك ولا سُوقَة. [2]

وقد تنوعت رسائل العميدي ما بين رسائل إخوانية شخصية ، ورسائل أدبية فنّية ، ورسائل ديوانية رسمية ، وإن كان الحظ الأوفر والنصيب الأكبر للرسائل الإخوانية ، فوصل عددها إلى حوالي(66) رسالة ، وجاءت متنوعة جميعها في مختلف الموضوعات والأغراض ، أمَّا الرسائل الأدبية فوصل عددها إلى حوالي (26) رسالة ، والرسائل الديوانية حوالي (5) رسائل ، فقد وجد الكتّاب الفاطميون المجال الأوسع في الرسائل الإخوانية و الأدبية ، حيث كانتا أكثر تحررًا من قيود الكتابة المفروضة على الرسائل الديوانية ، فلأهمية الرسائل الديوانية أُلزِم الكتّاب بناءها على قوالبٍ معينة تُلتَزم ، فكانت الرسائل الأدبية الإخوانية الميدان الذي يعرضون فيه مهارتهم الكتابية و مقدرتهم الأدبية و إبداعهم ، أمَّا الرسائل الديوانية فهناك بناءٌ نثريٌ وعناصر شكلية مخصوصة وسمات ، ونماذج محددة لابد أن يلتزم بها الكاتب [3] ، لكنْ اللونان جميعًا الفني و الرسمي متفقان في الشكل واستعمال العبارة الرصينة ، واللفظ الدال الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض ، ولا تعمية ولا لغز ،و لا لعب بالتراكيب ، كما ظهر التلفيق و التوفيق في أنواع الطباق الجناس. [4]

---

[1] انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، مكتبة الحياة ، بيروت –لبنان ، د.ط ، 1983م ، ص :340 ، وانظر تعريف مادة (رَسَل) ص:140-141.

[2] انظر : صبح الأعشى ، 84/1.

[3] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، محمد النعيمات ، ص:189.

[4] انظر : الأدب في العصر الفاطمي ، د. محمد زغلول ، ص:239.

1-4-1- الرسائل الإخوانية :

يقول شوقي ضيف : ونقصد بالرسائل الإخوانية الرسائل المُصورة لعواطف الأفراد ، ومشاعرهم من مديحٍ وهجاءٍ ، و من رغبةٍ ورهبةٍ ، ومن تهنئةٍ واستمناحٍ ورثاءٍ وتعزيةٍ، و عتابٍ واعتذارٍ واستعطافٍ ، وكانت هذه العواطف تُؤَدى بالشعر في العصر الأموي ، وكان من النادر أن تُؤَدى بالنثر ، لكن النثر في العصر الفاطمي زاحم الشِّعرَ بمنكبٍ ضخمٍ. [1] ، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الرسائل التي وصلت إلينا عن العصر الفاطمي في مصر غلب عليها اللون الرسمي عن اللونين الإخواني والأدبي ، ولعل بعد ظهور رسائل العميدي إلى العَلَن أن يُنظَر مرة أخرى في هذا الرأي ، فقد كانت الغالبية العظمى والكثرة الكاثرة من رسائل العميدي ، رسائلَ إخوانية لا ديوانية ، يقول : أمَّا الرسائل الأدبية و الإخوانية فقد كانتا أقل حجمًا بالنسبة لحجم الرسائل الديوانية التي وصلت إلينا عن العهد الفاطمي في مصر ، ومع هذا فقد جاءت موضوعاتهما متنوعة ، فقد عبرت تلك الرسائل الإخوانية التي وصلت إلينا من الحقبة الفاطمية في مصر عن مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، التي صبغت المجتمع المصري في تلك الحقبة ، وقدمت لنا صورة الأفراد ومشاعرهم ، فرسائل التعزية و التنئهة والتهادي والشكر والعتاب، والاستزارة ، واستماحة الحوائج ، والاعتذار ، عرضت لنا مشاهد من صور الحياة الاجتماعية ، التي سادت المجتمع المصري إبَّان العصر الفاطمي.[2] ، يقول القلقشندي : في تعريف المكاتبات الإخوانية ، هي في أبسط تعاريفها جمع إخوانية نسبة إلى كلمة إخوان جمع أخ ، والمراد المكاتبات الدائرة بين الأصدقاء [3] ، و قسم القلقشندي أغراض الرسائل الإخوانية إلى سبعة عشر ضربًا وهي :(التعازي- التهاني- التهادي والملاطفة- الشفاعات والعنايات - في التشوق - في الاستزارة- في اختطاب المودة وافتتاح المكاتبة- الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار- في خِطبَة النساء- في الشكوى(أعاذنا الله منها)- في استماحة الحوائج- في الشكر- في العتاب- العيادة والسؤال عن المريض- في الذم- في الإخبار- المداعبة) .[4] ، وقد جاءت رسائل العميدي الإخوانية في مختلف أغلب أغراض المكاتبات الإخوانية ومنها :

---

[1] انظر: تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف ، 491/3.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر ، محمد النعيمات ، ص: 201.

[3] انظر: صبح الأعشى ، 130/8.

[4] انظر: السابق ، 9/ 3-227. (وفيها بسط لأغراض الرسائل الإخوانية ونماذج لها).

1- رسائل الشكوى :

هي أكثر أغراض رسائله الإخوانية ورودًا ، حيث جاءت حوالي (11) رسالة في هذا الغرض منها الرسائل : الرسالتان الثالثة عشر والرابعة عشر ، وهما للشكوى لتعرضه للسرقة و لهروب خادمه منه ، والرسالة السابعة والتسعون وفيها دعاء على الحكام [1] ، ومنها وهو الأغلب ما اختص بالشكوى لتأخر صرف جاريه(راتبه) ، أو انقطاعه عنه لخمس سنين لتَقَلُّب الدولة الفاطمية عليه [2] ، وقد جاء هذا النوع من الرسائل الإخوانية قصيرًا نوعًا ما فجاءت(ما بين صفحتين إلى خمس صفحات) ، وهذا الاقتضاب ملائم لمقام الشكوى ، فقد كان يُراسل فيها كبار رجال الدولة الفاطمية ، لكن جاءت رسالة واحدة في سبع صفحات وهي الثامنة والثلاثون أرسلها إلى عميد الدولة حسن صالح وابتدأها بامتداحه.

2- رسائل العتاب :

بلغت رسائل العميدي في العتاب حوالي اثنتي عشرة رسالة [3] ، وقد جاءت مقتضبةً مثل رسائل الشكوى ، فجاءت ما بين صفحتين إلى أربع صفحات ، وهو ملائم لهذا الغرض ، وقد كانت عتابه لأصدقائه العاديين ولكبار رجال الدولة الفاطمية ، وجاءت بعض رسائله في هذا الغرض متوسطة(ما بين ست إلى سبع صفحات) ، ثلاثة منهم إلى الشيخ عماد الدولة أبي عبد الله محمد بن أحمد [4].

3- رسائل الذم والهجاء:

تضمنت حوالي عَشر رسائل[5] ، وقد جاءت كلها مقتضبة (ما بين صفحتين إلى أربع صفحات) ، وهو الشائع في رسائل العميدي ، وجاء بعضها في أكثر من ذلك (ما بين ثمانية إلى إحدى عشرة صفحة) وهم

---

[1] انظر رسائل العميدي على الترتيب ، 68 ، 72 ، 437 ، ودعائه على الحكام ص: 440.

[2] انظر السابق ،ص: 230 ، 234 ، 245 ، 250 ، 350، 360، 366، 436.

[3] انظر السابق ، ص: 45 ، 132 ، 144 ،163، 170، 200، 207 ، 224 ، 238 ، 266 ، 362 ، 391.

[4] انظر السابق ، ص: 163 ، 207 ، 224 ، 238.

[5] انظر السابق ، ص: 38 ،93، 102 ، 148 ، 174 ، 198 ، 342 ، 346 ، 374 ، 379 ، 397.

ثلاث رسائل[1] ، وفي الرسالة السابعة والثلاثين يذم أهل الزمان إلى صديقه ابن عبد الرزّاق مُعرِّضًا بابن بنانٍ الكاتب ، وفي الرسالة السادسة والستين يذم الحسد مُعرِّضًا ببعض الرؤساء من الأشراف[2].

4- رسائل التعزية:

وهي قليلة وقد تضمنت رسالتين فقط ، (إحداهما خمس صفحات والأخرى ثلاث صفحات) يُعزّي في وفاة بعض كبار رجال الدولة مثل : الشريف القاضي الرَّضِي ، كما عزّى القاضي أبي الحسن عليّ بن الحسن في وفاة والده[3] ، وهذا الاقتضاب ملائم للغرض ، حتى يثبت قلب مُراسِله ، ويربض على صدره ويواسيه في فقده حبيبه ، ولا يُطيل ففي الإطالة إعادة لمشاهد الحزن على مُراسِله .

5- رسائل التهنئة :

وهي قليلة الورود أيضًا حيث جاءت ثلاث رسائل فقط في هذا الغرض (توسطت ما بين صفحتين إلى خمس صفحات) حسب طبيعة الشخص المُرسَل إليه ، فعند تهنئته للوزير أبي الفرج القشوري لنيله الوزارة و الوزير صفي الدين لانتقاله لدار ابن كِلِّس أطال في التهنئة إلى خمس صفحات بألفاظ جزلة ، وعند تهنئته للمستخدم بالرِّماية جاءت التهنئة مقتضبة في صفحتين [4] يقول القلقشندي : وأمَّا الكتب الإخوانيات النافذة في التعازي و التهاني فإنها محتملة للألفاظ الغريبة ، والقوية الآخذة بمجامع القلوب ، النازلة أحسن المواقع من النفس ؛ لأنها قائمة على تزيين النظم و تحسين اللفظ ، وإظهار البلاغة في مثلها مستحسن ، واقعٌ موقعه. [5]

---

[1] انظر السابق ، ص: 38 ، 93 ،379 ، وقد بالغ فيها في العتاب جدًا وهي رسائل لكبار رجال الدولة.

[2] انظر السابق ، ص: 174 ، 342.

[3] انظر السابق ، ص: 23 ، 429.

[4] انظر السابق ، ص: 49 ، 216 ، 387.

[5] انظر: صبح الأعشى ، 287/6.

6- رسائل الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار :

وهما رسالتان مُقتَضبَتان جدًا [1] الأولى صفحة واحدة في الاعتذار لصديقه ابن اللَّحام ، والثانية اعتذار إلى الوزير الحسن بن صالح المُلَقب بعميد الدولة لتخلفه عن تهنئته بالوزارة ، لتعثره على عادته في الطريق[2] ، وهذا الاقتضاب في الاعتذار يتوافق وشخصية العميدي المعتدّة بنفسها كثيرًا .

7- رسائل استماحة الحوائج :

وقد تضمنت حوالي عشر رسائل[3] ، وفيها يطلب من أصدقائه ، وبعض كبار رجال الدولة حاجاته ، كطلب إمداده بكاتب للمساعدة على تحمل العمل ، أو طلب صرف راتبه المُتَعَثر ، أو طلب استعارة كتاب من ولي العهد وغيرها من الحوائج ، و جاءت أغلبها مُقتَصرة مُقتَضبة (ما بين صفحتين إلى أربع صفحات) ، وقد يُطيل في مدح مُراسِله إذا كان من كبار رجال الدولة قبل أن يشرع في طلبه كما في رسالته الخامسة والأربعين ، أمّا الرسالة السادسة والثمانون فهي جواب على مسائل أدبية طلب منه أحد أصدقائه من الكتّاب توضيحها وشرحها.[4]

8- رسائل في الشكر:

وهي رسالة واحدة في شكر ومدح وزيرٍ لم يُصَرح باسمه ، لمَا أجراه له من الأمر بصرف راتبه ، وقد جاءت مُقتَضَبة في صفحتين[5].

---

[1] انظر : رسائل العميدي ، ص: 326 ، 339.

[2] انظر على سبيل المثال السابق، ص: 168 ، 339 ، 355 ، 424 ، 430.

[3] انظر السابق ، ص: 54 ، 89 ، 167 ، 221 ، 352 ، 357 ، 389 ، 400، 403 ، 426.

[4] انظر السابق على الترتيب ، ص: 221 ، 400.

[5] انظر السابق ، ص: 261.

9- رسائل في الاستزارة :

وهما رسالتان قصيرتان إحداهما صفحتان والأخرى ثلاث صفحات يَستَزيز أحد الأشراف، وهو الشريف القاضي أبي الحسن بن أبي طالب ابن بنت الزَّيدي إلى منزله [1].

10- رسائل في التَّشوق :

وهما رسالتان مُقتَضبتان إحداهما أربع صفحات والأخرى صفحتان ، أولهما يتشوّق فيها لرؤية الشريف القاضي ذي الحسبين أبي الحسن محمد بن الحسين الموسويّ ،و ثانيهما يتشوق فيها إلى بعض أصدقائه بمصر [2].

11- رسائل في الشفاعات والعنايات :

وهما رسالتان إحداهما يستشفع فيها بعميد الدولة حسن بن صالح للأمر بصرف راتبه ، وقد تأخر عنه خمس سنين ، مما دعاه للإطالة مُظهِرًا ولاءه للدولة ، فجاءت في سبع صفحات ، والثانية يستشفع برئيس ديوان الخاص الحسين بن بشر في إثبات حق جماعةٍ له في منزلٍ لهم ، فولج في الموضوع مباشرة ، و جاءت مُقتَضبة في صفحتين.[3]

12- رسائل في العيادة والسؤال عن المريض :

وهما رسالتان مُقتَضبتان إحداهما إلى الشيخ نجيب الدولة يعود فيها علَّته ، والأخرى يعتذر فيها إلى وزيرٍ لعدم عيادته في مرضه لعلَّةٍ لَحِقته ، و يهنئه بتمام الشفاء والعافية وقد جاءتا في صفحتين.[4]

---

[1] انظر السابق ، ص: 337 ، 364.

[2] انظر السابق ، ص: 28 ، 87.

[3] انظر السابق على الترتيب ، ص: 184 ، 368.

[4] انظر السابق على الترتيب ، ص: 355 ، 424.

13- رسائل في الإخبار:

وقد تضمنت خمس رسائل [1] ، جاءت (ما بين صفحتين إلى أربع صفحات) ، و فيها يُراسِل أصدقاءه وبعض كبار رجال الدولة ؛ ليُطلعهم على ما جدّ من أخبار مهمة له ولدولته ، كأن يبشر صديقه معقل بن جيهند بما أُجرِي له من صرف راتبه ، وفي الرسالة الثالثة والعشرين يُعلن لصديقه الشريف توبته وإنابته ، وجاءت متوسطة في ست صفحات لفرط حزنه على ما أسرف في جنب الله ، وفي الرسالة السادسة عشرة يخبر أبي الفرج القشوري بما أفاض به الله من النصر العظيم على الأعداء ، ويخبر صديقٍ له في الرسالة التاسعة والعشرين بالأسباب التي أدت إلى اتخاذ الخليفة أمره بعزله من ديوان الترتيب ، وجاءت متوسطة في أربع صفحات.

14- رسائل في المداعبة:

وقد تضمنت رسالتين إحداهما في صفحتين يداعب صديقه ابن عبد الرزّاق ويُعرض بصديقه الآخر إبراهيم الحدّاد ، والأخرى في تعزية القاضي أبي الحسن بن أبي الدبس في وفاة كلبٍ له عزيزٍ عليه ، مداعبة له ، وجاءت في خمس صفحات لشرف المُرسَل إليه.[2]

15- رسائل في اختطاب المودة وافتتاح المكاتبة :

وقد تضمن هذا الغرض رسالة واحدة أرسلها لوزير لم يُصرح باسمه بغرض الاقتضاء والمعاتبة وكانت أول رسالة يرسلها إليه بعد وزارته وهي الرسالة الحادية والأربعون وعنوانها : " وله رقعة اقتضاء ومعاتبة وهي أول رقعة إليه في الوزارة بعد الصّدَر" .[3]

وقد خلت رسائل العميدي الإخوانية من غرضي خطبة النساء ،و التهادي والملاطفة .

---

[1] انظر السابق ، ص: 79 ، 111 ،136 ، 141 ، 214.

[2] انظر : السابق على الترتيب، ص: 119 ، 321.

[3] السابق ، ص: 200.

2-4-1- الرسائل الأدبية :

يقول د.زكي مبارك : ألَّف كتّاب القرن الرابع الهجري كتابات في بعض الموضوعات التي كانت مقصورة على الشعر ؛ كالمديح و الغزل والهجاء والوصف و الفخر ؛ لأنهم نقلوا محاسن الشعر إلى النثر من استعارة وخيال وتشبيه ، والنثر متى أخذ خصائص الشعر أصبح أكثر قدرة منه على الوصف ؛ لتميزه بخلوّه من قيد القافية و الوزن، و بالتالي أصبح النثر في القرن الرابع الهجري وسيلة لتقييد الخواطر النفسية والملاحظات الفنية [1] ، والرسائل الأدبية التي بقيت لنا من العصر الفاطمي في مصر على نوعين : النوع الأول: رسائل أدبية المضمون ، وهي رسائل تتضمن العديد من المضامين الأدبية ، جامعة العديد من الأخبار و الموضوعات والطرق الأدبية كالأفضليات لابن الصَّيْرفي ، وأمَّا النوع الثاني منها : فهي رسائل أدبية الغرض ، و قد جاءت قصيرة الحجم ، و فيها يظل الكاتب في دائرة موضوع أدبي واحدٍ ، ويتمثل ذلك في رسائل الرثاء و الوصف و الهجاء ، التي وصلت إلينا من تلك الحقبة.[2]

وقد وصلت رسائل العميدي الأدبية إلى حوالي ست وعشرين رسالة ، جاءت على أربعة أضرب :

الضرب الأول :

رسائل غلب عليها الوصف ، وهي حوالي خمس عشرة رسالة [3] ، وقد جاءت هذه الرسائل في أغلبها متوسطة الطول (ما بين أربع إلى سبع صفحات) ، فقد يُطِيل في وصف رحلته إلى من يُراسِله فور ركوبه إليه ، فيجعل جُلَّ الرسالة في وصف ما لاقه من مخاطر في الطريق حتى يصل إلى سيده ، الذي يستحق تحمل المشاق للقائه ، والاستماع لأوامره ، كما كان الشعراء الجاهليون يستفتحون قصائدهم بوصف الأطلال ورحلتهم إلى ممدوحهم ؛ ليستجدوا من يمدحونه ؛ فيغدق عليهم بالمال[4] ، وقد يُكثر من إيراد الشِّعر لنفسه أو لغيره من الشعراء في رسائله ، فيجعلها من أولها لآخرها مبنية عليه [5] وقد يتحسر على تقلب الزمان عليه فيُسهِب في

---

[1] انظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك ، ص: 107.

[2] انظر: الرسائل الفنيّة في مصر في العصر الفاطمي ، محمد النعيمات ، ص: 142-143.

[3] انظر رسائل العميدي ، ص: 13 ، 18 ، 28 ، 32 ، 59 ، 124 ، 152 ، 191 ، 327 ، 420، 432 .

[4] انظر السابق ، ص: 13 ، 18 ، 28 ، 32 ، 124.

[5] انظر السابق ، ص: 191 ، 327.

وصف ما آلت إليه أحواله من السوء والعَنَت.[1] ، وقد يَصف ساخرًا مأدُبة من الطعام دُعي إليها فيها مختلف الأطعمة والأشربة لم يمسها أحدٌ بسوء ، أو يكون هو صاحب المأدبة ، أو يصف رحلةً ما له ويصف ساخرًا ما لاقاه فيها من المشاق ،فتخرج الرسالة وكأنها مَقامات أدبية[2] ، فالفكاهات النثرية ليست مما ابتكره كتّاب القرن الرابع ، ولكنها صارت في هذا القرن فنًّا واضحَ الرسوم ، حيث ظهرت فيه ظهورًا واضحًا ، بحيث يمكن القول إنَّ كتاب هذا القرن كانوا يقصدون إليها قصدًا ، ويتنافسون في تحبيرها و تزويرها، و يعد بديع الزمان من أشهرهم في هذا الباب فله الكثير من المقامات الفكاهية [3] ، فأظهر ميزة يمكن تبينها في ذلك العصر هي إجادة الوصف ، وهذا يظهر من اهتمام كتَّابه اهتمامًا عظيمًا ، بوصف ما جرى في خواطرهم ، أو ارتابت فيه عقولهم ، أو ما رأته أعينهم ، ولم يكن هذا الوصف يأتي عفوًا كما كان الحال في عصر صدر الإسلام ، بل لقد تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية ؛ فأطنبوا في الحديث عن الرياض، و الأزهار، و النبات ، والنجوم ، و الليل، وآلات الطرب ، والقِيان ، والمنازل ، والفواكه، والسكاكين، والكئوس، والطيور والأطعمة ، وأيام الشتاء ، و الربيع ، و الصيف ، وأطالوا في وصف المعاني الواجدانية ، كما فعلوا في وصف المرئيات ، فتكلموا عن نزعات النفس وأهوائها ؛ كوصف الحقد والبغض ، والحب والوجد ، والكرم والنُّبْل ، كل ذلك بطريقة مقصودة تُظهر أنَّه كان عندهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم ، ولا يمكن إنكار أنَّ الكتاب السابقين قد أتقنوا الوصف في كثير من الموضوعات ، ولكننا نؤكد أنَّ كتّاب القرن الرابع قد عَمَدوا إلى كل ما يقع عليه الحس، أو ينقده العقل ، أو يجري عفو الخاطر ، فوصفوه وصفًا مُفصَّلًا مقصودًا بمسلك لم يفكر في مثله المتقدمون[4] ، و رسائل الوصف هي أوسع أبواب الرسائل الأدبية ، وهو لم يكن مستقلًا بذاته في أول

---

[1] انظر السابق ، ص: 432 ، وفي هذه الرسالة وصف لأهل مصر.

[2] انظر السابق ، ص: 5 ، 76 ، 301 ، 405 ، والمقامة في أبسط تعاريفها : حكايات قصيرة مختصرة مقرونة بنكتة أدبية أو لغوية ، انظر تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، لأنيس مقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت–لبنان ، ط 6 ، 1979 م ، ص: 362.

[3] النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك، ص:133.

[4] انظر السابق : ص: 173–174.

الأمر ، ولكن بدخول القرن الرابع الهجري شرع الكتّاب يُحبّرون نماذج من رسائل الوصف مقتصرة عليه دون غيره. [1]

الضرب الثاني :

رسائل الغلاميّات ، حوالي أربع رسائل متوسطة الطول ، (ما بين أربع إلى سبع صفحات) ، يرسلها إلى بعض أصدقائه يتودد إليهم .[2]

الضرب الثالث :

رسائل في المعمّيات ، وهي رسائل ألغاز وأحاجٍ يرسلها إلى بعض أصدقائه في شكل أدبي فريد ، وطريقته أن يعدد أوصاف هذا اللغز في جمل مسجوعة مزدوجة ، ويطلب من مُراسِله أنْ يَحذِر ما يتكلم عنه ، وقد يُلَخِّص أوصاف هذا الشيء في بيت شعري أو بيتين يجعلهما خاتمة الرسالة .[3] و يتحدث د.شوقي ضيف عن سمات النثر في القرن الرابع الهجري فيقول : ثم جاء قابوس فأضاف سمات أخرى ، ومن يرجع إلى اليتيمة يجد أن صناعة الألغاز داخلة في النثر الكتابي وهي صورة من صور التعقيد ، كما يجد أنّ أداة الجناس التي أخذت في التعقد قد تخصص لها بعض الكتب ، تتحدث عن أشكالها و أنواعها ، كما كانوا يكثرون من ترصيع رسائلهم بالغريب و الأمثال و الشعر ، و كل ذلك كان دليلًا على انقداح زند الحياة الفنية في النثر العربي ، وأنَّه قد أصبح لا مفر من وصوله إلى حال غريبة من التعقيد [4]، وفي فك شفرة النص المعمّى يقول القلقشندي : يحتاج المتصدّي لحلّ المعمّى –وهو مقصد الباب ونتيجته– مع ذكاء الفطرة و جودة الحدس ، أن يعرف اللغة التي يريد حل مترجمها ، مما وقع به اللغز فيها ، و يعرف مقدار عدد حروفها ، ولا يخفى أنَّ حروف اللغة العربية ثمانية وعشرون حرفًا ، كما يستلزم أن يعلم مقادير الحروف التي تتركب منها الكلمة ، وأن يحيط

---

[1] انظر: الرسائل الفنية في العصر العباسي الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد الدروبي ، ص: 390.

[2] انظر رسائل العميدي ، ص: 83 ، 105 ، 191 ، 420.

[3] انظر السابق ، ص: 66 ، 121 ، 255 ، 263 ، 305 ، 378.

[4] انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص: 263.

علمًا بما لا يأتي في أول الكلمات من الحروف ، و كذلك بالحروف التي لا تقارن بعض الحروف في نفس الكلمات إلَّا قليلًا ، وغيرها. [1]

الضرب الرابع :

أن يحل قصيدة أدبية في رسالة ، كما فعل في رسالته الرابعة والثمانين ، وهي رسالة اقترحها عليه بعض الرؤساء وهو في مجلسه ، وهي مَحلُول قصيدة لأبي تمام بن أوس ، ولم يهتدِ الباحث إلى هذه القصيدة المَحلُول منها نص الرسالة ، وقد جاءت في صفحتين .[2]

3-4-1- الرسائل الديوانية :

يقول القلقشندي متحدثًا عن الرسائل الديوانية : و هي الجزء الأعظم من صناعة التَّرسل ، و عليها تدور صنعة الكتابة ، إذ الولايات من أهم مقاصد المكاتبات ، وهي أهم ما ينبغ فيه الكاتب ، وأَلزَم ما برع فيه ،و منها ما يُكتب عن الملوك و الخلفاء ومن ضاهاهم [3] ، فهي : رسائل يُحبّرها كتّاب ديوان الرسائل على ألسنة الملوك و الخلفاء والولاة ، و تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بذلك من أخذ البيعة للخلفاء ، وولاة العهود ، و تولية الولاة ، ومن الفتوح والجهاد ، والأعياد والأمان ، ومراسم الحج ، وأخبار الولايات ، وأحوالها في الجدب و الحصاد و المطر ، ووصايا الحكام و الوزراء في تدبير الحكم والسياسة ، وعهود الخلفاء لأبنائهم [4] ، و أهمية هذه الرسائل ؛ كونها الكتب النافذة في معاظم الأمور و جلائل الخطوب وسياسة الجمهور ، و قوام الدنيا ونظام الدين [5]، فقد وضع ديوان الإنشاء نماذجَ لكل أنواع الرسائل الديوانية يلتزم بها الكاتب عند كتابته أية رسالة ديوانية ، فليس له مطلق الحرية أن ينظم الرسالة الديوانية حيث شاء، يقول علي بن خلف الكاتب : وقد أودعنا هذا الباب الرسوم المستعملة في جميع المكاتبات بالكلام الوجيز الجامع لعقودها و حدودها،

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 9/ 233–236 ، وللمزيد حول حل المُعمَّى انظر صبح الأعشى ، 9/ 233– 250.

[2] انظر: رسائل العميدي ، ص: 395.

[3] انظر : صبح الأعشى ، 8/ 236.

[4] انظر : تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف ، 466/2 ، 3/ 468.

[5] انظر : موادّ البيان ، ص : 342.

وأتينا في كتب العهود و التقاليد بأمثلة تتضمن الأوامر و التصدير الذي جرت العادة أن يعهد السلطان به إلى كل من هو قائم على عملٍ من أعماله ؛ لأنها محددة محصورة ، فلا عذر لأي كاتب في الإخلال بشيء منها ؛ ليضعها في مواضعها ، ويستوفيها على حقها ، فإنَّ أغفل بعضها فقد سقطت الحجة على العامل إذا لم يعمل بها [1].

وقد جاءت خمس رسائل ديوانية له [2] ، وهي رسائل في معظمها طويلة مقارنة برسائله الإخوانية والأدبية ، حيث جاءت رسالتان منهن في سبع عشرة صفحة ، وهما أطول رسالتين له على الإطلاق ، وهما الرسالتان السادسة والخمسون ، والسابعة والخمسون ، وهما في الوعد والوعيد لحسان بن جرّاح وصالح بن مرداس لما نَهَبَا الشام و الرَّملة ، وخالفا الدولة الفاطمية ؛ فالموضع موضع بسط للتهديد و الوعيد ، وتظهر فيهما سياسة الدولة الفاطمية في التعامل مع الخارجين عليها ، يقول صاحب الصناعتين : ولا شك أن الكتب الصادرة عن الملوك في الفتوح الجليلة ، والأمور الجسيمة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والنهي عن المعصية ، والترغيب في الطاعة سبيلها أن تكون مستقصاة مشبعة ، تملأ الصدور ، آخذة بمجامع القلوب .[3] ، و يقول علي بن خلف الكاتب : فإن نقض معاهد العهد الذي عهده ، ونفض يده من شروط الهدنة ، فالرسم أن يصدر الكتاب بحمد الله –عز و جل– على موهبته في إعزاز المسلمين و إظهار الدين ، وما وعد به أهل العدل من التمكين ، وما تكفله من النصر على الباغين ، والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– و آله أجمعين ، ثم يذكر الحال الأولى التي انعقدت الهدنة عليها ، وأنَّ الرد عليهم لم يتأخر لقصور الخليفة عن غزوهم في عُقر دارهم ، و عجزه عن تشريدهم بالغارات المشبوبة بحرًا و برًا عن قرارهم، بل كانت امتثالًا لأمر الله تعالى في مسالتمهم ، و قبولًا لمساءلتهم...[4] ، وهو عين ما التزمه العميدي في رسالته إلى صالح بن مرداس ، يقول : " لقد منَّ عليك أمير المؤمنين مرةً أخرى ، وذكّرك بهذا الكتاب إن نفعت الذكرى ، وبلغ في الإبقاء عليك الغاية القصوى

---

[1] انظر : السابق ، ص: 341.

[2] انظر : رسائل العميدي ، ص: 117 ، 267 ، 284 ، 308 ، 370.

[3] انظر : كتاب الصناعتين ، ص : 190.

[4] انظر: موادّ البيان ، ص:361 ،362 ، وانظر نماذج الرسائل لمن خلع الطاعة ، نفسه ص: 363–371.

، وحذَّرك نكال الآخرة والأولى ، ودعاه فرط شفقته على خدمه وعبيده ، وحسن ثقته بربه في تمهيد ملكه وتشييده إلى الإنذار قبل الانتصار ، والإعلام قبل الانتقام."[1]

والرسالة الرابعة والعشرون هي رسالة إلى ابن مسلمة يخبره بسلامة وصول الخليفة إلى قصره بعد ركوبه من القاهرة إلى بنها ويأمره بإذاعة ذلك بين الخاصة والعامة، وهي رسالة مُقتَضَبة جاءت في صفحتين ، قال في "موادّ البيان" : وقد جرت العادة في مكاتبة السلطان ولاته وعمّاله بسلامة المواسم الإسلامية كلها ؛ والعلة في ذلك كونها تُشاهَد من جميع أصناف الرَّعايا ، وذوي المذاهب المتباينة ، و الآراء المختلفة ،و القلوب المتصاحبة و المتعادية في أمر الدنيا و الدين ، وكل متربص لفتنة يتحيّن فرصتها ، فلا تكاد تخلو هذه المشاهد من حدوث ثورة ، أو أحداث منكرة تؤدي إلى الفتن التي لا تُرفَع ، فإذا أنعم المولى –عز وجل – بالسلامة منها ، وجب الشكر لمشيئته ، و التحدث بنعمته ، وأن يكتب أمير المؤمنين بسلامة رجوعه إلى عمّاله ، لتسكن الكافة والعامة إلى ذلك ، ويشتركوا جميعًا في حمد الله عليه.[2]

أمَّا الرسالة السابعة والسبعون فهي نسخة إحمادٍ لأهل الشام لمَّا صبروا وجدّوا في قتال الأعداء وجاهدوا ، وجاءت قصيرة في أربع صفحات ، يقول القلقشندي في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ، وما يلائم كل مكاتبة منها من المعاني : وقد استحسنوا الإيجاز وذلك في خمسة مواضعٍ ، منها أن يكون المكتوب عن السلطان إحمادًا أو إذمامًا. [3]

ويرجح الباحث أن تكون الرسالة الستون له رسالة ديوانية ، وعنوانها " كتاب نسخة فتح الشام ، وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيّهم وطائيّهم بشرح الحال إلى صديقٍ له بدمشق " وهي الرسالة التي نسبها ابن الساعي في الدر الثمين للعميدي في ترجمته له ، واعتمد المحقق عليها في إثبات صحة نسبة هذه الرسائل للعميدي ، وهي رسالة طويلة نوعًا ما ، فجاءت في حوالي ثلاث عشرة صفحة ، أرسلها إلى صديقه ، ويُرَجح أنَّه من كبار رجال الدولة الفاطمية ، أرسلها إليه لإعلامه بنصر الدولة الفاطمية على أعدائها ليخبر هذا السيد

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 283.

[2] انظر : صبح الأعشى ، 8/ 318 ، وللمزيد حول النماذج التي تكتب في السلامة في الركوب للخليفة في المواسم والأعياد يُنظر صبح الأعشى ، 8/ 318–360.

[3] انظر : السابق ، 6/ 305 ، وانظر: موادّ البيان ، ص: 382.

بدوره من تحته من الرَّعية ، فهي تصف أدق ما وقع في المعركة من تفاصيل بصورة أدبية فريدة ، مفتتحة بالتحميد الطويل والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– ، ولعل عنونتها بلفظ نسخة يؤكد ما ذهب الباحث إليه فهي نسخة من عدة نسخ مرسلة إلى عدة جهات ، و لتَفَرُّدها جعلها ابن الساعي من أهم ما خلَّفه العميدي من آثار أدبية ، وقد وضعتها إحدى الباحثات أيضًا ضمن رسائل العميدي الديوانية في دراستها.[1]

4-4-1–تتمة :

جاءت الرسائل الإخوانية في أغلبها –كما أشرت من قبل– قصيرة جدًا ما بين صفحة إلى أربع صفحات ، ومن النادر أن تتخطى ذلك ، أمَّا الرسائل الأدبية الغرض فكانت في أغلبها متوسطة الطول– خاصة رسائل الوصف– مقارنة بالرسائل الإخوانية ، فجاءت رسائل منها في أكثر من سبع صفحات ، وأصغر رسالة فيها جاءت في أربع صفحات ، أمَّا الرسائل الديوانية فتباينت حسبما يقتضيه المقام ، وفقًا للنماذج الموضعة لها في ديوان الإنشاء ، فرسائل الوعيد والزجر والتهديد لمن شق عصى الطاعة أطال فيهما العميدي كما هو متبع ، وقد بلغت رسالتي الوعيد حوالي سبع عشرة صفحة في كلٍّ منهما ، وهما أكبر رسائله ، في حين جاءت رسالة الإحماد ورسالة الإعلان بسلامة وصول الخليفة مُقتَضَبَتَين ، وهو موافق لنماذج هذه الرسائل وطبيعتها ، وقد توافق ذلك مع ما ذهب إليه أحد الباحثين ، يقول : وقد جاءت الرسائل الفنية التي بقيت لنا عن العهد الفاطمي في مصر متباينة في الطول والقِصر، معتمدة في ذلك على طبيعة الموضوعات المكتوبة فيها ، فالرسائل الفنية الديوانية المتعلقة بالدعوة الفاطمية و الأمور الرسمية امتازت بالطول ؛ لأنها تعالج أمورًا سياسية و إدارية عدة ، وكما اتسمت الرسائل الفنية الأدبية المضمون بالطول ؛ لرغبة الكتّاب تضمينها كل ما ألمّوا به من أشعار ، و أخبار ، و أقوال متعلقة بغرض الرسالة ، أمّا الرسائل الفنية الأدبية الغرض فقد جاءت قصيرة الحجم لا تتحمل سوى قضية واحدة قد دار الحديث حولها ، و كذلك الرسائل الإخوانية لكونها لا تعالج – في الغالب– إلا موضوعًا واحدًا لا تتجاوزه ، فكان قِصَر مثل هذه الرسائل هو السمة الفنية التي غلبت عليها [2] ، وقد حرص الكتاب الفاطميون على وحدة بناء رسائلهم ، و خصوصًا رسائلهم الفنية التي جاءت طويلة ، وقد تعددت محاور النقاشات فيها ، فاستخداموا بعض الوسائل الفنية لتساعدهم في ربط أجزاء الرسالة الواحدة ببعضها ،

---

[1] انظر: التمهيد ، ص: ي.

[2] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، محمد النعيمات ، ص: 202.

كالتدرج المنطقي ، والتنقل بين أجزاء الموضوع الواحد تنقُلًا ذهنيًا يعتمد على الحجج والبراهين المُقنِعة للمُخاطَبين من جانب ، و المحافِظة على تماسك الخطاب من جانب آخر.[1]

[1] انظر : السابق نفسه.

الفصل الثاني

الأسلوبية التركيبية والتكوين النصيّ

وفيه توطئة و مبحثان:

توطئة.

1-المبحث الأول: على المستوى التركيبي العام ويتناول:

1-1-2- الاقتباس للموروثين الديني والأدبي والتضمين لهما.

2-1-2- الاستشهاد بالموروثين الديني والأدبي.

3-1-2- ظاهرة حل المنظوم.

2-المبحث الثاني: على المستوى التركيبي الخاص (النحوي والصرفي):

1-2-2- أسلوب الاستثناء المُفَرّغ (الناقص المنفي).

2-2-2-أسلوب الشرط.

3-2-2- الحال.

4-2-2-تعدد الوصف.

5-2-2-المفعول المطلق.

6-2-2-كم الخبرية.

7-2-2- المشتقات الوصفية.

توطئة :

يرى "جورج مونان" : أن الأسلوبية تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي من خلالها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته الجمالية والتأثيرية [1] ، فالأديب يعبر عن شخصيته تعبيرًا صادقًا يصف نزعاتها ومزاجها وتجاربها وطريقة اتصالها بالحياة لينتهي به الأمر إلى أسلوب أدبي متميز في طريقة التصوير والتفكير والتعبير ، هو ذاته أسلوبه المشتق من نفسه هو ، ومن عقله و من خياله و من عواطفه و من لغته.[2]

أمَّا مهمة علم الأسلوب كما يرى بالي فلا تزيد عن تعرية بذور الأسلوب ، وإظهار " اللوالب" التي تحركه و هي الموجودة في الأشكال اللغوية أشد ماتكون تلك الأشكال تفاهة ، ودراسة الآثار الناشئة –بشكل تلقائي– عند المستمعين عند استخدام هذه الأشكال [3] ، فاللغوي كما يرى ريفاتير يجد كنزًا من الوقائع في النص والتي بالإمكان استعمالها لإعادة تكوين هذا الأثر الذي أحدثه أسلوب النص في عصره الذي كتب فيه ثم يصحح – طبقًا لهذه الصورة المستعادة– استجابات القراء المحدثين فهي نظرة تزامنية أشبه ما تكون من وجهة عالم الآثار ، فإذا كان اللغوي يجمع كل سمات الحديث من راويته دونما أي استبعاد لأي شيء منها ، فإن على الأسلوبي أن يلتقط من بين تلك السمات ما يؤدي أغراض المؤلف فقط والتي يكون أشد وعيًا بها من غيرها [4] ، هذا اللغوي الذي يرى " رولان بارت " أنَّ عليه أن يتداخل مع النص فيحل فيه حلولًا صوفيًّا ، يعيش من خلاله مع النص فيرى مساراته، ودوائره، وحركاته ، دون أي فرض خارجي لرؤية سابقة على النص من الناقد نفسه والتي تنفصل عن البنية اللغوية للنص الأدبي المدروس ، وهذا يتطلب بنياته الصرفية ، وهياكله النحوية ، وتأليفاته ، واختياراته في ضوء تلك العوامل الوجدانية المنتشرة في ثناياه ، فقد تقتضي تلك الانفعالات السريعة المتتابعة مقاطع متلاحقة من المفردات القصيرة، أما الفلسفات الذهنية والتأملات العقلية فتقتضي تركيبات ومفردات ذات مدى أكثر طولا واتساعًا حتى تبين امتدادات التفكير [5] ، فهناك أمورٌ تتضافر فيما بينها لتصنع دلالة معينة ،

---

[1] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، ص : 33.

[2] انظر : الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية –، أحمد الشايب ، ص: 127–128.

[3] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي، ص: 27.

[4] انظر : السابق ، ص 130–131 .

[5] انظر : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، ص:132.

يشترك في تجسيدها المعنى المعجمي والنحوي والسياق اللغوي الذي قامت عليه الجملة أو الجمل [1] فبمقارنة مجالات التماس والتقاطع للأسلوبية مع كل من اللسانيات والبلاغة يتضح لنا أنهما يمثلان محورين متعامدين على بعضهما طولا وعرضًا ، ويأتي علم النحو ليكون البعد الثالث و الأخير وهو بعد العمق ، فيخرق حقول التباعد والتداخل ليصبح مركز الثقل مستقطبًا جاذبية الأسلوبية على نحو ما من التناظر، فالنحو هو مجال القيود بينما الأسلوبية مجال الحريات ، وعلى هذا الأساس كان النحو سابقا في الوجود للأسلوبية ، فهو شرط واجب لها ، فكل أسلوبية رهينة للقواعد النحوية الخاصة باللغة المستخدمة وليس العكس ، فالنحو هو الذي يضبط لنا قوانين الكلام ، بينما تتناول الأسلوبية ما في وسعنا التصرف فيه عند استعمال اللغة ، فالأسلوبية تثبت والنحو ينفي ، وهذا معناه أن الأسلوبية هي علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في إطار القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة [2] ، فالنص الأدبي ما هو إلا نتاج نسق أو نظم لغوي معين ، وهذا النسق أو النظم لا يمكن فهمه فهمًا صحيحا دون الإلمام الدقيق والشامل للغة التي صيغ بها ، وبالتالي يمكن أن تسهم تلك التطورات الحديثة في علم اللغويات ، و خاصة في مجال علم الأساليب في دراسة النصوص الأدبية بعامة ، و الأسلوب الأدبي بخاصة[3] ، وأهم من ذلك كله فيما يخص الدراسات الأدبية أن نقرر أنّ هناك درجات من الوصفية أو درجات من التعميم ، وذلك عند تحديد الخصائص الأسلوبية الخاصة بعصر أدبي معين أو فن أدبي ما أو أسلوب مدرسة أدبية بعينها، كما أنّه من المهم أن نعلم أنَّه من المجازفة بمكان الحكم بهذا التعميم إلا بعد دراسة أسلوبية وافية لعدد كافٍ من النصوص ، و أن هذه التعميمات ليست هي الغرض من الدراسة الأسلوبية للنص إنما هي ثمرة من ثماره فقط [4] .

ويرى ستيفن أُولمان أنَّ في السنوات الأخيرة قد طوّر علم اللغة العام مفهومًا حديثًا يهتم بدارسة الأسلوب بشكلٍ خاص ، فيما يُعرف بمفهوم اللغة الخاصة (Idiolect) والتي يمكن تعريفها : بأنها مجموعة من العادات اللغوية التي يستخدمها شخص واحد في وقت معين ؛ وبذلك تأخذ مكانًا متوسطًا بين طرفي اللغة والقول ، اللغة التي هي عرف مُتَشارك بين جميع أعضاء المجتمع ، و القول الذي هو استعمال لذلك العرف لتدوين

---

[1] انظر : السابق ، ص: 193.

[2] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د.عبد السلام المسدي ، ص:46.

[3] انظر : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، ص: 1-2.

[4] انظر : : علم الأسلوب – مدخل ومبادئ– ، ص:55.

رسالة معينة [1] ، وهذا يوافق ما ذهب إليه " يان موكاروفسكي" حين رأى أن الشخصية عبارة عن سمة نوعية من الممكن تبينها داخل بنية العمل ، أي أنَّه قد وضع دراسة العمل كمصدر بدلا من دراسة مصادر العمل[2].

إذن فالمدخل إلى معرفة أسلوب الكاتب يعتمد على دراسة مستويات اللغة الأربعة الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية لتبين أسلوبه ومعرفة التقنيات الأسلوبية التي أكثر من استخدامها في كتاباته ودلالة هذه التقنيات ، ولكن هل سندرس كل العناصر اللغوية والصرفية والصوتية والدلالية لنميز هذه التقنيات الأسلوبية الخاصة بالكاتب ؟! يرد على هذه السؤال د.صلاح فضل حيث يرى إنّه من المحال التعرض لكل عناصر العمل الأدبي ودراستها ، ثم نسمي ذلك دراسة أسلوبية! فهذا أبعد ما يكون عن الأسلوبية ، فالمنهج إذا أريد به أن يكون علميًّا بهذه الطريقة يكون مستحيلًا ؛ لأن عدد العناصر التي يجب تناولها تجعل الدراسة غير ممكنة على أرض الواقع ، وإنما التوجه الصحيح هو الاختيار المُسبق للعناصر اعتمادًا على الحدس كما يرى داماسو ألونسو ، فالحدس هو أحد حلقات البحث العلمي وأولى خطواته ، وهو الذي يدلنا بإزاء العمل الأدبي على الجانب الأكثر خصوبة وعلى الاتجاه الصحيح في تناوله الذي يُفضي إلى القيمة التعبيرية ذات الأهمية الحاسمة في العمل الأدبي ككل[3] ، وفي هذا الصدد يرى شبتسر أنَّه عند تحليل عمل أدبي ما يحتار المُحَلِّل ما بين الاتجاه للاكتفاء بالتركيز على تحليل السياق الأصغر (Micro–context) للعمل الأدبي أو التعرض للسياق الأكبر له (Macro–context) ، فكل اتجاه منهما يصلح للدرس الأسلوبي ولكل منهما مزاياه وعيوبه ، فعند التركيز على السياق الأصغر – نُبذة قصيرة أو مقطوعة صغيرة مثلًا – يكون التركيز الكبير على الكلمات وطريقة تفاعلها مع بعضها البعض، ولكن ما يعيب هذا الاتجاه أنّه لا يتسع للكشف عن شيء ذي دلالة من جهات الاستحسان ، كما أنّه لا يسمح بالكشف عن دور عنصر معين في بنية عمل كبير كامل ، أمَّا عند اختيار تحليل السياق الأكبر ، نكون أقدر على اكتشاف العناصر المسيطرة على العمل ، وتقييم دور هذه الحيل الأسلوبية في التأثير في العمل ككل للكاتب ، لكننا في الوقت ذاته قد نفقد التركيز على مواقع الكلمات وتأثيرها في بعضها البعض ، كما أنَّ الدراسات التي تتعرض لتحيل السياق الأوسع إمَّا أن تركز على تحليل عنصر

---

[1] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ، ص:105.

[2] انظر: السابق ، ص: 194.

[3] انظر : علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، مجلة فصول ، ص: 51.

معين في العمل ككل أو مجموعة من العناصر في العمل وإمّا أن تحاول الإحاطة بكل أسلوب الكاتب أو العمل ، وإذا كان اختيار المُنفِذ للعمل اختيارًا موفقًا فإن هذه الدراسة يمكنها أن تؤدي إلى صميم الرؤية الجمالية للكاتب ، ولا يشترط في ذلك إلا أن تكون الحيلة الأسلوبية المستخرجة للدراسة من داخل العمل الأدبي وليست مقحمة عليه من الخارج ، وألا يعتمد قوائم لعناصر لغوية عامة يطبقها في كل عمل بما يضفي رتابة وميكانيكية[1] ، فيمكننا القول –بوجه عام – إن الناقد أو عالم الأساليب ينتقي بخبرته من بين الركام الهائل من التفاصيل للنص الذي يحلله السمات المميزة لأسلوب كاتب النص الذي بين يديه ، ثم يحاول تحليل هذه السمات وتصنيفها ، ثم يربط بينها ويعلل وجودها في السياقات المختلفة ليصل إلى أنماط عامة تجعل هذا الأسلوب متفردًا عن غيره من الأساليب [2] ، فالدراسة الأسلوبية على المستوى النحوي تكون من خلال إبراز مجموعة من الجمل الشائع استخدمها في أسلوب الكاتب والتي تمييزه عن غيره من الكتّاب ، كما يمكن إبراز الوظائف اللغوية المتعلقة بهذه الجمل مثل الجمل الاستفهامية أو التقريرية أو البلاغية ، أو النهي أو الأمر ، أو النداء أو الندبة أو الاستغاثة أو التعجب.[3]

وقد اختار الباحث السياق الأكبر فتناول رسائل العميدي كلها واستخرج منها من خلال استقراء كافة الرسائل العناصر اللغوية التركيبية الصوتية و النحوية و الصرفية و الدلالية التي شاعت في أسلوب العميدي مما يجعلها سمات مميزة لأسلوبه ، وأول ما يطالعنا من السمات التركيبية العامة التي ظهرت بشدة في رسائل العميدي كثرة الاستشهاد بالموروثين الديني –القرآن الكريم والأحاديث النبوية– و الأدبي –الشعر والأمثال والحِكَم– والاقتباس والتضمين والحل لهم ، فلا تكاد تخلو صفحة من رسائله من استشهاد بآية أو اقتباس لبيت من أبيات أحد فحول الشعراء أو حلٍّ لآية قرآنية أو تضمين لمثلٍ من أمثال العرب– كما سنرى– ، بالإضافة إلى التركيبات الخاصة على المستوى النحوي والصرفي التي كان لها ظهور خاص في رسائله ، كالإكثار من الاستثناء والشرط و توظيف الحال في رسائله وتعدد الوصف و كثرة استعمال المشتقات الوصفية..إلخ.

---

[1] انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ، ص:116–119.

[2] انظر : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، ص:9.

[3] انظر : السابق ، ص: 22.

المبحث الأول

على المستوى التركيبي العام

1-1-2- الاقتباس والتضمين للموروثين الديني والأدبي :

شاع في رسائل العميدي الاقتباس والتضمين[1] من المورثين الديني والأدبي على حدٍ سواء ، فالرسائل ملأى بآيات القرآن الكريم اقتباسًا وحلًّا [2] وخاصة الرسائل الديوانية منها ، وقد جاءت الأحاديث النبوية في رسائله

---

[1] الاقتباس لغةً: القَبَس : النار ، والقَبَس : الشعلة من النار ، وفي التهذيب : القَبَس : شعلة من النار تَقتَبِسها ....واقتِبَاسِها : الأخذ منها ، وقوله –تعالى– : " بشهابٍ قَبَسٍ لعلكم تصطلون " [النمل /7] : القَبَس: الجذوة ، وهي النار التي تأخذها في طرف عودٍ .....ويقال : قَبَست منه نارًا ، أقبِس قَبْسًا فَأَقبَسَنِي : أي أعطاني منه قَبَسًا ، وكذلك اقتَبَست منه نارًا ، واقتَبَست منه علمًا أيضًا : أي استفدته . انظر لسان العرب مادة (قَبَس) 167/6 ، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : اقتباس مصدر اقتَبَس / اقتَبَس من ، عبارة أو فكرة أو أسلوب منقول أو مستوحًى من مصدر أساسيّ ..." اقتباسات من القرآن الكريم ، آيات مضمنة في أسلوب " ، انظر (مادة قَبَس) 3/ 1765، ونلاحظ أنَّ معاني الاقتباس فيما سبق تدور حول فكرة الأخذ من الغير ، كأخذ شعلة من النار أو استفادة علمٍ من الغير ونحوه.

أمَّا التضمين : فمن ضمَّن الشيءَ الشيءَ : أي أودعه إياه ، كما تُودِع الوعاءَ المتاعَ ، والميتَ القبرَ ....الليث : كل شيءٍ أُحرِزَ فيه شيءٌ فقد ضمّنَه ....ومنه الحديث : أن النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن بيع الملاقيح والمضامين ....وأمَّا المَضَامِين فإن أبا عُبيدٍ قال : هي ما في أصلاب الفحول ، وهي جمع مَضمُون ، وأنشد غيره :

إن المضامين التي في الصلب.......ماء الفحول في الظهور الحُدْب [الرجز]

ويقال ضَمِن الشيءَ بمعنى تَضَمَّنه، ومنه قولهم : مَضمُون الكتاب كذا وكذا ....والمُضَمَّن من الشعر : ما ضَمَّنتَهُ بيتًا ، وقيل ما لم تتم معاني قوافيه إلا بالبيت الذي يليه ، انظر لسان العرب (مادة ضَمَن) 257/13-258 ، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : ضَمَّن الشاعر : (عر) أتى بالتضمين في شعره ؛ وهو أن يأخذ شطرًا من شعر غيره بلفظه ومعناه ويدخله في شعره ، (مادة ضَمَنَ) 1371/2.

[2] الحل لغة : حَلَّ / حلَّ ب / حَلَّ على / حَلَّ في / حللت / يَحُلّ / احْلُل/ واحْلِل / حِلَّ وحُلولًا ، فهو حالّ والمفعول مَحلول ، حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولًا ، ومَحَلًّا وحَلًّا وحَلَلاً بفك التضعيف نادرٌ : وذلك نزول القوم بمحلة ، وهو نقيض الارتحال....وحل العقدة يَحُلُّها حَلًّا : فتحها ونقضها فانحلت ، والحَلُّ : حَلّ العُقدة ، وفي المثل السائر : يا عاقدًا اذكر حَلًّا ، انظر لسان العرب مادة (حَلَلَ)، 163/11-169 ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة مادة (حَلَلَ)، 548/1-554.

قليلة، كما شاع في رسائله الإخوانية اقتباس الشعر لفحول الشعراء و الاستشهاد[1] بشعره هو فقد كان كاتبًا شاعرًا، كما شاع أيضًا تضمين رسائله للأمثال والحِكَم.

وقد اختلف البلاغيون حول تعريف كلٍّ من الاقتباس والتضمين على أقوالٍ عدة ، فمنهم من جعل الاقتباس مصطلحًا خاصًا بالتعامل مع الموروث الديني مثل صاحب حسن التوسل إلى صناعة التَّرسل [–725هـ] يقول في تعريفه للاقتباس : الاقتباس هو تضمينك الكلام شيئًا من قرآن أو حديث دون التنبيه عليه للعلم به [2] ، وكذلك الحال عند القلقشندي في صبح الأعشى ، يقول : الاقتباس هو تضمينك الكلامَ شيئًا من القرآن دون التنبيه عليه [3] ، فإذا نبَّه الكاتب على أنَّ النص الوارد من كلام الله –تعالى– كأن يقول قال –تعالى– أو ما شابه صار ذلك استشهادًا لا اقتباسًا عند القلقشندي ، يقول : اعلم أن تضمينك الكلامَ بعضًا من آيات القرآن الكريم يأتي عند أهل البلاغة على ضربين : أحدهما استشهادك بالقرآن الكريم ، وهو أقلهما وقوعًا ودورانًا في الاستعمال ، ومؤداه أن يُضَمَّن الكلامَ بعضًا من آي القرآن الكريم مع التنبيه عليها ، وثانيهما الاقتباس وهو تضمينك الكلامَ شيئًا من القرآن دون التنبيه عليه [4] ، ومنهم من وسع دائرة الاقتباس لتشمل الموروثينِ الديني والأدبي كما رأى ذلك صاحب المثل السائر[–637هـ] وذلك عند حديثه عن الطريق إلى تعلم الكتابة يقول : وجدت الطريق إلى تعلم الكتابة يتطلب الإحاطة بثلاث شعب...الثالثة منهن : ألا يطالع كتابة أحد من المتقدمين ، ولا يتصفح شيئًا منها ، بل يصرف كل همَّه إلى حفظ القرآن الكريم و الكثير من الأخبار النبوية ، والعديد من دواوين فحول الشعراء الأقدمين ممن غلب على شعره الإجادة في الألفاظ و المعاني ، ثم يأخذ في الاقتباس منهم جميعًا ، فيُخطئ ويصيب ،و يقوم ويقع ، ويضل ويهتدي حتى تستقيم له طريقة يفتتحها لنفسه [5] ، وقد نقل القلقشندي عنه هذا النص في كتابه صبح الأعشى في معرض حديثه عن الأصل الخامس من الأصول

---

[1] استَشهَد / استَشهَد على/ استَشهَد في / يستَشهد استِشهَادًا ، فهو مستَشهِد ،والمفعول مُستشهَد للمتعدي / استَشهدَ على رأيه بكذا : دلل عليه ، وأكده ، جاء بشاهد عليه ، استَشهَد النحوي على القاعدة ببيتٍ من الشعر ، استَشهَد بالشِّعر : احتج بأصل ما ورد فيه من ألفاظ ، استَشهد بمثلٍ : ضربه ، استَشهَد بنصٍ : ذكره ، انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة (مادة شَهِد) 1240/2.

[2] انظر : حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد– العراق ، د.ط ، 1980م ، ص:323.

[3] انظر: صبح الأعشى ، 237/1.

[4] انظر : السابق ،234/1 –237.

[5] انظر : المثل السائر ، 100/1.

التي يُبنى عليها الكلام وهو حسن الإتباع والقدرة على الاختراع ولم يُعَلق على ما قاله فظهر اتفاقه مع ابن الأثير فيما ذهب إليه [1] ، ، ومنهم من جعل التضمين مقصورًا على الموروث الأدبي كما كان الاقتباس مقصورًا على النص الديني ، ومنهم صاحب الصناعتين [-395هـ] إذ يقول : والتضمين هو استعارتك الأبيات و أنصافها من غيرك وإدخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك [2] ، أمَّا القيرواني [-463هـ] فيقول : فأمَّا التضمين فهو قصدك إلى بيت الشعر أو قسيمه فتأتي به في وسط شِعرك أو آخره كالمتمثل [3] ، وكذلك الحال عند القزويني[-739هـ] حيث يقول : التضمين هو أن يُضَمن الشاعر شيئًا من شعر الغير وينبه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء ، وأمَّا الاقتباس فهو : أن تضمن الكلام شيئًا من الحديث أو القرآن لا على أنَّه منه ، وشاهده قول الحريري : " فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب " [4] ، ويعلق صاحب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها على النص السابق للقزويني فيقول : أي أنَّ القزويني فرق بين الاقتباس والتضمين ، فأولهما يخص القرآن والحديث ، مع مراعاة ألا يدمج قوله الله -تعالى- أو كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلام الآخرين ، و أمّا ثانيهما فيخص الشعر[5] ، و منهم من وسع دائرة التضمين أيضًا لتشمل الموروثين الديني والأدبي مثل ابن أبي الأصبع [-654هـ] حين رأى أن التضمين هو : تضمين المتكلم كلامه كلمة من آية أو من بيت أو معنىً مجردًا من كلام ، أو جملة مفيدة ، أو مثلًا سائرًا ، أو فقرة من حكمة [6]، وينقل لنا الإجماع ابن حجة الحموي [-837هـ] فيقول: الاقتباس هو تضمين المتكلم في كلامه كلمة من آية أو آية كاملة من آيات كتاب الله خاصة دون غيره ، هذا هو الإجماع ، ثم قال : وهنا فائدة يستوجب ذكرها في

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 342/2.

[2] انظر : كتاب الصناعتين ، ص: 36.

[3] انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت- لبنان ، ط5 ، 1981م ، 84/2.

[4] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، لأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزويني ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2003م ، ص: 316 ، 312 ، وقد تمثل قوله -تعالى- : " ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب..." [النحل/77].

[5] انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،د.أحمد مطلوب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2006 م ، 264/2 .

[6] انظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الأصبع العدوانيّ ، تحقيق حنفي محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1963م ، ص: 140.

هذا الباب ، فقد قالوا : إن الشاعر لا يقتبس بل يُضمّن و يعقد ، أمَّا الناثر فهو الذي يقتبس كالخطيب و المنشئ .[1]

ومن هنا يتضح الخلط الواقع بين مفهومي الاقتباس والتضمين عند البلاغيين فمنهم من جعل الاقتباس مقصورًا على إيراد النص الديني من قرآن وحديث دون التنبيه عليه ، والتضمين مقصورًا على إيراد النص الشعري دون التنبيه عليه أيضًا وهو القزويني ، ومنهم من جعل الاقتباس ليس مقصورًا على النص الديني بل يشمل الموروثين الديني والأدبي كابن الأثير ومنهم من جعل التضمين كذلك كابن أبي الأصبع العدواني ، ومنهم من جعل الاقتباس في النص النثري بينما التضمين يقع في الشعر كابن حجة الحموي ، و خروجًا من الخلاف يرى الباحث أن الأيسر هو عد الاقتباس والتضمين مفهومًا واحدًا وهما يشملان إيراد النص الديني والأدبي دون التنبيه عليهما فإذا نبه المتكلم عليهما كان استشهادًا ، وإن كان الباحث يرى أن الأنسب أن يُجعل مصطلح الاقتباس للنص الديني والتضمين للنص الأدبي لما في لفظ الاقتباس من النور والهداية وهو ما يلائم الأخذ من كلام الله –تعالى– ورسوله ، فلا يُجعل بإزاء كلام المخلوقين .

فيما يلي عرض لما ورد في رسائل العميدي من اقتباس للموروث الديني (القرآن الكريم– الأحاديث النبوية الشريفة– أقوال الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–) والموروث الأدبي من (شعر– أمثال وحكم) والتضمين لهم.

1-1-2- الاقتباس للموروث الديني والتضمين له:

لقد أسرف العميدي في اقتباس الآيات القرآنية وتضمينها في رسائله ، وخاصة في الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الإنشاء إلى المارقين والخارجين على الدولة الفاطمية ؛ وذلك لإكساب الخليفة الفاطمي ودولته هيبة الخلافة الإسلامية ، فالدولة عنده تمثل الخلافة الإسلامية ، والخليفة هو أمير المؤمنين ومن يخرج عليه ، فهو خارج على أمير المؤمنين ، فتكثر الآيات لتهديهم وإرعادهم ؛ فالخليفة الفاطمي في نظر الفاطميين مؤيد من قِبل السماء ، وقد جعل صاحب المثل السائر الاقتباس من القرآن الكريم والسنة المطهرة الركن الخامس من

---

[1]انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، تحقيق عصام شقيو ،دار البحار ، بيروت– لبنان ، الطبعة الأخيرة ، 2004م ، 2/ 455 ، 459.

أركان الكتابة يقول : الركن الخامس من أركان الكتابة: أن يحرص الكاتب على ألا يخلو كتابه من معنًى من معاني الأحاديث النبوية ، و القرآن الكريم ؛ فإنهما معدن الفصاحة والبلاغة [1] ، هذا الركن الذي كان خصلة من أهم خصال كتابة الفاطميين ، يقول د.محمد حسين : وخصلة أخرى نلاحظها في فن أولئك الكتاب وهي اقتباسهم من القرآن الكريم ، فتارة تراهم يضمون سجلاتهم و رسائلهم بعض آيات من القرآن ، وتارة يقتبسون بعض معاني القرآن الكريم متأثرين بهذا كله تأثيرًا يظهر بوضوح في جميع ما وصل إلينا من كتاباتهم [2] ، ويرد أحد الباحثين سبب إكثار الكتاب الفاطميين من اقتباس الآيات القرآنية إلى عناية الفاطميين بالدفاع عن عقيدتهم فالرسائل الفاطمية التي وصلت إلينا منهم تُظهر مدى حرص كُتَّابهم على هذين المعنيين في البلاغة ، فإذا برسائلهم زاخرة بالاقتباسات من الكتاب العزيز والحديث النبوي الشريف ، ولعل السبب في ذلك عنايتهم بالتراث الديني بما يخدم معتقداتهم التي لم يتأخروا يومًا في الدفاع عنها ، أو الترويج لها في كل مكاتبهم الصادرة عن الديوان الفاطمي ؛ فلهذا السبب كانت المادة الدينية بما تتضمنها من بلاغة و قدرة على إقناع المخالفين ، هي المعين الأول الذي اعتمد عليه الكتاب الفاطميون في رسائلهم الفنية [3] ، ولم يكن اقتباسهم ينحصر في الاقتباس الصريح ، بل لقد عمدوا إلى اقتباس مفردات القرآن الكريم ومعانيه ووظفوها بما يلائم السياق الأدبي ويناسبه ، ومنهم من لجأ إلى حل الآيات القرآنية مع حفاظهم على ألفاظ ما اقتبسوه من النص لفصاحته في موضعه [4] ، فالسمة الأسلوبية التي تظهر بشكل ملفت للنظر للمتمعن في رسائل العصر الفاطمي هي أنها في أغلبها لا تخلو من آيات الذكر الحكيم ، وأن الرسائل التي لم تذكر فيها الآيات صراحةً فإنها تضمنت بعض معاني آياته ، فالتناص بالقرآن الكريم جليٌ واضحٌ في كتاباتهم[5] ، إذن الاقتباس والتضمين لآيات القرآن الكريم في الرسائل الديوانية والإخوانية هي سمة أدبية شائعة في كتابات الفاطميين وهي إن كانت موجودة من قبل في العصور الإسلامية المختلفة فإنها استفحلت في العصر الفاطمي ، وقد اقتبس العميدي حوالي 33 آية ، كما حلّ من آيات القرآن الكريم كمًّا كبيرًا في رسائله بحيث لا تكاد تخلو منه رسالة ، وقد جاءت حوالي 21 آية

---

[1] انظر : المثل السائر ، 99/1.

[2] انظر: في أدب مصر الفاطمية ، ص: 321-322.

[3] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 206-207.

[4] انظر: السابق ، ص: 209 ، 211.

[5] انظر: حركة النثر في العهد الفاطمي في المغرب العربي ، ص 137.

ممّا اقتبسه في ثلاث رسائل ديوانية فقط بما يوضح ما ذُكِر من قبل من ميل الفاطميين إلى الإكثار من اقتباس آيات القرآن الكريم في الرسائل الديوانية لإضفاء هالة من القداسة على الرسائل الصادرة من بلاط الفاطميين ضد أعدائهم المارقين ، ومن ذلك ما اقتبسه العميدي في رسالته إلى حسان بن جراح لمَّا نهب الرملة يقول موبّخا إياه : " ولكنهم جروا على كَذْم أعراقهم في الوفاء بعهد الله " إن العهد كان مسئولا "[الإسراء/34] ، وأعضوا على قبح نفاقهم " ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا" [الأنفال/44] ....وأبحت نَعَمَ رُعاتها لدُعاتك ف " بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين " [البقرة /93] ....قد أخطأت مقاصدك ، وتخطيت مراشدك ، ونسيت العاقبة ، وأسرفت في ظلمك ، وأجنفت في حكمك " ولا تحسبن الله غافلًا عمَّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار" [إبراهيم/42] " ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار (28)جهنم يصلونها وبئس القرار(29) " [إبراهيم/28–29]" [1] ، فمن الأساليب الفنية التي شاعت لدى الكتاب الفاطميين في رسائلهم : اقتباسهم النص القرآني بنصه ، وقد جاء اقتباسهم على غير صورة واحدة ، فقد يكون الاقتباس متممًا للسياق الذي جاء من أجله فلا يخرج إلى سياق وظيفي جديد ، وقد يكون النص المقتبس تأكيدًا لمعنى ما قبله لتوافقه مع معناه ، ومن الطرق التي استعملوها في اقتباسهم النص القرآني أن ينثر الكاتب النص من الآية في أول الاقتباس ثم يأتي بنصه في آخره ، كما جاء في نسخة ولاية عهد للقاضي الفاضل ، يقول في محضر الدعاء للأئمة الفاطميين : " واستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنم " إن عذابها كان غرامًا" [الفرقان /65] [2] ، ومن الشواهد على إيراد العميدي الآيات تأكيدًا لكلامه السابق ما جاء في وصف مقتل صالح بن مرداس في رسالته إلى أحد أصدقائه من كبار رجال الدولة يقول : " واقتسم الباقون من أحزابهم وطمّاعهم ، وأصحابهم وجمّاعهم ، أولياء الشيطان ، وأغبياء الرِّعيان ، العادلين عن الطاعة والناكبين ، والناقضين للعهد الناكثين بين قتلى مطروحين في مهب الجنوب والشمال ، وأسرى مجموعين في الجوامع والأغلال .." ثم اقتبس قوله –تعالى – تأكيدًا على ما أصابهم من أهوال " وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال " [الرعد/11] " [3] ، وفي إتمام المعنى يقول في رسالةٍ إلى أحد أصدقائه وقد شكا إليه من شخص ما : " وجملة الأمر وتفصيله : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد" [الأعراف/102] ، " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات"

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 269–283.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 207–209.

[3] رسائل العميدي ، ص: 319–320 ، وانظر أيضًا ص: 269–270.

[فاطر/8] ، ولعن الله من كفر النّعم ، وأخفر الذمم" [1] فالآية ترد لإتمام المعنى وإكمال كلامه ، فيكون اقتباسًا و إتمامًا لكلامه بكلام الله مما يُضفي قوة على رأيه و وجاهة على ما ذهب إليه ، ومن الشواهد على نثر الآية ثم إيرادها اقتباسًا توبيخه لحسان بن جراح ومن معه يقول : " ولكنهم جروا على كَدْم أعراقهم في الوفاء بعهد الله " إن العهد كان مسئولًا" " [2] فالآية كاملةً : " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا " [الإسراء/34] فهو ينثر قوله "وأوفوا بالعهد" ثم يُورد تتمة الآية.

وقد يقتبس الآية في استفتاح رسالة ، وقد جاء ذلك في استفتاح رسالته السابعة والسبعين وعنوانها : " نسخة إحمادٍ لأهل دمشق لمَّا صبروا وجدّوا في قتال الأعداء وجاهدوا " يقتبس في استفتاح الرسالة ثلاث آيات من سورة الأحزاب وهي قوله –تعالى– : " يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا (9) إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (10) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا (11) " [الأحزاب / 9–11] أما بعد ، فإن أحق الرعايا بأن تفاض عليهم ملابس الإنعام ...رعيةٌ حسنت في الإخلاص أسرارهم " [3] ، وقد يقتبس الآية فيجعلها خاتمة لرسالته ، يقول دَاعيًا على ابن بنان الكاتب ومن على شاكلته من الكُتَّاب في خاتمة رسالته السابعة والثلاثين : " وما أولانا بأن نتضرع إلى الله سبحانه بأن لا يؤمنهم من خوف ولا يطعمهم من جوع ...حتى نرى نهارهم بهيمًا وريحهم عقيمًا ....ونفوسهم خائفة ، ونحوسهم مترادفة وأيامهم سودًا كدرة ووجوههم " عليها غبرة " لعله " ترهقها قترة(41) أولئك هم الكفرة الفجرة" [عبس/40–42] " [4] ، وقد أقحم محقق الرسائل– سهوًا –بعض كلام العميدي في نص الآية على أنه من الآية ، وهي لفظة (لَعَلَّه) ما بين آية " عليها غبرة" [عبس/40] والآية التي تليها " ترهقها قترة" [عبس/41] ، وليس هذا اللفظ وارد في نص الآية.

---

[1] السابق ، ص: 85 ، وانظر أيضًا على سبيل المثال ، ص: 183 ، 286 ،291.

[2] السابق ، ص: 269.

[3] السابق ، ص: 370.

[4] السابق ، ص: 183، وانظر أيضًا ص: 300، 338.

وقد يقتبس الآية فيضعها في موضع هزل أو في موضع لا يليق فيكون اقتباسه مردودًا عليه ، كما ذكر ذلك ابن حجة الحموي يقول : والاقتباس من القرآن الكريم على ثلاثة أقسام : قسم مقبول، و آخر مباح ، و ثالث مردود ، فأولهم : ما كان في المواعظ والخطب والعهود و في مدح النبي –صلى الله عليه وسلم– وما أشبه ذلك ، وثانيهم: ما كان في الرسائل و الغزل والقصص ، وثالثهم: على ضربين أحدهما : أن ينسب لنفسه ما نسبه الله –تعالى– لنفسه –نعوذ بالله من هذا– وثانيهما : تضمين آية كريمة في معنى سخف هزل [1] ، ومن ذلك ما اقتبسه في رسالة مداعبة إلى صديقٍ له ، يذكره بوعده إياه بإعداد مأدبة فاخرة له يقول : " فليكن –أدام الله عزه– فيما وعد به مُجدًّا ، وللأمر مستعدًا " إنما نعدُّ لهم عدًّا" [مريم/84] ، ولينته الطباخ على إصلاح الألوان.." [2] ، فالآية في وعيد الكفار والمجرمين ، وإيرادها في مثل هذا الموضع من المداعبة لا يخفي أنه أمر مُستَقبح ، كما قد يورد الآيات في رسائل الغلاميات!! كما في خاتمة رسالته السابعة عشرة إلى بعض أصدقائه جوابًا وقد شكا إليه غلامًا استعصى عليه في بغداد وفارقه عنادًا وكيادًا يقول : " وجملة الأمر وتفصيله : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد" [الأعراف/102] ، " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" [فاطر/ 8] ، ولعن الله من كفر النّعم ، وأخفر الذمم ، ونسي محاسن الصنائع ، وباع مولاه بيسيرٍ من المطامع" ! [3] ، بل إن الحديث النبوي الشريف الوحيد الذي استشهد به في رسائله كان في رسالة يتعطف فيها أمردًا! .[4]

وقد أثبتُ فهرسًا لآيات القرآن الكريم الواردة اقتباسًا و استشهادًا في رسائل العميدي في ملاحق البحث ، لتكون عونًا ومرشدًا لأي باحث بعد ذلك في رسائل العميدي ، فإن محقق الرسائل –جزاه الله خيرًا– قد وضع فهارس في آخر الكتاب للأعلام والأماكن والألفاظ والمصطلحات اللغوية والحضارية والألقاب والأمثال والأبيات الواردة في رسائل العميدي غير أنَّه لم يضع فهرسًا لآيات القرآن الكريم الواردة في رسائل العميدي .

ولم يقتبس العميدي أي حديث شريف من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وإنما اعتمد على حل بعض أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم – وقد استشهد بحديث واحد ، فقد تأثر الفاطميون في كتاباتهم

---

[1] انظر: خزانة الأدب ، 455/2.

[2] رسائل العميدي ، ص: 304 ، وانظر أيضًا ص:409.

[3] السابق ، ص: 85 ، وانظر أيضًا ص: 422.

[4] انظر السابق ، ص: 109

بالحديث النبوي الشريف واستعملوه في رسائلهم الفنية إلَّا أن تأثرهم به كان أقل من تأثرهم بالنص القرآني ، وقد تكون قدسية النص القرآني وكونه المصدر الأول في التشريع وثبات نصوصه ، جعل الكتّاب ينظرون إليه كأنموذج يُقتفى أثره في البلاغة والكمال ، إلى جانب مسألة تأويلهم لآيات القرآن الكريم ، وأنَّ له معانٍ باطنة بخلاف الظاهرة ، قد أسهمت في اعتماد الكتاب الفاطمين على النص القرآني أكثر من الحديث الشريف ، وقد اختلفت الأساليب التي استعملها هؤلاء الكتاب في توظيفهم للحديث النبوي الشريف في رسائلهم ، فقد يُضمّن الكاتب نص الحديث في رسالته وهو الأكثر شيوعًا ، أو يقتبسه نصًا وهو الأقل.[1]

2-1-1-2- الاقتباس للموروث الأدبي والتضمين له:

أ- الشعر:

تضمين العميدي الموروث الأدبي في رسائله كان بغيته الأولى ، فلا تكاد تخلو رسالة من رسائله من تضمين لبيت شعر، أو حلٍّ لبيت مشهور لفحل من فحول الشعراء ، وفي كثير من الأحايين يضع بيتًا له –أو يكون مجهول النسبة– في رسائله ، وخاصة في خواتيم رسائل المعمَّيات متضمنة ملخصًا للغز، وغالب الظن أنه له – ولا غرو في ذلك فقد كان كاتبًا شاعرًا – ، كما أنَّ اقتباس الشعر وتضمينه كان سمة أصيلة في كتابات هذا العصر يقول د.زكي مبارك : فمن الصفات التي اختص بها النثر في القرن الرابع الهجري : الحرص على تضمين رسائلهم أطايب الشعر ومختارات الأمثال ، وهم في ذلك يتخيرون من الأمثال والأشعار ما يحلون به تضاعيف رسائلهم ، فتارة يذكرون اسم الشاعر ، و تارة أخرى يخفونه [2].

وقد بلغ عدد أبيات الشعر في رسائل العميدي السبع والتسعين حوالي مائة وتسع وسبعين بيتٍ ، بالإضافة إلى أحد عشر نصفًا من أنصاف الأبيات [3] ،جاءت جميعها في مختلف البحور الشعرية وإن كان أكثرها ورودًا على الإطلاق البحر الطويل (59 بيتًا) ثم البسيط (21 بيتًا) فالكامل (18 بيتًا) ، كما أنَّ أكثر الشعراء الذين

---

[1] انظر: الرسائل الفنية في مصر في الفاطمي ، 213.

[2] انظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ص:106-111.

[3] انظر : فهرس الشعر لمحقق رسائل العميدي ، رسائل العميدي ، ص:470-479.

اقتبس منهم العميدي أشعارهم وضمنها رسائله كانوا على الترتيب ابن الرومي فالبحتري فالمتنبي وأبو تمام فالمجون.

فالموروث الأدبي يُعدّ الرافد الثاني للرسائل الفنية بعد الكتاب العزيز والحديث النبوي الشريف ، حيث لجأ الكتّاب الفاطميون إليه لمد رسائلهم بالكثير من المعاني والألفاظ و زخرفتها ، ويعدّ الشعر المعين الأدبي الأول للكتّاب الفاطميين من التراث الأدبي ، وذلك لما يحتويه من معانٍ يحتاج الكاتب إليها ، أمَّا المعين الثاني من الموروث الأدبي فهو النثر متمثلًا في الحكم والأمثال و الرسائل و أقوال البلغاء ، وجاء توظيفه في رسائل العصر الفاطمي في مصر على ضربين : الأول يظهر في محاولة الكاتب إبراز مدى إلمامه و حفظه الموروث الأدبي ، وقدرته على توظيفه كيفما يشاء ، وأمّا الشكل الثاني فيتمثل في الرسائل الأدبية و الإخوانية الغرض حيث جاء التوظيف معتمدًا على تزيين الرسائل ومدّها بالألفاظ والمعاني ، وعادة لا يتجاوز الكاتب في مثل هذا النوع من التوظيف للموروث الأدبي المعنى الواحد الذي يعبر عنه [1] ، وفي بيان أهمية احتياج الكاتب إلى الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة يقول القلقشندي : أمَّا شعر المولدين و العرب ، فَلِمَا في ذلك من صحة الاستشهاد ، و غزارة الموادّ ، وكثرة النقل ، وانتزاع الأمثال ، وصقل مرآة العقل ، و الاطلاع على أصول اللغة وشواهدها ، والاضطلاع في نوادر العربية وشواردها ، والاقتفاء في اختراع المعاني على أصح مثال ، وقد كان الرعيل الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء : يقول محمد بن سلام عن بعض شيوخه : " كان عمر –رضي الله عنه– لا يكاد يَحزبه أمرٌ إلا أنشد فيه بيتًا من الشعر" [2] ، ويُقَّسم القلقشندي طرق استعمال الشعر في صناعة الكتابة إلى ثلاث حالات هي : الحالة الأولى الاستشهاد ، وهو إيراد البيت أو البيتين أو أكثر في أثناء الكلام المنثور لمعنى ما تقدمه من النثر ، ولا يشترط في هذه الحالة أن ينبه عليه بلفظ " قال" ونحوه ، كما يشترط ذلك في الاستشهاد بآي القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، لتميز الشعر بصيغته و وزنه عن غيره من أنواع الكلام ، وأكثر ما يكون هذا في المكاتبات الإخوانيات ، الحالة الثانية : التضمين ، وهو أن يُضَمن البيت كاملًا أو نصفه من الشعر لبعض القرينة ، إلى غيره من فنون الامتزاج و التي يزاوج

---

[1] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 215–216.

[2] انظر: صبح الأعشى ، 319/1.

الكاتب فيها ما بين المنظوم و المنثور ، وينتهي فيها إلى ما يجعله يبلغ به القدر المحتوم ، الحالة الثالثة : الحَلّ ، وهو أن يعمد الكاتب إلى أبيات الشعر من ذوات المعاني فيسكبها في كلامه المنثور ، و يحلها من عَقل الشعر ؛ فإن الشعر المادة الثالثة للكتابة بعد القرآن الحكيم والأخبار النبوية الصحيحة على قائلها أزكى الصلاة والسلام ، وخاصةً أشعار العرب فإنها مستودع حكمهم ، و ديوان أدبهم ، وأنفس علومهم في الجاهلية إليها يحتكمون ، و بها يفتخرون ، ، فإذا أكثر من حفظه للشعر وفهم معانيه ، ترادفت عليه المعاني ، وغزرت لديه الموادّ ، و تواردت على ذهنه فيسهل عليه وقتئذٍ حلّها ، ووضعها في مكانها اللائق بها حسب ما تقتضيه الكتابة ، قال في "المثل السائر" : وإنما جُعل المنظوم مادة للمنثور وليس العكس ؛لأن الأشعار أكثر من المنثور والمعاني فيها أغزر، قال: والسبب في ذلك أن العرب الذين هم أهل الفصاحة والبلاغة كان جلُ كلامهم شعرًا ، في حين كان حيز الكلام المنثور في كلامهم يسيرًا ، ولو افترضنا أنه كثر فإنه لم يُنقل عنهم ، بل المنقول عنهم هو شعرهم ، فأودعوا أشعارهم كافة المعاني كما قال الله –سبحانه– : " ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون" [الشعراء/225] ، ثم جاء الرعيل الأول من المخضرمين فلم يكن لهم من الكلام إلا الشعر ، و استمر الأمر على ذلك فكان الشعر هو الأكثر من الكلام المنثور الذي هو بالنسبة إليه قطرة من بحر ، فلهذه العلة صارت المعاني كلها مودعة في الأشعار [1] ، ويعلل ابن الأثير سبب توجيه المتأدبين إلى حفظ الأشعار بقوله : فباعثي إذًا على حفظ الأشعار دون حفظ الكلام المنثور هو كثرة الشعر واستغراقه للمعاني ، كما أنّ الأخذ منه أستر و أخفى [2].

أمَّا توظيف العميدي للاقتباسات الشعرية فقد أخذ أكثر من وجه:

1– فقد يستفتح رسائله بالاقتباس الشعري ، كما في رسالته إلى الشريف القاضي محمد الموسوي يصف رحلته إليه وشوقه لرؤيته يقول :

"مضى لي زمانٌ لو أخير بينه....وبين حياتي خالدًا أبد الدهر
لقلت ذروني ساعةً وحديثها ....على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري[الطويل]

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 1/319–330.

[2] انظر: الوشي المرقوم في حل المنظوم ، لضياء الدين نصر الله بن محمد ، المعروف بابن الأثير [–637هـ] ، تحقيق يحيى عبد العظيم ، مجلة الذخائر ، القاهرة–مصر، ع121 ، 2004م ، ص: 173–174.

كتابي –أطال الله بقاء مولانا الشريف الجليل– ...." [1] ، وفي أول رسالته في معاتبة حسين بن بشر متولي ديوان الخاص لتأخيره صرف جاريه يقول :

" ما أسهل الأشياء حين يسوقها....قدرٌ وأعجزها إذا لم تُقدّر. [الكامل]

قد مزّقتُ–أدام الله عزَّ سيدي– صحائف الذرائع والشوافع..."[2]

2– قد يختتم الرسائل باقتباسات الشعر، كما جاء في خاتمة رسالته الأدبية الأولى المسماة بالمطبخية إلى بعض أصدقائه ، وهي أشبه بالمقامة ، يقول : " وهذه –أدام الله عزك–مزحةٌ خفيفةٌ على الفؤاد ثقيلة على الأكباد يغوص على معناها العاقل ، ولا يفهم فحواها الجاهل :

ولولا ارتباكي في سبابك مخبتي....لقلت وقشَّرتُ العصا أيما قشر

ولكن لأمر ما تراني ساكتًا...وتحت ضلوعي ما يزيد على الجمر[الطويل] "[3]

ولم اهتدِ لصاحب البيتين ولعله صاحبهما ، وكذلك في خاتمة رسالته في هجاء أبي الفتح الهروي المستخدم بديوان الترتيب بصور يتوعده يقول : " وقد جرى في الموقف الأشرف–زاد الله جلالته– من ذكر أعمالك الجالبة لك العمى وما يُصِمّ أذنيك ، ويسخن عينيك ، وإليك يساق الحديث

وإن غدًا لناظره قريبٌ" [4]

وهو شطر بيت مشهور لقراد بن أجدع ، وهو :

---

[1]رسائل العميدي ، ص:28 ، والبيتان لمجنون ليلى من خاتمة قصيدة مطلعها :

" ألا أيها القوم الذين وشوا بنا...على غَير ما تقوى الإلهُ ولا برّ" انظر ديوان مجنون ليلى ، لقيس بن الملوح ، جمع وترتيب أبي بكر الوالبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة –مصر، د.ط، 1987م ، ص:47.

[2] رسائل العميدي ، ص: 132 ، وقد أشار المحقق إلى أن البيت لعبد الله بن يزيد الهلالي ، ولبقية الشواهد على الاستفتاح باقتباس الشعر انظر رسائل العميدي ،ص: 124 ، 366 ، 437.

[3] السابق ، ص: 12.

[4] السابق ، ص: 349.

فـــــإن يــــــك هـــــــذا اليــــــوم وليّ...فــــــإن غــــــدًا لنـــــــاظره قريــــــب.[الــــــوافر]

وقـد جـرى هـذا البيـت مجـرى المثـل[1] ، وهـو يتوافـق مـع مـا لاحظـه موسـى النعيمـات إذ يقـول : ومـن كتاب الفاطميين من يستشهد بِعَجُز البيت الشعري تاركًا صدره . [2]

3- أمَّا باقي الاقتباسات فتأتي في حشو رسائله ، مثل رسالته إلى أبي الفرج القشوري يصف له رحلته إليه وما لاقاه من معاناة في الطريق إليه ، والتي ألجأته إلى الإقامة في بيت ضعيف البنيان يقول: " وأخاف على البيت كل ساعة من رقة قلبه أن يسجد ، ولا آمن عليَّ فيه أن أجمد

مــــن كـــــان بـــــالخير مختومًـــــا تصـــــرفه...فقد ختمـــــت أمـــــوري كلهـــــا نجـــــزى [البســــيط] "

ولـو جـرى أمـرى- أدام الله تمكـين مـولاي الشـيخ- فـي هـذه الأيـام ، علـى سَـنن النظـام والاسـتواء...." [3] فجعـل البيـت خاتمـة لوصـفه هـذا الـدار ، وتَخلُّصًـا مـن وصـف رحلتـه، ومـن ذلـك أيضًـا مـا جـاء فـي رسـالته فـي عتـاب أحـد الأشـراف بعـدما أخلـف موعـده معـه يقـول : " ...وكـم عصـبةٍ أدبـاء ارتفعـوا لسعي واحد ، وكم من قومٍ فقراء أغنتهم خصلةٌ جميلة ، وكم شرذمةٍ يسيرة كثّرتهم مكرُمةٌ قليلة :

وكـــم أبٍ قـــد عـــلا بـــابـــن ذُرَى شـــــــرفٍ...كـــمـــا عـــلا بـــرســـــول الله عـــدنـــان

تســــــمــو الــرجــال بــآبــاء، وآونـــةً....تســــــمــو الــرجــالُ بــأبــنــاءٍ وتــزدان.[الــبســــيــط] " [4]

فهو يقول له إنك رجلٌ وضيع وإنما شرفك فقط نسبك الراجع لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- ودون ذلك لا خير فيك[5].

---

[1] للمزيد حول قصة هذا المثل انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ، 70/1.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص:218 ،ولباقي شواهد اقتباس الشعر في خواتيم رسائل العميدي ، انظر رسائل العميدي ، ص: 197 ، 419 ، 423.

[3] رسائل العميدي ، ص:16 ، ولم اهتدِ لصاحب البيت ولعله صاحبه فقد كان شاعرًا.

[4] السابق ، ص: 40 ، وقد أشار المحقق إلى أن البيت لابن الرومي ، انظر الصفحة ذاتها .

[5] وانظر أيضًا على سبيل المثال لا الحصر بعض الشواهد على مجيء الاقتباس في حشو الرسالة في السابق ، ص: 5 ، 17 ، 40، 41 ، 60 ، 69 ، 98 ، 113 ، 128 ، 154 .

وهو غالبًا ما يقتبس البيت أو البيتين بما يلائم المعنى الذي يريده ، وقد يكثر من اقتباساته حتى يصل في اقتباسه إلى سبعة أبيات في الرسالة الواحدة وهو قليل ، وقد يبني الرسالة كلها من أولها لآخرها على الاقتباس الشعري ، وقد فعل ذلك في رسالتين [1] ، وهو يوافق ما لاحظه أيضًا موسى النعيمات إذ يقول : لم يلتزم الكتاب الفاطميون في استشهادهم بالشعر و توظيفهم إياه مساحة واحدة ، ففي حين نراهم يأتون ببيت أو بيتين من الشعر ليستشهدوا على ما جاؤوا به قبله من الكلام وتأكيده في ذهن المتلقي ، نراهم في رسائل أخرى قد أسهبوا في توظيف الشعر حتى ساوا بين حيزه و حيز النثر في الرسالة الواحدة [2] ، وفي حوالي نصف رسائله لم يقتبس فيها شيئًا من الشعر ، ويغلب على هذه الرسائل – التي لم ترد فيها أبيات من الشعر– اختصاصها بالتعزية ومخاطبته لكبار رجال الدولة ، كما خلت جميع رسائله الديوانية من الشعر وهذا هو المتبع

---

[1] انظر السابق ، ص: 124 ، 327 ، وفي الرسالة الثانية منهما يستفتحها بالصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم والدعاء للشيخ أبي القاسم منصور بن كثير العميد ، ثم يمضي في مزاوجة الشعر بالنثر فيقول : " ...فأمَّا حنيني إلى طلعة الشيخ– أدام الله إشراقها– :

حنين امرئٍ ظمآن شاهد مَشرَعًا...من الماء سلسالًا فحن إلى الشربِ [الطويل]

وأمَّا نزاعي إلى محادثته ومقاربته ومجالسته ومداعبته :

نزاع فتًى قد صدَّ عنه حبيبه....فهام ولم يسليه شيءٌ سوى القرب [الطويل]

وأمَّا تأسفي على الأيام التي كانت صفت لنا فيها موارد الأنس وانصرفت في أثنائها فرائض النحس:

تَأسُّف مَن قد نغَّص الشيب عيشه.....وقد كان أيام الصِّبا فَرِحَ القلب [الطويل] ..." رسائل العميدي : ص:327–328 ، وهكذا يمضي فيها وهو يلتزم البحر وحرف الروي في كل فقرة فإذا انتقل لفقرة جديدة غير حرف الروي وقد يُغير البحر ثم يلتزم بالشكل الذي غير إليه فيقول : فليت شعري كيف عهده بعدي !

كعهد أخلائي الذين عهدتهم....يدل على الإخلاص والقرب والبعد [الطويل]

أم تلون بتلون الزمان؟

فصار كعهد الغانيات وهل ترى....لغانيةٍ يومًا ثباتًا على عهدِ [الطويل]

وكيف عَقدُه؟ أعلى ما عرفته؟

وثيقًا صحيحًا ثابتًا لا يَشينه...فسادٌ ولا عيبٌ كواسطة العقد.[الطويل]

أم كما يوجبه الوقت؟

ضعيف القوى رثُّ الملابس مُقفر ال...مغاني كريه المجتبى مُصلَد الزندِ [الطويل] " رسائل العميدي ، ص:329.

وهكذا يمضي فقد غير حرف الروي من الباء إلى الدال مع تغير الفقرة وإن كان قد التزم بالبحر نفسه وهو الطويل في حين أنَّه قد يُغير البحر وحرف الرؤي ، ثم يلتزم بما غير إليه.

[2] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص:218.

، يقول القلقشندي : فأمَّا المكاتبات الصادرة عن بلاط الملوك والواردة إليهم فجاء في "موادّ البيان" : أنَّه لا يُستشهد فيها بشيء من الشعر ؛ وذلك إجلالًا لهم عن شوب العبارة عن نواهيهم وعزائم أوامرهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يخالف وضعها و نمطها ؛ لأن صناعة الشعر مغايرة لصناعة الترسل ، وإدخال الكاتب بعض صنائع الكلام في بعض أمرٌ غير مستحسن.[1] ، وقد علل النعيمات سبب قلة الشعر في الرسائل الديوانية إلى أنها كانت محكومة بنماذج رسمية تصدر عن ديوان الإنشاء ، فهي بمثابة الأغلال التي تُقَيد حرية الكاتب في الرسالة ، أمَّا الرسائل الإخوانية فلم يكن لها نماذج ولا قيود فجاءت متحررة مليئة بالشعر.[2]

كما أنَّه قد يُضَمن شطر بيت من شعر غيره في شعره الذي يثبته في رسائله تأكيدًا للمعنى الذي يريده ، يقول في استفتاح رسالته الأخيرة إلى أبي الحسن التميمي يشكو ابن البناء كاتبه : "

إليك فإننا بعد المُعَلى...بُلينا بالمنيح من القداح

ألا فالموت راحة كل حيٍّ....يقاس الضيم من نَذلٍ وقاحِ [الوافر]

كنت قرأت –أدام الله عزَّ الشيخ– في وصية بعض الحكماء...."[3] ، وقد ضمن شطر بيتٍ منسوب لعليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه – يقول :

" ولو أنَّا إذا متنا تركنا....لكان الموت راحة كلِّ حيٍّ

ولكنّا إذا متنا بعثنا.........ونُسأل بعده عن كل شيء[الوافر]"[4]

فقد اقتبس منه عجز البيت الأول والتزم بنفس البحر وهو الوافر.

---

[1] انظر : صبح الأعشى ، 295/6.

[2] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 216

[3] رسائل العميدي ، ص: 437

[4] ديوان أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب–كرم الله وجهه– ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، الناشر المحقق نفسه ، ط1 ، 1988م ، ص:220.

ب- الأمثال والحِكَم[1] :

المثل تشبيه سائر ، ومعنى أنه سائر أنه يكثر جريانه و استعماله على معنى أن الثاني بمثابة الأول ، كأنه قد سار في الناس على هذا الوجه ، و كلها حكايات لا تُغيّر ، كما أنّها من أحسن الطرق في الدلالة على المعنى ؛ لتضمنها حسن البيان مع شدة الاختصار ، وهي تقع في النظم و النثر ، فمتى وقع في النثر فينبغي لمستعمله أن يوقعه موقعه في الحال التي يشابها و المعنى الذي يناسبه ، و يورده بلفظه الذي سبقه المتمثل به إلى التعبير عنه به [2] ، يقول القلقشندي : اعلم أن الكاتب في حاجة إلى النظر في كتب الأمثال المنقولة عن العرب نثرًا ونظمًا ، فيورده في مكانه ، و يستشهد به في موضعه ، عالمًا بأصل ذلك وما بُني عليه ؛ لإن المثل له أسباب و مقدمات قد عُرِف بها ، وصارت معلومة عند الناس مشهورة بينهم، وهذه الألفاظ الواردة فيه دالة عليها ، مبينة المراد منها ، بأوجز لفظ وأخصره ، ولولا تلك الأسباب المعروفة و المقدمات المعلومة لما فُهِم من هذه الألفاظ القليلة هذه الوقائع الكبيرة ، قال صاحب العقد الفريد : ونحن قائلون بتوفيق الله وعونه في الأمثال التي هي جوهر اللفظ وحُلي المعاني ، ووشي الكلام ، قد قدمتها العجم ، و تخيرتها العرب ، ونُطق بها كل لسان في كل زمانٍ ، حتى لقد قالوا : أسير من مثل ، قال الشاعر :

ما أنت إلا مثلٌ سائر....يعرفه الجاهل والخابر.[السريع]

وقد ضرب الله -تعالى- الأمثال في كتابه ، وضربها كذلك رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في كلامه ، قال الله -تعالى- : " يا أيها الناس ضُرِب مثلٌ فاستمعوا له...الآية" [الحج/73] ، وهذا كثير في آي القرآن ، وقال

---

[1] المَثَل : الشيء الذي يضرب بشيء مثلًا فيُجعل مثله ، وفي الصحاح : ما يضرب به من الأمثال ، انظر لسان العرب (مادة مَثَل) 611/11 ، وانظر (مادة مَثَلَ) في تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي [-393هـ] ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط4 ، 1987م ، 1816/5.

والحِكَم: مادة حَكَم، و الحُكم : مصدر قولك حكم بينهم يحكم أي قضى ، وحكم له وحكم عليه ، و الحُكم أيضًا : الحكمة من العلم ، والحكيم : العالم وصاحب الحكمة ، انظر تاج اللغة وصحاح العربية ، 1901/5 ، " والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم " انظر لسان العرب مادة (حَكَم) ، 140/12.

[2] انظر: موادّ البيان ، ص: 181.

رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : " ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا...الحديث" [1] ، وقد أكثر كتّاب الرسائل الأدبية في القرن الرابع الهجري من تضمين الحكم البليغة و الأمثال العربية القديمة ، وإدراجهما في رسائلهم لما تضفيه على النص من قوة وجمال ، فضلًا عن قيمتها الفنية في تزيين النص ، فهذه الأقوال السديدة و الأمثال البليغة الموجزة ، تتسم دائمًا بقوة سبكها وجمالها ودقة صنعتها وإحكامها ، ومتانة تركيبها ورصانتها وتكثيفها المعنى وتركيزه [2]، أمَّا عن الحكمة فقال صاحب العقد الفريد أيضًا : الموعظة محرّجة على النفس ، ثقيلة على السمع ، بعيدة عن القبول ، لمخالفتها الشهوة ، ومضادتها الهوى ، الذي هو مراد الروح ، و ربيع القلب ، ومسرح الأماني ، ومربع اللهو ؛ إلا من أرشده قلبه ،و وعظه علمه ، وأحكمته تجربته ، قال الشاعر:

لن ترجع الأنفس عن غَيّها.....حتى يرى منها لها واعظ.[السريع]

وقالت الحكماء : السعيد هو من وُعِظ بغيره ، أي رأى العِبرة في غيره فاتعظ ، ولذلك كان الحسن –رضي الله عنه– يقول : اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة –أي كثيرة التطلع– واعصوها فإنها إن أطيعت نزعت بك إلى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور، وكان يقول عند ختم موعظته و انقضاء مجلسه: يا لها من موعظة حسنة لو صادفت من القلوب حياة [3] ، وقد عقد ابن الأثير فصلًا عن الحكمة أسماه : في الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، يقول فيه : " قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : " الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها إذا وجدها " [4] ، والمراد بالحديث أن الحكمة قد ينتفع أهلها من غير أهلها كما يقال في المثل : رب رميةٍ من غير رامٍ ، وهذا الأمر لا يخص علمًا بعينه ، بل يقع في كل علم .[5]

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 346/1–357 ، وانظر : العقد الفريد ، لأبي عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي [–328هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1404هـ ، ج3/3–4.

[2] انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 209.

[3] انظر: العقد الفريد ، 82/3–171.

[4] وهو حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد حكم عليه الألباني بأنه ضعيف جدًا ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّئ في الأمة ، ، لمحمد ناصر الدين الألباني [–1420هـ] ، مكتبة المعارف ، الرياض– السعودية ، ط1 ، 1992م، 776/13.

[5] انظر: المثل السائر ، 81/1–83 ، وللمزيد انظر أيضًا : نفسه ، 1/ 54–58 ، وإحكام صنعة الكلام ، ص:181 –187.

1- الأمثال:

قال صاحب إحكام صنعة الكلام : والأمثال على ضربين : أولهما ما عُقِد بالسجع ، و ثانيهما ما لم يُعقَد بالسجع ، ، فأمّا ما عُقد بالسجع فمثل قولهم : " رب حربٍ نشبت من لفظةٍ ، و رب صبابة غُرست من لحظة ، " وأمَّا ما لم يُعقَد بالسجع فمثل "ما فجر غيورٌ قط "[1].

أ- فمن الأمثال التي ضمنها العميدي رسائله ولم تُعقَد بالسجع وهي الأكثر مثل : " استنت الفصال حتى القرعى " ، و " عشت دهرًا ولا يُقاد به للبعير" ، و" أكذب من عرقوب" ، فأولهما يضرب للذي يتكلم مع من لا يصلح أن يتكلم بين يديه لعظم قدره ، والقرعى: جمع قريع ، وهو بَثْر أبيض ينزل بالفصال ودواؤه حَبَاب ألبان الأبل و المِلح ، و ثانيهما يُضرب للمُسِّن حين يعجز عن تسيير مركوبه ، وأول من قاله سعد بن مناة ، وكان سعد قد كبر حتى لم يُطق ركوب جمله ؛ إلا أن يقاد به ، ولا يملك رأسه ، فكان صعصعة – ابنه- يومًا يقوده على جمله فقال سعد : قد كنت دهرًا لا يُقَاد بي الجمل فأُرسِلت مثلًا ، قال المخبَّلُ :

كما قال سعدٌ إذ يقود به ابنه....كبرت فجنِّبني الأرانب صعصعا[الطويل]

أمَّا ثالثهما : فقال أبوعبيد : عرقوب هو رجلٌ كان من العماليق ، أتاه أخٌ له يسأله فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة يكون لك طلعها ، فلما أطلعت أتاه للعدة بينهما : فقال انتظر حتى تصير بلحًا ، فلمَّا أبلحت قال : انتظر حتى تصير زهوًا ، فلما زَهَت قال: انتظر حتى تصير رُطبًا ، فلما أرطبت قال: انتظر حتى تصير تمرًا ، فلما أتمرت قصدها عرقوب من الليل فجدَّها ولم يعط أخاه أي شيء ، فصار مثلًا في الخلف ، وفيه يقول الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيَّةً....مواعيد عرقوبٍ أخاه بيترب [الطويل]"

،ويترب هو موضع قريب من اليمامة.[2] يقول العميدي في رسالته إلى أبي الحسن التميمي يهجو ابن البنَّاء كاتبه : " فوالله ما أدري أيّ خريدةٍ من خرائد المحن أكسر على مقالته ، وفي أي كتاب من كتب الخذلان أثبت أمر رذالته واستطالته ، استنت الفصال حتى القرعى ، وقد كنت زمانًا ولا أخشى به الذئب ، وعشت دهرًا ولا

---

[1] انظر: إحكام صنعة الكلام ، 182-183.

[2] انظر: مجمع الأمثال ، 333/1 ، 179/2 ،311 ، والأرانب هي الرمال المنحنية .

يقاد به للبعير.....وما أسرع ما يجحدون بإنعام المنعم عليهم ويكفرون بإحسان المحُسن إليهم ....ولا يكاد واحدٌ منهم يرى فوق رأسه العمامة حتى يدّعي الإمامة ....ولا يظفر بعد الحفاء بمركوب ، حتى يلقى الناس بقطوبٍ ، ويصير أكذب من عرقوب " [1] ، فهو يتهكم بابن البناء ويقول له لا ينبغي أن تتحدث وتتكلم في وجودي ، ثم يعتب على الزمان الذي دار عليه فجعل أمثال ابن البناء مقدمين عليه ، فهو ممن إذا أقبلت الدنيا عليهم تنكروا لمن أحسن إليهم ، وصاروا كذابين مثل عرقوبٍ في كذبه.

وفي رسالته المسماة المطبخية إلى بعض أصدقائه يقول مداعبًا لهم وهو يصف مأدبة دُعي إليها وقد ظهر شَرَه إلى الطعام فيها : " فمن يدعني أمُرُّ بباب داره ، فضلًا عن أن أمُرَّ بجواره ! ومن يرغب في مؤاكلتي ومنادمتي ! ومن ينبسط لمواصلتي ومساهمتي ! ومن يقربني وأكلها دائمًا نقش خاتمي! ومن يصحبني وأشعبُ عبدي وخادمي! ومن تطربه هذه الخصلة ، وتعجبه هذه الجملة! ومن يتجاسر على إحضاري طعامه ،ولا يعض إبهامه! " [2] ، والشاهد هنا في قوله : " ومن يصحبني و أشعبُ عبدي وخادمي " فأشعب هو رجلٌ من أهل المدينة اشتهر بالطمع وحب الطعام إلى درجة الشَّرَه ، حتى لُقِّب : أشعب الطماع ، وقد ضرب به المثل في الطمع فقيل أطمع من أشعب! [3] ، فالعميدي كاتب ساخر خفيف الظل يميل إلى المبالغة ، فيظهر نفسه في صورة مضحكة وقد أقبل على الطعام غير مُدبِرٍ و قد حسر عن ذراعيه استعدادًا لالتهامه.

وفي جواب رقعةٍ له على شخصٍ حاول أن يُوقِع بينه وبين صديقٍ له يقول استخفافًا به : " ....وسترت قصته وهو حامل راية الغواية ، وقلت : إنه أجلُّ قدرًا من أن يؤذي حُرًّا أو يتأبط شرًّا " [4] ، والشاهد في قوله : " تأبط شرًّا " ، وهو لقب لشاعر يُدعى ثابت بن حزن وله قصة مؤدّاها أنه رأى كبشًا في الصحراء فوضعه تحت إبطه فجعل الكبش يبول عليه طول طريقه ، فلما اقترب من الحيّ ثقل عليه الكبش فرماه فإذا هو الغول

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 438، 440.

[2] السابق ، ص: 11-12

[3] انظر: مجمع الأمثال ، 439/1 ، وفيها قصة طريفة لأشعب تظهر شَرَهَهُ للطعام.

[4] رسائل العميدي ، ص: 385.

، فقال له قومه متعجبين : ما تأبطت يا ثابت ؟ ، قال الغول ، فقالوا له لقد تأبطت شرًّا فسُمي بذلك [1] ، فهو يسخر من الرجل ويقول له لا تخش منه فمثل هذا لن يحمل لك أي شرّ ؛لأنه جبان.[2]

ب- ما جاء معقودًا بالسجع من الأمثال ، كما في رسالته السابعة إلى أحد الأشراف يهجوه لتنصله من وعدٍ وعده إياه ، يقول : " قد كان الشريف- أعزّه الله- واثقني على ما لا خفاء به عليه ، وصافحني على ما رأى نفسي نازعةً إليه ، ووعدني ثم ردني ، وأطمعني ثم منعني ، ورعد رعدًا كثيرًا ، ولم يُمطر يسيرًا ، وسكت ألفًا ونطق خُلْفًا " [3] ، فالشاهد في قوله " سكت ألفًا ونطق خُلفًا " وهو مثل مسجوع يُضرب لمن يطيل سكوته حين يُراد منه الكلام ، ثم عندما يتكلم يكثر غلطه ولغطه ، فلا استفادة من صمته ولا من كلامه[4] ، فقد صمت الشريف كثيرًا بعدما وعده ثم أنهى هذا الصمت بالتستر عنه والتحجب عنه.

وكذلك في رسالته إلى أبي الفرج القشوري يصف إليه الطقس خلال رحلته إليه بعد خروجه من بغداد ، يقول : ".... فلا يُرى فيها أثر الماء ، وأكمدت الجنادب فلا تصر إلا بالعشاء ، فالأصيل من احتدام الجو هجير ، والمقيل سعير ، والسائر جَرِض بريقه ، والمسافر غُمَّ عن طريقه " [5] ، فالشاهد في قوله : " والسائر جَرِض بريقه" وقد أشار المحقق إلى أنَّ العميدي في هذه الجملة يريد المثل القائل : " حال الجريض دون القريض" ، وهو مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرًا بعدما كان لا ينفع ، والجريض هو الريق ، وجَرَض ريقه أي : ابتلع ريقه على هم وحزن ، والقريض هو الشِّعر، وأصل المثل أن رجلًا كان له ابن قد نبغ في الشعر ، فنهاه أبوه عن قول الشعر ، فجاش صدره ومرض حتى أشرف على الموت ، فأذن له أبوه في قول الشعر ،

---

[1] انظر: الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني [-356هـ] ، تحقيق د.إحسان عباس وآخرين ، دار صادر، بيروت- لبنان ، ط3 ، 2008م ، 94/21 ، وهناك روايات أخرى في هذا الصدد ملخصها أن ثابت بن جابر قد حمل شيئًا ضارًا فألحق الضرر بالناس حوله فلقبوه بذلك ، ويُضرَب مثلًا على من يحمل الشر ويأذي به الناس .

[2] وانظر أيضًا رسائل العميدي ، ص: 180 ، 385 ، 403 ، وانظر: البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ [-255هـ] ، دار ومكتبة هلال ، بيروت-لبنان، د.ط ، 1423هـ ، 107/1 ،والمعجم الوسيط مادة (نقب) ، 943/2.

[3] رسائل العميدي ، ص: 38.

[4] انظر: مجمع الأمثال ، 330/1 ، وفيها قصة هذا المثل.

[5] رسائل العميدي ، ص: 32.

فقال هذا القول[1] ، فهو يبالغ في وصف ما لحقه من التعب في المسير في هذا الجو المُشمِس حتى ابتلع ريقه على هَم وحَزَن[2].

2- الحِكَم:

و إن كان نصيبها أقل فقد جاءت أيضًا على ضربين :

أ- إمَّا أن ينقل حكمة سائرة مشهورة بنصها : كما جاء في رسالته الأولى إلى بعض أصدقائه يقول : " ولو وجدتُ طول عمري من يجوز أن يُسمَّى صديقًا صدوقًا ، أو يحفظ على الغيب لصاحبه حقوقًا ، لجعلت داره دار الهجرة ....ولكسرت على نشر فضائله جرائد ، وعمرت بذكر مناقبه مشاهد ، ومن لك بأخيك كله ، وأيّ الرجال المهذب؟! " [3] ، فالشاهد في قوله : " ومن لك بأخيك كله" ، وهي حكمة سائرة فمن ذا الذي تُرضِي سجاياه كلها ، وقد نسب هذه الحكمة صاحب التذكرة الحمدونية للصحابي الجليل أبي الدرداء -رضي الله عنه- في باب تعذر الكمال المحض.[4]

وأيضًا ما جاء في رسالته إلى بشير ، يُعَرّض فيها بإنسان رئيس احتجب عنه ، وردّه بوابه وأذن لغيرهِ من الكتّاب ، يقول : " ومن أيقن أن ما حُمَّ له واقعٌ لا مهرب له منه ، فتحرُّزه هباءٌ منثورٌ ، والحذر لا يُنجي صاحبه من القدر " [5] ، فالشاهد في قوله : " والحذر لا يُنجي صاحبه من القدر" وهو من كلام المصطفى - صلى الله عليه وسلم- إذ يقول في حديثٍ روتّه السيدة عائشة -رضي الله عنها- : " لا يُغني حذرٌ من قدر ،

---

[1] انظر : مجمع الأمثال ، 191/1.

[2] انظر : بقية الأمثال في فهرس الأمثال للمحقق ، رسائل العميدي ص: 469 .

[3] رسائل العميدي ، ص: 7.

[4] انظر: التذكرة الحمدونية ،لأبي المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون [-562هـ] ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ط1، 1417هـ ، 73/7.

[5] رسائل العميدي ،ص: 397 ، وانظر أيضًا ، ص: 69.

وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " [1] ، وقد جرى هذا الحديث مجرى الحكمة.

ب- أن يقول كلامًا يخرج مخرج الحكمة وغالبًا ما يفعل ذلك في استفتاحات رسائله ، مستعيضًا عن الاستفتاح الرسمي له من حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى غير ذلك بهذا الاستفتاح الذي يخرج مخرج الحكمة ، يقول د.زكي مبارك : فمن الصفات التي اختص به النثر في القرن الرابع الهجري : عدم التقيد بصيغة محددة في بداية الكتب فإن كان كتّاب القرون الثلاثة الهجرية الأولى يحرصون على الابتداء بحمد الله و بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فكتّاب هذا العصر أخذوا يجرون على سليقتهم في تخير البدايات ؛ فمنهم من يبتدئ بمثل معروف، أو بحكمةٍ مأثورة ، أو ببيت من الشعر، ولا يراعون القواعد إلا إذا خاطبوا الملوك أو الأمراء أو الوزراء فعند ذلك يبدءون بعبارات مملوءة بالرفق و المجاملة.[2]

كما جاء في استفتاح رسالته إلى بعض المستخدمين بالشام في ديوان الترتيب لمَّا انصرف من خدمة الترتيب موضحًا له أسباب عزلّه يقول : " النعم- أدام الله عزّ سيدي- إذا لم تكن مربوطة بالشكر الدائم تبادرت إليها أيدي الارتجاع ، وإذا لم تكن محوطةً بالحمد اللازم هجمت عليها آفة الانقطاع ، والشكر معين قويّ على استزادة النِّعم واستدامتها ، وأمين على استقامتها..." [3] فالنعم لابد من ملازمة شكر مُنعِمها وإلا رفعت منك ، كما فعلت أنا لغفلتي فقبض أمير المؤمنين عنّي نعمته.

وفي استفتاح رسالته إلى سنيّ الدولة القاهرة يجيبه عمَّا ألزمه به من التفضيل والتمييز بين كاتبين يقول : " الحق أحق ما يتبع الإنسان طريقته ، والصدق أصدق ما يُشيّد به المرء مودته ، فما خسرت قط صفقة مُحِقٍ ، وإن أكسد له سوقًا ، ولا ربحت تجارة مبطلٍ ؛لأن الباطل كان زَهوقًا ، والعبد بعين الله ملحوظ ، ومن نقمته محفوظ ، ما جعل الحق إمامه، والصدق أمامه ، فإذا حاد عن سَننهما أو راغ ، وجار عن سُننهما أو زاغ ، واتخذ إلهه هواه ، وتخطّى الحد وتعدّاه ، وانتقضت قواه ، وتقوضت بناه ، هوى في موارط قلما يُنتعش عنها

---

[1] أخرجه الطبراني ، وقال الألباني في صحيح الجامع : حديث حسن ، انظر حديث رقم [7738] في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، لناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 1988م ، 1279/2.

[2] انظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ص : 110.

[3] رسائل العميدي ، ص: 136.

العاثر ، ويهتدي فيها الحائر "[1] ، فهي مقدمة بليغة مليئة بالحِكَم التي من اتبعها اهتدى ومن أعرض عنها ضلّ وشقى.

وفي استفتاح رسالته يعتاب الوزير أبي الفرج القشوري لتغيّره عليه بعد الوزارة يقول : " لا يحسن– أطال الله بقاء سيدي– بالعاقل أن يطلب قاعة غيره له ، وقاعة نفسه عليه ممتنعة ، أو يستمد مودّة سواه ، ومموادُّ موِّدته عنه منقطعة ، فيكون كالمطفّف الذي إذا اكتال على الناس استوفى حقوقه في التجارة ، وإذا كالهم أو وزنهم لم يبال بالخسارة"[2] ، فهو يقول له لا تكتال بمكيالين ، و لا تتبع هواك في معاملة الناس ، وكن عادلًا ومنصفًا.[3]

2-1-2- الاستشهاد بالموروثين الديني والأدبي :

الاستشهاد –كما ذكرت من قبل– مثل الاقتباس والتضمين ، لا فارق بينهما سوى أن في الاستشهاد ينبه الكاتب على أنه سيورد قولًا من كتاب الله أو حديثًا من أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو بيتًا لشاعر من فحول الشعراء السابقين ، أمًّا في الاقتباس والتضمين فلا ينبه على ما يقتبسه قبل إيراده ، وفي غالب الأمر يكون مشهورًا لا حاجة للتنبيه عليه ، وقد جاء الاستشهاد في رسائل العميدي بالموروثين الديني والأدبي على النحو الآتي :

2-1-2-1- الاستشهاد بالموروث الديني :

جاء الاستشهاد بالقرآن الكريم في رسائل العميدي أغلبه في رسائل العميدي الديوانية خاصة رسالتيه إلى حسان بن جراح و صالح بن مرداس لمَّا خرجا على الدولة الفاطمية ، يقول في رسالته السادسة والخمسين موبخًا حسان بن جراح : " وكأنهم ظنوا أنّ في إهمالهم عجزًا عن محاكمتهم ، وفي إغفالهم جُبنًا عن مقاومتهم ، وكأنهم لم يسمعوا قول الله : " فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير" [الحج/ 44] ، ولم يتلوا كلامه

---

[1] السابق ، ص: 152.

[2] السابق ، ص: 170.

[3] وانظر على سبيل المثال أيضًا على الاستفتاح بما يجري مجرى الحكمة ، رسائل العميدي ، ص: 207 ، 234 ، 263 ، 284، 339 ، 350، 397، 432.

–سبحانه –: " وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها و إليَّ المصير " [الحج/48] " [1] ، وفي رسالته إلى صالح بن مرداس يَعِظُه ، يقول : " فلو اتّعظت بما وعظتك به الأيام في تقلُّبها ، واعتبرت بما دلتك عليه الأحكام في تذللها وتصعبها ، وتأدبت بما أراك المَلَوان من عجائب تذهل منها العقول ، وتهذبت بما يتهذب به الفاضل لا المفضول ، ووعيت قول الله سبحانه حيث يقول : " وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون " [الروم/33] لجعلت الشكر لله –تقدست أسماؤه – أمام أفعالك " [2] ، وفي رسالته إلى أبي الحسن التميميّ يهجو كاتبه ابن البنّاء يقول : " فلعن الله الحكّام التي تنقزُهم وتُنزِقهم ، والأيام التي تُطلعهم من وثاق الإملاق ولا تُخلِقُهم ، والزمان الذي يَشُوقُهم إلى الشبع والبطنة ، والحال الذي يُنجيهم من الجوع والمهانة ، وما أصدق قول الله فيهم : " كلا إن الإنسان ليطغى (6) أن رآه استغنى (7) " [العَلَق/6–7] " [3] .

وفي الاستشهاد بالسنة المطهرة على صاحبها أزكى الصلاة والسلام جاء الاستشهاد بها في موضعٍ واحدٍ وذلك في رسالته الثانية والعشرين إلى أمرد يتعطفه ! يقول : " ...والله أمر بالعفو ، وذكر أنَّه أقرب للتقوى ، وحث على الصفح الذي هو كمال الآخرة والأولى ، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال : " أحب الأديان إلى الله الحنيفة السَّمحة " أي : ملته التي لا ضيق بها ولا عوج ، ولا ميل ولا حرج .." [4]

2–2–1–2– الاستشهاد بالموروث الأدبي :

كان النص الشعري أكثر رافدًا استمد منه العميدي استشهاداته ولا غرو في ذلك فقد كان كاتبًا شاعرًا مطلعًا على دواوين فحول الشعراء ، وقد ينبه على أنه استشهاد دون أن يشير إلى صاحب الأبيات فيقول " مثل قول الأول " أو يقول " و آخر يقول" أو " كما قيل " أو " وأُنشِد لفلان" ، وفي الأعم الأغلب في استشهاداته ينبه على صاحب البيت ، يقول في رسالته المسماة المطبخية إلى بعض أصدقائه يصف حالته : " وأصل في

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 268–269.

[2] السابق ، ص: 287–288.

[3] السابق ، ص: 440 ، وانظر باقي الشواهد ، ص: 343 ، 409.

[4] السابق ، ص: 109 ، والحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وقد خَرّج المحقق الحديث في حاشية الصفحة ذاتها.

الشرب ليلي ونهاري ، وأتصابى وقد جاءني النذير ، وأتحادث وقد وعظني القبر ، وأعود إلى عادتي التي طالما فطمتني عنها التجارب ، وزهدتني فيها العواقب ، ويأّسَني قول الأول :

لم أجد لذّة السلامة حتى....صرت للبيت والكتاب جليسًا

إنما الذل في مخالطة النا..س فدعهم وعش أميرًا رئيسًا[الخفيف]"[1]

وفي رسالته في الاقتضاء والمعاتبة إلى وزير ما يقول : " ...فيا ليت شعري ! من أيِّ الفريقين أنا؟ أمن السعداء فأجر ذيلي فوق المجرة اشتهارًا وافتخارًا...أم من الأشقياء ، فأتدرع لباس اليأس ، وأتلّفع بالإفلاس ، وأنقطع عن الناس ، وألف رأسي حياءً ، وأبكي عمري الذي ذهب جُفاءً ، وأعمل بقول الوليد : [يقصد البحتري]

اطلبا ثالثًا سواي فإني.....رابع العِيس والدُّجى والبيد.[الخفيف]

وأتسلى بقول أبي سعيد : [وقد ذكر المحقق أن البيت لابن الرومي]

أرى ماءً وبي عطشٌ شديد..... ولكن لا سبيل إلى الورود [الوافر]

وأعيد قول محمد بن سعيد :

كم مقامي ما بينكم وثيابي....كلَّ يوم تَبلى وحظي بليد [الخفيف]" [2]

وقد يبني الرسالة كلها من أولها إلى آخرها على الاستشهاد بأشعار فحول الشعراء مثل رسالته الأدبية في المجون إلى قوّاد معروف بالقيادة يقول : " ...وظفرت بالأماني كلها ، ودخلت المدينة على حين غفلةٍ من أمرها ، فوجدت الحَضرة محروسةً ،

وفتحت قُلّةَ قلعةٍ أعيت على...خُطّابها وملكتها بمهنّد[الكامل]

وألفيت النائم كما قيل :

بكرٌ بخاتمها ولمَّا تُفتَقِ [الكامل]

---

[1] السابق ،ص: 5 ، وقد نسب المحقق البيت لعليّ بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، انظر الصفحة ذاتها.

[2] رسائل العميدي ، ص: 200–201 ، وانظر باقي الشواهد ص:35 ، 40 ، 90، 104 ،126، 147، 154 ، 161، 179، 231 ، 362 ، 363، 383 ، 439..

لا كما قال ابن وهب الأنصاري :

مثل التي تحسَبها أمُّها....عذراء بِكرًا وهي في التاسع[السريع]

بل كما قال حبيب :

بِكرٌ فما افترعتها كفُّ حادثةٍ.....ولا ترقَّت إليها همّة النُّوَبِ[البسيط]...."

وهكذا يمضي في الرسالة كلها [1] ، وفي بعض الأحايين يكون الشعر المثبت في الرسالة هو له ، أو هكذا يغلب الظن عليه ، و ذلك في خواتيم رسائل المعمَّيات إلى أصدقائه فهو يُجْمل اللغز في أبيات من الشعر وقد يشير إلى مفتاح الحل فيها ، مثل خاتمة رسالته الثانية والخمسين يقول : " فليقف الشيخ– أدام الله عزه– على ما عمَّيته ، وليقبل ما حكيته :

على أنَّه لا يهتدي لرموزه....وأسراره حتى يؤوب المُنخِّلُ [الطويل]"[2]

فمن الظواهر الأسلوبية الجديدة التي شاعت بقوة في رسائل كتّاب هذا القرن كثرة تضمينهم لشعرهم أو لشعر غيرهم من الشعراء المحدثين أو القدامى ، وإدراجه في ثنايا رسائلهم ، لعلمهم ما يحققه المنظوم في بناء الرسائل الأدبية من رفد المعنى ، بالإضافة لما له من ميزة المثل ، حتى كادت هذه السمة الأسلوبية أن تكون تقليدًا فنيًّا لأسلوبهم، وركنًا أساسيًا من أركان البناء الفني للرسائل الأدبية عندهم.[3]

أمَّا الأمثال فلم يكن لها نصيب من الاستشهاد وإن كانت قد جاءت اقتباسًا وتضمينًا ، وأمَّا الحِكَم فقد استشهد بحكمتين في رسالة واحدة له وذلك في رسالته إلى أبي الحسن التميميّ المستخدم بمصر يشكو ابن البنّاء كاتبه يقول : " ...كنت قرأت– أدام الله عز الشيخ– في وصية بعض الحكماء : " إياك أن تستحقر في الدنيا شيئًا ، فالقذاءة الصغيرة في العين ربما تُرمِد وتُعمي ، والنَّبلُ الصغيرة تقصِدُ وتُصمي....وكم أرضٍ أحرقتها شرارة ، وبلد أخربتها فارة ، وكم مطرٍ بَدؤه مطيرة ، والقطرة مع القطرة سيلٌ ...ورب لفظةٍ واحدة، آبت بائدة ، وقد يتفَرزَن البَيدق ، ويُسعدُ في الزمان أحمق ، والشر ابتداؤه صغاره ، والقوم من الأصل" [4] ، وفي

---

[1] السابق ، ص: 192–197 ، وانظر أيضًا على سبيل المثال، ص 125–126.

[2] السابق ، ص: 260 ، وانظر باقي الشوهد ص: 265 ، 307 ، 378.

[3] انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 354.

[4] رسائل العميدي ، ص: 437 ، ولم اهتدِ إلى صاحب هذه الحكمة.

خاتمة الرسالة ذاتها يستشهد بحكمة أخرى يقول متهكمًا بابن البناء : " وما أصدق قول الله فيهم : " كلا إنَّ الإنسان ليطغى(6) أن رآه استغنى(7) "[العلق/6-7] ، وما أحسن قول الحكيم : اتقوا الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع " [1] ، وهي حكمة سائرة يستشهد بها إمعانًا في ذم ابن البناء ، أمَّا غير ذلك فقد جاءت الحِكَم في صورة اقتباسٍ وتضمين كما مر سابقًا.

3-1-2- ظاهرة حل المنظوم :

أمّا في تعريف الحَل فلم يكن فيه الخلاف الذي كان في تعريف الاقتباس والتضمين ، فيقول ابن طباطبا العلوي [-322هـ] : قيل للعتَّابي : بما قدرت على البلاغة ؟ فقال : قدرت عليها بحل معقود الكلام ، فالرسائل شعر محلول ، و الشعر رسائل معقودة [2] ،و يقول ابن منقذ [-584هـ] : اعلم أن العقد والحل هو ما يتفاضل فيه الكتّاب و الشعراء ، ومعناه أن يأخذ الأديب شعرًا فينثره ، أو لفظًا منثورًا فينظمه ، ويطارحه العلماء فيما بينهم ، كقول الرشيد لو ذاب الذهب لكان خمرًا ، أو لو جمد الخمر لكان ذهبًا ، وقد نظمه شاعرٌ فقال :

وزنًّا لها ذهبًا جامدًا.....فكالت لنا ذهبًا سائلًا. [المتقارب] "[3]

،ويقول صاحب حسن التوسل : وأمَّا الحل فبابٌ مما تتصرف في كلام العارف به ارتجاله و روّيته ،و يتسع على المُجيد مجاله ، وملاك أمر المتصدي له هو أن يكون كثير الحفظ للآثار والأحاديث النبوية و الأشعار و الأمثال؛ لينفق منها وقت الاحتياج إليها ، و أمّا كيفية الحل فهي أن تتوخى هدمك البيت المنظوم وحل فرائده من سلكه ، بعد ذلك تُرتّب تلك الفرائد ترتيب متمكن- لم تضطره القافية ولم يحصره الوزن - ثم يبرزها في أصح سَبك وأجمل قالبٍ وأحسن سلك، ويكملها بما يناسبها من حُلِي البديع -متى أمكن ذلك- من غير كلفة ، و إذا تم المعنى المحلول معه في قرينة واحدة يتخير لها من القرائن مما يُغرمُ له من ذخيرة حفظه ، و حاصل

---

[1] السابق ، ص: 440.

[2] انظر: عيار الشعر ، لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا العلوي ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم ، الرياض-السعودية ،د.ط ، 1983م ، ص: 127.

[3] انظر: البديع في نقد الشعر ، لأبي المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن منقذ ، تحقيق د.أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1960م ، ص: 259.

فكره ما يناسبه ، وله أن ينقل المعنى إلى ما شاء ما لم يفسده [1] ، وقد قسم ابن الأثير حلَّ الأشعار إلى ثلاثة أقسام : الأول : وهو أدنى المراتب الثلاثة، أن يأخذ الأديب بيتًا من الشعر فينثره بلفظه كما هو من غير زيادة ، وهذا من العيب الفاحش ، و إنما مثله كمن أخذ عقدًا فريدًا قد أُحسِن تأليفه و أُتقِن نظمه فأوهاه وبدَّده ، والثاني : وهو وسط في المرتبة بين الأول والثالث ، وهو أن ينثر الأديب المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعرض عن بعضها بألفاظ أُخر ، وهنا تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ، و أمَّا الثالث: وهو أعلى الثلاثة رتبة ، فهو أن يأخذ الأديب المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ، وهنا يتبين حذق الصانع في صناعته ، فلو قدر على تحقيق زيادة في المعنى فتلك هي الدرجة العالية ، وإلا أتقن التأليف، و أحسن التصرف ، ليكون أولى بهذا المعنى من صاحبه الأول [2].

1-3-1-2-حل الموروث الديني :

يقول صاحب المثل السائر وقد عدَّ لِلحَل أنواعًا ثلاثة هي : الحل الخاص بالقرآن الكريم والحل الخاص بالأحاديث النبوية الشريفة والحل الخاص بالأشعار يقول : و أمَّا حل آي القرآن فليس كنثر المعاني الشعرية ، فينبغي أن يُحافَظ على ألفاظه لمكان فصاحتها إلا أنَّه لا يأخذ لفظ الآية بجملته فذلك من باب التضمين ، بل يؤخذ بعضه ويترك بعضه ، فإما أن يُجعل ما أخذه أولًا لكلام أو آخرًا له حسب ما يقتضيه السياق ، وكذلك نفعل أيضًا بالأخبار النبوية ، على أنَّ بعض الأدباء قد يأخذون معنى الآية أو الخبر فيكسونه لفظًا غير لفظه ، وليس لهذا من الحسن ما للقسم الأول [3] ، وقد يعمد الكتاب الفاطميون إلى توظيف الأخبار النبوية من خلال أخذ التعبيرات و المعاني وبثها في ثنايا رسائلهم من دون تضمين نص الحديث الشريف ذاته ، أو التمهيد له بالعبارات المشعرة بالنقل ، و إنما يأتي التوظيف ضمن السياق . [4]

[1] انظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، ص: 325-326.

[2] انظر: المثل السائر ، 103/1-105.

[3] انظر: السابق، 134/1.

[4] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص:214.

أ- حل آيات القرآن الكريم :

تزخر رسائل العميدي بحل كَمٍّ كبيرٍ من آي الذكر الحكيم ، فلا تكاد تخلو رسالة من حل آية قرآنية فيها ، وهي كما ذُكِر من قبل سمة بارزة من سمات هذا العصر ، وقد يكتفي بحل أجزاء من الآية فقط وفي الأحايين الأخرى يحل الآية بأكملها ، فمن النوع الأول : ما جاء في رسالته في شكره وزيرًا لما أفاض به عليه من الأمر بصرف راتبه المحبوس عنه يقول : " فلولا أن تداركني من عند الله جل اسمه رحمة ، وتلاقتني من تفضل مولانا- عليه السلام- نعمة ، ولحقتني نظرة الوزير الأجل – أدام الله دولته- الذي أحيا بها رِمّتي ...لما استقرت لي دار ، ولنسفني إعصارٌ فيه نار "[1] وقد حل في الفقرة السابقة آيتين ، الأولى حكاية عن نبي الله يونس – عليه السلام- لما ابتلعه الحوت قال –تعالى- : " لولا أن تداركه نعمة من ربه لَنُبذ بالعراء وهو مذموم " [القلم/49] ،

فلولا أن تداركني من عند الله جل اسمه رحمة ←لولا أن تدراكه رحمة من ربه...الآية.

والآية الثانية التي حلَّ بعضها فهي قوله–تعالى- : لنسفني إعصارٌ فيه نار " فهو محلول قول الله- تعالى -: " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " [البقرة/266]

لنسفني إعصارٌ فيه نارٌ ←فأصابها إعصارٌ فيه نار...الآية.

وكذلك ما جاء في رسالته في وعيد صالح بن مرداس لمَّا ورد الشام ونهب ضياعها يذمه: " ولم يكن غرضك فيما فعلت ، ومرادك مما عملت غير أن تجلس في نوادي العرب بين زعماء عقيل ونمير ، ورؤساء كلبٍ وقشير ، ثانيًا عطفك ، شامخًا بأنفك "[2] والشاهد في قوله " ثانيًا بعطفك " وقد حلها من قوله –تعالى- في وصف المستكبرين عن الإسلام لرب العالمين : " ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق " [الحج/9] ، فكأن صالح بن مرداس في كبره وغروره وخروجه عن طاعة أمير

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 246-247.

[2] السابق ، ص: 292 ، 293.

المؤمنين كمن استكبر عن الإيمان و ضل عن سبيل الله ، وفي رسالته الستين يصف نصر الدولة الفاطمية على صالح بن مرداس وحسان بن جراح يقول : " أمَّا بعد ، فإن نعم الله –تعالى ذكره– على عباده وإن كانت متفاوتة الأقدار والمراتب متباينة الأخطار والمذاهب...فأعلاها قدرًا وأغلاها مهرًا...نعمة أيدت الدين بعدما همَّ بنيانه بأن يتزعزع...وشيدت بناءه بعدما كادت تزيغ قلوبُ فريقٍ وحسمت أطماع من دلاهم بغرورٍ ....وذلل من رقاب النصر للمعلنين بشعاره ما كان أبيًّا ، وجعل ما يسره من الفتح وقدره من النُّجح آية للناس ورحمة منًّا وكان أمرًا مقضيًّا " [1] ، ففي الفِقرة السابقة فقط حل لثلاث آيات وظفهم في وصف بلاء جنود الدولة الفاطمية في الحرب وما أصابهم من الهول الذي يجعل القلوب تزيغ مضطربة معتمدًا على وصفه –سبحانه– لجيش المسلمين في غزوة العسرة في تبوك قال –تعالى– : " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثمَّ تاب عليهم إنَّه بهم رءوف رحيم" [التوبة/117] ، والشاهد الثاني في قوله " وحسمت أطماع من دلاهم بغرور" يصف صالح بن مرداس وحسان بن جراح وما فعلاه من تحريض الرَّعية على أمير المؤمنين وغوايتهما إياهم كغواية الشيطان آدم –عليه السلام– قال –تعالى– حكاية عمَّا فعله الشيطان مع آدم : " فدلاهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة..."[الأعراف/22] ، والشاهد الثالث في قوله : " وجعل ما يسره من الفتح وقدَّره من النُّجح آية للناس ورحمة منًّا وكان أمرًا مقضيًّا" فهو يصف استقرار الأمر والنصر في المعركة واستتباب الأمن بأنه أمرٌ قطعي الحدوث مثل أمر الله بأن تنجب مريم البتول عيسى –عليه السلام– من غير نكاح وأن هذا الأمر منتهي قضاء من الله –تعالى– كما قال لها ذلك على لسان جبريل –عليه السلام– : " قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منًّا وكان أمرًا مقضيًّا " [مريم/21].[2]

ومن النوع الثاني من الحل وهو الحل الخاص بالآية كاملة أو أغلبها ومنه ما جاء في رسالته إلى صديقٍ له يصف ليلةً من لياليه مع بعض أصدقائه يقول : " إلى أن شرب المُدام وطاب ونام ، وبات صريع راحٍ ، ووقيرَ أرطالٍ وأقداح ، واستبحت حريمًا لم يكن بمستباح ، وظفرت بالأماني كلها ، ودخلت المدينة على حين

---

[1] السابق ، ص: 310–311.

[2] انظر أيضًا على سبيل المثال السابق ص:10 ، 15 ، 16 ، 31 ، 52 ، 54 ، 68 ، 80 ، 119 ، 120، 152 ، 144 ، 145 ، 155 ، 161 ، 179 ، 182 ، 245 ، 278 ، 280 ، 283 ، 295 ، 296 ، 314 ، 317 ، 320 ، 326 ، 333 ، 360 ، 371، 376 ، 378 ، 387 ، 405 ، 406 ، 407 ، 421، 422.

غفلةٍ من أهلها فوجدت الحضرة محروسةً.." [1] فهو يصور ما ناله في هذه الليلة على حين غفلة بحادث دخول نبي الله موسى –عليه السلام– المدينة في مصر وقد كانوا في وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة قال –تعالى– : " ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أمرها فوجد فيها رجلين يقتتلان.." [القصص/15] ، ومنه كذلك ما قاله في رسالة إلى بعض أصدقائه يصف لهم دعوة لمأدبة دُعِي إليها ، وكانت هذه الدعوة وبالًا على كل من شهدها وحضرها يقول : " ...والحمد لله الذي جعل من بعد عسرٍ يسرًا ، ولم يجعل عاقبة أمري خسرًا ، ورزقني نعمةً أتصرف فيها على حكم الاختيار ، وأنفقها بيد الاقتدار ، لا أبددها في غير طاعته إسرافًا وبدارًا ، ولا أريد بها في الأرض علوًّا واستكبارًا..." [2] وفي النص السابق فقط حلٌّ لأربع آيات من القرآن الكريم ففي قوله " الحمد لله الذي جعل من بعد عسرٍ يسرًا " حل لقوله –تعالى– : " إن مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا " [الشرح/5–6] ، والشاهد الثاني " ولم يجعل عاقبة أمري خسرًا " وهو محلول قوله –تعالى– حكاية عن أمة أهلكها الله لذنوبهم : " فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا " [الطلاق/9] ، والشاهد الثالث في قوله : " لا أبددها في غير طاعته ، إسرافًا وبدارًا " وهو محلول قوله –تعالى– في أمره لأولياء اليتامى ألا يضيعوا أموالهم يقول : " وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبروا .." [النساء/6] ، والشاهد الرابع في قوله : " ولا أريد في الأرض علوًّا واستكبارًا " وهو محلول قوله –تعالى– " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين " [القصص:83]، وكذلك ما جاء في استفتاح رسالته إلى ابن القشوري يعاتبه على تغيره عليه بعد الوزارة يقول : " لا يحسن –أطال الله بقاء سيدي– بالعاقل أن يطلب قاعة غيره له وقاعة نفسه عليه ممتنعة ...فيكون كالمطفِّف الذي إذا اكتال على الناس استوفى حقوقه في التجارة ، وإذا كالهم أو زنهم لم يبال بالخسارة " وفي النص السابق حل لفواتح سورة المطففين يقول الله –تعالى– : " ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون" [المطفِّفين/1–3].[3]

---

[1] السابق ، ص: 192–193.

[2] السابق ، ص: 409.

[3] وانظر أيضًا على سبيل المثال السابق ، ص: 144 ، 146 ، 216 ،283، 309، 373 ، 407.

ب- حل الأحاديث النبوية الشريفة والآثار :

ورد في رسائل العميدي حل بعض الأحاديث النبوية والمرويات وإن لم يكن نصيبها من الحل مثل نصيب القرآن الكريم والشعر، فجاءتا أقل منهما ، وقد اتبع مثل طريقته في حل الآيات القرآنية فحافظ على ألفاظ الحديث النبوي الشريف إبَّان حلها لفصاحتها وبلاغتها كما أشار لذلك ابن الأثير من قبل ، ومما جاء من حل الأحاديث النبوية الشريفة في رسائله ما جاء في رسالته الأولى المسماة بالمطبخية يقول : " وليس العاقل -أدام الله عزك- إلَّا من يعرف رشده ، ويبصر قصده...ولا تغره خضراء الدِّمن ولا تسره عذراء الزمن " [1] ، فقوله :" ولا تغره خضراء الدمن " محلول من حديث ضعيف مروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: " إياكم وخضراء الدِّمن ، فقيل: وما خضراء الدِّمن ؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء" وقد ضعفه الألباني [2] ، فهو يصف نفسه برجاحة العقل والفهم ، فلا تغره خضراء الدِّمن التي حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- منها ، وفيها كناية عن فهمه وخبرته بالأمور:

العاقل لا يغتر بخضراء الدِّمن ⟵ إياكم وخضراء الدِّمن..الحديث.

وفي رسالته في معاتبة وزير لم يُصرح باسمه يقول : " فيا ليت شعري ! من أي الفريقين أنا؟ أمن السعداء فأجر ذيلي فوق المجرة اشتهارًا وافتخارًا ، وأجوز منكب الجوزاء استظهارًا واقتدارًا " [3] ، والشاهد هنا في قوله : " فأجر ذيلي فوق المجرة اشتهارًا وافتخارًا " وهو محلول حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في النهي عن إسبال الثوب خُيَلاء فيما رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث رقم [5791] عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من جرَّ ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة " [4] وقد كانت عادة عند أثرياء العرب أن يجرَّ ذيل ثوبه وراءه وهو يسير خيلاء.

فأجر ذيلي فوق المجرة اشتهارًا وافتخارًا ⟵ من جرَّ ثوبه مخيلة...الحديث.

---

[1] السابق ، ص:6.

[2] انظر : حديث رقم 14 في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّئ في الأمة ،69/1.

[3] رسائل العميدي ، ص: 200.

[4] صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[-256هـ] ، تحقيق جماعة من العلماء، دار طوق النجاة ، بيروت-لبنان، ط 1 ، 1422هـ ، 142/7.

وقد يحل أثرًا عن بعض صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كما جاء في رسالته السابعة والخمسين وهو يتوعد صالح بن مرداس يقول : " وهل قومٌ إلا يقتلونك ، وأنت إليهم بسمة العصاة ماضٍ ، أم هل لك أرضٌ تُقِلُّك وولي نعمتك عنك غير راضٍ" [1] ، وِالشاهد هنا قوله : " أم هل لك أرضٌ تُقِلُّك وولي نعمتك عنك غير راضٍ " حلها من قول أبي بكر الصديق عندما سُئِل في مسألة لا يدري جوابها كما روى البيهقي في باب التَّوقي عن الفتيا والتثبت فيها حديث رقم [792/791] عن ابن شهاب ، أنَّ أبا بكرٍ –رضي الله عنه– حَدَّث رجلًا حديثًا فاستفهمه الرَّجل إياه فقال أبو بكرٍ –رضي الله عنه– : " هو كما حدثتك أي أرضٍ تُقِلُّني إذا أنا قلت ما لا أعلم" [2] ، وهو صحيح بمجموع طرقه ، فهو يصف صالح بن مرداس وقد تبرأت منه القبائل كلها حتى ليس له أي مكان يُقِلُّه وقد خالف أمر أمير المؤمنين ، حلها من قول أبي بكر حين رأى أن سخط الله قد ينزل عليه في الحال ولا أرض له تحمله إن هو أفتى بغير علم.

أم هل لك أرضٌ تُقِلُّك وولي نعمتك عنك غير راضٍ ⟵ أيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا أنا قلت ما لا أعلم.

وفي نفس الرسالة يحل حديثًا للنبي –صلى الله عليه وسلم– وذلك عندما يصف صالح بن مرادس والعصبة التي حوله يقول : " بينما ترى العصبة العادية والكلاب الغاوية ، والفئة الباغية ، والطائفة الممتدة في الضلالة المتمادية...منقضين عليك وعلى من انضم إليك " [3] ، والشاهد هنا في قوله : " والفئة الباغية" وهو محلول قوله –صلى الله عليه وسلم– في مَعرض حديثه عن الفتنة التي ستقع بعد وفاته –عليه الصلاة والسلام– وإخباره انقسام الناس إلى فئتين إحداهما على الحق والأخرى باغية وهو ما وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنهما– وهذا الخبر مستقر لدى الشيعة ولذلك استدعاه على الفور في وصف هذه الفئة التي خرجت على الدولة الفاطمية بما يُضفي عليها من العَتب والذم ما كان من العَتب والذم للفئة الباغية الأولى ، روى البخاري في كتاب الجهاد والسير، في باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ، حديث رقم [2812] ، عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال: ..كنَّا ننقل لبن المسجد لبنةً لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فمر به

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 296.

[2] المدخل إلى السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي المشهور بالبيهقي [–458هـ] ، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، 1984م ، د.ط ، ص:429 –430.

[3] رسائل العميدي ، ص:297–298 ، وللمزيد من الشواهد على حل الأحاديث النبوية في تَرسُّل العميدي ، انظر رسائل العميدي ، ص: 43 ، 45 ، 202 ، 385.

النبي –صلى الله عليه وسلم– ومسح عن رأسه الغبار وقال : ويح عمارٍ تقتله الفئة الباغية ، عمارٌ يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار".[1]

بينما ترى العصبة العادية والكلاب الغاوية والفئة الباغية ⟵ ويح عمارٍ تقتله الفئة الباغية...الحديث[2].

2-3-1-2- حل الموروث الأدبي:

الشعر:

كان لحل الأبيات الشعرية نصيب في رسائل العميدي ، وإن كان الاقتباس والتضمين للنص الشعري أكثر نصيبًا وحظًا منه ، وهو قد يحل شطرًا أو بيتًا واحدًا أو مجموعة من الأبيات وفي بعض الأحايين قد يحل قصيدة بأكملها فينثرها في رسالة له كما سنرى ، وحلّه للأبيات يدور بين النوعين الثاني والثالث من الأنواع الثلاثة التي قسم ابن الأثير حل الأشعار عليها ، فمن النوع الثاني الذي يثبت الناثر فيه بعض ألفاظ البيت الشعري المُقتَبس ويعرض عن بعض ، مما يسمح له بإضافة ألفاظ أخرى له ، ما جاء في رسالته إلى حاجب بعض الرؤساء يشكو إليه غلامه الذي أبق منه ، يقول : " فلمَّا تمكن من أمره ، و أنفذ فيّ أبواب سحره ، ركب حصانًا لي كان قيدًا للأوابد ، وكنت أعدُّه عُدَّةً ليوم الشدائد... " [3] ، والشاهد هنا في قوله : " ركب حصانًا لي كان قيدًا للأوابد" وهو محلول قول امرىء القيس:

"وقد أغتدي والطير في وكناتها....بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل [الطويل] " [4]

ركب حصانًا لي كان قيدًا للأوابد ⟵ وقد أغتدي بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل.

---

[1] صحيح البخاري ، 21/4.

[2] انظر أيضًا على سبيل المثال رسائل العميدي: ص: 322 ، 438 ، و حديث [5460] في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [–241هـ] ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت–لبنان ،ط1 ، 2001م ، 200/24 ، و حديث رقم [6943] في صحيح البخاري ، 20/9.

[3] رسائل العميدي ، ص:70.

[4] شرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني [–486هـ] ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار الطلائع ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2014م ، ص: 37.

وفي رسالته الأولى المسماة بالمطبخية يقول : " ولو وجدت طول عمري من يجوز أن يسمى صديقًا صدوقًا ،أو يحفظ على الغيب لصاحبه حقوقًا لجعلت داره دار الهجرة....ومن لك بأخيك كله ، وأيُّ الرجال المهذب " [1] ، فالشاهد في قوله " ومن لك بأخيك كله ، وأي الرجال المهذب " وهو محلول قول النابغة الذبياني :

"ولســـــت بمســـــتبقٍ أخًـــــا لا تَلُمُّـــــهُ.....على شـــــعثٍ أي الرجـــــال المهـــــذَّب [الطويـــــل]"[2]

ومن النوع الثالث ما جاء في رسالته المسماة برسالة التوبة يصف حاله في فترة اللهو والعبث : " وكم لي من وقفةٍ بين ريح شمال وراح شمول ، وكم لي من نعرةٍ في قفا نصوحٍ وعذول ، ومن مَربَعٍ ومصيفٍ بين هزلٍ ومُزاح ، ومن شتاء وخريف ، في اغتباقٍ واصطباح ، وكم لي من نقلةٍ من مجلسٍ إلى مجلس ، وسعي بين منثورٍ ونرجس ، وكم امتطيت صهوة حصانةٍ وحصان ، وافترعت عذرة حبابٍ ودنان ، وكم دببت لحاجتي والليل مشتمل بإزاره ، وأبت والصبح بائحٌ بأسراره.." [3] ، وكأنَّ الفِقرة السابقة هي محلول لاستفتاح معلقة امرىء القيس ، حين وصف لهوه ومجنونه في شبابه ، فقوله : وكم لي من نعرةٍ في قفا نصوحٍ وعذول هو محلول قول امرىء القيس:

" وقوفًـــــا بهـــــا صـــــحبي علـــــيَّ مطيهم...يقولـــــون لا تهلـــــك أسًـــــى وتجمـــــل" [الطويـــــل]

وقوله : " وكم لي من وقفةٍ بين ريحٍ شمال وراحٍ شمول هو من قول امريء القيس يصف ديار محبوته بعدما جار عليها الحدثان يقول:

" فتوضـــــح فـــــالمقراة لـــــم يعـــــف رســـــمها...لما نســـــجتها مـــــن جنـــــوبٍ وشـــــمأل "

وبقية النص هو محلول الأبيات الآتية :

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 7 ، وانظر على سبيل المثال لا الحصر أيضًا ص: 88 ، 125، 251 ، 255 ، 282 ، 289 ، 403.

[2] ديوان النابغة الذبياني ، لأبي أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة-مصر ، ط2 ، د.ت ، ص:74.

[3] رسائل العميدي ، ص: 112.

" كــــــــدأبك مــــــــن أم الحـــــــــويرث قبلها...وجارتهـــــــــا أم الربـــــــــاب بمأســـــــــلِ

إذا قامتـــــا تتضـــــــوع المســــــك منهما....نســـــيم الصــــــبَّا جـــــاءت بريَّـــــا القَرَنفُــــــلِ

......

وبيضــــــة خــــــدرٍ لا يُـــــرام خباؤها...تمتعـــــت مـــــن لهــــوٍ بهـــــا غيـــــر مُعجَـــــلِ

تجـــــاوزت أحراسًـــــا إليهـــــا ومَعشـــــرًا....عليَّ حِراصًـــــا لـــــو يُســـــرون مقتلـــــي

إذا مـــــا الثريـــــا فـــــي الســــماء تعرضـــــت...تَعرض أثنـــــاء الوشـــــاح المُفَصَّـــــل

فجئـــــت وقـــــد نضــــت لنـــــوم ثيابها...لـــــدى الســــتر إلا لبســــة المتفضـــــل " [1]

بـل قـد يحـل قصـيدة بأكملهـا كمـا حـلَّ قصـيدة لأبـي تمـام لاقتـراح بعـض الرؤسـاء عليـه ذلـك ، فحلهـا وهـو فـي مجلسـه ، يقـول فـي مقدمـة الرسـالة التـي هـي مـن أولهـا لآخرهـا محلـول القصـيدة: " يـا مـن يواصـل فـي سيره بـين إيجـاف وإهـراع ، ويسـارع فـي طريقـه بـين إرتـاعٍ وإمتـاع ، ويطـوى الفـلا إذا قـام عنهـا الـدليل ، ويُعـاني السُّرى إذا التـبس علـى غيـره السـبيل ، فـلا يجـم مطايـاه حتـى يبلـغ منـاه ، ولا يريح مراكبه ، حتى يدرك مطالبه..إذا بلغت فلانًا فاخدم حضرته بسلامٍ..." [2].

أمـا الأمثـال والحكم فلـم يحـل منهمـا شيئًا وهـذا هـو المتبـع ، يقـول القلقشـندي : فـإذا أكثـر الكاتـب مـن حفـظ الأمثـال السـائغ اسـتعمالها ، سـيقت إليـه ألفاظهـا ، وانقـادت إليـه معانيهـا وقـت الاحتيـاج إلـى نظائرهـا مـن الأحـوال و الوقـائع ، فاستشـهد بهـا فـي موضـعها ، و أودعهـا فـي مكانهـا ، والسـبيل فـي توظيفهـا فـي النثـر ، كمـا فـي حلّـك الأشـعار واسـتعمالها ؛ غيـر أنَّ الأمثـال لا يجـوز فيهـا تبـديل ألفاظهـا، أو تغييـر أوضـاعها ؛ لأنهـا بـذلك اشـتهرت و عُرِفـت [3] ، وعلـى هـذا فـإن الأمثـال والحكـم تُضَمّن في الشعر والنثر ، ولا تُحلّ أبدًا للحفاظ على صيغتها التي بها عُرِفت واشتهرت.

---

[1] انظر: شرح المعلقات السبع ، للزوزني ، ص: 12 -25.

[2] رسائل العميدي ، ص: 395 ، ولم اهتدِ لهذه القصيدة في ديوان أبي تمام ، وإنما ذكرت أنها لأبي تمام ؛لأن عنوان الرسالة نص على ذلك ، و عنوانها هو " وله رسالة اقترحها عليه بعض الرؤساء وهو في مجلسه حلها من قصيدة أبي تمام بن أوس".

[3] انظر: صبح الأعشى ، 1/353-354.

المبحث الثاني

على المستوى التركيبي الخاص (النحوي والصرفي)

1-2-2- أسلوب الاستثناء المُفَرّغ (الناقص المنفي) :

ظهر أسلوب الاستثناء المُفرغ بصورة ملحوظة في كتابة العميدي ، وهذا لما يضفيه هذا الأسلوب من الحصر والقصر مما يدعم تحقيق المبالغة التي لطالما كانت سمة أسلوبية في كتابته، و سمة أسلوبية قوية عامة للكتابة في هذا العصر.

يُقال استثنيت الشيء من الشيء : إذا حاشيته ، والثَّنيّة ، أي ما استثني ، وروي عن كعبٍ قوله : الشهداء ثنيّة الله في الأرض ، يريد من استثناهم من الصعقة الأولى [1] ، و اصطلاحًا عرفه ابن مالك بقوله :الاستثناء هو المُخرج على وجه التحقيق أو التقدير من مذكور أو متروك بإلّا أو بما كان في معناها مع شرط وجود الفائدة [2] ، وقد عرفه الصبَّان في حاشيته بقوله : الاستثناء هو إخراج بإلا أو بإحدى أخواتها لما كان داخلًا أو بمنزلة الداخل ، والإخراج جنس ، وبإلا وما بعدها يخرج التخصيص وخلافه ، والداخل يشمل الداخل حقيقة أو تقديرا كالاستثناء المُفَرَّغ .[3]

ومن المعلوم أن أسلوب الاستثناء يتركب من :

مستثنى منه + أداة استثناء+ مستثنى.

وإذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه كان الاستثناء متصلًا ، أمَّا لو لم يكن من جنسه كان منقطعًا ، ومنه قوله –تعالى– : " فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلّا إبليس " [الحجر/30] ، فإبليس ليس من الملائكة إنما هو من الجن والآية من باب الاستثناء المنقطع ، وإذا كانت جملة الاستثناء مثبتة والمستثنى منه مذكور كان الاستثناء تامًا مثبتًا ، أمَّا لو سُبق المستثنى منه بأداة نفي أو نهي أو استفهام كان الاستثناء تامًا منفيًّا ،

---

[1] انظر : لسان العرب ، مادة (ثني) ، 14/124.

[2] انظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص:101.

[3] انظر : حاشية الصبّان ، 2/208.

أو غير موجب ، وإذا بدأ الاستثناء بنفي أو نهي أو استفهام دون ذكر المستثنى منه كان الاستثناء المُفرّغ أو ما يُعرف بالناقص المنفي ، وهو نوع الاستثناء الذي أكثر منه العميدي في رسائله بصورة ملحوظة دون غيره من أنواع الاستثناءات معتمدًا على حرفي النفي ما و لا خاصة مع حرف الاستثناء إلّا دون غيرهم من الحروف في كثير من المواضع.

يقول ابن مالك : إن كان بعض المستثنى منه حقيقة فهو متصل وإلا فهو منقطع مُقدرٌ وقوعه ، وله بعد إلا في الإعراب إن فرغ العامل له وترك المستثنى ما له مع عدمها ، ولابد أن يعتمد على نفي صريح أو مؤول أو نهي ، وإن لم يترك المستثنى منه ، نُصب المستثنى بإلا مطلقًا بها لا بما قبلها.[1]

والاستثناء المُفرّغ سُمي بذلك لأنه يُفرّغ ما قبل إلّا للعمل فيما بعدها قال ابن مالك في ألفيّته:

وإن يُفرّغ سابق إلّا لما ....بُعد يكن كما لو إلا عُدِما [2]

وهو يفيد الحصر والقصر ، فعند قولك : ما حضر إلّا خالد ، تكون قد نفيت الحضور كله عدا حضور خالد ، بخلاف لو قلت : حضر خالد ، فإن الجملة تحتمل أن يكون خالدٌ قد حضر ومعه غيره ، والحقيقة أنَّ إلّا في جميع أحوالها تفيد الاختصاص سواء أكان ذلك في التفريغ أم في غيره ، فإن قلت: قام الرجال إلّا خالدًا ، تكون قد نفيت القيام عن كل شخص ، وأثبته لخالدٍ حصرًا ، غير أن القصر في التفريغ أشمل وأعمّ من غيره ، فلو قلنا :ما حضر الرجال إلّا خالدًا ، تكون قد استثنيت حضور خالد من حضور بقية الرجال ، وقد يكون هناك نساء وأطفال قد حضروا ، فإن استخدمت الاستثناء المُفرّغ وقلت : ما حضر إلّا خالد ، تكون قد نفيت كل حضور عدا حضوره هو فقط [3] ، ويكون القصر بالنفي والاستثناء لما ينكره المخاطب ، فإذا قلت : ما ضربه إلّا قاسم ، كأنّ أحدًا قد كذبك فيما تقول فأكدت له بهذا الحصر والقصر قولك ، وقد جاء في نهاية الإيجاز أن الاستثناء المُفرّغ لا يستخدم إلّا فيما يكذّبه المخاطب أو فيما هو بمنزلته ، فتؤكد قولك به ، ولا

---

[1] انظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص:101.

[2] ألفية ابن مالك ، ص:77.

[3] انظر : معاني النحو ، 2/248–249.

يستعمل في غير ذلك ، فلا يقال لمن يُنصح بأن يَرفق بأخيه ويُنبه على مكانة صلة الرحم مثل : ما هو إلّا أخوك ونحو ذلك ، فلا يجوز [1] ، وقد أكثر العميدي من هذا الاستثناء دون غيره لميله للمبالغة والتهويل.

والاستثناء يفيد النفي والإثبات معًا ، ووهو واضح بشكل قوي في لفظ : لا إله إلّا الله ، فمعناها أي لا معبود بحقٍ إلّا الله ، وهي تتضمن نفي أن يكون هناك إله حق غير الله –سبحانه وتعالى– ، وإثبات أن الألوهية له وحده دون غيره –عزوجل– ، فهو إثبات ونفي في آن واحد. [2]

و إلّا هو حرف الاستثناء الذي أكثر العميدي من استخدامه في الاستثناء المُفرّغ ، بصورة تكاد أن تكون سمة أسلوبية له ، و قد ذهب الفرّاء وجماهير علماء الكوفة إلى أنّها مركبة من إنَّ الناسخة ، و لا العاطفة ، فصارتا (إنَّ لا)، ثم أدغمت اللام في النون بعد تخفيفها ، فعملت فيما بعدها عملين ، هما النصب في حالة الإيجاب اعتبارًا بإنَّ ، والعطف بها في النفي اعتبارًا بلا [3] ، ونرى رواية أخرى في كتابه معاني القرآن ينص الفراء فيها على أن (إلّا) مكونة من أنْ التي للجحد ولا فصارتا حرفًا واحدًا وخرجا من حد الجحد [4]، وقد جاء في لسان العرب : أن إلّا هي حرف استثناء وهي التي عملت النصب في قولنا : جاءني القوم إلّا زيدًا ؛ لإنابتها عن أستثني أو لا أعني ، وهذا هو قول المُبرّد في إلّا[5].

وإلّا هي أم حروف الاستثناء ، بل هي المسئولة عن هذا الباب ، والسبب في ذلك أنّها حرف ، والحروف هي التي تنقل الكلام من حدٍّ إلى حدٍّ ، كما نقلت (ما) الجملة من الإيجاب إلى النفي في قولك : ما قام زيدٌ ، و كذا حرف التعريف فإنه ينقل الكلمة من النكرة إلى المعرفة ، وأمَّا إلَّا فإنها تنقل الكلام من العموم إلى الخصوص ، لذا كانت أصل الباب ، وما سواها من حروف الاستثناء يحمل عليها مثل غير و سوى وحاشا ،

---

[1] انظر السابق ، 250/2.

[2] انظر : التوحيد للناشئة والمبتدئين ، عبد العزيز محمد علي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية ، السعودية ، ط1 ، 1422هـ ، ص:41.

[3] انظر: شرح المفصل للزمخشري ، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش [–643هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 2001م ، 47/2.

[4] انظر: معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء [–207هـ] ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي و آخرين ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ط1 ، د.ت ، 377/2.

[5] انظر : لسان العرب (مادة أَلَلَ)، 27/11.

لمشابهتهم لها ،وقصورهم عن اشتمالها كل معانيها ، فغير تقتضي مخالفة ما قبلها لما بعدها في النفي والإثبات ، فلو قلت : مررت بغير زيد فإنك لم تمر بزيد ، والذي وقع عليه المرور ليس زيدًا [1] ، فغير وسوى اسمان ، وخلا وحاشا وعدا هي أفعال ماضية إن سبقت بما ، أمّا إذا لم تسبق بما فيجوز عدّها حروفًا أو أفعالًا ماضية ومن هذا يُفهم قول ابن يعيش في تعليله كون إلّا هي أم الباب ؛لأنها الوحيدة في الباب التي هي من الحروف الخالصة ، ولا خلاف في حرفيتها ، والمعاني إنما تنقل بالحروف ابتداء ، كما أن غير تفيد معنى المغايرة أصلا و ليس الأصل فيها كونها للاستثناء بخلاف إلّا [2] ؛ ولذا كانت إلّا هي أم الباب في ذلك[3].

ومن حروف النفي التي أدمن العميدي استخدامها مع إلّا في أسلوب الاستثناء الناقص المنفي ، حرفي لا وما ، وإن كان حرف (لا) هو الأكثر شيوعًا واستخدامًا في الاستثناء المفرغ عند العميدي ، ولا النافية تعد أقدم حروف النفي في اللغة العربية – مما يضفي عليها قوة و أصالة في تأكيد النفي – ويقابلها في اللغة الآرمية و الأكادية حرف (la) وتدخل على الأسماء والأفعال على حد سواء[4] ، و تكون على خمسة أوجه كأن تعمل عمل إنّ وأخواتها أو عمل ليس أو تكون عاطفة أو تكون جوابًا مناقضًا لنعم أو تتضمن مطلق النفي غير عاملة فيما بعدها ، وهذه الأخيرة هي المرادة في هذا الباب[5] ، فاجتماعها مع إلّا التي هي في رأي الفرّاء مكونة من إنّ + لا العاطفة النافية يقوي الحصر والقصر بتكرار لا النافية في هذا الأسلوب.

---

[1] انظر : شرح المفصل للزمخشري : 2/60–61.

[2] انظر: معاني النحو ، 2/263.

[3] وللمزيد حول (إلّا) وأنواعها انظر: رصف المباني ص:171–178 ، الجنى الداني ص: 510–522، مغني اللبيب 1/83–87.

[4] انظر: معاني النحو ، 4/204–205.

[5] إذا جاء بعد لا جملة اسمية أو فعلية بفعل ماضٍ ملفوظٍ أو مقدرٍ ، أو دخلت على مفردٍ خبر أو صفة أو حال وجب تكرارها ، كما في قوله –تعالى–: " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار" [يس/40] ، " لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون" [الصافات/47] ، " فلا صدق ولا صلى" [القيامة/31] ، " إنّها بقرة لا فارض ولا بكر" [البقرة/68] ، " وظلٍ من يحموم لا باردٍ ولا كريم " [الواقعة/43–44] ، " وفاكهة كثيرة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة" [الواقعة/32–33] ، وقولك : عمرو لا كاتبٌ ولا شاعر ، وأمّا عن علة تكرارها ؛لأنه يراد اشتراك أكثر من شيء في النفي ، فيراد نفي أكثر من نعت أو خبر أو حال وليس نعت واحد أو خبر واحد أو حال واحدة ، وهي ليست بزائدة إذ إنها تضيف معنًى جديدًا فلو قلت : ما جاءني محمد و عمر ، كان هناك احتمالان للجملة إمّا أنها تنفي مجيء محمد وعمر على كل حال ، أو تنفي أن يكون مجيئهما مجتمعين مع بعضهما ، فإذا قلت : ما جاءني محمد ولا عمر صار الكلام بلا ريبة في المعنى الأول ، انظر: مغني اللبيب ، 1/269–272 ، ومعاني=

ومن شواهد استعمالها عند العميدي :

ما جاء في رسالته الحادية عشرة وهو يشكو حاله لتقلب الزمان عليه وكثرة الحساد : " وأنا الآن لا أكتب رقعة إلا في شكاية دهر ، ولا أنظم بيتًا إلا في مداعبة حر ، ولا أرفع قلمًا إلا وبناني تعثر وترتعش ، ولا أنشئ حرفًا إلا وطبعي ينفر ويستوحش... " [1] ، فالحصر والقصر بإلا واضح في النص السابق ، وقد أدى دوره في تحقيق الوصف والمبالغة والتهويل لما آلت إليه أحواله من الشقاء والعنت حتى صارت كل كتاباته في شكاية أعدائه وكل أدبه في ذم حساده.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في مدحه لمتولي ديوان الخاص قصد المبالغة في الإطراء عليه يقول في مستهل الرسالة : سيدي الشيخ– أدام الله عزه– لا ينحو من المقاصد إلّا آمنها وأحمدها ، ولا يزجر من السوانح إلا أيمنها وأسعدها ، ولا يسلك من المناهج إلا أوضحها صراطًا ، ولا يركب من المدارج إلا أفسحها بساطًا.."[2]

وفي رسالته إلى حسان بن جراح يذكره بعفو أمير المؤمنين السابق عليه وما شمله وقتها من العناية والرحمة حتى : " لا سانح إلا استمر ، ولا جانح إلا استقر ، ولا خائف إلا أمن ، ولا جانف إلا لُعن ، ولا مظلوم إلا أُنصف ، ولا محتاج إلا أُسعِف" [3] ، فالحصر والقصر في الشاهد السابق يظهر هذه الرحمة والشفقة بهم في أعلى درجاتها، إذكارًا له ولمن معه بالجميل السالف عليهم.

=النحو 204/4–205 ، وقد أكثر العميدي من استخدام هذا الأسلوب في رسائله رغبة في تأكيد المبالغة التي هو مولعٌ بها ، ومن أجل إثارة ذهن القاريء بما يضفيه هذا الأسلوب من تهويل و إثارة ، حتى أضحت سمة أسلوبية له انظر على سبيل المثال لا الحصر رسائل العميدي ، ص: 14 ، 24 ، 30 ، 33 ، 43 ، 104 ، 133 ، 134 ، 159 ، 166 ، 172 ، 182 ، 205 ، 208 ، 209 ، 225 ، 230، 233، 240، 251، 282، 289، 302، 343، 360، 362، 385، 383، 393، 397، 414، 423، 425، 429، 432.

[1] رسائل العميدي ، ص: 64.

[2] السابق ، ص: 89.

[3] السابق ، ص: 275 ، وانظر أيضًا على سبيل المثال ص: 6 ، 33، 36، 39 ، 53 ، 59، 119 ، 133 ، 159 ، 160 ، 162، 171 ، 174 ، 179 ، 181 ، 182 ، 203 ، 212 ، 228، 235، 251 ، 255 ، 289 ، 291 ، 296 ، 339 ، 351 ، 375 ، 387 ، 389، 401، 408 ، 409 .

والحرف الثاني الذي أكثر من العميدي في استخدامه للاستثناء المفرغ هو ما ، و ما حرف نفي ينفي الجملة الاسمية والفعلية على حد سواء ، ويكون نفيها للحال على الإطلاق إلا إذا قيدت فتكون بما قيدت له كأن تقول: ما هو مسافر ، أو تقول : ما هو مسافر غدًا ، وقد تأتي للمضي فتقول: ما ظلمني فلان قط ، وقد تكون للحقيقة كما في قوله –تعالى– : " ما هنّ أمهاتهم" [المجادلة/2] ، وقد تدل على الاستمرا في حال دخولها على الفعل المضارع كما في قوله –تعالى– : " وما يعلم تأويله إلا الله" [آل عمران/7] ، كما تأتي لنفي الماضي البعيد كما في قوله –تعالى– : " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين" [الأنبياء/16] ، وهي آكد من لم وليس لجواز وقوعها في جواب القسم كما تقول : والله ما هو بخارج [1] ، وذكر سيبويه أن تركيب (لقد فعل كذا) يكون نفيه (ما فعل كذا) فكأنما قولت : والله لقد فعل كذا ، فقوبل بقول : والله ما فعل [2]، و قد نقل السيوطي تعقيبًا لابن الحاجب على كلام سيبويه السابق مؤداه أن مقتضى كلام سيبويه يُلمح إلى تضمن ما النافية معنى التوكيد الموجود في حرف التحقيق قد ، إذ قد جعلها بإزائه في النفي جوابًا.[3]

وفي رسالته الديوانية إلى حسان بن جراح لما نهب الرملة وخالف الدولة يقول: " لقد كذبتك نفسك ، والله ما بينك وبين الخذلان إلا بقدر ما يقنَط أمير المؤمنين من إنابتك ، وييأس من إجابتك ، ويعرض عن إقالتك ، ويتبرم بفرط تلونك ، واستحالتك ، ويَسمك بميسم الغضبان ، ويشيع شنيع أخبارك في البلدان ، وينزع منك ما ألبسك من ملابس الافتخار ، ويرتجع عنك ما أعارك بيد الانتقام والانتصار..." فهذا التكثيف للاستثناء المفرغ للحصر والقصر ، للمبالغة في الدلالة على قوة بطش السلطان و تمكنه من رقاب مخالفيه ، ونلاحظ أن سمات العميدي الأسلوبية تتكثف في الظهور في رسائله الديوانية لهذا كانت الرسائل الديوانية له شاهدًا أصيلًا معنا في تناول سماته الأسلوبية.

---

[1] انظر: معاني النحو ، 191/4–192.

[2] انظر: الكتاب ، 117/3.

[3] انظر: الإتقان في علوم القرآن ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [–911هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة– مصر، ط1 ، 1974م 289/2.

وفي رسالته الستين بشرح الحال لصديق له بانتصار الدولة الفاطمية على مخالفيها يقول في وصف حالة الجنود في المعركة : " فما كان إلا ريثما وصلوا إلى غربي شاطىء النهر ، حتى أحس المخاذيل بالأدبار والقهر ، وحسبوا أن الأنهار تعوقهم عن العبور ، وترد عنهم نوازل المقدور، ولم يعلموا أن إقبال الدولة يجعل الغِمار ثمادًا " [1] ، ففيها تكثيف للوصف لسرعة الأحداث حتى إن مخالفي الدولة ما كادوا يصلون إلى الشاطئ حتى تخطفتهم سيوف الدولة الفاطمية وسهامها تجهز عليهم ، وفيها مبالغة في سرعة الرد ودلالة على قوة سلطان الدولة الفاطمية وبطشها.

وفي رسالته إلى القاضي أبي علي الحسن بن أبي الدبس يعزيه في وفاة كلب له هلك بدمشق يقول : " وواحسرتاه على فراقه وبعاده ، وعلى ما فات من بركات اقتناصه واصطياده ، وعلى الأيام التي ما تركنا بعذراءَ من الغزلان عذراءَ إلا اقتنصناها ، ولا بالقطيعة عكرشةً إلا قطعناها واختطفناها ، ولا بالقرينة ريمًا إلّا كسرنا قرنها ، ولا بصيداء صيدًا إلا فرينا فروته ، ولا بالمعرة وحشًا إلا حسمنا معرّته " [2] ، ففيها حصر وقصر بالاستثناء المفرغ للمبالغة في وصف مهارة هذا الكلب وسرعته وقوته في ملاحقة الفرائس و إحضارها فلم يترك شيئا منها إلا صادها وأحضرها ، ونلاحظ أنه عند استخدام حرف النفي ما في هذا الاستثناء فإنه غالبًا ما يردفه بالاستثناء بحرف النفي لا كما في الشاهد السابق.[3]

وقد يستخدم غير حرفي النفي السابقين في الاستثناء المفرغ كليس ولم وغيرهما ومن ذلك ما جاء في رسالته إلى القاضي محمد الموسوي يصف له ملابسات رحلة العودة من عنده يقول : " فأمّا حديث المسافة التي سلكتها بعد مفارقتي حضرته –آنسها الله– إلى هذه الناحية ، فلقد كانت –يعلم الله– شاقةً وعرة ، خشنة صعبة ، لم أركب كل يومٍ إلا بعد توبة واستغفار ، ولم أسر إلا

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 315–316.

[2] السابق ، ص: 324–325.

[3] وانظر أيضًا شواهد على استعمال حرف النفي (ما) في استثنائه المفرّغ في رسائل العميدي ، ص: 39 ، 52–53 ، 149 ، 168 ، 196 ، 197 ، 208 ، 267 ، 273 ، 291 ، 316 ، 358 ، 365 ، 408.

علـى شـفير هـار ، ولـم أصـحب إلا شـياطين الإنـس ، ولـم أحـط رجلـي كـل ليلـة إلا فـي مثـل الحَـبْس "[1] والمبالغـة واضـحة وظـاهرة وقـد سـاعده علـى تحقيقهـا اعتمـاده علـى تكثيـف توظيـف أسـلوب الاسـتثناء المفـرغ بمـا يضـفيه مـن قصـر وحصـر يعينـه علـى تحقيـق مـا أراد مـن مبالغـة فـي وصـف صـعوبة الرحلـة وخشـونتها ، كمـا يظهـر هـذا التكثيـفُ الميـولَ العاطفيـة للكاتـب وحسـه القـوي الـذي دفعـه إلـى تحقيق مثل هذه المبالغات حتى صار رفقاؤه شياطين أنس ، وطريقه جسرًا مُعبّدًا على نار جهنم.[2]

---

[1] السابق ، ص: 30-31.

[2] انظر أيضًا على سبيل المثال لا الحصر شواهد أخرى على استخدامه حروف نفي غير ما و لا في الاستثناء المفرغ في رسائل العميدي ، ص: 5 ، 6 ، 18 ، 42 ، 51 ، 55 ، 117 ، 155 ، 164 ، 169 ، 181 ، 208 ، 222 ، 245 ، 268 ، 273 ، 358 ، 364 ، 375 ، 376 ، 380 ، 426 ، 429.

2-2-2- أسلوب الشرط:

حرص كتّاب الدولة الفاطمية على ترابط نسيج رسائلهم ، وبخاصة رسائلهم الفنية المتسمة بالطول ، والتي كَثُرت فيها طرائق النقاش ؛ و قد لجأوا إلى استخدام وسائل فنية تساعد على ربط أجزاء الرسالة الواحدة ببعضها ، كالتدرج المنطقي والتنقل الذهني بين أجزاء الموضوع معتمدين في ذلك على كافة البراهين والحجج التي تقنع المُخاطب من جهة ، وتحافظ على تماسك النص من جهة أخرى ، كما اعتمدوا على استخدام أسلوب الشرط في رسائلهم في حالة تفنيد آراء خصومهم والرد على شبهاتهم ، فأسلوب الشرط من الأساليب الفنية التي حققت للكتّاب وحدة موضوعهم.[1]

والشَرَطَ لغةً: من الشرط معروف ، وكذا الشريطة ، والجمع شرائط وشروط ، والشَرط : إلزام الشيء والتزامه وذلك في البيع ونحوه ، وجمعه شروط [2] ، واصطلاحًا عرَّفه المبرّد [-285هـ] في باب المجازاة وحروفها ،و التي تتضمن الشرط بقوله : ومعنى الشرط هو وقوع الشيء لوقوع غيره ، ومن عواملها من الأسماء من وما وأي ، ومن الظروف متى وأين وحيثما وأنَّى ، ومن الحروف التي جاءت بمعنى إنْ إذما ، ووجه اشتراك الظروف والأسماء والحروف في الجزاء إنما هو لتضمنها معنى إنْ إضافةً إلى الدلالة الخاصة بكلٍ منها [3] ، و عرفه الفاكهي فقال : الشرط هو تعليق تحقق مضمون جملة -وهي جملة جواب الشرط- بتحقق مضمون جملة ثانية – وهي جملة فعل الشرط- كإن جاء الشيخ لتمثلت بين يديه ، وإن جاء زيدٌ أكرمته[4] ، و جاء في حاشية الصبّان أن الجزاء على قسمين :

---

[1] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، موسى النعيمات ، ص: 202-203.

[2] انظر لسان العرب (مادة شَرَطَ) ، 46/2.

[3] انظر : المقتَضَب ، لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد [-285هـ] ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت ، 46/2.

[4] انظر :شرح كتاب الحدود في النحو ، لعبد الله بن أحمد الفاكهي [-972هـ] ، تحقيق د.المتولي رمضان ، مكتبة وهبة ، القاهرة- مصر ،ط2 ، 1993م ، ص:275.

الأول: أن يكون مضمونه نتيجة لمضون الشرط ، نحو : " إن جئتني أكرمتك " ، والثاني : عكس الأول ألا يكون مضمون الجزاء نتيجة عن مضمون الشرط ، فيكون الإخبار به مسببًا كقولك : إن تكرمني فقد أكرمتك أمس ، أي إن اعتددت عليّ بإكرامك لي ، فأن معتدٌ أيضًا بإكرامي السابق عليك[1] .

ومن دلالات الشرط :

1-ربط جملة بأخرى ، نحو : إن يقم زيدٌ يقم عمرو.

2-الإلزام ، نحو : إن يقم أقم.

3-وقوع الشيء لامتناع وقوع غيره ، وذلك نحو : إن لم يقم زيدٌ يقم عمرو.

4-امتناع وقوع الشيء لامتناع وقوع غيره ، نحو : إن لم تقم لم أقم.

5-وقوع الشيء لوقوع مثله : إن يقم أقم.[2]

ويقول صاحب معاني النحو : وربما دل الشرط على الحال من ذلك قوله –تعالى– :" وإن كنتم في ريب ممّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله " [البقرة/23] ، فهذا افتراض لحالتهم في ذلك الوقت ، وهذا الأسلوب يفيد كثيرًا التهييج والإلهاب كما في قوله –تعالى– : " قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين " [3]

ومن المعلوم أن أسلوب الشرط يتركب :

أداة الشرط + فعل الشرط + فعل جواب الشرط.

والإلزام المتحقق بأسلوب الشرط نلاحظه في رسالة العميدي الديوانية في وعيد حسان بن جراح حيث يقول : وأين المهرب من الليل الذي هو مدركك ، والسيل الذي هو مُهلكك ؟ إن رحلت تبعتك تبعات المسلمين فقصرت خطاك ، وإن نزلت زلت بك قدمك بما قدمت يداك ، و إن أغرتَ فمغرورٌ مغلوب ، وإن أنجدت فمنجودٌ

---

[1] انظر : معاني النحو ، للسامرائي ، 54/4.

[2] ينظر : التهذيب الوسيط في النحو ، لسابق الدين محمد بن علي بن يعيش الصنعاني [–680هـ] ، تحقيق د.فخر صالح سليمان ، دار الجيل ، بيروت–لبنان– ، ط1 ، 1991م ، ص:292.

[3] انظر : معاني النحو ، 68/4.

مكروب ، وإن غربت غَرَبت شمس اختيارك ، وإن شرقت شَرِقْت بغُصص أوزارك ، وإن نمت طرقتك طوارق السيوف ، وإن انتبهت أرهقتك صواعق الحتوف ، وإن شربت تصورت لك في مشربك آثامك ، وإن أكلت أخذ بمخنقتك طعامك ، فلا ملجأ ولا وزر ولا منجا ولا معتصر" [1] فاستعمال العميدي لهذا الأسلوب الإلزامي أراد منه ما يستشعره قارئ النص من إحداق الخناق على حسان بن جراح حتى لكأنه يشعر إن رفع قدح الماء الذي يشرب منه لوجد تحته سيل من جيش الدولة الفاطمية يطالبه ويحاسبه.[2]

و أكثر أدوات الشرط التي استخدمها العميدي بصورة ملفتة في ثنايا رسائله حتى أضحت سمة أسلوبية له ، هي :(إذا و لو و لمَّا و لولا) ، وكلها أدوات شرط غير جازمة ، وقد اعتمد عليها في ربط نسيج رسالته ، وتفنيد الآراء والرد على خصومه بما يكبسه أسلوب الشرط من قوة الطرح ، وتبيين الحجة ، وربط الأسباب بمسبباتها.

1-2-2-2-إذا الشرطية :

جاء في مغني اللبيب : والوجه الثاني من وجهي إذا : هو أن تكون لغير المفاجأة ، وغالبًا ما تكون ظرفًا للمستقبل متضمنة معنى الشرط ، وهي تختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس إذا الفجائية ، وقد اجتمعا في قول الحق –تبارك وتعالى– : " ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون " [الروم:25] ، ويكثر أن يكون الفعل بعدها ماضيًا ، ويقل أن يكون مضارعًا ، وقد اجتمعا في بيت أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها.....وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع [الكامل][3]

وعن سبب عدم جزمها لفعلي الشرط ، فلأنها تَتَضمّن وقتًّا محددًا ، بخلاف بقية حروف الجزاء التي تكون أبدًا مبهمة ، يقول سيبويه : وسألته– أي الخليل– ما منعهم من أن يجازوا بها ؟ فقال : الفعل في إذا يكون بمنزلته في إذ ، حين تقول : أتذكر إذ تقول كذا ، فتكون إذا فيما يستقبل بمثابة إذ فيما مضى ، ويوضح هذا أن إذا

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 282.

[2] وقد استخدم العميدي (إن) الشرطية وهي أم الباب في رسائله في مواضع عدة وخاصة في خواتيم بعض رسائله في الهجاء والتهديد ، كما أشار الباحث في فصل صور خواتيم رسائل العميدي ، ومن نماذج توظيف العميدي لأسلوب الشرط بإن، انظر رسائل العميدي ، ص: 283 ، 284 ، 297 ، 325 ، 351 ، 383 ، 384 ، 401.

[3] انظر : مغني اللبيب ، 108/1.

إنما تجيء وقتًا معلومًا ، ألا ترى أن قولك : آتيك إذا أحمر البسر حسنٌ ، ولو قلت : آتيك إن أحمر البسر كان مستشنعًا ؛ لأن أنْ أبدًا مبهمة ، وكذا حروف الجزاء ، وإذا توصل بالفعل ، يكون الفعل في إذا بمعنى حين ، ومنه قول ذي الرُّمة :

تصغي إذا شدها بالرَّحل جانحةً....حتى إذا ما استوى في غرزها تثب.[البسيط]

فإذا تدخل على ما هو راجع الوقوع محقق الحدوث، كما في قوله –تعالى– : " إذا الشمس كُوّرت" [التكوير/1] ، "إذا السماء انفطرت" [الانفطار/1] ، " إذا السماء انشقت"[الإنشقاق/1] ، فلا شك أن هذا واقع لا محالة ، ولا يجوز أن يخرج هذا موضع الشك وعدم التأكد ، فلذلك لم تأت الآيات بلفظ إنْ المبهمة وإنما جاءت بلفظ إذا التي تدل على تحقق وقوع الشيء بعدها في وقت معلوم ، وفي الآيات يكون الوقت في علم الله.[1]

فالأصل في إذا أن تكون للمقطوع بحدوثه أو للكثير الوقوع ، ومن حتمي الوقوع ، قوله –تعالى– "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت" [البقرة/180] ، فكل منّا لابد أن يلقى الموت ، والنحاة دائمًا ما يفرقون بين استخدام إنْ وإذا ، فيجعلون إنْ للمشكوك فيه وإذا للمقطوع بحصوله ، ولمّا كان الأمر كذلك غلب معها استخدام الفعل الماضي الذي يدل على التحقق والثبوت ، وغلب على إنْ استخدام الفعل المضارع الملائم للفرضية والاحتمالية والشكوك.[2]

ولدخولها على ما هو راجح الوقوع متحقق الحدوث أكثر العميدي من استخدامها للتأكيد كلامه ، وإخراجه مخرج الواقع المتحقق المنتهي ، مما يضفي على الكلام قوة ومبالغة ، ويخرج الوصف في أتم صوره ، يقول في هجائه لأحد الأشراف المنتسبين إلى بيت النبوة وقد وعده بشيء ثم أخلف موعده : " وما يُغني السيف انتسابه إلى الهند إذا كان كَهامًا ؟ ، وما يُجدي السحاب ارتفاعه في الجو إذا كان جَهامًا ؟ وما يضرُّ الفتى كونه من باهلة إذا كان طائي السخاء ، وما ينفعه اعتزاؤه إلى هاشم إذا كان تميمي العطاء ، والفضل المكتَسب خير من الحسب المحتَسب" [3] فهو يقول له العبرة بأخلاق الإنسان هو لا بما يفتخر به من أخلاق الأجداد إذا كانت أخلاقه على خلافها ، فلازم أن يستخدم إذا الداخلة على ما هو متحقق الثبوت كأنما يريد أن يقول له

---

[1] انظر : المقتضب ، 2/55-56.

[2] انظر: معاني النحو ، 4/71-77.

[3] رسائل العميدي ، ص: 40.

إنك تميمي العطاء ، غير طائي السخاء ، وهو أمر حتمي وواقع لا محالة فأنت رجلٌ بخيل الفرع لا يغنيك كرم الأصل.

وفي رسالته إلى كاتب قائد القواد يؤكد براعته في الكتابة وحذقه ، فيقول : " وأنا –أدام الله تأييد مولاي وسيدي– إذا عَنَّت لي الفِقَر جعلتها لسيوفي مضارب ، وإذا لاحت لي الثُّغُر أرسلت سهامي لها صوائب ، وإذا أمكنتني انتهزتها أجرأ من الأسد ، وإذا اتسع المجال لم أقف فيه دون الأمد ، وأغوص على اللُّجج التي يغرق في ساحلها كلُّ عائم.." [1] ، فلما أراد أن يؤكد براعته و يؤصل لمهارته وبلاغته استعمل الشرط بإذا الذي يدخل على ما هو متحقق الثبوت راجع الوقوع ليأكد أنّ كلامه لا شك فيه ولا خلاف فيه ، فمتى لاحت له الفِقر استخدمها على الفور مضارب لسيوفه ، وإذا نازعته انتزعها للموت انتزاع الأسد لفرائسه ، وفي التعبير مبالغة تأكد تمكنه من ناصية الأدب والبلاغة.

وفي رسالته في عتاب بعض الرؤساء من الخدم يقول : " أنا مع الأستاذ– أدام الله تمكينه– بين حالتي تعجبٍ وإعجاب ، وعتابٍ واستعتاب ، فإذا رأيت إعراضه عنّي تعجّبت ، وإذا سمعت بما يعتقده فيّ فرحت وأُعجبت ، وإذا بخس حظي من رعايته أدللت وعاتبت ، وإذا نقص حقّي من عنايته استرضيت واستعتبت ، فلا عدمت من لا يزول عن ضميري ودّه ، ولا يستحيل عن منهج الصدق عهده ، ولا ينحل عن القرب والبعد عَقدُه ، ولا يثقُل على اللسان شكره وحمده ، ولا خلوت من إذا خطرته بخاطري انشرح له صدري ، وإذا مثّلته لناظري استقام به أمري ، وإذا حللت بعَقْوتِه علا قدري ، وإذا استمسكت بعروته أعتبني دهري ، وإذا ذكرته بلساني ارتفع ذكري ، وإذا استظهرت بفضله اشتد ظهري.." [2] فلأن أغلب حديثه عن أمورٍ وقعت بالفعل استخدم الفعل الماضي معها ؛ ولأنه يريد إخراج كلامه مخرج المتحقق الوقوع الحاصل استخدم الظرف إذا ليؤكد حسن ولائه لمخاطبه و حسن سريرته تجاهه ، فهو إذا وصل إليه كلام هذا الرئيس عنه فرح وأعجب تحققًا وثبوتًا

---

[1] السابق ، ص: 59–60.

[2] السابق ، ص: 366.

وإذا أهمله سيده استرضاه واستعتبه تحققًا وثبوتًا ، لا على سبيل المجاز بل على الحقيقة وفي الأسلوب استرضاء لرئيسه و إسلال لسخيمته.[1]

2-2-2-2-لو الامتناعية :

جاء في مغنى اللبيب عن لو : " لو على خمسة أوجه ، أحدها : لو التي في نحو : لو جاءني لأكرمته ، وهذه تفيد أمورًا ثلاثة : الشرطية ، وتقييد الشرطية بالزمن الماضي ، والامتناع ، فأمَّا الشرطية فعقد السببية والمسببية بين الجملتين التاليتين عليها ، وأمَّا تقييد الشرطية بالزمن الماضي ، فبه فارقت (لو) إن الشرطية ، فإن لعقد السببية والمسببية في الزمن المستقبل ، ولهذا قالو إن الشرط بإن سابق على الشرط الذي بلو ، وأمَّا الامتناع فهو مفهوم بداهةً من قول أحدهم " لو فعل كذا " فهو يدل على عدم الفعل بلا تتردد ولذا يصح دخول حرف استدراك بعدها في أي جملة استعملت فيها داخلا في فعل الشرط المنفي لفظًا أو معنًى مثل : لو جاءني لأكرمته ،لكنه لم يجيء ، والثاني : إفادتها امتناع الشرط والجواب جميعًا ، كما في قوله –تعالى– : " ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " [الأنعام/ 111] ، والثالث : إفادتها امتناع الشرط خاصة ، ولا دلالة على ثبوت الجواب أو امتناعه كقولك : لو كانت الشمس طالعةً كان الضوء موجودًا ، فلا يلزم انتفاؤه.[2]

وفي اللام الواقعة في جواب (لو) يذهب صاحب معاني النحو إلى أنَّها للتوكيد ، ممَّا يُكسب الأسلوب قوة ورصانة إلى جانب قوة تأثير استخدام الشرط في الكلام، يقول : فالذي يبدو أنَّها مؤكدة ، والدليل على ذلك أن اللام التي للتأكيد تقع في الإثبات دون النفي مثل لام الابتداء ، ولام القسم وغيرهما ، فكذلك الحال مع لام لو

---

[1] وللمزيد من الشواهد حول استخدام العميدي أسلوب الشرط بالظرف (إذا) معتمدًا على ما يختص به من دخوله على ما هو مُحقق الثبوت راجح الوقوع والذي استخدمه لتحقيق الوصف وتمكين المبالغة ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ، 49 ، 68 ، 122-123 ، 132 ، 136 ، 144 ، 149 ، 152 ، 153 ، 154 ، 159 ، 160 ، 166 ، 167 ، 170 ، 172 ، 174 ، 175 ، 177 ، 182 ، 205 ، 207 ، 221 ، 251 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 259 ، 261 ، 266 ، 271 ، 274 ، 296 ، 300 ، 305 ، 313 ، 315 ، 316 ، 328 ، 342 ، 352 ، 358 ، 359، 364 ، 366، 389.

[2] انظر : مغني اللبيب ، 1/284-286.

فهي لا تأتي غالبًا إلا في الجمل التي تكون مثبتة ، ونادرًا ما تأتي مع الجمل المنفية ، كذا اختلف النحاة في هذه اللام هل هي زائدة مؤكدة ؛لجواز سقوطها ، أم هي واقعة في جواب قسم مقدر ، ففي قولك : لو زرتني لأكرمتك ، كأن أصل الجملة ، لو زرتني والله لأكرمتك –مما يقوي هذا الرأي القائل بأنها للتوكيد– أم هي للتسويف أم هي لتأكيد ارتباط الجملتين ببعضهما. [1]

وقد استخدم العميدي الشرط بلو كثيرًا في رسائله حتى أضحت سمة أسلوبية له وعلامة على طريقته وهو يستغل دلالتها على الامتناع لتحقيق المبالغة ، واستقصاء الوصف حده ومن ذلك ما جاء في رسالته إلى الوزير أبي الفرج القشوري يصف صحراء اجتازها أثناء رحلته إليه يقول : " أعماقها قاتمة ، وآفاقها جاحمة ، ومسالكها مهالك ، ومناهلها مجاهل ، وسُبُلُها عُطْل ، فلو رآها امرؤ القيس لَمَا استصعب عرعر ، ولو سكنها ابن مقبل لَمَا استوعر سَروَ حمير ، ولو دخلتها الأعراب لاستحقرت أرض وبار ، ولو جاورتها لما قالت : أخلى من جوف حمار.." [2] فالمبالغة واضحة في النص السابق وهو يريد من ذلك إعطاء الوصف حده ، والمبالغة في إظهار الشقاء والتعب اللذان لاقاهما في السفر إلى ممدوحه متلقي الرسالة لكرم مزلته عنده ، وجريًا على عادة الجاهليين في وصف الأطلال والمركوب ومشقة الرحلة للممدوحين ليغدقوا عليهم بالأعطيات ، وقد اعتمد على لام التوكيد الواقعة في الجواب لتكون تأكيد تحقيق المبالغة.

ومن ذلك ما جاء في جواب كتاب أبي القاسم الكردي يصف له رسالته التي أرسلها له يقول : "...مأخذها سهل ، ومتناولها عذب ، وألفاظها معسولة ، ومقاطعها مقبولة ، فلو سُكبت لخَلُصت عقولًا ، ولو صوّرت لصارت غُرَرًا وحُجولًا ، ولو حُلّيت بها شوهاء لعشقها العِنّين ، ولو وصف بها المولى لفُضِّل الهجانُ على الهجين ، ولو انتُثرت في الأرض لما أجدب منها بلد ، ولو قُسّمت في الناس لما لَؤُم منهم أحد ، ولو امتزجت بالماء العذب لعَذُب منه الذُّعَاق ، ولو وُسم بها البدر لما بَدَر إليه المِحاق. " [3]

---

[1] انظر : معاني النحو ، 4/92-94.

[2] رسائل العميدي ، ص: 33.

[3] السابق ، ص: 56.

وقد اعتمد على دلالتها على الامتناع لتحقيق المبالغة في الإطراء والمدح لأبي القاسم الكردي ، حتى إن ألفاظ رسالة أبي القاسم التي أرسلها إليه لو انتثرت على الأرض لما أجدبت إلى يوم القيامة ، ولو وزعت على الناس لانتهى وجود اللئام في الأرض ، وهو يعتمد على اللام الواقعة في جوابها إمعانًا في المبالغة والتهويل.

وقد يستخدم تركيب لو الشرطية في الاعتذار عن الحضور للقاء مراسله و لطول الغيبة بينهما ، يقول في رقعة للوزير أبي الفرج القشوري : " ولو جرى أمري –أدام الله تمكين مولاي الشيخ– في هذه الأيام ، على سَنن النظام والاستواء ، ولم تذكُر في هذا الشتاء حرفة الأدباء ، لما خلوت كلّ يوم من مباكرة الخَمّار ، ومعاقرة العقار ، ومناغاة الأوتار ، ومباينة الوقار ، ومنادمة الأحرار ، ومناشدة الأشعار ، ومذاكرة الأخبار..." [1] ، فلو وجد متسعًا من الوقت لما غادر حضرته ، ولأدام ملازمته ومنادمته كلّ يوم ، والمبالغة واضحة في اعتذاره ، ويستخدم اللام الواقعة في جواب لو لتوكيد الربط بين الجملتين أي إذا وقعت أولهما لوقعت الثانية على الفور ، لو لم تذكر حرفة الأدباء ، لما كفَّ كل يوم عن منادمة أبي الفرج القشوري. [2]

3-2-2-2- لمَّا الشرطية:

يقول ابن هشام [-761هـ] : والوجه الثاني للمَّا : خصوصيتها بالماضي ، فتعقد الصلة بين جملتين وجدت ثانيهما عند تحقق أولاهما ، ك " لمَّا جاءني أكرمته" ، وهي هنا حرف وجود لوجود ، وبعضهم يقول فيها حرف وجوب لوجوب ، وزعم ابن السراج ووافقه الفارسي وتبعهما ابن جني وطائفة من أهل العلم على أن لمَّا ظرف بمعنى حين ، و رأى ابن مالك أنها بمعنى إذ ، وهو رأي حسن ؛لأنها تختص بالفعل الماضي وبالإضافة إلى الجملة ، وجواب لمَّا يكون فعلًا ماضيًا وهذا متفق عليه ومن ذلك قوله –تعالى– : " فلمَّا نجاكم إلى البر أعرضتم" [الإسراء/67] ، ويرى ابن مالك أن جوابها يكون جملة اسمية مقرونة بإذا الفجائية او بالفاء

---

[1] السابق ، ص: 16.

[2] وللمزيد من الشواهد حول استعمال أسلوب الشرط بلو في رسائل العميدي لتحقيق المبالغة ، انظر ص: 7 ، 15 ، 27 ، 37 ، 43 ، 70 ، 133 ، 155 ، 176 ، 180 ، 196 ، 207 ،212، 217 ، 218 ، 231 ، 232، 237، 245 ، 252 ، 256، 267، 269 ، 273، 275 ، 277، 279 ، 287 ، 293 ، 295 ، 322 ، 330، 352،360 ، 374، 375 ،376، 379 ، 382 ، 401 ، 407 ، 415 ، 416 ، 419 ، 424 ، 431 .

ودليله قول الله –تعالى– : " فلمَّا نجاهم إلى البر إذا هم يشركون" [العنكبوت/65] ، وقوله : " فلمَا نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد" [لقمان/32] ، وذهب ابن عصفور أن جوابها يكون فعلا مضارعًا ودليله قوله –تعالى– : " فلمَّا ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط" [هود/74] ، والآية الأخيرة على تقدير محذوف أي : أقبل يجادلنا.[1]

ويقول سيبويه [–180هـ] : وأمَّا لمَّا فهي لأمرٍ قد وقع لوقوع غيره ، وهي تجيء بمنزلة لو ، وهما لابتداءٍ وجواب[2] ، و يقول أبوحيان الأندلسي : " لمَّا التعليقية حرف عند سيبويه تدل على ربط جملة بأخرى ربط السببية ، وعبر عنه بعضهم بحرف وجود لوجود والذي تلقيناه من أفواه الشيوخ حرف وجوب لوجوب" [3] .

وقد جمع ابن مالك بين المذهبين بقوله : تكون لمَّا ظرفًا بمعني إذ متضمنة معنى الشرط أو حرفًا فيما سبقه وجوبًا لوجوب متى وليها فعل ماضٍ لفظًا ومعنًى ، أو جملة اسمية مع الفاء أو إذا الفجائية ، وقد يقترن الماضي معها بالفاء وربما كان مضارعًا.[4]

ويقول صاحب رصف المباني : وفيها –أي لمَّا– معنى الشرط أبدًا لا يفارقها ، وهي لا تدخل إلا على ما كان ماضيًّا لفظًا أو معنًى ، أو معنًى دون لفظ.[5]

وقد اعتمد الكتّاب الفاطميون في استخدام لمَّا في مستهل بعض فقرات رسائلهم لتوضيح الأسباب التي دفعت الخليفة أو الوالي لإسناد مهمة لأحدهم [6] ، أو توضيح سبب قبض الخليفة يده عن منح شخص ما عطاءً

---

[1] انظر: مغني اللبيب ، 309/1–310.

[2] انظر: الكتاب ، 234/4.

[3] ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي [–745هـ] ، تحقيق رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1998م ، 1896/4.

[4] انظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [–672هـ] ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1967م ، ص:241 ، وانظر لمزيد من التفصيل حول الخلاف في اسمية لمَّا أو حرفيتها في رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي [–702هـ] ، تحقيق د.أحمد محمد الخرَّاط ، دار القلم ، دمشق–سوريا ، ط3 ، 2002م ، ص: 354–355.

[5] انظر : رصف المباني ، ص: 354.

[6] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص:204.

أو عزله لعدم سيره على ما يرضيه ، ومن ذلك ما جاء في رسالته التاسعة والعشرين يشرح لصديقه أسباب إقدام أمير المؤمنين على عزله من ديوان الترتيب يقول : " ولمّا علم أمير المؤمنين–سلام الله عليه– أن عبده ضعيف القوة ، قصير الخطوة ، غير ناهض بجزءٍ من حقوق النعمة فكيف بكلها ، ولا مستقل تفصيلها فضلًا عن جُلّها ، وأنّ في بعض ما أسبغه عليه من النعمة ، وشرفه به من الخدمة ، ما يثقل كاهله ، ويستغرق وسائله ، ويجاوز حدود أمانيه ، ويوفي على غاية أغراضه ومباغيه ، رأى– أعلى الله رأيه– أن يريح خاطره عن تعب الفكر ، ويمحو عنه سمت العاجزين على مواجب الشكر..." .[1]

وفي رسالته الحادية عشرة إلى يحيى بن سلامة الموصلي كاتب قائد القواد وقد ذكر فيها الأمر الموجه إليه بإنشاء رسالة عن نصر الدولة الفاطمية يقول : " فلمّا كثرت في بابه مناظرة الجماعة ، وناضلت عن منشئه حسبما يوجبه حكم الحال بيني وبينه في الصناعة ، ألزموني أن أُنشي كتابًا أشرح فيه صورة الحال ، ومثلوا لي إلى ما ضاق عليّ معه رحب المجال.." .[2]

وقد يستخدمها للمبالغة في المقارنة والمقابلة بين المواقف إمعانًا في الذم أو في المدح ومن ذلك ما جاء في رسالته السادسة والخمسين في ذم حسان بن جراح ومن معه يقول : " ولا وفوا بالعقود التي يحظر الدين نقضها ، بل لمّا استغنوا طغوا ، ولمّا استولوا بغوا ، ولمّا وجدوا بعد الإملاق مردوا على النفاق ، ولمّا أمنوا سهام الانتقام ، غمطوا دوام الإنعام ، فكأن النعمة ما أغنتهم بل أغْرتهم وغرَّتهم.." [3] ، فهو يستخدم دلالتها في كونها وجوبًا لوجوب إمعانًا في المبالغة ، والمعنى أي أنّه لما وُجد استغناؤهم استلزم أن يُوجد معه طيغانهم لخسة طباعهم ولؤم معادنهم ، ولمّا تحقق استيلاؤهم وجب أن يحدث طيغانهم لقبح نفوسهم وشرورهم فجاء استعمالها تمكينًا للتهويل والمبالغة اللذان أولع بهما العميدي.[4]

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 136–137.

[2] السابق ، ص: 64.

[3] السابق ، ص: 268.

[4] وللمزيد حول شواهد استخدام لمّا في رسائل العميدي ، انظر ص: 43 ، 52 ، 63 ، 136 ، 139 ، 142 ، 219–220، 258 ، 271 ، 303 ، 311 ، 312 ، 322، 330 ، 331 ، 353 ، 355 ، 388.

4-2-2-2- لولا الامتناعية:

جاء في معجم العين : وأمَّا لولا فقد جمعوا فيها بين لو ولا وذلك في معنيين أولهما: لو لم يكن ، نحو قولك : لولا زيدٌ لأكرمتك ، وهذا معناه : لو لم يكن زيدٌ لأكرمتك ، ثانيهما : هلّا ، وذلك نحو قولك : لولا فعلت كذا ، في معنى : هلّا فعلت كذا[1] ، و أضاف صاحب مغني اللبيب أنَّ لولا قد تأتي للاستفهام وللتوبيخ والتنديم فشاهد الأولى قوله -تعالى- : " ...فيقول ربي لولا أخرتني إلى أجلٍ قريب" [المنافقون/10] ، وشاهد الثانية : " لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء" [النور/13].[2]

وأمَّا لولا التي هي حرف امتناع لوجود ، نحو قولك لولا زيدٌ لأكرمتك ، أي امتنع الإكرام لوجود زيدٌ ، فجوابها تثبت فيه اللام نحو قول الله-تعالى- : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم" [النور/14] ، وقد تُحذف منه اللام لضرورة وذلك في الشعر أو في قليل من الكلام وذلك مختلف فيه ، وقد يكون جوابها منفيًّا نحو قوله -تعالى- : "... ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدًا.." [النور/21] ، ويجوز حذف جوابها لدليل نحو قوله -تعالى- : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنَّ الله رءوف رحيم " [النور/20] ، أي لولا فضل الله عليكم ورحمته لآخذكم بما فعلتم[3] ، والصحيح أن اللام لا تقع في جوابها إلّا إذا جاءت بعد قسمٍ ظاهرٍ أو مقدر ، فالجواب للقسم وليس للولا ، وإذا لم نجد في الجملة قسمًا ظاهرًا أو مقدرًا فلا نجد أيضًا اللام ، مما يؤكد أن اللام آتية لجواب القسم وليس ل(لولا) ، وقد دخلت اللام في جواب القسم مبالغة في التأكيد ، إذ القسم توكيدٌ للمقسم عليه. [4]

---

[1] انظر: معجم العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي [-170هـ] ، تحقيق د.مهدي المخزومي ، و د.فاضل السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت- لبنان ، ط1 ، د.ت ، 8/350-351.

[2] انظر: مغني اللبيب ، 1/303-305.

[3] انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي [-911هـ] ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوقيفية ، مصر ، د.ط ، د.ت ، 2/575.

[4] انظر : رصف المباني ، ص: 316 .

وهي مختصة بالأسماء ، وخبرها محذوف وجوبًا عند جمهور النحاة ، وتدخل على جملتين إحداهما اسمية (مبتدأ+ خبر)، والأخرى فعلية (فعل+ فاعل) فتعلق الأولى بالثانية مثلما يربط حرف الشرط بين الجملتين.[1]

وإذا كانت حرف امتناع لوجوب فُسِّرت حسب الجملة الآتية بعدها ، فإن كانت الجملتين منفيّتين فهي حرف وجوب لامتناع ، نحو قولك : لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك ، وإن كانتا موجبتين تكون حرف امتناع لوجوب ، نحو : لولا زيدٌ لأحسنت إليك ، فقد امتنع الإحسان لوجود زيد ، وإن كانتا منفية وموجبة ، تكون حرف امتناع لامتناع ، نحو قولك : لولا عدم قيام زيدٍ لأحسنت إليك ، وإن كانتا موجبة ومنفية ، تكون حرف وجوب لوجوب ، كلولا زيدٌ لم أحسن إليك ، وأمّا الاسم الآتي بعدها إمّا أن يكون ظاهرًا أو مقدّرًا ، فإن كان ظاهرًا أو مقدرًا ، ارتفع بالابتداء عند البصريين ، نحو قولك : لولا زيدٌ لم أحسن إليك ، و قوله –تعالى– : " ....لولا أنتم لكنا مؤمنين" [سبأ/31] ، فزيدٌ وأنتم مرفوعان على الابتداء وخبرهما محذوف عندهم لازم لنيابة جواب لولا عنه ، و تقديره موجود ، وقد اتفق الفريقان الكوفيون والبصريون على أنَّ لولا السالفة الذكر مركبة من لو (حرف امتناع لامتناع) ولا (التي هي للنفي) وهما باقيان على بابيّهما الموضوعان له قبل تركيبهما.[2]

وكان الاستخدام الأول للعميدي لأسلوب الشرط ب(لولا) هو تأكيد المبالغة و التهويل ، لتضمنها وجوبًا مقترنًا بوجوب ، وهو قد يستعملها في المغالاة في المدح والتملق لمُراسِله كما جاء في رسالته إلى القاضي محمد الموسوي متمثّلًا حديثًا دار بين قلبه ورجله يقول فيه : " فقلبي يقول للرِّجل : لولا مسيرك عن مستقر الفضل بدار العز الأصيل ، وانتقالك عن ظله الظليل ، لم أتقلب على لهبٍ من الشوق لا يخبو ضرامه ، ولم أصبح غَرَضًا لنزاعٍ لا تستوي سهامه ، ولم أنطو على أسفٍ يؤثر بعضه في الحجر الصلد ، ولم أنفرد عن جنابٍ دونه جنّة الخلد ، وهي تقول له : لولا كثرة مَلالِك وضجرك ، وإزماعك على سفرك ، وفرط قلقك إذا كنت بأرضٍ ثاويًا ، وسعيك فيما لا يخلّيك عن الشغل خاليًا ، لما وطأتُ إلّا بساط الجلالة ليلًا ونهارًا ، ولما

---

[1] انظر: دراسات لأسلوب القرآن القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عظيمة [–1404هـ] ، دار الحديث ، القاهرة–مصر ، د.ط ، د.ت ، 683/2 –685.

[2] انظر : رصف المباني ، ص:362–363 ، وانظر الخلاف حول لولا هل هي حرف ابتداء أم حرف جر كما ذهب سيبويه وغيره انظر : رصف المباني ، ص:364–365 ، والجنى الداني في حروف المعاني ، لأبي محمد حسن بن قاسم بن علي المرادي [–749هـ] ، تحقيق د.فخر الدين قباوة ، و أ.محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1992م ، ص: 599–605.

نقلتُ خطاي منه رواحًا وابتكارًا ، ولكُفيتُ بقعودي مؤونة الطلب ، ولما ساقني إدمان السير إلى التعب ، وأنا ساعٍ بينهما بالمسالمة ، ومانعٌ من تي المخاصمة.." [1] فتوبيخ القلب للرِّجل عن مغادرة رئيسه فيه تملق له واعتذار ، وقد استخدم أسلوب الشرط بحرف لولا بما فيها من وجوب لوجوب ، مبالغةً في التحسر والتملق، أي لولا وجوب سفري وغربتي عن سيدي ورئيسي لما وجب شقائي وعنتي و ولوع شوقي وتَواصل أحزاني .

وقد يستخدمها في الاعتذار الذي باطنه الذم ، كأن يعتذر عن سب من يهجوه لرفعته هو عن منزلته يقول في رسالة إلى متولي ديوان الخاص معرضًا برجلٍ يهودي يُدعى ابن وهب : " والله لولا تصوني وترفعي عن مقابلة ذا الكلب بما يستحقه لجرّعته من الموت كأسًا لم يَرج بعدها نشورًا ، ولصفعته صفعةً يهوي بها في نار جهنم " يصلاها مذمومًا مدحورًا" [الإسراء/18] " [2] ، فلوجوب تصونه وترفعه امتنع عن النزول إلى مستوى من يهجوه بالسب والشتم.

وقد يستخدمها للدلالة على المفارقة التي لا تخلو غالبًا من السخرية من المُخاطب ، يقول ردًا عن رسالةٍ أرسلت إليه بغِية الإيقاع بينه وبين صديقٍ له : " ..ورأيتها تجمع جامع سفيان ، وتشبه مخلّط خراسان ، وتحكي مقطّعات الصَّيارِفة فيها من كل ضربٍ قطعة ، ومُرقّعات الصوفية فيها من كل لونٍ رقعة ، كأنها اختصرت من كتاب خراب الدولة لولا خلّوها من مضحكات النوادر ، أو حُلت من أشعار أبي الرَّقعمق لولا اشتمالها على الحكايات الفواتر النوافر ، هذيان محموم ، وعقلٌ مُبرسَم ، وكلامٌ مكلوم ، وحكمة حالم..." [3] فهو يوظف دلالتها على الامتناع لوجوب في المبالغة في السخرية والذم ، و المعنى أنّه امتنع كون الرسالة مضاهية لكتاب خراب الدولة لتوجُّب خلوها من مضحكات النوار ، كما امتنع الظن بأنها حلت من أشعار أبي الرقعمق لتوجُّب اشتمالها على الحكايات الفواتر النوافر ، وفيها مبالغة في الذم والسخرية من مُراسله ، و كأن مُراسله يظن في أول

[1] رسائل العميدي ، ص: 29-30.

[2] السابق ، ص: 368 ، وانظر ، ص: 151.

[3] السابق ، ص: 380.

الخطاب أنه يمدحه فيجد نفسه أمام سخرية مبالغ فيها ، وهو أسلوب قوي في التهكم والسخرية له آلياته وطرقه التي تمكن العميدي من التقاطها وتطبيقها في رسائل الهجاء والذم.[1]

[1] وللمزيد من الشواهد حول استخدام العميدي أسلوب الشرط بلولا للمبالغة ، انظر رسائل العميدي ، ص: 43 ، 45 ، 122 ، 155 ، 246 ، 269 ، 306 ، 340 ، 353 ، 386.

3-2-2- الحال:

كان للحال ظهور قوي في رسائل العميدي وذلك لميله للوصف ، كما كان ذلك شاعًا في هذا العصر كما ذكرت من قبل ، والحال لغةً : تحوّل عن الشيء: أي زال عن الشيء إلى غيره ، وحَال الرجل يَحُول : مثل تَحَول الرجل من موضعٍ لآخر ، وحال الشيء يَحُول حوْلًا يكون بمعنيين : التغيّر والتّحول، والحال له عدة معانٍ مثل الحُلِي والتراب والمَذهَب والعَجَلة والساعة وحال الإنسان [1] ، والحال اصطلاحًا : هو الذي يبين هيئة فاعل الجملة أو المفعول به لفظًا أو معنًى ، نحو : (زيدٌ في الدار قائمًا) ، (ضربت زيدًا قائمًا) ، (وهذا زيدٌ قائمًا) ، ويكون عاملها الفعل أو شبهه أو مافي معناه ،وأمّا شرطها فهو أن تكون نكرة ، ويكون صاحبها معرفةً على النحو الغالب ، فإن جاء صاحبها معرفة فقد وجب تقديمه عليها ، وكل ما دل على هيئة يجوز أن يقع حالًا مثل قولك : (هذا بسر أطيب منه رطبًا) ، ويكون الحال جملة خبرية ، فالاسمية بالواو ، أو الواو والضمير ، أو بالضمير على ضعفٍ[2] ، وقال ابن هشام : الحال وصف فضلة مسوق به لبيان هيئة صاحبه ، أو تأكيدها ، أو تأكيد عامله ، أو تأكيد مضمون الجملة التي قبله ، نحو : "لآمن من في الأرض كلهم جميعًا"[يونس/99] ، " وأرسلناك للناس رسولًا" [النساء/79] ، " فتبسّم ضاحكًا" [النمل/19] ، وقول الشاعر : أنا ابن دارة معروفٌ بها نسبي ، ويأتي من الفاعل والمفعول به وربما يأتي منهما مطلقًا ، وشرطها أن تكون نكرة مشتقة منتقلة ، وأن يكون صاحبها مُعرّفًا عامًا ، أو خاصًا ، والحال يُذَكر ويُؤنث وهو الأفصح ، يقال حال حسنة وحال حسن ، وقولنا وصف جنس يضمن تحته الخبر والصفة والحال وقولنا فضلة ، إخراج للخبر نحو قولك : زيدٌ قائمٌ ، وقولنا مسوقٌ به لبيان هيئة صاحبه مخرجٌ للنعت الفضلة في نحو قولك : مررت برجلٍ طويلٍ ، ورأيت رجلًا طويلًا ، فهو و إن كان وصفًا فضلة ، فإنما سيق به لبيان جنس المتعجب منه وليس لبيان هيئته ، الذي جاء ضمنًا ، وقولنا (أو تأكيدها إلى آخره) أتممت به ذكر أنواع الحال[3] ، قال السيوطي : الحال فضلة دالة على هيئة صاحبها ، ونصبه نصب الظرف أو المفعول به أو المشبه به أقوال لأهل العلم ،

---

[1] انظر: لسان العرب ، مادة (حَوَل) ، 11/184-196.

[2] انظر : الكافية في علم النحو، لجمال الدين عثمان بن عمر ، المعروف بابن الحاجب [-646هـ] ، تحقيق د.صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب، القاهرة -مصر ، ط1 ، 2010م ، ص:24.

[3] انظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المعروف بابن هشام [-761هـ] ، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا ، د.ط ، د.ت ، ص:316-318.

ويغلب اشتقاقها إلا إذا كانت حالًا مؤكدة ، وقيل يشترط انتقال غيرها واشتقاقها مع لزومها ، ويغني تقدير مضافٍ قبله أو وصفه أو دلالته على سعر أو مفاعلة نحو قولك : كلمته فاه إلى فيَّ[1]، فشبه الحال بالمفعول به كونه فضلة مثله يجيء بعد مضي الجملة ، وأمَّا شبهه بالظرف فلكونه مفعولًا فيه و الحال يأتي مُبَيِنًا لهيئة الفاعل أو المفعول به نحو قولك : ضربت زيدًا قائما ، فيكون الحال من أيهما شئت [2] .

و للحال أربعة شروط : أولهم :أن يكون منتقلًا ، هذا على النحو الغالب لا اللازم نحو قولك : جاء زيدٌ ضاحكًا ، وثانيهم: أن يكون مشتقًا وهذا أيضًا غالب لا لازم ، وثالثهم: أن يكون نكرة وهو لازم ، فإن جاء معرفةً أوّل بنكرة نحو قولك: جاء وحده ، أي جاء منفردًا ، ورابعهم : أن يكون نفس صاحبها في المعنى ، ولهذا جاز قولك : جاء زيدٌ ضاحكًا ، ولم يَجُز قولك : جاء زيدٌ ضحكًا ، وقد تأتي المصادر أحوالا وذلك بكثرة في النكرات نحو قولك " طلع بغتة" ، وبقلة في المعارف نحو قولك : " جاء وحده " وهذا على التأويل بالوصف[3].

وللحال أربعة أنواع : أولهم المبينة للهيئة وهي التي لا يُستنتج معناها بدون ذكرها ، وثانيهم المؤكدة للعامل ، و هي التي إذا لم تذكر يؤدي العامل معناه ، وثالثهم المؤكدة لصاحبها ، ويستفاد معناها من صريح لفظ صاحب الحال ، ورابعهم المؤكدة لمضمون الجملة ، وتأتي بعد جملة اسمية لمعرفتين أو جامدين وتدل على وصف ثابت نفهمه من تلك الجملة [4]، وليس لازمًا أن يكون الحال فضلة بل قد يكون بمنزلة العمدة ؛ لإنه يتمم معنى الجملة أو أن يكون في حذفه فساد لمعناها كالحال التي سدت مسد الخبر ، والشاهد على أولهما : " وإذا بطشتم بطشتم جبارين" [الشعراء/130] ، والشاهد على ثانيهما قولهم مثلا: الميت ليس من فارق الحياة ، بل الذي يحيا خاملًا ، فلو حُذف الحال (خاملًا) لصار معنى الجملتين متناقضًا.[5]

---

[1] انظر: همع الهوامع ، 293/2.

[2] انظر : المفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمرو ،المعروف بالزمخشري[-538هـ] ، تحقيق علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1993م ، ص: 89.

[3] انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المعروف بابن هشام [-761هـ] ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت–لبنان ، د.ط ، د.ت ، 250/2-258.

[4] انظر: شرح شذور الذهب ، ص:318.

[5] انظر: النحو الوافي ، 363/2-365.

ونخلص من ذلك إلى أنّ الحال: إمّا مبينة لحال صاحبها وقت وقوع الحدث وهي المؤسسة ، وإمَّا مؤكدة ، وسميت مؤسسة ؛لأنها تؤسس معنًى جديدًا غير موجود في عاملها ، مثل قولك : رجع خالدٌ خائبًا ، أمَّا المؤكدة فيستفاد معناها ممَّا قبلها نحو : " ثم وليتم مدبرين" [التوبة/25] ، فالإدبار مستفاد من قول وليتم ،ويمتاز الحال بأنه وصف لحظي بخلاف النعت الذي هو وصف دائم فعند قولك جاء : أقبل الطالب سابقًا ، يفهم أن قد سبق الطلاب في هذه اللحظة فقط ، أمَّا عند قولك : أقبل الطالب السابق ، دل على أنها صفة دائمة فيه وهذا هو الفرق بين الحال والنعت[1] ، فالحال يكون وصفًا لهيئة الفاعل أو المفعول به أو صفته وقت حدوث الفعل ويلزم أن تكون صفة متصفة غير ملازمة لصاحبها ، فلا يجوز أن يكون الوصف خِلقَة نحو قولك : جائني زيدٌ طويلا ، فإن قلت متطاولًا جاز ذلك ؛ لأنه شيء يفعله لا خِلقة[2] ،ونحو هذا في الخبر أيضًا فإذا قلت : عليٌ في الدار مقرئًا ، تدل على أن علي يقوم بالإقراء وقت الإخبار بخلاف لو قلنا : عليٌ في الدار مقرئ فإنها تفيد في العموم أنَّ علي مقرئ في الدار ، و لا يشترط أنه يقرئ الناس الآن في الدار[3].

ولميل العميدي الواضح للوصف وحرصه على دقته وتفننه في إخراج الصور الفنية المتحركة أكثرَ بصورة ملحوظة من استخدام الحال بحيث لا تكاد تخلو صفحة من توظيفه للحال فيها مرة واحدة على الأقل ، من ذلك ما جاء في استفتاح رسالته في ذم أهل الزمان مُعرّضًا بكاتب يُدعى ابن بنان حيث رسم صورة متحركة تصور نكثه للعهد و تنكره له يقول : " ...ما أكثر تلون إخواننا في هذا الزمان، وما أعجب أمر أصحابنا الذين ترى أولَ مودتهم وعشرتهم تشرح الصدور خطرًا ونفاسة ، و آخرها تنقض الطهارة قذرًا ونجاسة ، وظاهر محبتهم يُصفي النواظر والخواطر ، وباطنها يُعمي الأبصار والبصائر ، بينما ترى الواحد منهم وهو في صغارٍ وذلة ، وإعسارٍ وقلة ، وإدبارٍ وعطلة ، واستتار وعُزلة ، قد ألف الإفلاس مستترًا بطِمرَيْه ، وأبرم الناس ضاربًا بإبطيه ، لا يملك عشاء ليله ولا يرقع جيبه إلا من ذيله ولا يواريه شيء من لباسه ، ولا يؤويه إلا بيتٌ أفرغ من رأسه ، ولا يؤاكله صاحبٌ غير أضراسه ، ولا ينادمه أحدٌ سوى وسواسه ، ولا يحل ببلدٍ إلّا يُجدب مرعاه ، ولا يلتقي بأحدٍ إلّا يضجر بشكواه...." [4] فهذا التكثيف القوي للحال يرسم هذه الصورة البائسة لهذا الكاتب المُحدِث النعمة

---

[1] انظر: معاني النحو ، 277/2.

[2] انظر: الأصول في النحو ، 213/1-214.

[3] انظر : السابق ص:279.

[4] رسائل العميدي ، ص: 174-175.

، حتى إن كل قاريء وسامع لكلمات العميدي ليأنف من هذا الكاتب المتلون المتغير على أصحابه بعدما كان الفقر يحيط به من كل جانب ، والحال في الصورة السابقة ممتد لأكثر من صفحتين في الرسالة السابقة ، مبالغة في دقة الوصف و إمعانًا في السخرية من هذا الكاتب وذمه .

ونلاحظ في رسالته الديوانية في وعيد حسان بن جراح تكثيف للحال في تصويره لتجمع حسان مع من حوله من أصحابه وعزمهم على النيل من الدولة الفاطمية يقول : " فما عدت إليها حتى عاد جِذع شرَّك قادحًا ، وسانح خطبك بارحًا ، ووجه أثرك كالحًا ، وسعد نجمك ذابحًا ، وانثال عليك كلّ من يسعى في الأرض بفساد ، ويقدح في الفتنة بزناد ، ويخوض في غمرات الباطل طالعًا مع أمواجه ، ويعدل عن منهج الحق راجعًا على أدراجه ، فغروك وتابعوك..." [1] فهو يقنن الحال في رسم صورة نابضة حيث الشر ينقدح و حظ حسان ومن معه يهوي من السماء ، وهم عازمون على إقامة الباطل والعدول عن طريق الحق.

وفي رسالته إلى عميد الدولة الحسن بن صالح يوظف الحال لتحقيق الوصف رغبة في زيادة التملق يقول : " ...ولا مقصد لي إلا جليل حضرته التي هي شريعة تَرِدها وفود الفضل بآمال ، ويُصدرون عنها بأموال ، وتغشاها جنود الإقبال ، فتحظى منها بالجمال والجلال ، ولا غرض إلا التبرك بمشاهدته ، والتشرف بطلعته ، ومعي كفيل المُلك أبو البركات ، وكنّا نقطع المسافة بمحاسن أوصافه ، ونطوي الطريق بنشر مناقب أسلافه.."[2] فالناس يأتون إلى حضرة عميد الدولة آمالين في كرمه وجوده وينصرفون عنه مُحمّلين بكرمه وسخائه ، وهو يقطع المسافة ناشرًا محاسن سيده ، ويطوي الطريق مذيعًا مناقب آباء ممدوحِه ، وهو يستخدم الحال في كل ذلك للبلوغ بالوصف إلى غايته ، تحقيقًا للمدح والتملق.[3]

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 274.

[2] السابق ، ص: 339.

[3] للمزيد حول شواهد تركيز العميدي على تكثيف استخدام الحال في رسائله لإعطاء الوصف حده ، انظر السابق ، ص: 13 ، 14 ، 32 ، 33 ، 36، 41 ، 121 ، 122، 134 ، 137 ، 144 ، 148 ، 154 ، 155 ، 157 ، 158 ، 170 ، 178، 183 ، 196 ، 197 ، 208 ، 211 ، 213 ، 220 ، 222، ، 232 ، 234، 249 ، 254 ، 256 ، 262 ، 271، 273 ، 276 ، 277 ، 286 ، 284 ، 287، 298 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 308، 309، 311 ، 316 ، 318 ، 319 ، 331 ، 334 ، 336 ، 340 ، 342 ، 425 ، 430.

4-2-2- تعدد الوصف:

ومن الظواهر التركيبية النحوية في رسائل العميدي ، تعدد الوصف من حالٍ ونعتٍ وخبرٍ في رسائل العميدي ، وهي سمة أسلوبية ظاهرة في رسائله وذلك لميله التام إلى التزام السجع في رسائله وخاصة السجع المتوازي، بالإضافة إلى التكرار التركيبي فكان يركز على المبالغة في الوصف و على تكثيف الإيقاع في رسائله حتى يستطيع التأثير في المتلقي .

1-4-2-2- تعدد الخبر :

الخبر –كما نعلم– هو الحكم على المبتدأ أو هو الذي يستغني به المبتدأ فيتمم معنى الكلام ويكتسب الرفع من المبتدأ الوصف العاري عن جميع العوامل اللفظية غير الزائدة[1] ، وقد يتعدد الخبر لمبتدأ واحدٍ فيأتي خبران أو ثلاثة أو أكثر كما في قوله –تعالى–: " وهو الغفور الودود*ذو العرش المجيد*فعالٌ لما يُريد" [البروج/14-16] ، وقولك : الرمان حلو حامض ، وقد تدخل الواو العاطفة بين هذه الأخبار المتعددة ولها مع الأخبار أحوال ، فقد يلزم دخولها بين الأخبار المتعددة لتعدد المخبر عنهم بأن يقول أحدٌ ما : بَنُوكَ كاتب وفقيه وصائغ ، وقد يمتنع دخولها بين الأخبار المتعددة ؛ لأن الخبر يتم معناه بمجموع الكلمتين ، مثلا عند قولك : الرمان حلو حامض ، أي بمعنى مِز ، ويجيز بعض النحاة دخولها بينهما ، ويجوز دخول الواو العاطفة أيضًا إذا كانت الأخبار المتعددة متعددة في اللفظ والمعنى ، مثل كقولك : زيدٌ شجاعٌ كريمٌ ، و زيدٌ شجاعٌ وكريمٌ.[2]

ومن شواهد تعدد الخبر لإحكام الوصف وتحقيق الإيقاع ما جاء في استفتاح رسالته إلى صديق له في السوق يقول : " كتابي–أطال الله لسيدي بقاءه– بتاريخ يوم السبت غرة شهر رمضان ، لا زال مُعرَّفًا صنع الله في مستهل كل شهرٍ ومستقبله ، منتهيًا إلى أقصى أمله ، مستوفيًا أوفر الحظوظ من جدله ، آمنًا من الدهر ووجله ، سالمًا من صروفه وعلله ، وادعًا في أمره وعمله... "[3] ، فقد عدد خبر (لا زال) حتى وصلت إلى ستة أخبار وهو يكثف توظيف تعدد الأخبار للتركيز على النقطة التي يريدها من الدعاء لمراسله بأن تشمله

---

[1] انظر : معاني النحو ، 149/1.

[2] انظر: السابق ، 203/1.

[3] رسائل العميدي ، ص: 45.

العناية الإلهية من كل جانب ، وهو يرسم لوحة فنية بديعة من الدعاء الشامل لمخاطبه بأن تستقيم كل أحواله معتمدًا على ما يضفيه الخبر من وصف وحكم ، يضفي على المعنى التحقق والثبوت بأن الله قد استجاب الدعاء.

وهو يستخدمه لتكثيف الوصف بغرض الإطراء والثناء والتملق مثلما جاء في رسالته إلى صديق له يبشره بإطلاق جاريه بعد حبسه عنه مدة من الزمن وقد تضمنت الرسالة ثناء على الوزير الذي أصدر الأمر بإطلاق جاريه يقول : " وقد تفضل الآن لا زال متفضلًا ، وللأحرار معقلًا وموئلًا ، بعرض رقعتي بالحضرة ، والتلطف في خروج الأمر العالي بإطلاق جاريّ الذي كان منذ سنين معتقلًا محبوسًا ، وإقامته عَقِب ما كان مركوسًا منكوسًا ، وتوفيتي أوفر الحظ من إنعامه بعد ما كان منحوسًا ، وإحياء أملي في كرمه عقب ما كان بأنياب النوائب مضروسًا..." [1] ونلاحظ التكثيف للجمل الخبرية الاسمية التي تفيد التحق والثبوت إلى جانب تعدد الخبر الملاحظ فالجاري لم يكن معتقلًا فقط إنما كان معتقلًا محبوسًا ، ولم يقام إلا بعد أنّ كان مركوسًا منكوسًا وهذا التعدد يضفي قوة في وصف هذه الحالة الصعبة التي آلت إليها أحوال العميدي في هذا الوقت ، كما يفيد الحفاظ على إيقاع السجع المتوازي ، ويشير من جانب خفي إلى تركيبة شخصية العميدي العاطفية المزاج والتي تحثه على تكثيف الوصف و الإطالة في الكلام للتعبير عن مكنونات النفس ، وهذه الأمور كلها تصب في جانب التملق بالممدوح الذي تدخل وكان سببًا في إزالة هذه المعاناة.

وفي رسالته إلى صديق له يُعرّض بأحد الكتاب يقول فيها : " وأمّا المتأخرون من المتكاتبين فغرضهم فيما ينشئونه من الكتب أن تكون ألفاظهم هائلة ، وإن كانت معانيها فائلةً مائلةً ، وقوالبها رائعةً ، وإن صارت مراكبها ضالعةً صالعةً ، وفصولها مصقولةً مُطرّاة ، وإن كانت أصولها معدولةً عن الصّواب معرّاة." [2] ، فهو يوظف تعدد خبر كان إمعانًا في تدقيق الوصف ، بالإضافة إلى توظيف المقابلة والتي تساعد مع دقة الوصف في إحكام السخرية والتهكم بهذا الكاتب الشادي ، فألفاظ هذا الكاتب هائلة ، أمّا إذا نظرنا إلى معانيها لا نجدها

---

[1] السابق ، ص: 215.

[2] السابق ، ص: 401.

فائلة فحسب وإنما مائلة أيضًا ، وكذلك الحال بالنسبة لقوالبها وفصولها إمعانًا في السخرية و تدقيقًا للوصف و محافظة على الإيقاع الموسيقي للسجع المتوازي.[1]

2-4-2-2- تعدد النعت :

أمَّا النعت فهو تابع مكمل لمتبوعه ببيان صفة من صفاته نحو قولك : مررت برجلٍ كريم ، أو وصف ما تعلق به متبوعه ، فيما يعرف بالنعت السببي نحو قوله –تعالى– : " الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذا القرية الظالم أهلها " [النساء/75] ، ويأتي النعت لعدة معانٍ منها : الثناء والمدح ، وهذا مع كون الممدوح معلومًا لدى المخاطب لا يحتاج لتوضيح مثل : "سبح اسم ربك الأعلى" [الأعلى/1] ، وقد يكون للذم والتحقير مع كون الممذوم معلومًا أيضًا لدى المخاطب لا يحتاج إلى مزيد توضيح مثل قولنا : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فالشيطان مكروه ومذموم لبني آدم ووصفه بالرجيم إمعانًا في ذمه وتحقيره ، وقد يكون للتأكيد ، نحو قوله – تعالى– : "فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة "[الحاقة/13] ، فواحدة مفهومة من لفظ نفخة وإنما هي للتأكيد ، وقد يأتي النعت للتعميم نحو قولك : إن الله يرزق عباده العاصين والطائعين[2].

وقد يتعدد النعت لمنعوت واحد وهنا قد تدخل الواو العاطفة بين نعوته أو يمتنع دخولها أحوال ، فإن كان المعنى لا يتحقق إلا بالنعتين معًا امتنع دخول الواو العاطفة ، كما في قولك : الفصول أربعة : فأطيبها فصل الربيع الحار البادر ، تقصد أنّه معتدل ولو قلت الحار والبارد لفسد المعنى ؛ لأن المراد هو الاعتدال الذي يأتي من الاشتراك في الصفتين معًا ، ، وقد يجوز دخول الواو في نحو قولك : لا شيء أقبح من رؤية عالمٍ مغرورٍ مختالٍ بعلمه ، فيمكن قولك : لا شيء أقبح من رؤية عالمٍ مغرورٍ ومختالٍ ؛ لتعدد الوصف في اللفظ والمعنى، ، وقد يتعدد النعت والمنعوت معًا بغير تفرقة أو اسم إشارة فهنا إن كانت النعوت متفقة لفظًا ومعنًى وجب عدم

---

[1] وللمزيد حول شواهد تعدد الخبر عند العميدي واستخدمه هذا الأسلوب لإحكام الوصف والإيقاع انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ، 24 ، 30، 155 ، 168 ، 203 ، 222 ، 232، 234 ، 254 ، 267 ، 268 ، 275 ، 279 ، 297 ، 299 ، 305 ، 308 ، 310 ، 312 ، 319، 321 ، 326 ، 336، 344 ، 351 ، 352، 355 ، 357 ، 358 ، 361، 368 ، 378 ، 387 ، 400 ، 403 ، 407 ، 416 ، 417 ، 418 ، 426 ، 429، 431.

[2] انظر: معاني النحو ، 3/181–183.

دخول الواو العاطفة بينهم مثل قولك : أعجبني الهرمان القديمان ، و يجوز دخول الواو عند اختلاف النعوت في لفظها ومعناها أو في لفظها دون معناها أو في معناها دون لفظها ، فشاهد الأول قول الشاعر:

بكيت وما بكا رجلٍ حزينٍ.....على رُبعين مسلوبٍ وبالٍ.[الوافر]

و شاهد الثاني قولك : قاومت طوائف : باغية وظالمة ومعتدية ، وشاهد الثالث نحو قولك: نصحت رَجُلين : هَاويًا وهَاويا ، أي أحدهما يسقط والثاني غارق في حبه[1] ، قال ابن مالك:

ونــــعـــتُ غــير واحــدٍ إذا اخـــــتلــف..............فعــاطــفًا فــــــرّقِـــه لا إذا ائــتــــلـــف[2].

ومن شواهد تعدد الوصف عند العميدي متمثلًا في النعت ما جاء في وعيده صالح بن مرادس وجماعته ، وتخويفه من بطش جنود الدولة الفاطمية يقول : " بينما ترى العُصبة العادية ، والكلاب الغاوية ، والفئة الباغية ، والطائفة الممتدّة في الضلالة المتمادية ، أولياءَ الدولة وعبيدها ، وأبناء الدعوة و جنودها منقضين عليك وعلى من انضم إليك ، وترى الرايات القاهرة المنشورة خافقة ، والألوية المنصورة الناصرة بالظّفر ناطقة ، حتى يخفق قلبك ، وينتحب روعك..." [3] ونلاحظ تعدد الوصف وإن تخلل بعضه العطف فصالح بن مرداس وجماعته في نظر العميدي ليسوا عصبة عادية فحسب بل هم كلاب غاوية وفئة باغية وطائفة ممتدة في الضلال ، ونلاحظ تعدد النعت في قوله الطائفة الممتدة في الضلالة المتمادية ، وقوله عن رايات جنود الفاطميين وترى الرايات القاهرة ثم عدد النعت بقوله المنشورة ، وكذلك فعل عند قوله المنصورة الناصرة ، وفيها تأكيد انتصار جنود الدولة الفاطمية إذا جاء اللقاء، وفيها تركيز على وصف قوة بطش جيش الفاطميين لبث الرعب في جيش صالح ومن معه.

وفي تعليقه على ما أحدثه حسّان بن جراح ومن معه بالرملة لمّا نهب ضياعها وخالف الدولة يقول : "...أم هل يسوغ لمسلمٍ يبلغه هذا الخبر الشنيع ، والنبأ الفظيع ، أن لا يجفو عن مضجعه جنبُه ، ولا يرِقّ لمحنتهم قلبُه ؟ كلا ، من دون هذه المصيبة الفادحة في الإسلام ، الفاضحة للأحكام ، الطاردة للأحلام ، الجالبة للآثام

---

[1] انظر: النحو الوافي ، 3/481-482.

[2] ألفية ابن مالك ، ص: 118.

[3] رسائل العميدي ، ص: 297-298.

، المُزِلّة للأقدام ، الباقية على الأيام ، ما يُذهل الألباب ، ويقطع الأسباب ، ويُشيب رءوس الولدان.." [1] ، فهو يوظف تعدد النعت لإخراج هذه الصورة النابضة بالحياة المصورة لما أحدثه حسان ومن معه بالرملة أيَّما تصوير ، فهي مصيبة فادحة للإسلام ، ليس ذلك فحسب بل طاردة للأحلام كذلك وجالبة للآثام ومزلة للأقدام وباقية على الأيام ، فعدد النعت حتى وصل إلى ستة نعوت ، يوظفها كلها في إخراج هذه اللوحة الفنية معتمدًا على دلالة النعت على الصفات الدائمة لا المؤقتة ، فيكون المعنى بذلك أنّ ما فعلتموه وأقدمتم عليهم قد جلب لكم الفضحية والمعرة الدائمة القائمة الباقية أبد الدهر ، وهذا يُلزم الخصم وضعه في مواضع الاعتذار والخجل مما جنت يداه في أبناء دينه وعشيرته ، وتعطي لأمير المؤمنين الحجة البالغة عليهم ، والمبرر لإقدامه على تأديبهم وقتالهم.

كما نراه قد وظف تعدد الوصف في الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى آل بيته وذريته – رضوان الله عليهم أجمعين– فهو يدعو في استفتاح رسالته الستين –وهي رسالة فتح الشام وقتل صالح بن مرادس– بقوله " فَصَلّى الله عليه صلاةً دائمةً قائمةً ناميةً ساميةً لا انتهاء لمَددِها ، ولا انقضاء لمُددِها ، وسلَّم عليه وعلى من هو من نبعته والسابق إلى بيعته ...علي بن أبي طالب وعلى سلالته العِترةِ الطاهرةِ ، وثمرة الشجرة الناضرة ذريته ، الأئمة الأخيار ، الطاهرين الأبرار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ، أهل البيت ، وطهرهم تطهيرًا" [2] والرسالة رسالة فتحٍ وهو لم يُصلِّ على النبي–صلى الله عليه وسلم– وآله ، في أي رسالة قبل هذا بمثل هذه الصيغة الطويلة المتعددة الأوصاف والنعوت ، ولعل هذا مرجعه إلى الفرح الشديد بنصر الدولة الفاطمية على أعدائها وحبه الشديد للنبي –صلى الله عليه وسلم– مما دفعه لتعديد الوصف في نوعية الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– فهي ليست صلاة دائمة قائمة فحسب بل هي في زيادة ونماء مع الديمومة ، وهي مع ديمومتها لا انتهاء لمدتها ولا انقضاء لما تُمد به المسلمين من العون والنجاح والتوفيق ، وهؤلاء الأبرار ذرية النبي– صلى الله عليه وسلم– ليسوا فقط أئمة أخيار بل هم مع ذلك طاهرون أبرار ، وهم

---

[1] السابق ، ص: 279–280.

[2] السابق ، ص: 309.

مُذهبٌ عنهم– بأمر الله– الرجس ، ومُطهرون تطهيرًا ، فهذا التكثيف للنعت يضفي قوة في المدح والثناء و التقرب إلى الله –تعالى–.[1]

3-4-2-2- تعدد الحال :

أمَّا الحال فلشبهه بالنعت والخبر جاز له أن يتعدد لمفرد أو لغيره ، فشاهد الأول قول الشاعر:

عليَّ إذا ما جئت ليلى بخيفةً...زيارة بيت الله رَجلَانَ حافيًا.[الطويل]

فإن كان لغير مفرد واتحد معناه لفظًا ومعنًى لزم تثنية الحال أو جمعه حسب صاحبه، نحو –قوله تعالى–: " وسخر لكم الشمس والقمر دائبين "[إبراهيم/33] ، والأصل دائبًا أو دائبةً [2]، فرارًا من التكرار ، بغض النظر إن كانت عوامله متحدة في لفظها ومعناها أم لا ، وإن تعدد الحال لواحد سميت الأحوال المتعددة بالمترادفة ، أي المتوالية ، بعضها وراء بعض ، أمَّا لو كانت الحال الثانية حالًا من الضمير المستتر في الأولى سميت بالأحوال المتداخلة ، وفي حالة الحال المتعددة لواحد فإنها تطابقه فيما يطابق الحال المفردة من العدد والتذكير والتأنيث ، تقول :هبط الطيّار مبتسمًا هادئًا ، وخرجت المضيفة مسرعة قاصدة غرفتها ، وهنا لا يجوز دخول الواو العاطفة بين الأحوال المتعددة في حالة كوننا أردنا إخراجها مخرج الحال لا العطف[3] ، وقد يجب تعدد الحال إذا وقع بعد أمَّا التفصيلية أو لا النافية نحو: "إنَّا هديناه السبيل إمَّا شاكرًا وإمَّا كفورًا " [الإنسان/3] ، ونحو يقفز الطيّار لا مترددًا ولا خائفًا ، أمَّا في غير ذلك فيكون تعدد الحال من باب الجواز لا الوجوب ، كما لا يجوز أن تتعارض الأحوال المتعددة فلا نقول : جاء القطار بطيئًا سريعًا ، ونحوه.[4]

---

[1] وللمزيد من الشواهد على توظيف العميدي لتعدد النعت في تكثيف الوصف ورسم لوحاته الفنية ، انظر السابق ، ص: 46 ، 59 ، 119 ، 120 ، 142 ، 163 ، 231 ، 233 ، 236 ، 249 ، 253 ، 281 ، 289 ، 302 ، 303 ، 318 ،333، 339 ، 340 ، 357، 358 ، 359 ، 361 ، 366 ، 367 ، 368 ، 374 ، 375 ،377، 380 ، 381 ، 405 ، 414 ، 417 ، 426 ، 429 ، 430.

[2] انظر: أوضح المسالك ، 2/277-278.

[3] انظر: النحو الوافي: 2/386-389.

[4] انظر السابق ، ص: 2/388-389.

ومن شواهد تعدد الحال في رسائل العميدي وتوظيفه له بما يضفيه من وصفٍ للهيئات الفاعلة حتى أضحت سمة أسلوبية للعميدي ما جاء في رسالته الإخوانية إلى صديقه ابن عبد الرزّاق يعرض بابن بنان الكاتب يقول : " لا تراه أبدًا إلا ثاني عطفه ، شامخًا بأنفه ، مُصعِّرًا لخدّه ، بالغًا في التبطرم أقصى حدّه ، ولا يراك إلا بحرفِ الجحود ، ولا ينشدك إلا :

ليس مدح الوفاء بالمحمود.

ولا يخاطبك إلا آنفًا من الخطاب ، ولا يعاتبك إلّا مستنكفًا من العتاب ، ولا يلقاك إلّا وهو متعجب من أنّ الزمان كيف تقاعد يومًا بحالته ، مع كمال آلته ، وكيف الدهر اجترأ على غمز قَناتِه ، مع وفور أداتِه..."[1]

فقد اعتمد على تعدد الحال وعلى أسلوب الاستثناء المفرّغ بما يضفيه من قصر وحصر وعلى الاقتباس من القرآن الكريم في تشكيل هذه الصورة المتكاملة لهذا الكاتب المتكبر المغرور فنجد الحال يردف الحال في أسلوب قصرٍ وحصرٍ ، إمعانًا في المبالغة في الهجاء والذم لهذا الكاتب حتى لكأنك تراه أمام عينك ، وهو ثاني عطفه ، ومصعر خده للناس[2] ، وشامخ بأنفه ، ومتبرطم إلى أقصى حد ، ومترفع عن الحديث مع الناس ، ومعاتب للدهر على إقصائه وقتًا ما في السابق مع كونه يرى نفسه مستحقًا لكل تقدمة ، فقد أتقن العميدي رسم صورته المغرورة الآنفة حتى صوره وهو يحرك رقبته و خده و أنفه وعينه للسماء تكبرًا ، كما صور لسانه المُعوج ، وحال نفسه الكارهة للناس والزمان لترفعه عنهما ، وقد أورد ثمانية أحوال في هذه الصورة فقط ، مما يدعم أن هذه سمة أسلوبية للعميدي في الوصف وفي رسم لوحاته الفنية.

وفي رسالته إلى حسان بن جراح يذكره بما فعله أيام الحاكم بأمر الله وكيف قُضِي على أمره قبل أن يعود فيكرر الكرّة أيام الظاهر لإعزاز دين الله ، يقول : " ..وطفقت تطير بخوافي الفزع بين سمع الأرض وبصرها ، غادرًا سادرًا ، وتستتر بحَجرِها ومَدَرِها حائرًا عائرًا ، وتعثر في أذيال الخجل غاديًا ورائحًا ، وتغوص في

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 179.

[2] والجملتان مقتبستان من القرآن من قوله –تعالى– في وصف المعرضين عن الإسلام : " ثاني عِطفه ليضل عن سبيل الله ...." [الحج/9] ، ومن قوله –سبحانه– على لسان لقمان ينصح ولده : " ولا تُصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا..."[لقمان/18].

أوحال الوَجَل سائحًا وطافحًا ، حتى أشفيت على المَخمَصة والمَسغَبة..." [1] ، فتعدد الحال (غادرًا سادرًا) و (حائرًا عائرًا) ساعد في تحقيق الوصف لتمكين المبالغة في الهجاء والتهكم بحالته التي آل إليها ، لتكون تذكرة له ترجعه عن غيّه وخروجه عن الطاعة مرة أخرى ، وقد وظفه أيضًا لتمكين السجع المتوازي مما يطرب الآذان ويخلب الأسماع ويخطف القلوب مما يعين على إذاعة كلامه بين الناس ، ثم استخدم العطف ليدل على اشتماله على الضياع والهلكة من كل جهة وناحية آتيًا هذه المرة بالسجع المُرصع.

وفي رسالته إلى الشريف أبي الحسن الزيدي يستزيره ، وظف تعدد الحال في استفتاح الرسالة في تملقه و المبالغة في مدحه من خلال رسم تلك الصور الفنية المتحركة يقول : فماذا عسى أن أقول في امرىءٍ إذا بالغت في اضطرابه لم أُبلِّغ عما يستحقه إلّا يسيرًا ، وإذا تناهيت في مدح آبائه رجعت على أدراجي بهيرًا حسيرًا [2]...أبقاه الله كيف يشاء وكما يختار لِيقَي الدين ببقائه معمورَ الجوانب ، وأحياه ليحيا الفضل بحياته منصورَ المواكب..."[3] فهو قاصر عن توفيته ما يليق به من المدح ، حتى إنه لو بلغ في مدح آبائه –رضوان الله عليهم أجمعين– لم يكن قد فعل شيئًا إلا كمن عاد أدراجه مغلوبًا حزينا ، ففي تعدد الحال (بهيرًا حسيرًا) مبالغة في الوصف لأجل الثناء والمدح ، وفيها تكثيف للسجع في آخر الجملة بتكرار نفس وزن القرينتين المسجوعتين.[4]

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 272.

[2] هي محلول قوله –تعالى– : " ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير " [الملك/4].

[3] رسائل العميدي ، ص: 364.

[4] وللمزيد من شواهد توظيف العميدي تعدد الحال من أجل المبالغة وإحكام الوصف ، انظر رسائل العميدي ، ص: 6 ، 46 ، 49–50 ، 62 ، 142 ، 153 ، 157 ، 165 ، 192 ، 202 ، 258 ، 262 ، 269 ، 293 ، 309 ، 312 ، 315 ، 344 ، 376 ، 378 ، 387 ، 405 ، 416 ، 418 ، 425 ، 427.

5-2-2-المفعول المطلق:

لقد أكثر العميدي في رسائله من استخدام المفعول المطلق ، وذلك بغية تأكيد كلامه ، إلى جانبه ميله العام للمبالغة والتهويل ، ولن يجد ما يعينه على تأكيد كلامه أكثر من المفعول المطلق الذي يختص في استخدمه بالقصر على المعنى الأصلي للفعل دون أدنى تطرق لأي معنًى مجازي له [1] ؛ مما يعطي قوة للكلام ويعين على تقبله وتصديقه.

قال ابن مالك –رحمه الله – في ألفيته:

"المصدر اسم ما سوى الزمان من....مدلولي الفعل كأمنٍ من أَمِن
بمثله أوفعلٍ أو وصف نُصبْ...وكونه أصلًا لهذين انتخب
توكيدًا أو نوعًا يبين أو عدد...كسرت سيرتين سير ذي رشد " [2]

و هو اسم يدل على معنى قائم بفاعل ، أو صادر عنه حقيقة أو مجازًا ، أو واقع على مفعول ، وقد يسمى حدثًا وحدثانا ، وهو أصل الفعل خلافًا للكوفيين ، وينصب بمثله أو شبهه أو بما قام مقامها ، فإن كان معناه مساويًا لعامله فهو المؤكد لعامله ، ولا يثنى ولا يجمع ، ويسمى مبهمًا ، وإن زاد على التأكيد بيان نوعه أو عدده ، سمي مختصًا أو مؤقتًا ، ولا يثنى آنذاك ولا يجمع [3] ، وقد سمي مفعولًا مطلقًا لأنه يقع عليه اسم المفعول بلا قيد وبلا حرف ، فعند قولك ضربت ضربًا ، يكون المفعول هو نفسه الشيء الذي فعلته وهو الضرب ،

---

[1] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر بن أحمد ، المعروف بالزمخشري[-538هـ] ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث ، القاهرة-مصر ، ط3 ،1987م ، 591/1 ، و الخلاف حول تفسير آية النساء رقم 163 ، حين لم يجد الزمخشري-المعتزلي- بُدًا من مخالفة مذهبه في نفي صفة الكلام على الله ، وذلك عند تفسيره قول الله -عزوجل- : "وكلم الله موسى تكليمًا " فاستخدام الآية المفعول المطلق أثبت أن الفعل يراد به المعنى الأصلي الحقيقي للفعل لا المجازي وهو أن الله -سبحانه- تكلم وذلك بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة وهو منهم ، من نفي صفة الكلام عن الله -عزوجل- ، وأهل السنة والجماعة يقولون أن الله -سبحانه- يتكلم بكيفية غير كيفية المخلوقين وهي كيفية لا نعلم طبيعتها.

[2] ألفية ابن مالك ، ص:70-71.

[3] انظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص:87.

ولذلك فهو المفعول حقيقة ، بخلاف لو قلت: ضربت زيدًا ، فإن ما فعلته بخلاف المفعول ، ولكنه وقع عليه فعل الفاعل ولذلك سُمي مفعولٌ به ، وكذلك في سائر المفاعيل[1] ، كالمفعول معه والمفعول فيه والمفعول له .

فهو المصدر –الفضلة– المنتصب إمَّا توكيدًا لعامله أو بيانًا لنوعه أو عدده ، نحو ضربته ضربًا ، أو ضربته ضربتين ، أو ضربته ضربَ زيد ، وينتصب بالمصدر مثله ، نحو قولك : عجبت من ضربك زيدًا ضربًا ، وبالوصف مثل: أنت ضاربٌ زيدًا ضربًا ، وبالفعل مثل : ضربتك ضربًا [2] ، فهو المصدر الفضلة المؤكد لعامله أو المبين لعدده أو نوعه ، وقولنا فضلة احترازًا من نحو : ركوع زيد ركوعٌ حسن ، فإنه عمدة لا فضلة ، وقولنا مؤكد لعامله احترازًا من نحو : لا أحب الفسوق الفسوق فإنه مؤكد لنفسه لا لعامله.[3]

فالفعل يدل على أمرين : المعنى المجرد أو ما يُعرف بالحدث ، والزمن ، فعند قولك : رجع المجاهد ، فهرع الناس لاستقباله ، وقد فرحوا بقدومه ، نجد في الجملة ثلاث أفعال هي: رجع ، هرع ، فرحوا ، وهي تشتمل على دلالتين دلالة الحدث أي المعنى المجرد لها ثم دلالة الزمن وهي وقوعهم جميعًا في الزمن الماضي ، ولو استخدمنا المصدر لهذه الأفعال ، فقولنا : الرجوع جيد ، والإهراع مؤذٍ ، والفرح جميل ، دل ذلك على المعنى المجرد وهو الحدث فقط دون دلالة الزمن ، وهو الفرق بين الفعل والمصدر[4].

و للمفعول المطلق أربع دلالات هي:

1– إمَّا أن يُقصد باستخدامه توكيد معنى عامله لفظيًا وتقويته وإزالة الشك عنه ونفي تطرق القول إلى المجاز فقط ، ويحصل هذا بالمصدر المبهم المقصور على التوكيد المحض، نحو : بلع الحوت الشيخ بلعًا .
2–وقد يكون زيادة على ما تقدم من إفادته توكيد معنى عامله ، بيان نوعه وهو الأهم في هذا الاستخدام ، وهما أمران متلازمان نحو : " و إن الساعة لآتية لا ريب فيها فاصفح الصفح الجميل" [الحجر/85].

---

[1] انظر: شرح شذور الذهب ، ص:292.

[2] انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 170/2.

[3] انظر: شرح شذور الذهب ، ص:293–294.

[4] انظر: النحو الوافي ، 204/2–205.

3- وقد يكون لأمرين متلازمينِ هما التوكيد لمعنى عامله كما تقدم بالإضافة إلى بيان عدده ، والثاني هو الأهم هنا ، ولكن لا يمكن أن نؤكد العدد دون تأكيد العامل نحو : قرأت رسالته قراءتين.

4- وقد يكون للأمور الثلاثة مجتمعة فيكون لتوكيد معنى عامله وبيان نوعه وعدده معًا في آنٍ واحد نحو : قرأت الرسالة قراءتين مفيدتين ، والمفعول المطلق في الأنواع الثلاثة الأخيرة مختص وليس مبهمًا ؛ لأن المصدر المبهم يختص بالتوكيد المحض فحسب فإذا زاد على التوكيد معنًى من المعاني كبيان العدد والصفة صار مختصًا.[1]

والمفعول المطلق في استخدام العميدي غلب عليه نوعان المبين للنوع والمؤكد للعامل ، وإن كان المبين للنوع أكثر النوعين ورودًا في رسائله في حين لم يهتدِ الباحث لأي مفعول مُطلق مبين للعدد في جميع رسائل العميدي.

ومن شواهد استخدامه المفعول المطلق المبين للنوع (المختص) قصد المبالغة التي لطالما أولع بها ما جاء في رسالته الثامنة والعشرين في معاتبة متولي ديوان الخاص يقول : " وسيدي- أدام الله عزه- يريني بشرًا ظاهرًا ، ثم يُريني ظلمًا جائرًا ، ويجاملني مجاملة ناسكٍ ، ثم يعاملني معاملة فاتكٍ بسيفٍ باتك ، إشراق كالدفلى يروق زهره ويقتل طعمه ، وإطراق كالأفعى يغر سكونه ويضر سمّه" [2] ، فلبيان المفارقة في تعامل هذا الرجل مع العميدي وظف المفعول المطلق أحسن توظيف لاستيفاء المقارنة حقها قصد تحقيق المبالغة في الذم ، فهو يجامله مجاملة العابد الزاهد ثم يعامله معاملة الباغي بسيف قاطع باتر ، ويريه بشرًا وسرورًا في أول الأمر ثم يرى أعماله معه فيرى ظلمًا عاتيًا ، وهو يعتمد في ذلك على المفعول المطلق الذي ساعده على بسط المقابلة التي هي إحدى أدواته في تحقيق المبالغة.

وفي الرسالة التاسعة عشرة في عتاب متولي ديوان الخاص أيضًا يقول متحدثًا عن تعامله معه : " ..وألقاني في زاويةٍ ربما أُجرّد منها يومًا من الدهر تجريد السيف الثقيل من قرابه ، وأثب منها وثبة الأسد من غابه." [3]

---

[1] انظر: النحو الوافي ، ص: 209/2.

[2] رسائل العميدي ، ص: 132-133.

[3] السابق ، ص: 89-90.

فهو يوظف المفعول المطلق المبين للنوع في رسم هذه اللوحة الفنية حيث يعامله متولي ديوان الخاص أسوأ معاملة ، وقد ألقاه في زاوية يتجرع فيها من الألم والتجريح بشدة ، كشدة تجريد السيف الثقيل من قرابه ، ويهرع من ألمها كما يهرع الأسد في الغاب ، وفيها مبالغة تؤكد حرصه على تدقيق الوصف و تأثير مزاجه العاطفي في انفعالاته وكلامه.

وفي تحسره على غلامٍ أشفق عليه واشتراه ثم أبق منه يقول : " ولعمري ، لقد رأيت في ابتياع ذلك العبد المخذول رأيًا لم يُقرن به سداد ، وأجلتُ فكرًا لم يقربه رشاد ، وقدّرت معه تقديرًا حرمت معه سعادة التوفيق ، وظننت به ظنًا ضللت به دونه عن سواء الطريق...." [1] فهذا التكثيف للمفعول المطلق المبين للنوع إنما هو رغبة منه في تخفيف ما يعانيه في نفسه من خذلان ذلك العبد الآبق له من خلال هذه المبالغة في التعبير ، فرأيه باختيار هذا العبد لم يعرف طريق السداد أصلا و فكره في ابتياعه لم يعرف للرشاد أرضًا ، وتقديره في هذا الأمر حرم معه التوفيق ، وظنه فيه ضل به الطريق ، فهذا التكثيف تركيز على نقطة في نفسية الكاتب وهي تحسره وحزنه على خيانة من أحسن إليه ، فكان هذا التكثيف والمبالغة.[2]

أمّا المفعول المطلق المؤكد لعامله (المبهم) فقد شاع استعماله أيضًا في أسلوب العميدي قصد المبالغة و رغبةً منه في إخراج صوره ولوحاته الفنية مخرج الكلام الحقيقي الذي لا شك فيه ولا ارتياب ، ومن شواهد استعماله لهذا النوع من المفعول المطلق ما جاء في وصفه لاشتباك جنود الدولة الفاطمية بالخارجين عليها في أرض المعركة يقول متحدثًا عن رجال الفاطميين : " فصيروا ظهور صدروهم جسورًا ، وعبروا عليها عبورًا ، وملكوا عليهم أرضهم التي قَدَّروا أن حصانتها تقيهم طوارق المخاوف والنوائب ، وترد دونهم طوارق المتالف والمصاعب.." [3] فهذه المبالغة في التعبير نلحظ ملامحها في استخدامه المفعول المطلق المؤكد لعامله ، فَلَقد صير جنود الدولة الفاطمية ظهور صدور أعدائهم جسرًا يعبرون عليها النهر عبورًا ، وكأنه أراد إخراج هذه

---

[1] السابق ، ص: 69.

[2] وللمزيد حول شواهد استخدام العميدي المفعول المطلق المبين للنوع قصد المبالغة في الوصف انظر رسائل العميدي ، ص: 14 ، 24 ، 46 ، 65 ، 70 ، 158 ، 210 ، 211 ، 220 ، 226 ، 231 ، 247 ، 306 ، 308 ، 318 ، 340 ،341 ، 344 ، 350، 371 ، 372 ، 379 ، 384 ، 386 ، 401 ، 402.

[3] السابق ، ص: 316.

الصورة المذلة لأعداء الدولة الفاطمية مخرج الحدث الحقيقي الحاصل بالفعل لا التصوير المجازي فاستخدم المفعول المطلق المؤكد للفعل ليؤكد هذه المبالغة إمعانًا منه في بيان ذلة حالهم وسوء مصرعهم.

وقد يستخدم المفعول المطلق المؤكد لعامله المحذوف وجوبًا في مثل: (سبحان ، فضلًا ، مرحبًا) وإن كانت فضلًا أكثرهن استعمالًا في رسائله حتى أضحت سمة أسلوبية له يستعملها قصد المبالغة في المدح أو الذم أو الوصف ، ومن ذلك يقول في استفتاح رسالته للأمير أبي القاسم ابن ولي العهد : "... وإذا تصفحت عين أهل الزمان وجدته في المآثر أرفعهم عمادًا وأطولهم نجادًا ، وأوراهم زنادًا ...وكيف لا يكون بهذه الصورة وهو من الشرف على شرفٍ لا يجد الوهم مَطمَحًا في حَذوتِه فضلًا عن ذروته ، ومن النّسب على مرقبٍ لا ينال الفكر مطارًا بعَقوتِه فضلًا عن نجوته ، ومن كرم الأخلاق في ملابس لا يقدر الدهر على إخلاق جِدّتِها"[1] ، فهو يستخدم هذا المفعول المطلق المؤكد لعامله المحذوف وجوبًا ، لتأكيد هذا الإطراء والثناء لابن ولي العهد الذي لا يستطيع أي أحد مهما بلغت رفعته ورتبته أن يقاربه فضلًا عن أن يتجاوزه ، أو يُداني نسبه فضلًا عن أن يتجاوزه فهو أرفع الناس نسبًا إذ يزعمون أن خلفاء الفاطميين من نسل فاطمة الزهراء– عليها وعلى أبيها أزكى الصلاة والسلام– فأي نسبٍ أشرف من هذا النسب .[2]

ومن الألفاظ التي تنوب عن المفعول المطلق :

1-5-2-2-لفظة كل :

وقد أكثر العميدي من إيرادها في رسائله وقد تأتي نائبة عن المفعول المطلق كما قد تأتي مفعولًا به أو توكيدًا معنويًا أو تعرب حسب موقعها في الجملة ، و لفظة كل هي اسم موضوع لاستغراق أفراد المنُكر كما في قوله –تعالى– "كل نفس ذائقة الموت" [آل عمران/ ١٨٥] ، والمُعَرف المجموع وشاهده قوله –تعالى– " وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا "[مريم/ ٩٥] و كذلك استغراق أجزاء المفرد المُعرّف كما تقول : " كل زيدٍ حسن "

---

[1] السابق ، ص: 168.

[2] وللمزيد حول شواهد توظيف العميدي للمفعول المطلق (فضلًا) في رسائله بصورة مكثفة ، انظر رسائل العميدي ، ص:136 ، 293 ، 305 ، 355 ، 357 ، وللمزيد من شواهد توظيف المفعول المطلق المؤكد لعامله انظر ص: 36 ، 70 ، 134 ، 181 ، 205 ، 266 ، 289 ، 325 ، 334 ، 355 ، 375 ، 381 ، 384 ، 424.

فإن قلت "أكلت كل رغيفٍ لزيد" فذلك لعموم الأفراد أما إن أضفت الرغيف لزيد صارت استغراقًا لأجزاء فرد واحد.

وهي على ثلاثة أوجه بالنظر إلى ما قبلها:

الأول : كونها نعتًا لنكرة أو معرفة دالة على كماله مع لزوم إضافتها لاسم ظاهر يماثلها معنًى ولفظًا كما في قولك : أكلنا شاةً كُلّ شاةٍ.

والثاني : كونها توكيدًا لمعرفة مع لزوم إضافتها لاسم مُضمَر يرجع إلى المؤكد " فسجد الملائكة كلهم أجمعون" [ص/٣]

والثالث : كونها غير تابعة وإنما تالية للعوامل فتأتي مضافة لظاهر ، مثل :" كل نفس بما كسبت رهينة" [المدثر/٣٨] ، وغير مضافة كما في قوله –تعالى– " وكلًا ضربنا له الأمثال" [الفرقان/ ٣٩]

وإذا أضيفت للظاهر فحكمها عمل جميع العوامل فيها مثل "أكرمت كلَّ بني تميم" ، وحكم لفظ كل هو الإفراد و التذكير وأما معناه فيكون بحسب ما يضاف إليه.[1]

فهو اسم يفيد الدلالة على الاستغراق والإحاطة بالأفراد والأجزاء كما في قوله –تعالى– "كل امرئ بما كسب رهين" [الطور / ٢١] فهذا استغراق وإحاطة لجميع الأفراد، وإذا أضيفت لنكرة أو معرفة عامة أفادت استغراق كل أفراد الجنس كقولك : كل الناس سيحاسبون " ، أما إذا أضيفت لمعرفة معهودة فإنها تفيد استغراق كل الأفراد المعهودين كما في قولك: "أتى كل الطلاب" ، فهو استغراق لطلاب مخصوصين بعينهم ، وقد تستغرق أيضًا الأجزاء مثلما تقول: "لقد أكل كل تفاحتك" والمعنى أى كل أجزائها .[2]

قال سيبويه : و أما قولك هذا العالم حق العالم أو هذا العالم كلُّ العالمِ ،فإنما أردت به قولك بإنه مستحق للمبالغة في العلم . [3]

---

[1] انظر: مغنى اللبيب ، 218/1–220.

[2] انظر: معاني النحو ، 138/4.

[3] انظر: الكتاب لسيبويه ، 12/2.

ومن الألفاظ ما لا يصلح أن يكون منعوتًا بل يكون نعتًا فقط وهي الألفاظ المضافة مثل كل ويكون معناها الدلالة على بلوغ الغاية أقصاها فى معنى المضاف إليه كقول الشاعر :

ليس الفتى كلُّ الفتى....................إلا الفتى فى أدبه [الرجز][1]

وهو يوظف لفظة كل لتحقيق المبالغة التي هي سمة أسلوبية له في ترسّله ، كما جاء في رسالته إلى وزير يشكو إليه ما آلت إليه أمورِه من تردّي : "حتى بعتُ كلَّ عِلْقٍ مَصُون، وأنفَقْتُ كلّ مُدَّخر مخزون، وقارَبَ أن ينتهك ستري أو كاد ، ونَفَذ حكم الله في الناس بما أراد لولا أن تداركني من عند الله جَلَّ اسمه رحمة، وتلاقتني من تفضّل مولانا –عليه السلام– نعمة" [2] فلازم أن يستخدم كل لاستغراق جميع الأجزاء مبالغة في الدلالة على ما وصل إليه من ضيق عيش وفقر.

وفي رسالته في وعيد حسان بن جراح يوظف لفظة كل للمبالغة في الذم يقول : " فأين المفر إذًا من الله جَلّت قدرته وقد أسخطته بمَرْضاة كلّ خارب ذاعر، وعصَيْتَه في طاعة كلّ نافقٍ في الفتنة ناعر، وأي حجّة لك عند ربّك وقد هتكْتَ الحُرَم، وأخفَرتَ الذّمم، وكفرت النِّعم، وأهلكت الأمم؟ " [3] ، فهو يريد التعميم بأن كل من خرج مع حسان بن جراح ما هو إلا خارب ذاعر أو نافقٌ ناعر ، مبالغة في الذم ورغبة في تنفير الناس عن الانضمام إليه.

وفي رسالته الأولى المسماة بالمطبخية يبالغ في وصف نهمه وإقباله على الطعام من باب الفكاهة والمداعبة يقول : " وأُتربُ كلَّ لقمة، وأُحِلُّ بما ألاحظه كلّ نقمة، وأنتقي نقاوة البقل وأغرق السنبوسجة في الخل، و أوسعُ ليدي مجالًا وفصالًا، وأنتهبُ ما تقع عيني عليه اشتمالًا...." [4] ، وفيها مبالغة في وصف نهمه وشَرَهِ من باب الفكاهة والمداعبة حتى إن كل لقمة تقع تحت يديه لا تلبث أن تكون في معدته.[5]

---

[1] انظر: النحو الوافي ، 467/3.

[2] رسائل العميدي ، ص: 246–247.

[3] السابق، ص: 281–282.

[4] السابق ، ص: 11.

[5] وللمزيد من الشواهد حول كثرة استخدام العميدي للفظة (كل) للدلالة على استغراق جميع الأفراد والأجزاء من أجل تحقيق مبالغته انظر السابق ، ص:44 ، 52 ، 62 ، 87 ، 136، 273 ، 274 ، 278 ، 301 ، 302 ، 308 ، 339 ، 345 ، 351 ، 359 ، 371 ، 372 ، 379 ، 380 ، 382 ، 387 ،390، 400 ، 403 ، 405 ، 407 ، 409 ، 415 ، 418 ، 424 ، 428 ، 436 .

6-2-2-كم الخبرية:

كثف العميدي من توظيف كم الخبرية في رسائله ، للدلالة على التكثير قصد الافتخار وفي بعض الأحيان لإظهار الحسرة والتندم ، أو للهجاء والذم ، وذلك لميل العميدي العام إلى المبالغة والتهويل كما كان الأمر شائعًا في الكتابة الفنية في هذا العصر.

وذهب الكوفيون إلى أن كم مركبة من (ما) ثم زيدت عليها الكاف ؛لأن العرب قد تصل الحرف في أوله أو آخره ، فممّا وصلته في أوله هذا وهؤلاء ، وممّا وصلته في آخره نحو قوله -تعالى- " إمَّا تريني ما يوعدون" [المؤمنون/93] ، فالأصل في كم أن تكون كما ، ثم لمّا كَثُر استعمالها ، وجرت على ألسنتهم حذفت الألف وسُكّنت الميم كما فعلوا في (لِمَ) ، أمَّا البصريون فيرون أنها مفردة غير مركبة ؛لأن الإفراد أصل والتركيب فرع ، ومن خرج من الأصل إلى الفرع وجب أن يأتي بدليل على ذلك.[1]

فكم في ذاتها كناية عن عدد مجهول المقدار والجنس ، ثم هي على ضربين استفهامية وخبرية ، فأمّا الاستفهامية فهي التي يراد بها معرفة كمية الشيء ويكون تمييزها مفردً منصوبًا ، تقول كم درهمًا ملكت؟ ، وكم عبدًا اشتريت ؟ ، وقد يُجر تمييزها إذا سبقت بحرف جر تقول : بكم درهمٍ اشتريت؟ ، وأمّا الخبرية فهي بمعنى كثير ويستخدمها من يريد التكثير والافتخار وتمييزها مخفوض أبدًا وقد يكون مفردًا تارة ، وأخرى يكون مجموعًا تقول : كم عبدٍ ملكت! ، وكم عبيدٍ ملكت! [2].

وقد ذهب الأخفش ومعه الكوفيون وأيدهم الرّضي إلى أن كم تكون للتكثير ، وأنّها اسمية ولا خلاف في ذلك ، وعللوا سبب بنائها لتضمنها معنى الإنشاء الذي يُؤَدى بالحرف أو لمشابتها الحرف في بعض لغاتها وضعًا.[3]

---

[1] انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري [-577هـ] ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2003م ، 1/243-245 ، وانظر تفنيده لآراء الكوفيين بعده.

[2] انظر شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص:240-241.

[3] انظر: حاشية الصبان ، 2/303.

فكذا وكم هما كنايتان عن العدد على جهة الإبهام ، كما كَنّينا بفلان وهن عن الأجناس والأعلام ، وبكيت وذيت عن الأحداث والأخبار [1] ، ولكم موضعان الاستفهام والخبر ، وأصلها الاستفهام ، فإنما نستعمل الاستفهام لبيان المبهم ، وليس في الإخبار إبهام ؛ لذا خرجت الخبرية التي يُراد بها التكثير والمبالغة في العدّة من الاستفهامية ، ولذلك أخذت بعض أحكامها بأن يكون لها الصدارة ، وأن تفسر بالمنكور ، وقد تفسر بالواحد ، كأنما أشاروا إلى خروج كم الخبرية من الاستفهامية بأخذها بعض أحكامها ، وكم في كل أحوالها اسم مبني على السكون ، ومما يدل على اسميتها دخول حرف الجر عليها وجواز إضافتها والإخبار عنها ، وتبديل الاسم منها ، وعودة الضمير إليها ، تقول: بكم درهمٍ اشتريت ؟ ، وكم رجلٍ في الدار ! ، وكم رجلًا عندك ؟ ، كم درهمًا لك ثلاثون أم أربعون ؟ ، كم رجلًا جاءك؟ .[2]

وتتفق كم الخبرية مع كأين في خمسة أمور: في إفادتهما التكثير ، وفي إبهامهما ، وفي بنائهما ولزومهما التصدير ، وفي كون تمييزهما مجرورًا.[3]

فكم الخبرية يستخدمها من يريد التكثير والمبالغة والافتخار، وقد سميت خبرية لاحتمالها الصدق والكذب بخلاف الاستفهامية التي لا تحتمل ذلك [4] ، ولأن الإخبار بها يدل على كثرة المعدود وجب أن يكون هذا الأخبار عن شيء مضى ، معلوم كثرة كميته ومقداره ، لا شيء في زمن الاستقبال لا يُعلم مقداره وحجمه؛ ولذا كان الدافع من استعمال كم الخبرية إرادة التكثير والافتخار والمدح بكثرة أمرٍ معلوم ، أو إرداة الذم والهجاء بكثرة شيء معيب معلوم كذلك.[5]

وفي رسالته السابعة في هجاء أحد الأشراف وقد وعده بشيء ثم أخلف موعده نلاحظ تكثيف توظيف كم الخبرية إمعانًا في المبالغة في الذم يقول : " وكم أصل راسخ في الشرف قلَعَهُ لوْمُ الفَرْعِ، وكم نَسَبٍ عال في

---

[1] انظر: شرح المُفصل ، 3/ 165.

[2] انظر : السابق ، 3/ 166.

[3] انظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، لخالد بن عبد الله الأزهري ، المعروف بالوقّاد [-905هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2000م ، 2/ 477.

[4] انظر: معاني النحو ، 2/ 338.

[5] انظر: النحو الوافي ، 573/4.

الكرم قطعه شؤم الطبع، وكم قومٍ وضَعاءَ شُرِّفوا برجل ماجد، وكم عُصبةٍ أدباء ارتفعوا لسعي واحد، وكم من قومٍ فقراء أغنتهم خصلة جميلة، وكم شرذمة يسيرة كثّرتهم مكرمةٌ قليلة:

وكم أب قد عـلا بابن ذُرَى شرفٍ..... كما علا برسول الله عدنان

تسمو الرجال بآباء وآونةً...... تسمو الرجال بأبناء وتزدانُ [البسيط][1]

ففي الفقرة السابقة تكثيف لتوظيف كم الخبرية حتى إنها لترد سبع مرات، وقد استشهد أيضًا بأبيات مصدرة بكم الخبرية رغبة في تكثيف المبالغة في الهجاء والذم .

وفي رسالته إلى رجلٍ أراد أن يوقع بينه وبين صديقٍ له يقول : " وكم تحفِرُ للأسود الحفرة، وتعلم الخُوانَ الخمرة، وحتى متى تنصِبُ للرجال الحبائل وأنت فيها ترتبك ، وتُثبت للأبطال وسترك دونَها يَنهتك وتتبع عثَّراتِ الأخيار وجدك عاثر، وتُنبِّه على زلّاتِ الأحرار وفضلك دارس داثر، وتُعرّضُ بكلام مثلِ عِرضِك مبتذل، وتتسوق بنظام شبه عقلك مختبَل، وتبذل منك نصيحةً تُكسبك فضيحة، وتورد عليك نميمة، توكس لك قيمة؟ وكم في معناك تتزيَّد، وفي سعاياتك تتردَّد، وفي حكاياتِك تتبرد وفي كتابتك تتعطرد؟ "[2] فقد وظف العميدي كم الخبرية و أكثر منها مبالغة في الهجاء والذم ، فهذا الرجل كثير الوقيعة بين المتحابين ، والسعي بالنميمة بين المتآخِين ، فكان هذا التكثيف لكم الخبرية قصد المبالغة في التوبيخ.

وفي سخريته من دعوة للطعام دُعي إليها يقول في وصف استقبال البواب له متندرًا : " فكم من مَنكِبٍ قبل الدخول إلى داره نُكِبَ، وكم من واغل أمام الوصول إليها ضُرِبَ وسُحِب، ومن لباس مُزّق، ومن ثوبٍ لمتجمّلٍ خُرِق، ومن مِنديل نفض ، ومن واقع مرِض، ومن حُرّ ارتمض وامتعض وكم من كريمٍ هُدِف للمكروه وعُرِض، وهم كالكفار إلى جهنم يُحشرون، وكأنهم يُساقون إلى الموت وهم ينظرون. "[3] ، ونلاحظ الضغط في الفقرة السابقة على مشهد سوء الاستقبال للضيوف وما يُخفي هذا التعبير والوصف من إيحاء ببخل الداعي

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 39-40.

[2] السابق ، ص: 381.

[3] السابق ، ص: 405.

وكأنه تورط في هذه الدعوة فهو يسعى إلى تنفير المُدعوين بكل حيلة عن الجلوس للطعام ، وفي الشاهد السابق مبالغة في وصف سوء الاستقبال لذم القائم على هذه الدعوة.[1]

---

[1] وللمزيد من شواهد تكثيف العميدي توظيف كم الخبرية للوصول بالمبالغة إلى أقصى حدودها انظر السابق ، ص: 112-113 [وقد تكررت فيها كم الخبرية أكثر من عشرين مرة] ، 210-211 ، 437 ، 440.

7-2-2- المشتقات الصرفية:

كان للمشتقات من (اسم الفاعل- اسم المفعول- صيغ المبالغة- اسم التفضل) ظهور قوي في كتابة العميدي وهو أمر طبعي نظرًا لكثرة اعتماده على الحال والنعت والخبر كمرتكزات يعتمد عليها للبلوغ بالوصف إلى غايته القصوى إلى جانب حرصه على دقة التعبير وعلى نقل مشاعره وأحاسيه للمتلقي ليشاركه في تجربته الوجدانية للتأثير فيه ، ولن يلج بابًا فيه الوصف أكثر وفرةً و زهاءً من باب المشتقات الصرفية القائمة على وصف من قام بالفعل أو الذي وقع عليه الفعل أو الدلالة على وصف من قام بالفعل بطريقة مبالغ فيها ، أو المفاضلة بين اثنين في صفة واحدة قد اشتركا فيها وزاد أحدهما عن الآخر فيها، وهذه السمة الأسلوبية من الاهتمام بتكثيف الوصف من أهم السمات التي ظهرت في كتابات القرن الرابع الهجري.

والاشتقاق في اللغة من اِشتَق الفرس : إذا شَقَّ في عدوه ، واِشتَق فلان في الخصومة أو الكلام :ترك القصد ومضى في جوانبه ، واِشتَق الطريق في الصحراء: مضى فيها ، واِشتَق طريقه في الأمر: سلكه بقوة ، واِشتَق الكلمة من غيرها: أي صاغها منها ، والاشتِقَاق: (في علوم العربية) هو صوغ كلمة من أخرى وفق قوانين الصرف.[1]

قال ابن فارس[-395هـ] : أجمع أهل اللغة -عدا من شذ منهم- أن للغة العرب قياسًا ، وأن العرب يشتقون بعض الكلمات من بعض ، فالجن مشتق من الاجتنان ، والجيم والنون تدلان أبدًا في اللغة العربية على الستر ، تقول العرب للدرع : جُنَّة ، و تقول للطفل: هو جنين إذا كان في بطن أمه أو مقبور ، وأجنة الليل ، والأنس من الظهور، تقول آنست الشيء: إذا أبصرته ، وعلى هذا يكون سائر كلام العرب ، علمه من علمه وجهله من جهله.[2]

قال في شرح التسهيل : الاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى بشرط اتفاقهما معًا معنًى ، وهيئة تركيب ، ومادة أصلية ، ليدل بالثانية على الأصل بزيادة معينة ، من أجلها اختلافا هيئة أو حروفًا ، كحَذِرمن حَذَر ،

---

[1] انظر: المعجم الوسيط ، 489/1.

[2] انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي [-395هـ] ، تحقيق أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص:35-36.

وضاربٌ من ضَرَبَ[1] ، فالمشتق من الأسماء عند أهل الصرف من البصرة ما كان منتزعًا من المصدر ليدل على ذات مطلقًا وحدث منتسب إليه على جهة الخصوص ، وهذا يشتمل عندهم على سبعة أنواع : اسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ، واسما الزمان والمكان واسم الآلة واسم التفضيل ، أمّا صيغ المبالغة فهي فرع من اسم الفاعل و هي تكثير لحدوثه فقط ، أمَّا النحويون فيرون أن المشتق من الأسماء ما كان منتزعًا من المصدر ليدل على ذات مبهة وحدث منتسب إليه على جهة الخصوص ،وقولهم مبهة إخراج لاسمي الزمان والمكان واسم الآلة ؛لأن الذات فيهم معينة وهي الآلة أو الوقت أو المكان ، فالمشتق عند النحاة يعادل الصفة ، وذلك لأن المشتق العامل عند النحويين يعمل عمل الفعل وهذا لا يحدث إلّا عندما تكون الذات مبهمة ، أمَّا عندما تكون الذات معينة كما في اسم الآلة واسمي الزمان والمكان فلا يعمل المشتق فيهم فهم جوامد ، ومن هنا كان المشتق عند الصرفيين أعم مما هو عند النحويين ، وأن الوصف في المشتق عند النحويين أعم مما هو عند الصرفيين.[2]

قال ابن مالك–رحمه الله–:

وانعت بمشتقٍ كصعبٍ وذرب....وشبهه كذا وذي والمنتسب[3]

قال في شرح الكافية :والمراد بالمشتق هاهنا ما كان اسم مفعول أو اسم فاعل أو صيغة مبالغة أو صفة مشبهة باسم الفاعل أو اسم تفضيل ويجمعها قولنا : المشتق الموصوف به هو ما دل على مفعول به أو فاعل ، متضمنًا معنى فَعَل وحروفه.[4]

وجاء في جامع الدروس العربية : الاشتقاق لغةً : من شَقّ الشيء إلى شِقّين أي إلى نصفين ، وشَقّ كلمة من كلمة : أي أخذها منها ، واصطلاحًا : هو أن تأخذ كلمة من أخرى بشرط تناسبهما في المعنى واللفظ

---

[1] انظر: المُزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [–911هـ] ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1998م ، 275/1.

[2] انظر: تصريف الأسماء ، د.محمد الطنطاوي [–1959هـ] ، دار الظاهرية ، الكويت ، ط1 ، 2017م ، ص:83–84.

[3] ألفية ابن مالك ، ص: 117.

[4] انظر: شرح الكافية الشافية ،لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [–672هـ] ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة –السعودية ، ط1 ،1982م ، 1157/3–1158.

وترتيب الحروف مع تغيير في الصياغة ، نقول : اكتب من يكتب ، ويكتب من الفعل الماضي كتب ، وكتب من المصدر كتابةً ، وهذا هو الاشتقاق الصغير المَعنِي به في علم الصرف.[1]

فالاشتقاق منه الاشتقاق الصغير : و هو ما كان فيه بين اللفظتين تناسب في التركيب والحروف نحو ضرب من ضارب ، والاشتقاق الكبير: وهو ماكان فيه بين لفظتين تناسب في المعنى واللفظ دون الترتيب مثل : جبذ من الجذب ، والاشتقاق الأكبر: وهو ما كان فيه بين لفظتين تناسب في المخرج مثل نعق من النهق[2] ، ومنه الاشتقاق الكُبّار وهو (النحت) ، وهو أخذ كلمة من دمج كلمتين متتابعتين معًا واشتقاق فعل منهما ، مثل الحمدلة من الحمد لله وهكذا [3] ، والاشتقاق الصغير هو دون هذه الأنواع كلها وهو المستخدم في علم الصرف ويسمى بالاشتقاق الصرفي أو الاشتقاق العام.[4]

فاللغة العربية لغة اشتقاقية ، وهذا يعني أنّ هناك مادة لغوية معينة يمكن إعادة تشكيلها على هيئات وأشكال مختلفة لكل منها وزن صرفي خاص ووظيفة معينة كأن تقول: كاتب ومكتوب ومكتب... إلخ ، ويمكننا ملاحظة أن هذه العملية كلها تتم على جذر لغوي واحد وهو الفعل (كتب) ومن ثمَّ تخرج التشكيلات الجديدة ، وهذا ما يعرف بالاشتقاق في أبسط معانيه[5].

1-7-2-2- اسم الفاعل:

أكثر العميدي من استخدام اسم الفاعل للاستفادة بما يضفيه من دقة في وصف من قام بالفعل أو اتصف به ، حتى يزيد من وضوح لوحاته الفنية التي بناها على الوصف القوي.

---

[1] انظر : جامع الدروس العربية ، مصطفى محمد الغلاييني [-1364هـ] ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط28 ، 1993م ، 208/1.

[2] انظر :كتاب التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني [-816هـ] ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1983م ، ص:27.

[3] انظر : الاشتقاق ، عبد الله أمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة-مصر ، ط2 ،2000م ، ص:391 ، ومعجم العين ، 60/1.

[4] انظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات ، د.صالح سليم الفاخري ، دار عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1996م ، ص:192.

[5] انظر: التطبيق الصرفي ، د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان ،د.ط ، 1984م ، ص:75.

فاسم الفاعل هو: اسم يشتقونه من الفعل ليدل على وصف من قام به ، فكلمة ضارب مثلا اسم فاعل وهي تدل على وصف من قام بالضرب ، والنحاة القدماء يرون أنَّ اسم الفاعل مشابه للفعل المضارع ، بل إن الفعل المضارع –عندهم– سُمي مضارعًا لمضارعته أو لمشابهته اسم الفاعل في حركاته[1] ، وهو مادل على الحدوث والحدث وفاعله ، فخرج بالحدوث اسم التفضيل والصفة المشبهة باسم الفاعل لدلالتهما على الثبوت ، وخرج بقولنا و فاعله اسم المفعول والفعل ، فإن كان محلًّى بالألف عمل مطلقًا ، وإن كان مجردًا منها عمل بشرطين : أولهما أن يكون دالًا على الحال والاستقبال لا المضي بخلاف الكسائي ، وأن يعتمد على نفي أو استفهام أو يكون موصوفًا أو مخبرًا عنه نحو : ما ضاربٌ زيدٌ عمرًا ، أضاربٌ زيدٌ عمرًا؟ ، مررت برجلٍ ضاربٍ أبوه عمرًا ، زيدٌ ضاربٌ أبوه عمرًا .[2]

وقال صاحب توضيح المقاصد : اسم الفاعل هو الصفة التي تدل على فاعل وهي جارية في التذكير والتأنيث على الفعل المضارع من أفعالها وذلك لمعناه أو لمعنى الماضي ، فالصفة جنس ، فقوله تدل على فاعل: أخرج اسم المفعول وما بمعناه ، و قوله جارية على التذكير والتأنيث على الفعل المضارع :مخرج للصفة المشبهة الجارية على الماضي كفَرِح ، وغير الجارية كصيغة المبالغة نحو : كريم ، وكذلك أفعل التفضيل ؛لأنه لا يجري على الفعل المضارع إلَّا في التذكير فقط ، وأمَّا قوله لمعناه أو لمعنى الماضي :أخرج مثل ضامر الكشح التي هي من الصفة المشبهة .[3]

وقال سيبويه في اسم الفاعل : هذا باب اسم الفاعل الذي جرى مجرى المضارع في المفعول في المعنى ، فإن أردت أن تجعله في المعنى كيَفعَل جعلته نكرة منونًا وذلك نحو قولك : هذا ضاربٌ زيدًا غدًا ، فعمله ومعناه مثل قولك : هذا يضرب زيدًا غدًا.[4]

---

[1] انظر: التطبيق الصرفي ، ص:75–76.

[2] انظر: أوضح المسالك ، 181/3–182.

[3] انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، لأبي محمد حسن بن قاسم المرادي [–749هـ] ، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 2008م ، 849/2.

[4] انظر : الكتاب ، 164/1.

فاسم الفاعل هو الاسم المشتق الذي يدل على معنى مجرد حادث و يدل على فاعله وهو الذات التي قامت بالفعل أو اتصفت به ، فعند قولك : جئني بالنمر الزاهد ، أُشِر لك إلى المستبد العادل ، فالزاهد والعادل اسما فاعل لدلالتهما مطلقًا على معنى مجرد حادث وهو الزهد والعدل ، وذات قامت بهذه المعاني أو تصفت بها وهما النمر والمستبد ، ولا يشترط أن تأتي للمعنى المجرد الحادث بل قد تأتي قليلًا للمعنى الدائم أو شبهه مثل دائم وخالد [1] ، فهو يدل غالبًا على الحدوث والتجدد ، والحدث الذي يدل عليه يكون حدثًا طارئًا غير ثابت[2].

قال ابن مالك–رحمه الله– :

كفاعلٍ صغ اسم فاعل إذا.......من ذي ثلاثة يكون كغذا

وزنَةُ المضارعِ اسمُ فاعلِ.........من غير ذي الثلاث كالمواصلِ

مع كسرِ متلوِّ الأخير مطلقًا........وضمَّ ميمٍ زائدٍ قد سَبقَا[3]

وقد شمل بقوله " من ذي ثلاثة" فَعَل المتعدي واللازم نحو ضَرَبَ و ذَهَبَ ، فهو ضاربٌ وذاهبٌ ، وفَعِل المتعدي واللازم نحو عَلِم وسَلِم نقول : عالمٌ وسالمٌ ، وفَعُلَ نحو فَرُه فهو فَارِه [4]،ويأتي وصف الفاعل من الفعل غير الثلاثي المجرد من لفظ مضارعه مع قلب يائه ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر أيًّا كانت حركته في المضارع مفتوحًا كان أم مكسورًا كمُنطلِق ومُتعلِّم من ينطلِق ويتعلَّم.[5]

يقول العميدي في وصف طريق رحلته إلى الوزير أبي الفرج القشوري: " وانتهت فيّ الحال لما قاسيته في طريقي من الأمر الفاضح ، والخطب الفادح، وعاينته من البرد الكالح، والقرّ القاشح ، إلى أن تمنّيتُ لعيني سخنة، ولقلبي حرقة." [6] فهو يجعل كلًّا من الأمر والخطب والبرد والقرّ ذواتٍ فاعلة توصف على التوالي

---

[1] انظر: النحو الوافي ، 238/3–239.

[2] انظر : الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية ، د.هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، أربد–الأردن ، ط1 ، 2010م ، ص: 111 ، 120.

[3] ألفية ابن مالك ، ص: 106–107.

[4] انظر: توضيح المقاصد ، 869/2.

[5] انظر: أوضح المسالك ، 215/3.

[6] رسائل العميدي ، ص: 14–15.

بالفاضحة والفادحة والكالحة والقاشحة ، إمعانًا في الوصف ، ودقة منه في التعبير ، ورغبة في المبالغة والتهويل ، حتى إن هذا الأمر والخطب والبردِ والقرّ لنراهم أمام أعيننا ذواتٍ متحركة لها إرداة وقوة مما يخرج المعنى في أبلغ صوره.

وفي رسالته في هجاء أحد الأشراف وهو يحترس بذكاء من الخطأ في هجائه وذمه فهو يرجع نسبه للنبي –صلى الله عليه وسلم– مما قد يثير حفيظة المسلمين عليه يقول : " كلا، إنّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب –كرم الله وجهه–، من شجرةِ طيبة لم تُورق إلا السخاء، ولم تُزهر إلا الوفاء، ولم تثمر إلا الصفا، ولم تحمل إلا السناء و السنا، باسق عودها، راسخ عمودها، ثابتٌ أصلها، باسط ظلها، وأولاده –رضوان الله عليهم– لم يقولوا غير الحق ، ولم يقضوا إلا بالصدق."[1] فهو يتابع الوصف لهذه الشجرة التي جعلها مثالًا لذرية آل البيت فهي شجرة عودها باسق ممتد ، وعمودها راسخ ضارب في الأرض بقوة ، وأصلها ثابت ، وظلها منبسط ، وفي قوله أصلها ثابت اقتباس قوله –تعالى– : " ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمةً طيبةً كشجرة طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء" [إبراهيم/ 24] ، ولم يساعده في تحقيق هذا الوصف المتتابع الدقيق إلّا الاعتماد على اسم الفاعل الذي هو وصف لذات من قام بالفعل إلى جانب دلالته على وصف الحدث ، وعلى الاقتباس من القرآن الكريم مما يُضفي على الأسلوب قوة ورصانة.

وفي دعائه على بعض من تحلى بصناعة الأدب وهو غير أهلٍ لها وهو ابن بنان الكاتب ، يقول : " وما أولانا أن نتضرّع إلى الله –سبحانه– ......حتى ترى نهارهم بهيمًا، وريحهم عقيمًا، وسعيهم ذميمًا، وكثرتهم خاسرة، وجُدُودَهم عاثرة، وعيونهم غائرة وخدودهم ضارعة، وقلوبهم جازعة، وأكبادهم جائعة ، ومنازلهم نازلة، وأحوالهم حائلة، وسُعُودَهم آفلة، وشموسهم كاسفة، ونفوسهم خائفة، ونحوسهم مترادفة وأيامهم سودًا كدرة وجوههم "عَلَيْها غَبَرَةٌ" لَعَلَّهُ" تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أَوْلَئكَ هُمُ الْكَفَرَة الْفَجَرَةُ" [عبس41–42] "[2] ونلاحظ في هذه الفقرة التنوع في استخدام المشتقات ما بين صيغ المبالغة واسم الفاعل ، وهو أمر مُلاحظ في ترسل العميدي ، حيث نرى توظيفه لكثير من المشتقات معًا في فقرة واحدة ، وقد جاءت صيغة المبالغة في الشاهد السابق على وزن فعيل ثلاث مرات (بهيم – عقيم – ذميم) ، واسم الفاعل من الفعل الثلاثي (عشر مرات) (خاسرة– عاثرة– غائرة– ضارعة– جازعة– جائعة– نازلة– حائلة– آفلة– كاسفة–خائفة) و واحد من غير الثلاثي (مترادِفة) ، فلرغبته

[1] السابق ، ص: 41، 42.

[2] السابق ، ص: 183.

في المبالغة في الوصف جاء هذا الضغط المتتابع باستخدام الحال معتمدًا على المشتقات وخاصة اسم الفاعل الذي يُخرج هذه الأشياء المادية في صورة ذوات فاعلة لها إرداة في تحقيق ما يريد مما يحقق جانب الوصف الذي يسعى إليه العميدي أتم سعي .[1]

2-7-2-2- صيغ المبالغة:

وقد أكثر العميدي من استخدمها لما تضفيه من مبالغة في المعنى وتقوية للوصف، وهي أسماء تشتق من الأفعال لتدل على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المبالغة في أدائه للفعل ؛ ولهذا سميت بصيغ مبالغة ، وهي لا تشتق غالبًا إلّا من الفعل الثلاثي ولها أوزان سماعية أشهرها : فَعّال–مِفعَال– فَعُول– فَعِيل –فَعِل[2] ، حيث تُحَول صيغة الفاعل للتكثير والمبالغة إلى: مِفعَال أو فَعّال بكثرة ، وإلى فَعِل أو فَعِيل بقلة ، فيعمل عمله بشروطه كقول الشاعر : أخًا للحرب لبَّاسًا إليـــها جلالــها [الطويل]

ضروبٌ بنصل السيف سُوقَ سمانها[الطويل] [3]

فإذا كان صيغة اسم الفاعل تستخدم للدلالة على معنى مجرد حادث وعلى الذات الفاعلة نفسها دون أيّة إشارة إلى نوع الفعل أهو قليل أم كثير ، قوي أم ضعيف ، وإن أشار أحيانًا إلى أنّه يحتمل القوة والكثرة بقرينة في الكلام ، فإن صيغة المبالغة المحولة عن صيغة فاعل من الفعل الثلاثي الأصلي إلى أوزانها المشهورة تدل فضلًا عمّا تضمنه اسم الفاعل من الدلالة على المعنى المجرد الحادث والذات الفاعلة إلى تأكيد التكثير والمبالغة في الفعل وقوة حدوثه وليس مجرد الاحتمال في ذلك ، فإذا قلت إن رجلًا زارع للفاكهة ، فمعنى هذا

---

[1] وللمزيد من الشواهد حول كثرة تكثيف العميدي استخدامه للاسم الفاعل في كثير من فقرات رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ، 30 ، 45 ، 50 ، 52 ، 53 ، 55 ، 57 ، 58 ، 72 ، 73 ، 91 ، 119 ، 134 ، 137 ، 141 ، 144 ، 152 ، 156 ، 158، 159 ، 161 ، 162 ، 164 ، 168 ، 169 ، 179 ، 191 ، 203 ، 211 ، 218 ، 220 ، 221 ، 222 ، 225 ،228 ، 231 ، 232 ، 233 ، 235 ،245 ، 246 ، 251 ، 252 ، 255 ، 258 ، 260 ، 267 ، 270 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 277 ، 278 ، 280 ، 281 ، 290، 292، 299 ، 306.

[2] انظر: التطبيق الصرفي ،ص:77-78.

[3] انظر: أوضح المسالك ، 3/ 185-186.

أن هناك معنًى مجردًا حادثًا وهو الزراعة وأنَّ هناك ذات فاعلة له وهو المزارع نفسه ،دون أي تطرق للفعل هل يحدث قليلًا أم كثيرًا ، فإذا قلت فلانٌ زرّاع للفاكهة فقد قطعت كل احتمال ، وأكدت بصورة صريحة لا يتطرق إليها الشك على مبالغته في الزراعة وكثرة أدائه لها [1] ، حيث يُحول اسم الفاعل إلى عدة صيغ سماعية للدلالة على التكثير والمبالغة في الحدث الدال عليه صيغة فاعل كيفًا وكمًّا ، ؛ لأن صيغة الفاعل محتملة للكثرة والقلة ، فتأتي صيغة المبالغة لتقوية المعنى وتأكيده والمبالغة فيه.[2]

قال سيبويه : وأجروا من اسم الفاعل إذا أرادوا المبالغة في الأمر مجراه ، فهو يريد به معنى فاعل الذي يدل على إيقاع الفعل بالإضافة إلى الدلالة على حدوثه بكثرة ، وذلك من خلال صيغٍ أشهرها : فَعُول، وفَعِل ، ومِفعَال ، وفعّال ، وقد جاء فَعِيل كعليم ورحيم يجوز فيهن ما جاز سلفًا في فاعل من الإضمار والإظهار والتقديم والتأخير.[3]

قال المبرد[–285هـ] : اعلم أن الاسم على فَعل فاعل كقولك ضَرَب فهو ضاربٌ ، فإذا أردت تكثير الفعل ، كان للتكثير أبنية منها فَعّال ، تقول رجلٌ قتّال ، إذا كان كثير القتل ، أمَّا قاتل فتكون للكثير والقليل ؛لأنه الأصل [4] .

فتحوّلت صيغة فاعل بقصد الدلالة على المبالغة والتكثير إلى أوزان خمسة سماعية مشهورة تسمى بصيغ المبالغة وهي : مِفعَال وفَعِيل وفَعُول وفَعِل وفَعّال[5] ، وهي لا تشتق في الغالب إلَّا من مصادر الأفعال الثلاثية المتصرفة والتي تقبل التفاوت والزيادة والنقصان ؛ لأن هذه الصيغ تدل على المبالغة في المعنى وتكراره و قوته وشدته ، فلا يجوز أن نقول : فلان موّات ؛ لأن الموت لا يقبل التفاوت وقِس على هذا .[6]

---

[1] انظر: النحو الوافي ، 3/257–258.

[2] انظر: الصرف الوافي ، ص:124 .

[3] انظر: الكتاب، 1/110.

[4] انظر: المُقتَضَب، 2/113.

[5] انظر: شَذَا العَرف في فن الصرف ، لأحمد بن محمد الحملاوي [–1351هـ] ، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد ، الرياض– السعودية ، د.ط ، د.ت ، ص:62.

[6] انظر: الصرف الوافي ، ص: 125.

و ترجع صيغ المبالغة عند التحقيق في معناها إلى معنى الصفة المشبهة ؛ لأن المبالغة في فعل شيء ما يجعله كالصفة الراسخة في الإنسان.[1]

وفي عتاب العميدي لأبي القاسم الكُردي لتوقفه عن مراسلته يقول : " لأنّ من يكون ضعيف أسباب المحبة والإخاء، قليل التعلق بأسباب الوفاء والصفاء، سريع التنقل من رباع الود، بليد الخاطر في مراعاة العَهْد، كثير التلوّن خفيفَ المثقال، بسيط الهجر مجتثّ الوصال، لا يُقلقه تغير بيان الإخوان، ولا يزعجه تلوّن أحوال الزمان، ولا يفكر في العقائد عامرةً كانت أو غامرة، ولا يبالي بالمعاقد وثيقة دامت أم فاترة. "[2] ونلاحظ هذه التكثيف القوي للمشتقات وخاصة صيغة المبالغة على وزن فعيل والتي وردت ثماني مرات في الفقرة السابقة فقط (ضعيف– قليل– سريع– بليد– كثير –بسيط– خفيف–وثيقة) ، وصيغة اسم المفعول (مجتثّ) واسم الفاعل ثلاث مرات (عامرة –غامرة– فاترة) كل هذا فقط في ثلاثة أسطر ، مما يدل على أن تدقيق الوصف كان سمة أسلوبية في تَرَسل العميدي ، وهو يُكثِر من توظيف صيغ المبالغة بهدف المبالغة في الوصف والتهويل ، لميله إلى المبالغة إلى جانب مزاجه العاطفي الذي يتطلب مزيدًا من تتابع صيغ المبالغة في متوالية تكون تعبيرًا عن مشاعره المضطربة بداخله والتي أحدثها هجران صديقه له بعض الوقت، كما يوظف المقابلة (عامرة–غامرة) (وثيقة–فاترة) ؛ لإحكام حلقة المبالغة التي هي إحدى مرتكزات أسلوب العميدي .

وفي ذمه لأحد الكتّاب لسوء معاملته يقول : " ثم إن شاورته فعجول، وإن باشرته فملول، وإن ذاكرته فجهول، وإن استنصرته فخَذول، وإن وعدك فمطول، وإنْ عاهَدَك فحَوُول وإن سألته فبخيل ، وإن أمّلته فذليل، وإن تأمَّلته فضئيل، وإن فتلته فسحيل ، فإن حملته فأفيل وإن سألته فكليل "[3] ونرى في الفقرة السابقة تتابع صيغ المبالغة وراء بعضها حتى وردت حوالي اثنتا عشرة مرة ستة منهم على وزن فَعُول والستة الأخرى على وزن فعيل ، بالإضافة إلى الاعتماد على أسلوب الشرط والجزاء ، مما يقوي ما تضفيه صيغ المبالغة من التعبير عن القوة في الصفة ، والتي يوظفها هنا من أجل المبالغة في الذم ، وقد كان له ما أراد ، حتى لكأنَّ أي أحد يسمع بهذا الوصف عن هذا الكاتب لينفر منه لسوء معاملته.

---

[1] انظر: جامع الدروس العربية ، 193/1.

[2] رسائل العميدي ، ص: 58.

[3] السابق ، ص: 156.

وفي رسالته إلى عماد الدولة يرجوه أن يتدخل لحل مشكلة توقف جاريه يقول : " ...وإنصاف يُعيدُ ما اختل منها وانحل إلى النظام، ولكن المواد منقطعة، والأرفاد مرتفعة والوقت صعب، والمرعى جدب، والفطام شديد والمشتفَى بعيد، والأشغال متزاحمة، والمُؤن لا بد منها لأزمة آزمة، فهل بعد صدرِ الوزارة لمتمنٍّ مقعد، أو بعد بلوغ السَّماء لمُرتقٍ مَصعَد، وبعيد ما يقعد بين المتوسمين مَن ينتقد الرجال – أدام الله فضله – كانتقاده، ويعتمدُ العَدْلَ كاعتمادِه، ويجتهد في ابتناء المكارم كاجتهادِه ، والثقه بعد صُنع الله الجميل، وفضله المأمول ، بتفضل الشيخ عماد الدَّوْلَة – أدام الله تعالى سعادته – في إنهاء صورة حالي إلى تلك الحضرة الجليلة." [1]
فهو ينوع في تعبيره بين المشتقات من اسم الفاعل من غير الثلاثي (منقطعة – مرتفعة– متزاحمة–متمنٍّ– مُرتقٍ– المتوسمين) ، واسم المفعول الثلاثي (المأمول) والصفة المشبهة باسم الفاعل على وزن فَعْل (صعب –جدب) ، وصيغ المبالغة وكلها على وزن فَعِيل (شديد – بعيد –بعيد مرة ثانية– الجميل– الجليلة) ، وكل هذا التنوع في استخدام المشتقات في حوالي خمسة أسطر فقط ، لحرصه على تخريج الوصف تخريجًا قويًّا فبالإضافة إلى ما يضفيه اسم الفاعل من الدلالة على ذات قائمة بفعل ما ووصفها تدخل صيغ المبالغة لتضفي معنى الزيادة والقوة في معنى الصفة التي تقوم هذه الذات بها فالفطام كأنه ذات و وقعه شديد التأثير فيه ، والمشتفى وكأنه ذات قد بعدت عنه فلم يعرف لها طريق ، وصنع الله الجميل هو المُخرج له من ظلمات مما يلاقيه من ظلمٍ عند ذات الحضرة الجليلة.[2]

3-7-2-2- اسم المفعول :

أكثر العميدي من استخدام اسم المفعول بما يضفيه من قوة في وصف من وقع عليه فعل الفاعل لميله العام إلى دقة الوصف كما ذكرت قبل ذلك .

---

[1] السابق ، ص: 212–213.

[2] للمزيد من شواهد تكثيف العميدي توظيف صيغ المبالغة بصورة ملحوظة في فقرات كثيرة من رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 30 ، 39 ، 49 ، 50 ، 60 ، 134 ، 136 ، 141 ، 148 ، 149 ، 152 ، 154 ، 176 ، 191 ، 207، 209 ، 214 ، 217 ، 220 ، 228 ، 246 ، 249 ، 254 ، 255 ، 262 ، 277 ، 279 ، 303 ، 306، 313 ، 320 ، 327 ، 353 ، 356 ، 364 ، 365 ، 368 ، 370 ، 371 ، 372 ، 374 ، 375 ، 378 ، 379، 382 ، 383 ، 386 ، 387 ، 389 ، 400.

و اسم المفعول هو: اسم مشتق من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول ، ويدل على وصف من وقع عليه فعل الفاعل[1]، فهو ما دل على حدث ومفعوله نحو : مُكرَم و مَضرُوب ، ويعمل عمل الفعل المبني للمفعول ، وهو في عمله مثل عمل اسم الفاعل فإن كان مُحلًّى بأل عمل مطلقًا ، وإن كان غير محلًّى بها وجب كونه للحال والاستقبال وأن يعتمد على نفي أو استفهام أو يكون موصوفًا أو مخبرًا عنه ، نحو : زيدٌ مُعطًى أبوه درهمًا غدًا أو الآن ، فهي مثل : زيدٌ يُعطَى أبوه درهمًا[2].

وهو يدل على أمريين معًا : يدل على معنى حادث غير ثابت ولا دائم ، وعلى الذات التي وقع عليها فعل الفاعل أو اتصفت به ، فعند قولك : العادل مَحفُوظ بعناية ربه ، والباغي مَصرُوع بجناية بغيه ، تدل كلمتي محفوظ ومصروع على أمريين معًا : تدل على الحدث المتجدد وهو (الحفظ والصرع) ، وعلى الذات أيضًا التي وقع عليها الصرع والحفظ في آن واحدٍ ، وهاتان الدلالتان لا تقعان مع اسم المفعول إلا في الزمن الحالي لا الماضي ولا المستقبل ولا تفيد الديمومة إلّا بقرينة تدل على ذلك[3] ، كما يجب أن تضارع حركاته وسكناته وعدد حروفه حركات الفعل المضارع المبني للمجهول وسَكَنَاته وعدد حروفه[4] ، فهو صفة تؤخذ من فعل مبني للمجهول ، لتدل على حدثٍ وقع على الموصوف بها ، لا على وجه الثبوت والدوام بل على وجه الحدوث والتجدد.[5]

ويأتي وصف المفعول من الفعل الثلاثي المجرد قياسًا على زنة مَفعُول ، كمَقصُودٌ ومَضرُوبٌ ومَمرُورٌ به ، ومنه مَقُول ، ومَبيع ، مرميّ، والأصل مَقُوول ومَبيُوع ومَرمُوي، وقد نقلت حركة الواو والياء الأولين إلى الحرفين الساكنينِ قبلهما ، وقد قلبت الضمة كسرة في مَبيوع ؛ لتسلم الياء، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، ولنفس السبب حذفت الواو من مَقُوول ، أمَّا مرمُوي فقد قلبت الواو ياءً ، ثم ادغمتا معًا لاجتماعهما ، ونقلت الضمة إلى قبلها ، ثم قُلِبت الضمة كسرة لمناسبة الياء فصارت مرميّ[6] .

---

[1] انظر: التطبيق الصرفي ، ص:81.

[2] انظر: أوضح المسالك ، 196/3.

[3] انظر: النحو الوافي ، 271/3.

[4] انظر: الصرف الوافي ، ص:130.

[5] انظر: جامع الدروس العربية ، 182/1.

[6] انظر: أوضح المسالك ، 216/3.

ويأتي من غير الثلاثي بلفظ مضارعه مع إبدال يائه ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، أو إن شئت فقل نأتي بلفظ اسم الفاعل له ونجعل آخره مفتوحًا بدل الكسر ، نقول: المال مُستَخرَج ، وعمرُ منطلِقٌ به [1] ، وإنما جعلت ياء المضارع ميمًا تفرقةً بين الاسم والفعل ، وجاءت الواو لإشباع الحركة وللتفرقة بين اسم المفعول الثلاثي وغير الثلاثي ، ولا يُعتَد بها.[2]

قال ابن مالك :

وكل ما قرِّر لاسم فاعل....يعطى اسم مفعولٍ بلا تفاضل

وإن فتحت منه ما كان انكسر.....صار اسم مفعولٍ كمثلِ المنتظَر

وفي اسم مفعول الثلاثي اطرد....زِنُة مفعولٍ كآت مِن قَصَد [3]

واسم المفعول يأتي من الفعل المتعدي ، فإذا أردنا الإتيان به من الفعل اللازم وجب إضافة شبه جملة تكون متعلقة به فكأنما تعدَّى بواسطة شبه الجملة ؛لأن شبه الجملة تؤدي دور المفعول به فنقول: في جاء ، مَجيء به ، وفي ذهب ، مَذهُوب به ، دار حوله ، مَدُورٌ حوله ، سار وراءه ، مَسيرٌ وراءه ، أسف عليه ، مَأسُوف عليه[4] .

قال ابن مالك –رحمه الله:

وعدِّ لازمًا بحرف جرِّ...وإن حذف فالنصب للمنجرِّ [5]

ومن شواهد توظيف العميدي للاسم المفعول في رسائله :

في تملقه للوزير أبي الفرج القشوري حين تولى الوزارة نجده يعبر في مستفتح رسالته عمّا أفاض الله على الوزير من الهبات والنعم يقول : " وإن كانت من النعم التي إذا تُصُفْحَتْ جدائدُ مِثْلُها وُجدت بِكْرًا لم تفترعها أيدي الزمان، مصونةً لم تدنّسها عوارض الامتهان، مقرونَةً بمراتب تبيتُ طوال الأماني عن ذراها قصيرة،

---

[1] انظر: السابق ، 3/ 216–217.

[2] انظر: الصرف الوافي ، ص: 132.

[3] ألفية ابن مالك ، ص:102، 108.

[4] انظر : التطبيق الصرفي ، ص:83–84.

[5] ألفية ابن مالك : ص:67 .

وتنقلب الأوهام دون بلوغ مداها حسيرة، مشفوعةً بعزّ فوق الثريا محط رحله، معقودةً بخلال لا تقدر الحوادثُ على نَقضه وحلّه، فإنها في جنب ما يستحقه مَوْلايَ– أدام الله دولته – محتقرةً، وبالإضافة إلى ما يستوجبه يسيرة مستصغرة، لأن الذي اشتهر شرقًا وغربًا من لطيف رأيه، وحميد سعيه، وجميل عهده وعقده، ويُمن نصحه وجده، ووافر فضله وعقله، وظاهر إنصافه وعدله، وتصرفه في مهمات الدَّوْلَة بدراية لم يقرع الشكُ بابها، وكفاية لم يهتِكِ العجز حجابها، ومعرفة قد اسْتَحلَى جناها، وشهامة لم يخَف عُقباها، وقدحِهِ في المشكلات بزَندِ وارٍ غير خوّار، واشتماله على المكرمات بعرض عن كلّ عارٍ عار" [1] ونلاحظ هنا هذا التكثيف القوي لاسم المفعول فنعم الله على هذا الوزير (مصونة – مقرونة بمراتب مرتفعة– مشفوعة بعز– معقودة) وفي جانب ما يستحقه (محتقرة – مستصغرة) ، وفيه تكثيف لاسم المفعول الثلاثي في الجمل الأولى وغير الثلاثي في الجمل الثانية ، وهو تكثيف يُضفي على هذا الوصف تشخيص لها وكأنها ذوات متحركة موصوفة بما أفاض الله على الوزير من فضل ، مما يقوي الوصف ويخرجه مخرجه ، وهو في أثناء ذلك لا يغفل اسم الفاعل الدال على ذات متصفة بالقيام بحدث ك (وافر– ظاهر–وارٍ– عارٍ) مما يُلبس هذه الأشياء المادية (الفضل –الإنصاف– الزند –العار) التشخيص وكأنها ذوات متحركة بالإضافة إلى صيغ المبالغة ك (لطيف– حميد–جميل) وكلها على زنة فعيل وهي بالإضافة إلى دلالتها على الذات الفاعلة للحدث فهي تضيف الإشارة إلى قوة الصفة الحادثة للذات الفاعلة مما يعمق الوصف.

وفي رسالته يذكر رجوع الخليفة الفاطمي بأمان إلى قصره بعد ركوبه من القاهرة إلى بنها يقول : " ثم عاد إلى قصر الإمامة، ومقرّ العز والكرامة، مؤيَّدًا منصورًا ، سالمًا موفورًا، محظوظًا بصنيع الله وإقباله، محفوظًا بالملائكة عن يمينه وشماله." [2] فهذا التتابع لاسم المفعول مبالغة في الدلالة على سلامة رجوع الخليفة إلى قصره حتى تطمئن عامة الشعب لسلامة الخليفة الفاطمي ، فكان الاعتماد على هذا الوصف المتتابع الملائم لطبيعة الموقف المتغير غير الثابت ، فلاءم استخدام اسم المفعول الدال على حدث متغير غير دائم وذات وقع عليها فعل الفاعل وهو الخليفة الذي عاد من الله (مؤيدًا– منصورًا –موفورًا– محظوظًا) (محفوظًا) بالملائكة عن يمينه وشماله ، يتخلله الوصف باسم الفاعل من الفعل الثلاثي (سالمًا) كعادته في تكثيف توظيف مختلف

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 49–50.

[2] السابق ، ص: 118.

المشتقات معًا في نفس الفقرة في رسائله ، مع كون إحدى هذه المشتقات–غالبًا– موظفةً أكثر من غيرها في كل موضع.

وفي رسالته في وعيد حسان بن جراح لمّا نهب الرملة يقول : " ويتحقَّقُ مَن أغويته بحُطام ، وأرضَيْتَه من أموال الناس بحرام، أنك مغضوبٌ عليك، ومسلوبٌ ما في يديك، وإن كان أقرب الناس إليك نسبًا، وأوكدهم لديك سببًا ،ويرى أنك مقصودٌ كيف سَرَيْت وسِرت ومطلوبٌ حيث صرت وطرت ، وأنه تلاعَبَتْ بك أيدي الصغار، ودارت عليك دائرة الاغترار، وامتدت إليك أعناق الأدبار، وطلبتك خيل المهاجرين والأنصار، وأن العزائم الصادقة مصروفةٌ إلى اقتناصِك، والأسدادَ عليك مضروبةٌ دون خلاصك حتى يَضُمَّ عنك أطرافه، ويُضمر فيك إطرافه، ويُظهر فيك خلافه، ويصير لك حربًا وعليك إلبًا، فيدوسك بقدمه، ويتبرأ منك خوفًا على دمه." [1]

فحسان بن جراح (مغضوب عليه– مسلوب ما في يديه– مقصودٌ حيثما ذهب– مطلوب حيثما وُجِد) (والعزائم الصادقة مصروفة في اقتناصه) (والأسداد عليه مضروبة دون خلاصه) كل هذا التكثيف في توظيف اسم المفعول لتضييق الخناق عليه حتى إن قارئ الكلمات ليشعر أن حسان بن جراح محاط بجند الخليفة الفاطمي من كل جانب حتى لو ارتقى إلى السماء بسلمٍ لنالته يد الخليفة الفاطمي، وهناك دلالة أخرى لتوظيف اسم المفعول هنا وهو تأكيد خضوعه – وإن كان رغمًا عنه– لسلطان الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي فهو من الخليفة مغضوب عليه وبأمره يُسلب ما في يديه و يُهدر دمه حيثما حلّ ونزل ، وفيها تأكيد لازم على بسط السلطان نفوذه على شامل أقطار مملكته ، وأن هذا الخارج وما انتهبه من أقطار الخليفة إنما هي مسألة وقت وسيرجع الخليفة لبسط سلطانه ونفوذه عليه مرة أخرى ، وفي الشاهد تأليب لجماعة حسان بن جراح عليه ، إذ ينصحهم بألا يغتروا بكلامه ، مظهرًا لهم باطن ما يخفيه من نواياه في استغالهم لمصلحته.[2]

---

[1] السابق ، ص: 281.

[2] وللمزيد من شواهد تكثيف العميدي توظيف اسم المفعول لتحقيق الوصف في فقرات مختلفة من رسائله انظر رسائل العميدي ، ص: 12 ، 39 ، 43 ، 51 ، 53 ، 54 ، 55 ، 90 ، 117 ، 122 ، 137 ، 142–143 ، 152 ، 164 ، 166 ، 169 ، 170 ، 176 ، 178 ، 202 ، 213 ، 218 ، ، 234 ، 236 ، 246 ، 252 ، 257 ، 259 ، 268 ، 270 ، 272 ، 280 ، 285 ، 286 ، 290 ، 295 ، 298، 299 ، 303 ، 305 ، 306، 307، 311، 319 ، 320 ، 323، 325 ، 330، 334 ، 339 ، 351 ، 355 ، 371.

4-7-2-2- اسم التفضيل:

أكثر العميدي من استخدام اسم التفضيل لما يدل عليه من الثبوت والدوام ، إلى جانب ما يضفيه من مقارنة غالبًا ما يوظفها في تحقيق المبالغة ، لميله العام للتهويل ، فضلًا عن موافقة اسم التفضيل لفعلي التعجب وزنًا ومعنًى ممّا يقوي هذه المبالغة.

و تستعمل العرب في التفضيل اسمًا مصاغًا على زِنَة أفعل للدلالة على أن شيئين قد اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما على الآخر فيها [1]، فهو الوصفٌ المبني على وزن أفعل للدلالة على زيادة صاحب الوصف على غيره في أصل الفعل[2] ، أو هو صفة تؤخذ من الفعل للدلالة على أن شيئين يشتركان في صفة و قد زاد أحدهما فيها على الآخر[3] ، فهو اسم مشتق على زنة أفعل و يستعمل -غالبا- للدلالة على أن شيئين قد اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما (المُفَضّل) على الآخر (المُفَضّل عليه أو المَفضُول) فيها.[4]

ويدل اسم التفضيل على الثبوت والدوام ما لم تأت قرينة تصرفه إلى الحدوث والتجدد ، فشأنه في ذلك شأن الصفة المشبهة [5]، وهو يدل على الزيادة في الأصل على النحو الغالب ، وقد تكون المشاركة بين المُفَضل والمُفَضل عليه تقديرية لا حقيقة ، فلا مشاركة بينهما في أصل الفعل ، كأن يقول قائل وقد خُيّر بأن تُضرب رقبته بالسيف أو يُحرق: لأن أموت بالسيف أحب إليّ من أن أموت بالنار ، وفي الواقع كلاهما شيء مكروه ، وليس فيهما شيء محبب للنفس ، فهو على سبيل التقدير والمجاز ، أو أن تستخدم أفعل التفضيل للتهكم والسخرية كأن تقول: هذا الأخطب من الأخرس ، وقد يستخدم أفعل التفضيل لا لشيء سوى للدلالة على الزيادة في أصل الفعل فقط نحو قوله -تعالى- : "ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن" [الأنعام/152] ، فليس المقصود هنا المفاضلة في الحسن ، وإنّما المراد أن يقربوا مال اليتيم بمزيد من الحسن.[6]

---

[1] انظر: التطبيق الصرفي ، ص:94 .

[2] انظر: شرح التصريح على التوضيح ،92/2.

[3] انظر: جامع الدروس العربية ، 193/1.

[4] انظر : النحو الوافي ، 395/3.

[5] انظر: السابق نفسه.

[6] انظر: معاني النحو ، 311/4-313.

و يصاغ أفعل التفضيل ممّا يصاغ منه فعلا التعجب فتقول: أفضل وأعلم وأضرب ، كما تقول ما أفضله ، وما أعلمه ، وما أضربه ، ويشترط فيه ثمانية شروط : أن يكون فعًلا ، و أن يكون ثلاثيًا ، فلا يبنى من دحرج وخلافه ، و أن يكون متصرفًا فلا يبنى من بئس ونعم ، أن يكون معناه قابلًا للتفاوض ، فلا يبنى من نحو مات وفني ، وأن يكون تامًا مثبتًا مبنيًا للمعلوم، فلا يبنى من كان وأخواتها مثلًا ، ولا يبنى من المنفي سواء أكان ملازمًا للنفي كعاج من : ما عاج بالدواء ، أي ما انتفع به ، أم غير ملازم للنفي مثل : ما قام عمر ، وألا يكون اسم فاعله على زِنَة أفعل فعلاء مثل: أخضر وأعرج وأشهل.[1]

قال ابن مالك:

صُغ من مصوغٍ منه للتعجب....أفعل للتفضيل وَأبَ اللذ أُبي

يقول: سوت العرب بين أفضل التفضيل وفعلي التعجب فيما يصاغوا منه لتناسب بينهما ، فما جاز أن يكون فعل تعجب جاز أن يكون اسم تفضيل ، وما لم يَجُز أن يكون فعل تعجب لفقده بعض الشروط لم يَجُز أن يكون اسم تفضيل ولذا قال: وأَبَ اللذ أُبِي.[2]

فيصاغ اسم التفضيل موازن لأفعل ممَّا يُصاغ منه فعلي التعجب ، وقد تنوب أشد وشبهها عنه ويُعرب حينها اسم التفضيل تمييزًا ، وقد غلب حذف همزة أشر وأخير في التفضيل دون التعجب ، ويلزم اسم التفضيل إذا كان عاريًّا التذكيرَ والإفرادَ وأن يليه معموله المفضول عليه مسبوقًا بحرف الجر مِن ، وقد يسبق اسم التفضيل وذلك إذا كان المفضول مضاف إليه أو ممّا له الصدراة كاسم الاستفهام ، وإن كان اسم التفضيل معرّفًا بأل أو مضافًا إلى معرفة طابقَ المُفَضّل في الإفراد والتذكير وفروعهما ، وإن قُيدت إضافته بمن ، جاز الوجهان المطابقة و الاستعمال العاري دون تعين للثاني خلافًا لابن السّراج[3] ، وقد تقدم أن أفعل التفضيل

---

[1] انظر: أوضح المسالك ، 3/ 235-238 ، 255.

[2] انظر: توضيح المقاصد ، 933/2 .

[3] انظر: تسهيل الفوائد ، ص:133-134.

يناسب فعلي التعجب وزنًا ومعنًى ، وكل واحد منهما –أي فعلي التعجب واسم التفضيل– يُحمَل على الآخر فيما هو أصل فيه[1] .

فلا تخلو حالات اسم التفضيل مع المُفَضّل من ثلاث حالات :

1– وجوب مطابقة اسم التفضيل للمُفَضّل ، إذا كان الأخير معرفةً.

2–وجوب إفراد اسم التفضيل وتذكيره –أي عدم مطابقته للمُفَضّل– إذا كان اسم التفضيل نكرة غير مضاف ، أو كان اسم التفضيل مضافًا إلى نكرة.

3–جواز المطابقة ، أو التزام التذكير والإفراد وذلك في حالة إضافته لمعرفة.[2]

ومن شواهد توظيف العميدي لاسم التفضيل في رسائله ، رسالته إلى أبي الفرج القشوري يتملقه يقول : " وباينتُ مَن لم تزل همّتي مقصورةً عليه ،حتى ربما يفضي بي ركوبُ الرّدَى ، وإدمانَ السَّيْر و السُّرى إلى توسط ذئاب عاوية ، وسباع ضارية ، أفزع ما أكونُ منهم إذا كنت مجاورًا وعشيرًا ، وأخوَفُ ما أُكَنُ بدارٍ أبيتُ فيهم إذا أخذت منهم خفيرًا، وأشقّ ما يكون علي أمري إذا شققت فيما بينهم ميلاً ، وأنحس ما أسافر إذا استصحبت فيهم دليلاً، هذا إن ساعدني في طريقي الجد السعيد، ووافقني في مسافتي التوفيق والتأييد.... "[3] ، فهو يعتمد على دلالة المقارنة المتضمنة في اسم التفضيل إلى جانب دلالته على الوصف الثابت الدائم ، ممّا يقوي مبالغته التي ذهب إليها وبالتالي يزداد تملقه لرئيسه الذي لا يجد حرجًا في أن يصل إليه حتى لو فُرض عليه المسير إليه في طريق شاقٍ وعر مليء بالوحوش الضارية والأنام السيئة ، فهذا المكان أفزع مكان

---

[1] انظر: شرح التسهيل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [–672هـ] ، تحقيق د.عبد الرحمن السيد ، د.محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة ، القاهرة –مصر ، ط1 ،1990م ، 50/3 ، وللمزيد حول المشتقات وأحكامها انظر: الأصول في النحو ، لابن السّرّاج ، 122/1–130 ، شرح قطر الندى ، ص:269–277 ، وشرح التصريح على التوضيح ، 11/2–45 ، 92–107 ، وشذا العَرف في فن الصرف ، ص:61–70 ، النحو الوافي ، 238/3–318 ، 394–433.

[2] انظر: التطبيق الصرفي ، ص: 97 ، وللمزيد حول استعمال أفعل التفضيل وحالاته انظر : التطبيق الصرفي ، ص:95–97 ، وأوضح المسالك ، 256/3–266.

[3] رسائل العميدي ، ص: 35.

يجاوره الإنسان ، وأخوف طريق يمكث فيه المسافر ، وأوعر طريق يشق فيه الراجل قدمه ، ومع ذلك فهو لا يعبأ بكل هذا ويصر على الركوب للوصول لسيده ورئيسه.

وفي رسالته يهجو أحد الأشراف يقول : " والكذب قبيح بالتابع، وهو بالمتبوع أقبح، واللؤم فاضحٌ للخادم، وهو للمخدوم أفضح والبخل فظيع من المعسِر، وهو من الموسِر أفظع ، والكسوف شنيع في الكواكب، وهو بالشمس والقمر أشنع، والخسة في الخواص أبينُ منها في العوام، والذلة باللئام أليقُ منها بالكرام، وما الشرفُ إلا شرف النفس، وما السؤدد إلا أن تسود أبناء الجنس، ولا الرئاسة إلا في اكتساب المكارم ، ولا الفضل إلا في احتمال المغارم، ولا شيء أصون للمجد من استعباد الحرّ، ولا سبب أنفى للمروءة من إمساك البر ، ولا شعار أخلق من شعار الأعذار ، ولا ذلَّ أصعب من الافتقار ، ومن طلب الجلالة بالنذالة فقد طلب محالًا، ومن رام الرياسة بالخساسة فقد رام ضلالاً." [1] فهذا التدفق لأسماء التفضيل المتنوعة للدلالة على أمريين : هما المفاضلة والمقارنة بالإضافة إلى ما يضفيه استعمال اسم التفضيل من الدلالة على أنها أشياء ثابتة دائمة مما يخرجها مخرج الحكمة ، فالكذب من المتبوع أقبل من الكذب من التابع ، واللؤم أفضح للمخدوم من الخادم ، والبخل من الموسر أفظع منه من المعسر ، والكسوف من الشمس والقمر أشنع من الكسوف من الكواكب، وخسة الخواص أبين من خسة العوام ...إلخ ، مما يساعده على ما أراده من المبالغة في ذمه هذا الشريف وإحراجه حتى يفي بما وعده إياه سالفًا ، وإلى جانب هذا الضغط بكتثيف توظيف اسم التفضيل حتى ورد حوالي 10 مرات ، جاء الضغط أيضًا باستخدام صيغ المبالغة (قبيح –شنيع – فظيع) حتى تكتمل صورة المبالغة في الذم فيخجل الشريف من كلامه ويؤدي ما وعده به إليه ، يقول في خاتمة الرسالة : " وقدمت هذه الأحرف إليه ، ليتحقق أن الجميل خير من القبيح ، وأن المُعَلّى أعلى من المنيح ، وأن للجفاء مغبةً وخيمةً ، وعاقبةً ذميمةً ، وثمرةً مرّة ، وطريقة وَعِرة..." [2] ،

وعند تفحص النص السابق نجده أقرب ما يكون من فقرة وردت في مقدمة كتابه المطبوع الوحيد " الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى ، حتى كأنهما يخرجان من مشكاة واحدة ، وهذا مما يؤكد نسبة هذه الرسائل للعميدي يقول : " وما أحسن أثر القاضى إذا عدل في الحكم وأنصف ، وأقبح ذكره إذا مال عن الحق وجنف ، والظلم قبيح ،وهو من الحكام أقبح وأشنع ، وجحود الفضل سخف وهو من الفضلاء أسخف وأفظع ، ومن لم

[1] السابق ، ص: 39.

[2] السابق ، ص: 44.

يتميز من العوام بمزية تقدم وتخصص سلق المحسنين بلسان ذم وتنقص ، ومن عدم محاسن التمييز والتحصيل نظر إلى المميزين بعين التقصير و التجهيل. "[1] .

وفي رسالته إلى صالح بن مرداس يتوعده واصفًا ما أحدثه من خراب ودمار يقول : " وخرَّبتَ ضِيَاعَهم بأيد الكفرة الذين حَشَرْتَهم حوالَيْك، واستقتَ كُراعهم مع الأكَرَة الذين حشدتهم إليك، واستخدمت عربًا صُرْحًا كانوا أقدم منك نِعمًا، وأوثَق عِصمًا، وأصحَ ذممًا، وأكثرَ خَوَلاً وخدمًا، وأكرم أصولاً، وأوفر عقولاً ، وأكبر نفوسًا ونَفاسةً، وأجلَّ أقدارًا ورياسة، وأوسعَ جِفانًا، وأرفعَ نيرانًا، وأشدَّ ضِرابًا وطِعانًا، وأسمحَ في الأزلّ والمحل بنانًا، وأعزّ أحلافًا وجيرانًا، وأعظم مكانةً وإمكانًا، ولو عرفوا مكنون اعتقادِك فيما فعلته، ووقفوا على باطن مُرادِك فيها أبنته من نفسك وبذلته، لبَعدَ عليك يومئذٍ أن تستافَ ترابها، فضلاً عن أن تُذِلَّ أصحابها، وترعى هشيمها، فضلاً عن أن تستبيح حريمها، وتَرِدَ ماءها، فضلاً عن أن تسبي نساءها ، وتسوق بقرها وشاءها ، ولكن نَفَقتَ عليهم زيوف كلامك ، ودببت فيهم صُنوف سُمامِك." [2] وفي الفقرة السابقة نلاحظ سياسة العميدي وحنكته في السعي إلى تفريق الأعراب من حول صالح بن مرداس بمدحههم وإطرائهم ، وإخراجهم مخرج الأناس الصالحين الذين اغتروا بدعوات هذا الخارج ولم يتبينوا ما يخفيه في صدره من استغالهم ودفعهم للموت دفعًا لمصالحه ، والدولة حيال هذا تفتح مصراعيها لاحتضان هؤلاء العرب الشرفاء الذين هم أقدم في النّعم و أوثق في العِصم و أصح في الذمم و أكرم في الأصول وأفر في العقول وأكبر في النفوس...إلخ ، منك يا صالح بن مرداس ، واستخدم اسم التفضيل ليضفي صفة الثبوت على هذه الأوصاف اجتلابًا لقلوبهم وسعيًا في تفريقهم من حوله.[3]

---

[1] الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى ، العميدي ، ص: 19 ، وقد تناول الباحث تحليل مقدمة كتابه الوحيد المطبوع في آخر الرسالة وبينّ مدى التقارب الشديد في الأسلوب ما بين الرسائل ومقدمة الكتاب ؛ حيث تعد هذه المقدمة الدليل الوحيد و المرشد لأسلوب العميدي ، مما يقوي نسبة هذه الرسائل للعميدي للتقارب الشديد في الأسلوبين كما رأينا في هذا الشاهد.

[2] رسائل العميدي ، ص: 293-294.

[3] وللمزيد من الشواهد حول تكثيف العميدي توظيف اسم التفضيل في فقرات مختلفة من رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 13 ، 40 ، 71 ، 119 ، 144 ، 148 ، 155 ، 156 ، 160، 163 ، 168 ، 175 ، 178 ، 179-180، 191 ، 192 ، 205 ، 207 ، 208 ، 219 ، 220 ، 226 ، 230 ، 237 ، 255 ، 256 ، 258 ، 259 ، 270 ، 276 ، 286 ، 298 ، 302 ، 309 ، 310 ، 321 ، 324 ، 334 ، 336 ، 345 ، 357 ، 358 ، 360 ، 361 ، 364 ، 370 ، 379 ، 385 ، 386 ، 389 ، 417 ، 424 ، 429.

الفصل الثالث

الأسلوبية الشكلية والدلالية

وفيه توطئة و ثلاثة مباحث :

توطئة.

المبحث الأول : الأسلوبية على المستوى الشكلي والدلالي وفيه :

1-1-3- الجناس.

2-1-3- الطباق.

3-1-3-المماثلة.

4-1-3- المقابلة.

5-1-3- مراعاة النظير.

6-1-3- التكرار التركيبي.

7-1-3- السجع.

المبحث الثاني : الأسلوبية الدلالية وفيه :

1-2-3-الانزياح ، وفيه :1-1-2-3- التشبيه.

2- 1-2-3- الاستعارة.

3-1-2-3- الخيال الممتد.

المبحث الثالث : سمات أسلوبية عامة وفيه :

1-3-3- الإطناب.

2-3-3- أسلوب النغمة المُتصَاعِدة.

3-3-3- الأسلوب الساخر.

4-3-3- الميل إلى التملق.

5-3-3- الميل إلى المبالغة.

توطئة :

كان مصطلح الأسلوب مواكبًا لما يسمى بمصطلح البلاغة " La Rhétorique " فكان متضمنًا لمبادئها دون حدوث أي تعارض بينهما ، بل كان الأسلوب بالنسبة للبلاغة مساعدًا لها على تصنيف قواعدها المعيارية التي تسوقها إلى الفكر الأدبي والعالمي ، منذ عهد الحضارة الإغريقية بشكل عام ، وكتابات أرسطو بشكل خاص ، ولهذا اكتسب الأسلوب شهرة التقسيم الثلاثي الذي كان عليه بلاغيو العصور الوسطى، فيما يسمى "بدائرة فرجيل" ، حين ذهبوا إلى أن هناك ثلاثة أنواع من الأساليب وفقا للطبقة الاجتماعية، ومن ثم يكون توزيع الصور والمفردات ،وأسماء الحيوانات ، ومظاهر الطبيعة ، والأماكن ، والآلآت، في الأساليب موافقًا لما يناسبه من الطبقات ، وهذه الأساليب هي : الأسلوب البسيط وهو الأدب الذي يُوجه نحو المزارعين ، والأسلوب المتوسط وهو الأدب الذى يُوجه نحو التجار والصنَّاع ، والأسلوب العالي وهو الأدب الذي يوجه إلى طبقة المفكرين والقادة [1] ، و بمقارنة مجالات التماس للأسلوبية والتقاطع لها مع كل من اللسانيات والبلاغة يتضح لنا أنهما يمثلان محورين متعامدين على بعضهما طولا وعرضًا ، ويأتي علم النحو ليكون البعد الثالث و الأخير وهو بعد العمق ، فيخرق حقول التباعد والتداخل ليصبح مركز الثقل مستقطبًا جاذبية الأسلوبية على نحو ما من التناظر، فالنحو هو مجال القيود بينما الأسلوبية مجال الحريات. [2]

و من أبرز المفارقات التي نجدها بين المنظورين الأسلوبي والبلاغي هو أن البلاغة علم معياري يعطي الأحكام التقييمية ، و يهدف إلى تعليم مادته ، و موضوعه هو : بلاغة البيان ، أما الأسلوبية فتنفي عنها كل معيارية، و تتجنب إرسال الأحكام التقييمية سواء أكانت بالتهجين أم بالمدح ، غير ساعية البتة إلى أي غاية تعليمية، فالبلاغة تحكم مستندة إلى تصنيفات جاهزة و أنماط مسبقة بينما الأسلوبية تتقيد بقيود منهج العلوم الوصفية ، والبلاغة تهدف إلى خلق الإبداع الفني بناءً على وصاياها التقييمية في حين أن الأسلوبية تعلل الظاهرة الإبداعية بعدما يتقرر وجودها ، كما أن البلاغة قد اعتمدت في أصولها على الفصل بين المضمون والشكل في الخطاب اللساني ففرّقت في وسائلها العلمية بين الأغراض والصور ، وعلى النحو المقابل نجد أن

---

[1] انظر: الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة منذر عياشي ، ص:23-24.

[2] انظر : الأسلوبية والأسلوب ، د.عبد السلام المسدي ، ص:46.

الأسلوبية ترغب عن أي مقياس ما قبلي ، رافضة الفصل بين الدال والمدلول ، فلا وجود لكليهما إلا متقاطعان ومكونان للدلالة معًا ، فهما لها وجهان لعملة واحدة. [1]

ويرى " ستيفن أولمان" أن الاختفاء القوي لعلوم البلاغة التقليدية قد أحدث ثغرة كبيرة في الدراسات الإنسانية ، و قد أوجبت هذه الثغرة على الدراسات الأسلوبية أن تقطع شوطًا كبيرًا لملء هذه الثغرة ، والواقع أنه ليس من الخطأ المحض أن يُوصف علم الأسلوب بأنه " بلاغة جديدة" تناسب المتطلبات والمستويات العلمية المعاصرة في حقلي اللغويات والأدبيات على حد سواء ، فيقول: " إن ظهور علم الأسلوب يمكن أن يساعد أكثر من أية ظاهرة جديدة أخرى على رأب الصدع الذي يوجد في الوقت الحاضر بين الدراسات اللغوية والدراسات الأدبية ، سواء في التعليم أم في البحث ، وجدير بالذكر أن هذا الوضع لم يُعرف إلا في العلوم الإنسانية الحديثة ؛ أما الآداب القديمة فقد سلمت منه ، وبفضل علم الأسلوب يمكن أن تستعاد الوحدة الأساسية في المادة على مستوى تركيبي أعلى ، وهو مستوى "النقد الكلي" الذي يهدف إلى دراسة شاملة متكاملة من كافة النواحي لبنية العمل الأدبي وتأثيره " [2]

فمن المعروف أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة التقليدية ، ومن خلال الجوانب الصوتية والشكلية الموجودة في البلاغة (كالجناس والسجع والازدواج والتكرار) وغيرها ، تدخل الأسلوبية لدراسة هذه الظواهر ودلالتها على المعاني ، ومعرفة ما إذا كانت تميز لغة بعينها أو تميز أسلوب كاتب بعينه ، هذا الكاتب الذي يرى ريفاتير أن مهمته أصعب بكثير من مهمة المتكلم ، فالمتكلم يستطيع أن يُفهم مقصده من خلال نبرته وإشاراته وتنغيمه الحروف ، مما يساعده على تأكيد كلامه وكسر الجمود مع من يحادثه ، أمَّا المؤلف فالمهمة عنده أصعب لأنّه لا يملك تلك الوسائل اللغوية وغير اللغوية ، وبذلك يلزمه الاعتماد على مسالك معينة لتأكيد رسالته و كسر الجمود بينه وبين المتلقي ومن هذه المسالك المبالغة والتقديم والتأخير والاستعارة...إلخ[3]

فالأسلوبية الصوتية تعتمد على ما يُعرف بالمتغيرات الصوتية ، وبمقدار الحرية في كل لغة في التصرف في بعض العناصر الصوتية في السلسلة الكلامية تستطيع تلك اللغة استخدام هذه العناصر لغايات أسلوبية ،

---

[1] انظر: السابق ، ص:44.

[2] انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي ص:121.

[3] انظر : السابق ، ص: 127-128.

ومن هذه المتغيرات الأسلوبية الصوتية –وذلك وفق مصطلحات بالي– من الآثار الطبيعية كالمد والتكرار والنبر والمحاكاة الصوتية والجناس الاستهلالي والتناغم ، كما يمكننا تمييز بعض الآثار من خلال نبر الريف والطبقة والمهنة والنطق الطفولي والنطق القديم والنطق الأجنبي[1] .

فالمستوى الدلالي يهتم بدراسة معنى العبارات والجمل في النص ، وهو ما يتجاوز معنى المفردات ، كما يهتم بدراسة المهارات اللفظية وألوان المحسنات البديعية في تعبير الكاتب عن أفكاره في النص.[2]

وتدور مباحث علم البديع على مستويين: المستوى السطحي وهو الذي يختص بالناحية الصوتية للكلمة ، عبر خروجها من اللسان ثم تلقي السامع لها عبر أذنيه وتأثيرها فيه من خلال الأزدواج والجناس والسجع مثلًا، والمستوى الأعمق وهو الخاص بالناحية الفكرية أو مايمكن تسميته بالنطق الفكري ، وهو متصل بالفصاحة المعنوية كالتورية والمقابلة والطباق ، وتحرك البديع يكون بين هذين المستويين من الناحية الشكلية الصوتية من جهة تشكل الكلمات نطقًا وكتابة ومن الناحية المعنوية ، وقد أفسد البلاغيون هذا المبحث إذ جعلوه لمجرد الزينة اللفظية– وكأن الأديب يكون عابثًا حين يوشح كتاباته بالمحسنات اللفظية التي لا تفيد في توضيح الفكرة أو إخفائها ، ولا تفيد في التعبير عن الإحساس أو العاطفة – وذلك حين جعلوا البديع مبحثًا إضافيًا يأتي بعد مراعاة الحال ، وجودة مطابقة الكلام للحال ، والإفادة وظهور الدلالة ، على الرغم من أن الجانب الصوتي لهذه المحسنات مرتبط بالجانب المعنوي لها[3] ، فالبديع صار أداة تعبيرية يعتمد المفارقة المعنوية والحسية للغة بذاتها ، كما جعل من الإيقاع التكراري خاصية بذاتها ، و كل ذلك تنظيم لعمليات الأدوات التعبيرية ، التي كان الهدف من الإكثار منها أن تُتّخذ وسيلة لقبول الكلام أولًا ، ثم الإعجاب بها في مرحلة تالية.[4]

فعلماء البلاغة الأقدمون قد اهتموا بتحليل الجملة العربية ودراسة تركيبها كونها الوحدة الصغرى للخطاب اللغوي ، فدرسوا الكلمات التي تتشكل منها الجمل ، بل درسوا الحروف ومخارجها معزولة عن الدلالة ، وصولًا

---

[1] انظر: الأسلوبية ، لجيرو ، ص:60–61.

[2] انظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، ص: 42.

[3] انظر: البلاغة والأسلوبية ، د.محمد عبد المطلب ، ص: 264.

[4] انظر: البلاغة العربية :قراءة أخرى ، د.محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة–مصر ، ط2 ،2007م ، ص:348.

إلى التركيب ، بكل علاقاته النحوية ، وقد انتقلت هذه المتابعة الذهنية العقلية دون وعي للمستوى الشكلي الصوتي للكلمات ، فعملوا داخل دائرتين : دائرة المعنى الذهني ، ودائرة الصياغة ، والتي يستحيل الفصل بينهما مع كون دائرة المعنى الذهني خفية لا يمكن الوصول إليها إلّا عن طريق التعامل التحليلي ، فدرسوا مختلف التنويعات اللغوية الموجودة على المستوى السطحي ، من أوجه التخالف والتوافق في الأصوات والحروف والكلمات والجمل ، والتي تحدث دلالة بشكل خاص ، تتصل بالمبدع أحيانًا وبالمتلقي في أحايين أخرى ، وقد تتعلق بالنص ذاته ، وهذه التنويعات اللغوية لا تسير على نمط معين بل تتغير من شكل لآخر وتختلف عن إطار المحفوظ اللغوي مشكلة تنوعًا جماعيًا أو فرديا أطلقوا عليه علم البديع.[1]

وبتتبع بنى الأشكال البديعية تبين أن البلاغيين –بوعي أو بدون وعي– قد أحكموا الربط بين هذه المحسنات البديعية برابطة واحدة ، وإلّا استحالت هذه المحسنات إلى كم متنافر لا معنى لها ، وهذه الرابطة ترتبط بها المحسنات البديعية فيما بينها على المستوى السطحي الصياغي مع ارتباطها وتأثيرها في المستوى الذهني الدلالي في إنتاجها للمعنى ، وهي علاقة البعد التكراري ، فالتكرار فيها هو البنية العميقة لها ، دون أن ينفي ذلك إمكانية هذه البنى البديعية على إضافة دلالات أخرى لها بخلاف ما يضفيه طابع التكرار فيها ، ففي الجناس مثلًا يؤدي المتلقي دورًا مهمًا في صناعة دلالته المعنوية ، حيث يؤدي التماثل السطحي في بنية الكلمتين المتطابقتين صوتيًا إلى توقع المتلقي أن يكون التماثل أيضًا على المستوى العميق ، فلا يجد نفسه إلّا أمام تخالف لا توافق ، وقد كُسِر أفق التوقع لديه ، مما يقوي التأثير فيه نتيجة للهزة الدلالية التي تلقاها بمخالفة التوقع ، و على هذا المنوال كل المنبهات التعبيرية التي تؤكد شعرية الصياغة . [2]

واستحسنان البلاغيين لهذه البنى الإيقاعية راجع إلى رغبتهم في تقريب النثر إلى الشعر ، فضلًا عن رغبتهم في إحداث أثرٍ مكثف على متلقي الرسالة ، ومن هنا كانت رعايتهم بالسجع المتساوي القرائن ، فالطبيعة التكرارية تتحقق فيها على مستوى البنية الصرفية فضلا عن مستوى الحرف الأخير في نهاية المقطع ، فهذه الطبيعة التكرارية التي دخلت في البنية العميقة للمحسنات البديعية رأسيًا وأفقيًا ، هدفت إلى إنتاج الدلالة في

---

[1] انظر : السابق ، ص:349-351.

[2] انظر: السابق ، ص: 352-353 ، 373.

أحايين كثيرة ، كما هدفت في أحايين ثانية إلى إنتاج النغم والإيقاع الخالص ، ثم مزج الإيقاع الخالص بالدلالة في أحايين ثالثة.[1]

فيما ذهب باحث آخر إلى أن التكرار (Reiteration) بأنواعه المختلفة يؤدي إلى سبك النص، وهو على درجات فمنها ما يحدث من تكرر لفظين درجتهما واحدة ، دون التشابه في المعني فيما يُعرف بالجناس ، ويعد من ضروب الإحالة (Anaphora) ، أي أن اللفظ الثاني منهما يحيل إلى الأول ، ومن ثمَّ يحدث السبك المعجمي للنص ، وكذلك الترادف أو شبه الترادف (Synonym) من وسائل التكرار التي تؤدي إلى سبك النص ، ويُقصد به تكرار المعنى مع تغير اللفظ ، وكذلك استعمال المشتقات وسيلة من وسائل السبك المعجمي فيما أطلق عليه دي بوجراند ودريسلر التكرار الجزئي (Partial Recurrence[2]).

وفيما يلي عرض لأهم الظواهر الصوتية والدلالية التي تكررت بصورة ملفتة للنظر في كتابة العميدي حتى أضحت سمة أسلوبية لكتابته ، وكانت من قبل من أهم مرتكزات الكتابة في العصر الفاطمي ، يقول د.محمد كامل بعد تناوله سجلًا لابن الخلَّال –وهو آخر من تولى ديوان الإنشاء بمصر الفاطمية –: "...أمَّا من جهة الأسلوب والمعاني فتتجلى في هذا السجل التقاليد التي نهجها الكتاب المصريون ؛ فالسجع والجناس والتطبيق والاقتباس والولوع بالصور البيانية ، وكثرة الجمل المتوالية التي تحمل معنًى واحدًا مع الألفاظ المترادفة ". [3]

[1] انظر: السابق ، ص: 400–404.

[2] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د.جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1998م ، ص: 79 ، 82 ، 101.

[3] الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ، ص: 198.

المبحث الأول

الأسلوبية التركيبية الشكلية والدلالية

3-1-1- الجناس:

أكثر العميدي في رسائله من استخدام الجناس لما يضفيه من جذبٍ لانتباه السامع لكسره أفق التوقع لديه ، فبعد أن يظن أن الكلمة تكررت من باب التوكيد أو الخطأ يجد أنها مشابهة للفظها دون معناها فتقع في نفسه ويزداد انتباهه للكلام ، هذا بالإضافة لما يدل عليه كثرة استعمال الجناس من براعة الكاتب وتمكنه من اللغة وكثرة محفوظه وخاصة إذا جاء غير متكلفٍ ، وهو عين صورة الجناس الذي استخدمه العميدي في كتابته ، ونفس طريقته في تناول المحسنات البديعية.

و الجناس لغة : هو مصدر جانس الشيءُ الشيءَ أي شاكله و اتحدا في الجنس ، واصطلاحًا : هو تشابه كلمتين لفظًا واختلافهما معنًى ، ومنه التام وغير التام ، فالجناس التام: ما اتفقت فيه الكلمتان في عدد الحروف وترتيبها وهيئتها من حركات وسكنات ونوعها دون المعنى ، والجناس غير التام : ما اختلفت فيه الكلمتان في شيء من الأمور السابقة مع الاختلاف أيضًا في المعنى.[1]

وعرَّفه ابن المعتز [-296هـ] بقوله: التجنيس هو مجيء الكلمة تجانس كلمة أخرى في كلامٍ أو شعر ، ومجانستها إياها تكون بمشابهتها لها في تأليف حروفها على النحو الذي ألف الأصمعي عليه كتابه الأجناس.[2]

---

[1] انظر: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، أحمد مصطفى المراغي [-1371هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 1993م ، ص:354-355.

[2] انظر: البديع في البديع ، لأبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله [-296هـ] ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1990م ، ص:108.

قال في الإيضاح : الجناس اللفظي ما تشابهت فيها كلمتان لفظًا دون معنًى ، ومنه التام وهو ما اتفقت فيه اللفظتان في عدد الحروف وهيئاتها ونوعها وترتيبها ، فإن كانتا اسمين معًا أو فعلين معًا سُمي جناس مماثل ومنه قوله –تعالى– : "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبسوا غير ساعة" [الروم/55] ، فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية التي هي للوقت ، وإن اختلفا في الاسمية والفعلية سُمي مستوفيًا نحو قول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه......يحيا لدى يحيى بن عبد الله [الكامل]

فالفعل يحيا واسم الشخص يحيى بينهما جناس مستوفٍ ، ووجه الحسن فيه حسن الإفادة ، مع كون الصورة فيها معادة ، وإن اختلفا في أمر من الأمور السابقة كأعداد الحروف زيادةً أو نقصانًا سُمِي ناقصًا ، كقوله–تعالى– : " والتفت الساق بالساق* إلى ربك يومئذٍ المساق" [القيامة/29–30] ، فالساق العضو المعروف والمساق المصير ، وقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفاء..... من الجوى بين الجوانح [الكامل]

وإن اختلفتا في أنواع الحروف وجب أن يكون الاختلاف في حرف واحدٍ ثم إنّ الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين المخرج سمي بالجناس المُضَارِع نحو: "وهم ينهون عنه وينئون عنه" [الأنعام/26] ، وإن كانا متباعدين المخرج سُمي بالجناس اللاحق نحو: "ويلٌ لكل همزة لمزة " [الهمزة/1] ، وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي بجناس القلب ومنه قلب الكل وقلب البعض ، فشاهد الأول قولهم : إن حُسَامَه فتح لأوليائه وحتفٌ لأعدائه ، وشاهد الثاني : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ، ويلحق بالجناس الاشتقاق والمشابهة نحو : "فأقم وجهك للدين القيم" [الروم/43] ، و الثاني شاهده قوله –تعالى– : " قال إنّي لعملكم من القالين" [الشعراء/168] ، ثم قال: ووجه الحسن في هذا الجناس أنك تتوهم قبل إيراد نهاية اللفظة الثانية أنّه قد جيء بها للتأكيد فما تلبث أن تفاجأ بأنها أضافت معنًى جديدًا وقد انصرف عنك توهمك وحصلت الفائدة لديك بعد يأسك من تحصيلها.[1]

---

[1] انظر الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 288–293.

وعن شروط وقوع الجناس الحسن يقول عبد القاهر الجرجاني [471-هـ] : فإنك لا تستحسن التجنيس إلّا إذا كان موقع معنى الكلمتين من العقل موقعًا حميدًا ، ولم يكن قصد الجامع بينهما قصدًا بعيدًا [1]، ثم يورد بيتًا لأبي الفتح البستي[400-هـ] وهو:

ناظراه فيما جنى ناظراه...أو دعاني أمت بما أودعاني [الخفيف]
ويعلق فيقول: فرأيته يعيد عليك اللفظة مرة أخرى وكأنما يخدعك عن الفائدة ، وقد أعطاها إياك ، وقد أوهمك لوهلة أنّه لم يزدك وهو قد زاد في المعنى و وفّى ، ولهذه الخُلّة صار التجنيس وخاصة التام منه حلية من حلي الشعر مذكورًا في أبواب البديع [2] ، وهذا ما يؤكد أن المحسنات البديعية لها ارتباط وثيق بالمعنى وأنها في قرارها الداخلي مرتبطة بالمعاني ، كما أن الكلام لا يصدر إلا من خلال نظام لغوي متعارف عليه ، فكذلك الممارسة الفريدة للأدب ، وهذه الظواهر الفنية تخرج من نظام من التقاليد الأدبية والتي تزامنت مع نشأة الأدب ، فإذا انتفى معنى هذه الظواهر الفنية انتفى معها وجود الأدب من الأساس ،[3] فليست الرابطة بينهما اعتباطية.

فبنية الجناس تعتمد على مستويين : هما السطحي ، والعميق ، فأمَّا السطحي فيعتمد على حاسة السمع في تتبع إيقاع الحروف وراء بعضها حتى تكتمل الكلمة ، وحاسة البصر التي تتبع رسم الحروف وما بينها من توافق وتخالف ، وأمّا المستوى العميق فهو المستوى الذهني الذي يُتبين فيه أن الكلمتين غير متوافقتين معنًى ، ويؤدي توقع المتلقي دورٌ مهم في هذه البنية البديعية فبينما يتوقع أن يكون هناك تماثلٌ بين الكلمتين على المستويين السطحي والعميق يجد نفسه أمام تخالف وتغاير بينهما، حيث يؤدي التماثل الصياغي بينهما إلى تغاير في المعنى ، فيكون المنبه

[1] انظر: أسرار البلاغة ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[471-هـ] ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة- السعودية ، د.ط ،د.ت ، ص:7.

[2] انظر: السابق ، ص:7-8.

[3] انظر: الأسلوبية والتقاليد الشعرية (دراسة في شعر الهُذَليين) ، محمد أحمد بربري ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة-مصر، د.ط ، 1995م ، ص: 23.

التعبيري أكثر تأثيرًا بسبب الهزة الدلالية التي تلقاها المُتلقي لكسر توقعه ، مما يزيد انتباه وتركيزه ، وهذا يؤكد شعرية الصياغة .[1]

ومن خصال كتاب الدولة الفاطمية المميزة لأسلوبهم مبالغتهم في استخدام الزينتين المعنوية واللفظية من المحسنات البديعية ، فهم يغرقون في المبالغة عند تشخيصهم المعاني ، ويولعون باستخدام الجناس ، ويتكلفون في تركيب جملهم باستخدام مراعاة النظير ، فإذا بنا نجد كتاباتهم تتألف من جمل قصيرة في الغالب ، وكل جملة تتبع الأخرى وزنًا ومعنًى وموسيقى ، فلا ينتقل الكاتب بك من معنى لآخر انتقالًا فجائيًا وإنما ينتقل بك في عذوبة ورقة ، توشي بما آلت إليه الصنعة الفنية في هذا الوقت من الحسن والتمام ، التي كانت تستهوي جميع الكتاب في هذا العصر.[2]

فقد لجأ الكتّاب الفاطميون إلى استخدام الجناس في مختلف رسائلهم سواء أكانت ديوانية أم أدبية أم إخوانية ، و قد ساعدهم تقارب الألفاظ وتماثل الكلمات في المبنى على تنميق الكلام وتحسينه وتقريب المعنى للمتلقي ، فالأقرب للسمع يكون عادة أقرب للفهم ، وقد استخدموا الجناس بنوعيه التام والناقص ، ولا يستخدمونه في جل رسائلهم بل يزاوجون في استعماله في الرسالة الواحدة.[3]

ومن شواهد الجناس الناقص في رسائل العميدي– والذي لا تكاد تخلو صفحة من صفحات رسائله منها – ما جاء في استفتاح رسالته إلى سنيّ الدولة يجيبه عمّا ألزمه إياه بالمفاضلة بين كاتبين يقول : " الحق أحق ما يتبع الإنسان طريقته ، والصدقُ أصدقُ ما يشيدُ به المرء مودّتَه فما خسرت قطُّ صفقةُ مُحِقِّ وإن أكسَدَ له سوقًا ، ولا ربحتْ تجارةُ مُبطل؛ لأنّ الباطل كان زهوقًا، والعبد بعين الله ملحوظ، ومن نقمته محفوظ، ما جعل الحق إِمامه، والصدق أَمامه، فإذا حاد عَنْ سَننِهما أو راغ ، وجارَ عن سُننِهما أو زاغ واتخذ إله هَواه، وتخطى

---

[1] انظر : البلاغة العربية : قراءة أخرى ، ص: 372–373.

[2] انظر : في أدب مصر الفاطمية ، ص:321–322. ، وانظر : الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 409.

[3] انظر : الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص: 226–228.

الحد وتعدّاه، انتقضت قواه، وتقوضت بناه، وهوى في موارطَ قلما ينتعش عنها العاثر، ويهتدي فيها الحائر." [1]
، فتكثيف الجناس الناقص واضح في هذا الشاهد ما بين : (الحق –أحق) (الصدق–أصدق) (سوقًا–زهوقًا) (ملحوظ–محفوظ) (إمامه–أمامه) (سَنَن–سُنَن) (راغ–زاغ) (قواه–هواه) كله من باب إطراب الأذن حتى تستلذ بالكلام والحديث ، وفيها كسر لتوقع القارىء –كما أسلفت الذكر– إذ يظن أنّه أمام كلمات متماثلة فما يلبث أن يجد نفسه أمامه كلمات مختلفة فتحدث اللذة ، ويزاد تنبه للكلام ، إلى جانب إظهار المقدور الكبير من الإحاطة بالمفردات اللغوية وتمكن الكاتب من ناصية اللغة حتى لكأنها عجينة سَلِسَة في يده يشكلها كيفما يشاء ، ولهذا يكثر من تكثيف الجناس الناقص في الرسائل المرسلة إلى كبار رجال دولته.

وكذلك من شواهد تكثيفه الجناس الناقص في رسائله ما جاء في خاتمة رسالته التاسعة والثلاثين وهي رسالة في المجون يصف الصباح وقد أشرق عليه وهو في لهوه وعبثه يقول :" .... والمغنّي طافحًا من المشروب لا يُلحقُ ضَربَهُ بغنائه وعَرْبَدَ المؤذِّنُ فلا يدري أقال: حيّ على الرّاح، أو : حيَّ عَلى الفلاح، وأمر بالتكبير، أو بالرطل الكبير، وعلت الثريا مُشرفة على شُرَفِ الدار كأنها رقيب، والقمرُ قَرُبَ من الغرب وقد خانَ منه مَغيب، فقُمنا وما حَسبنا ما بين العشاء والفجر إلا لمحة باصر، ولا قربنا بين المساء والصباح إلا نقرة طائر:

كذلك أيام الوصال قصيرة ...وأقصر منها الصّبرُ عندَ التفرُّقِ
هل إلى عُمر تقتضى... أبدَ الدَّهْر سبيل
لي على دهر التصابي......والهوى حُزنٌ طويل [الطويل][2]

فالجناس الناقص ما بين (الراح–الفلاح) ، (التكبير –الكبير) (مغيب– رقيب) (باصر– طائر) (قصيرة–أقصر) ، وهنا يستخدم الجناس فيما يقارب المقابلة أو الطباق وهي سمة أسلوبية له وقد تناولتها في الصفحات الآتية.

وفي رقعة إلى وزيرٍ يشتكي له ما آلت إليه أحواله من الضِعة والفَقر يقول : " وقد ولّى صَفَر ، ومنزلي صَفِر ، ووُجُوه آمالي صُفْر، وأقبل الربيع وربعي قفر، وأمري مما أعاينُه وأُعانيه أمر." [3] ونلاحظ هنا جمال توظيفه الجناس ، حتى إنه يجانس بين ثلاث كلمات متتالية (صَفَر–صَفِر–صُفر) فالأولى هي شهر صَفَر،

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 152.
[2] السابق ، ص: 197.
[3] السابق ، ص: 205.

و الثانية يقصد بها منزله الذي قد خلا من الزاد والطعام فصار صَفِرًا ، والثالثة يقصد بها أن ووجوه آماله مُصفرة خائفة ذاعرة شاحبة اللون من قلة الزاد والطعام ، وكذلك الجناس ما بين (أمري–أمر) فالأولى يقصد بها حالته والثانية يقصد أنها خطب فادح أو مصيبة كبرى ، وهذا الجناس يدل على ذهنه الحاضر المُتّقد ، و يزيد من تعاطف القارىء مع شكواه ، كأنه يوظف الجناس للمبالغة في وصف ما آلت إليه أحواله من تردي ، حتى يستعطف الوزير للتدخل لإقامة أموره بعد اختلالها ، وقد استجاب الوزير له.

وفي رسالته في شكر الوزير لما أفاض عليه من الأمر بإطلاق جاريه يوظف الجناس الناقص مرة أخرى يقول : " وقد رزَقَه الله – تعالى – الآنَ اتساع ولاية، وارتفاع راية، ومضاءَ أمر، واشتهار ذكر، وهيبة صوت، ورهبة صيت ومزيدَ رُتبة وعُلوّ، وذُلَّ حَاسِدٍ وعدو؟ ولم لا يُصبحُ الزّمانُ لي مُساعِداً وأنا معتزٌّ بولائه؟ ولمَ لا أمس السَّماء قاعِدًا وأنا مُعتَزٍ إلى أوليائه ؟ " [1] ، فالجناس الناقص ما بين (ولاية– راية) ، (صوت–صيت) ، (ولائه– أوليائه) تحدث لذة للقاريء والسامع ، وتكسر أفق التوقع لديه فيزداد تنبه للكلام ، وتشير من جانب خفي إلى حذاقة الكاتب وبراعته ، وتمكنه من ناصية المفردات ، وثراء معجمه اللغوي ، وهو مرتكز أسلوبي اعتمد عليه العميدي في جميع رسائله.[2]

وأمّا الجناس التام فقد ظهر أيضًا في رسائل العميدي ، ولكن بنسبة أقل بكثير ، وهذا أمر طبعي نظرًا لصعوبة تماثل كلمتين تماثلًا تامًا لفظًا واختلافهما معنًى ، فكان الارتكاز على الجناس الناقص دون الجناس التام ، ومن شواهد الجناس التام عند العميدي :

ما جاء في رسالته في عتاب حسين بن بشر متولي ديوان الخاص ، يقول: "...ولكنّ لي قلبًا ثابتًا لا تحرك الحوادث سكونه، وحلما راجحًا يكاد يَذبُل يَذْبُل دونه، وصبراً لا ينزل الجزع ساحتِه، ورأيًا يتعجَّبُ الدَّهْر مِن رزانتِه وَرجاحتِه." [3] فالشاهد في (يَذبُل – يَذبُل) فيَذبُل الأولى هو جبل عظيم بنجد ويعرف حاليا باسم صَبْحا

---

[1] السابق ، ص: 234–235.

[2] للمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي الجناس الناقص بقوة في رسائله حتى لا تكاد تخلو منه صفحة انظر السابق ، ص: 6 ، 13 ، 14 ، 16 ، 18 ، 23 ، 24 ، 26 ، 29 ، 34 ، 36 ، 45 ، 46 ، 50 ، 52 ، 55 ، 56 ، 68 ، 76 ، 90 ، 122 ، 133 ، 152 ، 155 ، 174 ، 175 ، 179 ، 182 ، 197 ، 200 ، 202 ، 204 ، 205 ، 208 ، 209 ، 212 ، 214 ، 217 ، 218 ، 220، 227 ، 230، 231 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 273 ، 274 ، 276 ، 277، 285 ، 312 ، 318.

[3] السابق ، ص: 232.

أما يَذبل الثانية فهي الفعل المضارع من الذُّبُول ، بمعنى الموت والانطفاء والتهشم كما يحدث للنبات من ذبول عندما ينقطع الماء عنه فيموت ويصير هشيمًا تذروه الرياح ، وفيه دلالة على بديهته الحاضرة وثراء معجمه.

وفي رسالته إلى صديقٍ له يصف له دعوة إلى مائدة من الطعام دُعي إليها يقول : " دعاني يا سيدي – أطال الله بقاءك– فلانٌ إلى منزله، لا أخلى الله من الفَناء فِناءه، ولا حمى من الأسواء قضاءه، ولا أراني الله أبدًا لقاءه، ولا أماط نَحْسَه وشقاءه ، وكانت دعوتُه دعوةً على كلِّ مَن حضرها وشَهِدها، وشقوةً على جميع من أبصَرَها وشاهَدَها..."[1] فالشاهد في قوله (دعوته –دعوة) فالأولى من دعوة الأشخاص لحضور أمر ما ، والثانية من الدعاء ، يريد أن يقول أن هذه الدعوة كانت بمثابة دعاء بالشر والوبال دُعي به على كل من حضرها وشاهدها ، أي أن نتيجة أثر هذا الدعاء أن جعلهم يحضرون هذا الدعوة ، ولا تخفي المبالغة القوية في هذا التوظيف للجناس التام ، وما يتضمنه هذا التعبير من السخرية والنقد اللاذعين ، حتى إنه ليُمزق صورة الداعي إلى هذه المائدة من أول كلمة له في الرسالة.[2]

---

[1] السابق ، ص: 405.

[2] وللمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي للجناس التام في رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 24 ، 50 ، 181 ، 246 ، 252 ، 334 ، 371.

2-1-3- الطباق:

أكثر العميدي في رسائله من استخدام الطباق ، بمّا يضفيه من تقوية بيان المعنى بتناظر الأشياء ، فالضد يتبين بالضد، إلى جانب ما يساعده في تقوية المبالغة والتهويل.

و الطباق لغة: جمعك بين الشيئين ، واصطلاحًا : جمعك بين معنيين متقابلين ، تقابلًا بالسلب و بالإيجاب أو بالتضاد أو بالمَلَكة و العدم أو بالتضايف ، إلى ما شابه ذلك ، سواء أكان هذا المعنى مجازيًا أم حقيقيًا [1] ، وقد يسمى التضاد أو التكافؤ أو المطابقة أو التطبيق [2] ، فهو جمعك بين الشيء وضده في الكلام ، وقد يكونان فعلين نحو: " وأنّه هو أضحك وأبكى*وأنّه هو أمات وأحيا" [النجم/43-44] ، وقد يكونان اسمين نحو : " هو الأول والآخر والظاهر والباطن" [الحديد/3] ، ، وقد يكونان حرفين نحو : " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " [البقرة/286] ، وقد يكونان مختلفين نحو : " ومن يضلل الله فما له من هاد " [غافر/33] ، وتقابل المعنيين وتخالفهما يزيد الكلام طرافةً وحسنًا[3] ، بل إن تضاد المعنى هو الذي يكسب الكلام قيمة ؛ لأنه يؤدي إلى توضيح المعنى وتقريب الصورة إلى ذهن المخاطب كما قال الشاعر:

ضدّان لمَّا استُجمعا حَسُنَا...والضدّ يُظهر حُسنَه الضدُّ.[الكامل] [4]

قال أبو هلال العسكري: أجمع الناس أن المطابقة هي الجمع بين الشيء وضده وذلك في جزء من أجزاء الخطبة أو الرسالة أو البيت الشعري أو الكلام ، مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد.[5]

---

[1] انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص:320.

[2] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 268/3.

[3] انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد إبراهيم الهاشمي [-1362هـ] ، تحقيق د.يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، د.ط ، 1999م ، ص:303 ، وانظر: علوم البلاغة ، ص: 320.

[4] انظر: معجم المصطلاحات البلاغية ، 260/2.

[5] انظر: كتاب الصناعتين ، ص:307 ، وانظر: العمدة في محاسن الشعر ونقده ، 5/2.

قال صاحب منهاج البلغاء: كلما كانت المتشابهات أو المتماثلات أو المتخالفات قليلًا وجودها في الكلام مع إمكانية استيعابها ، أو استيعاب أشرفها مع ذلك ، فأشدها تقدمًا في الغرض الذي وضعت له أشده تحريكًا للنفس ، وأشدها لها به كلفة وإعجابًا ؛ لأن مثول القبيح بإزاء الحَسن والعكس ، يزيد النفس غبطة وتخليًّا للآخر ، لاستبانة الضد بمثوله إزاء ضده ؛ ولذا كان موقع المتقابلات في المعاني من النفس عجيبًا .[1]

وللطباق عدة تقسيمات ، فمن جهة الإيجاب و السلب قُسّم إلى قسمين :

1-طباق الموافقة : وهو اجتمان الضدان مع اتفاقهما سلبًا أو إيجابًا نحو: " لا يموت فيها ولا يحيى" [الأعلى/13] ونحو: " أو من كان ميتًا فأحييناه " [الأنعام/122] .

2-طباق المخالفة: وفيه يختلف الضدان إيجابًا أو سلبًا ، بأن يكون أحدهما منفيًّا والآخر مثبتًا نحو: " ولكنَّ أكثر الناس لايعلمون* يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا " [الروم/6-7] ، وقوله – سبحانه وتعالى- : " يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله" [النساء/108].[2]

ومن جهة معنى المُتَضَادَين ينقسم الطباق إلى :

1- طباق حقيقي: وهو ما كان المعنى في المتضادين على الحقيقة ، سواء أكانا فعلين أم اسمين أم حرفين نحو: "وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود " [الكهف/18].

2-طباق مجازي: وهو ما كان التضاد فيهما على سبيل المجاز ، سواء أكانا اسمين أم فعلين أم حرفين نحو قوله –تعالى- : " أو من كان ميتًا فأحييناه" [الأنعام/122] ، أي كان ضالًا فهديناه ، فالمعنى المجازي للموت والإحياء متقابلان وهما الضلال والهدى، أمّا معناهما الحقيقيان فمعروفان.[3]

---

[1] انظر: منهاج البلغاء ، 2/45-46.

[2] انظر: تيسير البلاغة ، الشيخ أحمد القَلاش ، رابطة العلماء السوريين ، سوريا ، د.ط ، 2017م ، ص:135.

[3] انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع ، لصدر الدين علي بن أحمد بن معصوم المدني [-1120هـ] ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف- العراق ، ط1 ، 1969م ، 2/33-37.

قال الجرجاني : وأمّا المطابقة في الكلام فلها شعبٌ خفيّة ، ومكامن تَغمُض ، وربما التبست بأشياء أخرى ولا يفصل بينهما إلّا النظر الثاقب ، والذهن اللطيف[1]، وقال السكاكي: وقد عرفت حال المثلين سواء في حال الجمع أو التضاد كالحلاوة والحموضة ، والبياض والسواد فإن الوهم ينزل المتشابهين أو المتضادين منزلة المتضايفين ، فيجتهد الذهن في الجمع بينهما عند ذكر إحداهما ؛ ولذا تجد الضدّ أقرب ما يكون خطورًا بالبال مع الضد[2] ، فالطرف الحاضر على مستوى السطح يستدعي الطرف الغائب لاستكمال الدائرة التكرارية مثلما يستدعي لفظ الغياب لفظ الحضور، وهذا ما يعرف بالتناسب الدلالي بين المعاني ،وهذا ما جعل البلاغيون يدرسون ظاهرة الطباق في باب التناسب في المعاني.[3]

وقد لجأ الكتّاب الفاطميون إلى الإكثار من الطباق في رسائلهم بغرض بيان المهام لمن أُسند إليه أمرٌ ما من أمور الدولة ، أو نال مكرمة من الخليفة ، كما اعتمدوا عليه في تحقيق الدلالة على القدرة الإلهية والمبالغة[4] .

فقد شاع استخدام الكتاب الفاطميين للطباق في جلّ رسائلهم فلا تكاد تخلو منه رسالة ، ولم يكن الباعث وراء ذلك الرغبة في تحسين المعنى فحسب ، وإنما لإدراكهم وقعه في ترسلهم من إبراز للمعنى وتوضحيه فضلًا عمّا في الطباق من قوة في الدلالة وشدة في التأثير في المتلقي لائتلاف تلك المعاني المتضادة واجتماعها وتآلفها في الكلام.[5]

ومن شواهد طباق الإيجاب في رسائل العميدي –وهو أكثر نوعي الطباق توظيفًا في رسائله حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات رسائله مما يدل على ثراء معجمه اللغوي– ما جاء في

---

[1] انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني [–392هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عليّ محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة–مصر ،ط1 ، 1966م ، ص:44.

[2] انظر: مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن عليّ السكاكي[–626هـ] ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط2 ، 1987م ، ص:254.

[3] انظر : البلاغة العربية:قراءة أخرى ، ص: 356.–357.

[4] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، ص:229–230.

[5] انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 425.

رسالته في تعزية أحد أصدقائه في وفاة أبيه يقول : " وأمات بموته قلبًا لا يرجى نشوره فيا لها من مُصيبةٍ عَمّت وخَصّت، وكدّرت عليّ الجِيرة وأغصت ، وفتحت للأحزان بابا وصارت بيني وبين السلوان حجابًا." [1] ونلاحظ توظيفه لطباق الإيجاب ما بين لفظتي (عمت– خصت) مبالغة منه في إظهار التفجع وما أصاب الناس من بلاء بوفاة هذا الرجل ، حتى إن الحزن والبلاء ليعمان جميع الخلق.

وفي رسالته يهجو أحد الأشراف بعدما وعده بإهدائه كتاب الفَسْر في معنى شعر المتنبي ثم أخلف موعده يقول : " ولولا البخلُ الذي فيه مُركَّب، واللؤم الذي هو إليه محبّب، لما كان يحتفل بأشعار لو سُئل عن بيت منها لما عرف صَدْرَه من عَجْزِه ، ولا عَروضَه من ضَرْبه، ولا معناه من لفظه، ولا معتله من صحيحه، ولا تعريضه من تصريحه، ولا خروجه من وَصْلِه، ولا تأسيسه من رِدْفِه ، ولا انقاده من حدوه، ولا مجراه من رسه..." [2]

فهو يوظف طباق الإيجاب ما بين (صدره–عجزه) (عروضه–ضربه) (معتله– صحيحه) (تعريضه– تصريحه) ليؤكد أن هذا الشريف ليس لديه أدنى فكرة أو معلومة عمّا اشتمله الكتاب من علم ، فهو ليس من تخصصه ، ممّا يحقق المبالغة في ذمه ، فهو يضن بشيء لن ينتفع منه شيئًا.

وفي سياق مدحه للخليفة لما أفاض عليه من العطاء والمنح يوظف طباق الإيجاب في قوله : " إنّ مِن حُكم ما شرفني به أمير المؤمنينَ – سلام الله عليه –من إنْعامِهِ الذي أشرق الأمصار أكبره ، وسار في الأقطار ذكرُهُ و خبره ، وأعجب بهِ الصّادرُ و الوارد، وتعجب منه الودود و الحاسد ، ونطقت الألسنُ بموقع جماله واتفقتِ النفوس على عِظَم شرفه وجلاله ، بما لا يسعُ إخفاؤه عمن يضرب في الدولة القاهرة بسهم، أو ينتمي إليها بذكر أو اسم، أو يتحلى بشعارها باطنًا وظاهرًا، أو يتصرف على اختيارها غائبًا وحاضرًا، إشادةً بذكر إحسانه، ودلالةً في علو قَدْرِهِ وشانه..." [3] فهو حدثٌ عظيم أعجب منه كل الناس الودود منهم والحسود والصادر

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 23.

[2] السابق ، ص: 43.

[3] السابق ، ص: 141.

منهم والوارد لخَطَر ما أفاض به أمير المؤمنين عليه من الإنعام ، الذي لا يخفى باطنًا وظاهرًا على كل حاضر وغائب.

وفي رسالته إلى حسان بن جراح يهدده واصفًا له قوة الخليفة الفاطمي وبسط نفوذه على جميع أقطار مملكته ، يقول : " ...وأمده به من النصر في الإصباح والإمساء، وما عَمَّ الخلق من إشراق مطالع العدل في أقطار مملكته، وإحداق طلائع الأمن بكافة رعيته، وما سارع إليه الحاضر والبادي، والموالي و المعادي، من التشرف بشريف دعوته و التبرُّك بجليل حضرته، فلا سانح إلا استمر، ولا جانح إلا استقر، ولا خائف إلا أمن، ولا جانف إلا لُعن، ولا مظلوم إلا أُنصِف، ولا محتاج إلا أُسعِف." [1] فهذا التكثيف والضغط على توظيف طباق الإيجاب ما بين (الإصباح–الإمساء) (الموالي– المعادي) (الحاضر –البادي) (جانح– استقر) (خائف– أمن) (مظلوم – أُنصف) (محتاج– أُسعف) ، كل هذا من أجل المبالغة في إثبات بسط نفوذ الدولة الفاطمية وعدالتها التي عمت الناس في كل وقت صباحًا ومساءً وشملت كل الطوائف والأحزاب الموالية منها والمعادية حتى استقر فيها كل مشتت ، وأمن فيها كل خائف و أُنصف فيها كل مظلوم ، وأُسعف فيها كل محتاج.[2]

أمّا طباق السلب فكان حضوره أقل بكثير من طباق الإيجاب ممّا يدل على ثرائه المعجمي ، ومن شواهد طباق السلب في رسائل العميدي ما جاء في استفتاح رسالته إلى القاضي محمد الموسوي يصف له شوقه المتقد لرؤيته بعد طول الغياب ، يقول : " ....وقد طالت أيام بعدي عنه حتى حسبتها دهرًا ،وانطوت أحشائي على شوقٍ إلى حضرته الشريفة أحسبه جمرًا وأيام الفراق طويلة وإن كانت قصيرة، وأمداد الشوق كثيرة وإن بانت يسيرة، وقليل قذاة العين غير قليل، والصبر الجميل على بعاد الإخوان غير جميل، والكريم يتلهف على مفارقة صاحبه حسب إعجابه كان بقربه، ويتشوّقه في حال بُعده على مقدار موقعه ومحله." [3] فالطباق السلبي ما بين (قليل – غير قليل) (الجميل – غير جميل) فائدته إيضاح المعنى و إبرازه وهو تلهفه للقاء هذا الرجل ،

---

[1] السابق ، ص: 275.

[2] وللمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي طباق الإيجاب من أجل المبالغة في المعنى ، انظر السابق ، ص: 6 ، 8 ، 14 ، 25 ، 26 ، 28 ، 30، 31 ، 34 ، 36 ، 39 ، 44 ، 45، 46 ، 49 ، 50، 55، 56 ، 57 ، 62، 63 ، 92 ، 118 ، 119 ، 122، 134 ، 136 ، 137 ، 143 ، 144 ، 148 ، 150 ، 153 ، 154 ، 156 ، 158 ، 163 ، 171 ، 175، 179 ، 181 ، 191، 196، 197 ، 221 ، 224 ، 267، 270 ، 271 ، 280 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291.

[3] السابق ، ص: 28.

حتى إن هذه الغيبة الصغيرة عنده كبيرة جدا كما أن ما يُصيب العين من التراب والحصى و إن كانت أشياء صغيرة الحجم فأثرها في العين غير صغير ، كذا الصبر الجميل إن كان على فراق الأحبة فهو غير جميل ، وهو يوظف قوله –تعالى– : " فاصبر صبرًا جميلًا" [المعارج/5] ، رغبة منه في إكساب الأسلوب رصانة وقوة.[1]

1-2-1-3-الجناس والطباق :

ومن السمات الأسلوبية للعميدي في توظيف الطباق ، أنه مولع باستخدام الجناس الناقص مع الطباق ، فإن لم يستطع أن يجانس بين المتضادين في المعنى جانس بين المتقاربين في المعنى ، ومن شواهد الجناس مع الطباق ما جاء في وصفه لما أفاضه الخليفة الفاطمي آنفًا على الخارجين عليه من العطايا والمِنح ، يقول :" إذ أحيوهم وكانوا أمواتًا ورفعوهم من بطون الفَدافد إلى ظهور الفَراقد ومن ذَرى الحفائر ، إلى ذُرى المنابر، ومن إدمان الشَّقاء إلى عِنانِ السَّماء، ومن أخْفافِ النَّعَم، إلى أكناف النِّعَم، ومن مجانسة البهائم إلى مجالسة الأكارم ." [2] ، (فالفدافد والفراقد ، و ذَرى وذُرى ، المنابر والحفائر ، النَّعم والنِّعم) كل ذلك توظيف للطباق الموجب مع الجناس الناقص رغبة منه في إيقاع الكلام أشد وطأةً على مراسله ، حتى يتملك عقله ولبه ويؤثر فيه ، ولن يجد سبيلًا لتأثير فيه أقوى من المجانسة بالطباق ، إذ يظن العقل في بادرة الأمر أنّ هناك تكرارًا للكلمات فما يلبث أن يجد أن الكلمات غير مكررة و إنما هي كلمات جديدة ، بل هي كلمات على خلاف المعنى الأول ممّا يكسب القول سخرية شديدة تكون بالغة التأثير في المخاطبين لاعتمادها على عنصر المفاجأة.

وعند خطابه حسان بن جراح ، يقول : " ....تظهر صفحة المتجلد ، وتُضمر وحشة المتمرّد ، وتَرُوغَ رَوَغَانَ الثعالب وتتعلَّق بالأماني الكواذب، وتخبط خَبْطَ جاهل ، وتخلط حقًّا بباطل، مقدّرًا أنك أهملت، وإنّما أُمهلت، ومغترًا بما أرخي من خناقِك، وإنّما أُنظرتَ لإبَاقك." [3] فالجناس والطباق ما بين (المتجلد – المتمرد) (أهملت– أمهلت) (خناقك– إباقك) كل هذا رغبة منه في إيضاح المعنى و إبرازه من خلال الطباق ، الذي يكشف الأمور على أصلها ، ويوضح المعنى ، فحسان بن جراح يظهر صورة المتجلد المثابر على ثغور الدولة

---

[1] وللمزيد من شواهد توظيف العميدي للطباق السلبي في رسائله ، انظر السابق ، ص: 6 ، 192 ، 204 ، 214.

[2] السابق ، ص: 267-268.

[3] السابق ، ص: 271.

الفاطمية وفي باطنه يضمر التمرد والخروج ، ولو قال تظهر التجلد وأنت لست كذلك ، لما أعطى هذا المعنى القوي الذي ذهب إليه ، فقد وظف العميدي الطباق من أجل المبالغة في ذمه وإعلامه علم الخليفة الفاطمي بكل ما يدور بخياله وهو مع ذلك يوظف الجناس ليكون أبلغ تأثيرًا فيه ، إذ يظن في بادرة الأمر أن الكلمتين أقرب ما يكونان لبعضهما فما يلبث أن يرى أن ما بينهما من المعنى أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وكذلك قوله أهملت وأهملت ، وخناقك و إباقك ، مما يقوي التأثير في مخاطبه ، بمجانسة الكلمات المتضادة ، لتكون أوقع تأثيرًا فيه ، فهو لم يُهمل وإنما أمهل ، ولو قال لم يهمل أو كنت حاضرًا في أذهاننا إلى خلاف ذلك من الكلمات لما كان له هذا الوقع الشديد للفظة (أهملت) فهي إلى جانب عنصر الطباق بينها وبين لفظة أمهلت ، أضافت عنصرًا جديدًا وهو الجناس الناقص ، فكانت ردًا قويًا على الكلمة الأولى إذ جاءت من جنس ألفاظها ولكن على خلاف معناها.

وفي رسالته المسماة بالمطبخية يقول في وصف غدر أصدقائه به وتقلب ودّهم عليه : " ...وزنت فيها أهل هذا الزمان بمعيار الاختبار وجربتهم في حالتي الإيسار والإعسار وسَبَرتُهم بمِسْبار العقل الصريح وانتقدتهم بالنظر السليم الصحيح، فلم أرَ فيهم رَشَدًا، ولم أستخلص منهم أحدًا ، و ما أصادف إنسانًا صادقني إلا نافقني ولا آخاني إلا داخاني ، ولا جالسني إلا واسلني ، ولا حالفني إلا خالفني" [1] وتكثيف عنصري الجناس مع الطباق واضح في هذا الشاهد ما بين (الإيسار– الإعسار) (صادقني–نافقني) (آخاني– داخاني) (جالسني– والسني) (حالفني–خالفني) بالإضافة إلى اعتماده على الاستثناء المفرّغ الذي يفيد القصر والحصر ، كل ذلك يصب في المبالغة في الوصف –التي هو مولع بها– لغدر رفقائه به و انحسارهم عنه بعد انحسار الدنيا عنه ، حتى إن كل من أظهر له الصداقة لم يكن إظهاره إياها له إلا نفاقًا ، ومن آخاه فقد داخه ، ومن جالسه فقد والسه ، فهذا الطباق مع الجناس يظهر المعنى المُراد في أقوى صوره و أوضحها، وأكثرها مبالغة.

وفي إحدى رسائله يهجو أحد الكتّاب ، يقول : " وفاقه نفاق، وأخلاقه أخلاق، وحديثه حَدَث وعَقدُه مُنتكِث، مستحيل المعنى، يُصلّي إلى الحشو...." [2] وهنا نلاحظ مجيء الجناس مصاحبًا للطباق في قوله (وفاق– نفاق) (أخلاق– أخلاق) (حديث– حدث) وحرصه على إقامة هذه الحيلة الأسلوبية ، لعلمه دلالاتها وما تكبسه المعنى من قوة ورصانة ومبالغة ، تساعده على التهكم والسخرية من هذا الكاتب الذي يظهر الوفاق ويبطن

---

[1] السابق ، ص: 6.

[2] السابق ، ص: 156.

النفاق ، وأخلاقه بالية خالقة متهرّئة ، وحديثه كالحدث يقصد البول والغائط ، فهو يشحذ فكره حتى يقيم هذه الحيلة الأسلوبية وقد وفق لإقامتها مع الجناس التام في (أخلاق– أخلاق) مما يدل على تمكنه وبراعته ، وهو عندما يصعب عليه إيرادها بالجناس التام ، يوظف الجناس الناقص لإقامة هذه الطريقة [1] ، فإن لم يتمكن من إقامة هذه الحيلة الأسلوبية بالطباق أقامها بالجناس الناقص والكلمات المتقاربة المعنى ، من ذلك ما جاء في استفتاح رسالته إلى القاضي محمد بن أبي الدبس يتملقه ، يقول : "....ولم يمدحني أحدٌ إلّا ببعض أوصافه ، ولم أرْمِ نَبلًا إلا عن جفيره ، ولم أتصرف إلا في خَيرِهِ وخِيرِهِ..." [2] ، والشاهد هنا في لفظتي (خَيرِهِ – خِيرِهِ) ، فأولهما بمعنى الخير الذي هو ضد الشّر ، وثانيهما الشَّرف والكرم والأصل ، ويجمع بينهما الجناس و المعنى المتقارب وهي حيلة أسلوبية للعميدي في توظيفه الجناس.[3]

---

[1] للمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي الجناس مع الطباق للتحقيق المبالغة ، وقوة التأثير في المُتَلقّي ، انظر السابق ، ص: 14 ، 39 ، 40 ،58 ، 142 ، 161، 162 ، 166 ، 251 ، 252 ، 267 ، 269، 275 ، 278 ، 287 ، 289 ، 291، 300 ، 319 ، 321 ، 323، 324، 331 ، 337 ، 338 ، 351 ، 382 ، 405 ، 417 ، 433.

[2] السابق ، ص: 18.

[3] وللمزيد من الشواهد حول هذه الحيلة الأسلوبية ، انظر السابق ، ص: 5 ، 7 ، 8 ، 12 ، 14 ، 15 ، 23 ، 24 ، 26 ، 34 ، 35 ، 36 ، 39 ، 41 ، 42 ، 45 ، 51 ،52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 ، 59 ، 60 ، 61 ، 63 ، 65 ، 66 ، 73 ، 76.

3-1-3-المماثلة[1]:

المماثلة لغةً : من مِثل : وهي كلمة تسوية ، فيقال: هذا مَثَلُه ، ومِثْلُه ، والفرق بين المساواة والمماثلة ، أن الأولى تكون بين المتفقين والمختلفين، فالتساوى هو التكافؤ في المقدار بلا زيادة أو نقصان ، أمّا المماثلة فلا تكون إلّا بين المتفقين[2] ، وهي تماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الوزن دون التقفية ، نحو قوله –تعالى– : " والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق* النجم الثاقب* إن كلُ نفسٍ لمّا عليها حافظ" [الطارق/1-4] ، فالثاقب والطارق وحافظ متماثلات في الزنة دون التقفية [3] ، وقد أدخلها القزويني في باب الموازنة قال: الموازنة أن تكون فواصل الجمل على نفس الزنة دون التقفية نحو : "ونمارق مصفوفة* وزرابي مبثوثة" [الغاشية/15-16] ، فإن كان في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثرها ما في الأخرى على نفس الزنة خُص باسم المماثلة ، نحو قوله –سبحانه– " وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم " [الصافات/117-118][4] ، وتابعه في ذلك شراح التلخيص وغيرهم.[5]

وقد وضع التبريزي المماثلة بإزاء الموازنة فقال: الموازنة هي أن تكون الألفاظ متكافئة الأوزان متوالية الأجزاء ، نحو قولهم :

---

[1] عدل الباحث عن استخدام مصطلحي (الازدواج والموازنة) ، لكثرة الاختلاف و التنازع الذي اكتنف هذين المصطلحين ، فالجاحظ وأبي سنان الخفاجي وغيرهما قد عدّوا الازدواج من أنواع السجع ، وعده الروماني والسكاكي من أنماط الجزاء أو الشرط ، في حين عدّ ابن شيث القرشي و أبي الأصبع العدواني الموازنة مختصة بتساوي فواصل الجمل فقط في الزنة والتقفية ، ومنهم من جعل التساوي في الزنة دون التقفية كالتنوخي والقزويني ، بل منهم من أدخل الموازتة في باب المطابقة كابن رشيق القيرواني ؛لذا اعتمد الباحث مصطلح المماثلة ؛ لأنها أقرب ما يرمي إلى الظاهرة الموجودة في رسائل العميدي ، كما لم يقع التخبط في تعريفها والاختلاف فيها مثلما وقع في المصطلحين الأولينِ ، انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 2/ 141-142 ، 3/ 321-324 .

[2] انظر: لسان العرب ، مادة (مَثَل) ، 610/11.

[3] انظر: تحرير التحبير ، ص:297 ، وانظر خزانة الأب : 293/2.

[4] انظر: الإيضاح ، ص:299.

[5] انظر: معجم المصطلحات البلاغية : 307/3.

سَـــلِيم الشَّـــظَى عَبْـــل الشَّـــوَى شَـــنِج النَّســـا ....له حَجَبـــاتٌ مُشـــرفاتٌ علـــى الفَالِ.[الطويـــل] [1]
وتطـرق الجـاحظ مـن قبـل إلـى المماثلـة عنـد ضـربه لـبعض الأمثلـة علـى الكـلام المـزدوج وغيـر المـزدوج فـي ذكـره لقـول الرسـول –صـلى الله عليـه وسـلم – لمعاويـة بـن أبـي سـفيان–رضـي الله عنـه–: " اللهـم علمـه الكتـاب والحسـاب وقـهِ العـذاب " فأشـار إلـى الكـلام المـزدوج بهـذا الشـاهد ولـم يعرفـه ، والظـاهر أنـه يريـد بـالمزدوج الكـلام المتعـادل ، فـالمزدوج عنـد البلاغيـين ، هـو الكـلام المتعـادل مـن سـجع أو مـن غيـره [2] ؛ وبهـذا يكـون الازدواج داخـل فـي السـجع والمماثلـة أيضًـا ؛ لأن المماثلـة تشـترط أن تكـون الجملتـان متفقتـين فـي الزنـة دون التقفيـة ، وفـي التعريـف الأخيـر نـرى الازدواج أحيانًـا تتفـق فيه الألفاظ في التقفية والوزن وأحيانًا أخرى في الوزن دون التقفية. [3]

قـال صـاحب الصـناعتين : لا يحلـو منثـور الكـلام ولا يحسـن إلا إذا كـان مزدوجًـا ، ولا تكـاد تجـد بليغًـا اسـتغنى عنـه فـي كلامـه ، ولـو اسـتغنى عنـه أحـد لكـان القـرآن أولـى أن يسـتغني عنـه ؛ لأنـه كـلام الخـالق ، بـل قـد تجـده فـي أواسـط الآيـات دون الفواصـل نحـو قولـه –سـبحانه–:" الحمـد لله الـذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور " [الأنعام/1].[4]

و قـد رصـد البلاغيـون العديـد مـن البنـى البديعيـة التـي هـي منتجـة للصـوتية بالدرجـة الأولـى ، وقـد وجـدوا أن الفـارق بـين هـذه البنـى المنتجـة للصـوتية هـو أن الإيقـاع يكـون أقـوى فـي بعضـها دون الأخـرى ولكنهـا جميعًـا تخـرج مـن مشـكاة واحـدة ، حيـث يتكـرر الإيقـاع لتكثيـف التـأثير فـي المتلقـي ، وقـد كثـر فـي النثـر لحـرص الأدبـاء علـى تقريـب النثـر مـن الشـعر ، و إنمـا يكثـر الإيقـاع فـي الشـعر ؛ لضـعف اللغـة الإشـارية فيـه فكـان هـذا الـنغم والإيقـاع بمثابـة بـديل عنهـا ، وهـذه الإنتاجيـة الصـوتية فـي

---

[1] انظر: الوافي في العروض والقوافي ، لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي[–502هـ] ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق–سورية، ط1 ، 1986م ، ص:238.

[2] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 246/3.

[3] ازدوج الكلام وتزاوج أي أشبه بعضه بعضًا في الوزن أو السجع أو كانت إحدى القضيتين متعلقةً بأخرى ، والازدواج والمزاوجة بمعنى التزاوج ، انظر لسان العرب ، مادة (زَوَجَ)، 293/2.

[4] انظر: كتاب الصناعتين ، ص:260.

المحسنات الصوتية أصل ، وقد تتبعها دلالة معنوية إلّا أنّها تكون فرعًا عنها في هذا النوع من المحسنات.[1]

ويرى الأستاذ أحمد الشايب أن شعور النفس الإنسانية وانفعالاتها بما يحدث حولها في الكون هو أصل نشأة كل الفنون الجميلة ، أو أنها تنشأ عن تفكيرها الخاص فتضطر إلى التعبير عمَّا بداخلها حزنًا وفرحًا وبغضًا وحبًا ، وفي المرحلة التالية على ذلك حاول الإنسان وضع كلمات لغوية تعبر عن مكنون انفعالاته ، فاختار ألفاظًا ذات أوزان ومقاطع تلائم أوزان الغناء المستوحاة من أصوات الطبيعة التي استلهما من شعوره الداخلي مع اندماجه في الطبيعة ، وقد وفق في ذلك بدرجة مقبولة حيث توافرت له لغة صوتية موزونة ذات معانٍ معينة في الشعر ، وما يعنينا هنا هو أنّ لكل معنى أو عاطفة نغمة خاصة به في الموسيقى والغناء ، وهي أقدر على التعبير عنها فهي صورتها الحسية الدقيقة وصورتها الطبيعية.[2]

وقد أكثر العميدي من المماثلة في رسائله لما تضفيه من تكثيف للإيقاع للتأثير في المتلقي لقبول كلامه وحججه ، من ذلك ما جاء في إحدى رسائل الألغاز ، عند حديثه عن أوصاف اللغز– حيث تكون السمات الأسلوبية للعميدي أشد ما تكون في الرسائل الديوانية ورسائل المعمّيات عن بسطه الحديث عن لغز الرسالة – يقول : " أمره عجب وهجره غضب، وأجناسه متقاربة، وأشكاله متناسبة، عَمَرَ الله به البقاع وأدام بمكانه الإمتاع" [3] فالمماثلة الصوتية واضحة جدًا بين الجمل السالفة لاتفاقها وزنًا و إيقاعًا ، مما يطرب الأذن لسماعها وتكرارها وحفظها.

وفي رسالته يعاتب أحد الأشراف لجفوة وقعت بينهما في المراسلة ، يقول " وارتياح نفسي بعمارة أحواله، وانشراح صدري لانتظام أمره واعتداله؛ فلما رأيتُ كُتبه على أصدقائه متقاطرة، وإلى جماعة من أصحابه متوافرة، ولم يُؤهلني من جملتهم بسطر واحد، أو بسلام فارد، أو سؤال عن حال، أو إخطار ببال، علمت أن تلك القواعِدَ التي كانَتْ بينَنا في المودّة مادَت ومالتْ ومعاهدها بادت واستحالت ومواردها طرقت فتكدرت، ومشاهِدَها مُحقَّت

---

[1] انظر : البلاغة العربية: قراءة أخرى، ص:398.

[2] انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة–مصر ، ط10، 1994م ، ص: 318–322.

[3] رسائل العميدي ، ص: 123.

فتغيَّرت." [1] فالمماثلة الواضحة مابين (بسطر واحد – بسلام فارد) (سؤال عن حال – أو إخطار ببال) و (مواردها طرقت فتكدرت – ومشاهدها محقت فتغيرت) إلى جانب التقارب الإيقاعي في الوزن بين أغلب جمل الفِقرة ، كل هذا إلحاح على هذه الفكرة ، وهي جفوة الشريف له وتعطل المراسلة بينهما ، وحزن العميدي إبان هذه القطيعة.

وفي رسالة إلى أحد أصدقائه ، وقد شعر بتغير موارد الود بينهما ، يقول : " فكأني به وهو يقول به: لا مرحبًا بالعميدي ! فلقد قال فأطال، وتكلّم فأبرم، وهذى فأذى، وهذَر فأضجر، فإلى متى يُغثينا ببارد كلامه، ويؤذينا بأضغاث أحلامه، ويتحدث بأمثال الجبال، ويتشبث بحبال المحال، ويتوسل بآداب أسْمَلَتْ بُرودُها، وانحلت عقودها، ويتوصل بأسبابٍ أَفَلَت سُعودُها، واضمحلت عُهُودُها، وهو يعلم أنه لا بدَّ للمصدور من نفثة، وللمظلوم من غوثة." [2] فتكثيفه توظيف المماثلة في الفقرة السابقة ما بين (قال فأطال– تكلم فأبرم– هذى فأذى– هذر فأضجر) (يتحدث بأمثال الجبال– يتشبث بحبال المحال) (يتوسل بآدابٍ أسلمت برودها ، وانحلت عقودها – يتوصل بأسبابٍ أفلت سعودها، واضمحلت عهودها) (للمصدور من نفثة– للمظلوم من غوثة) كل هذا للتركيز على جانب قوي الوضوح في شخصية العميدي وهو أنه عاطفي المزاج ، فمثل هذا الإطناب المترادف المشفوع بالتماثل الإيقاعي يعد تعويضًا عن الجانب الشعوري النفسي الداخلي في شخصيته ، فهو حزين لتكدر المناهل بينه وبين هذا الصديق ، فيجعل نفسه مكانه ويعاتب نفسه إن كان قد أساء إليه بشيء ، مبالغةً في عتاب صديقه و إلزامه الاعتذار.

وفي رسالةٍ إلى بعض أصدقائه وقد سُئل عن بعض المسائل فجعل الرسالة ردًا عليها ، يقول : " والفاضل في صناعة الكتابة إذا هَمَّ بالإبداع أفلق، وإذا رَوَى في حلّ منظوم دقق، وإذا صمّم في تهذيبه حقق، وإذا رام فصل شيءٍ منه طبق." [3] فتكثيفه المماثلة ما بين (إذا همّ بالإبداع أفلق – وإذا روى في حلّ منظوم دقق– وإذا صمّم في تهذيبه حقق– وإذا رام فصل شيءٍ منه طَبّق) موافق لغرض الرسالة ، إذ هو في الرسالة مسئول و المُراسَل سائل ، وهو مُعلم والمتلقي مُتعلّم ، فجاء الضغط على وصف طبيعة الكاتب المبدع في حلّه للنظم فهو إذا أبدع جاء بما لم يأت به أحد ، وإذا فكر في حل منظوم دقق في الأمر ، واختار الشاهد بعناية ، وإذا

---

[1] السابق ، ص: 164–165.

[2] السابق ، ص: 205–206.

[3] السابق ، ص: 401.

انصرف لتهذيبه حقق النص بتركيز ، و إذا أراد أن يغير من تركيبه غيّر بحرفية ومهارة ، وهذا شاهد على رأي العميدي في مسألة السرقات الشعرية ، فهو يرى أن لا عيب في استعارة بيت من الأبيات لشاعرٍ وحل نظمه ، مع شرط أن يغير الآخذ في تركيب البيت وألفاظه فلا يأخذه كما هو ، بل يغير فيه حتى إذا سمعه صاحبه بعد ذلك لم يعرفه . [1]

[1] وللمزيد من شواهد ظهور المماثلة بشكل واضح في تَرَسل العميدي لمساعدته في الضغط على أفكار بعينها ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ، 39 ، 44 ، 47 ، 50 ، 53 ، 56 ، 57 ، 120 ، 122 ، 133 ، 137 ، 152 ، 154 ، 164 ، 168 ، 174 ، 191 ، 200 ، 224 ، 235 ، 250 ، 258 ، 268 ، 270 ، 272 ، 273 ، 280 ، 281 ، 284 ، 285 ، 291 ، 295 ، 301 ، 308 ، 353 ، 365 ، 370 ، 371 ، 428 ، 430.

4-1-3- المقابلة:

المقابلـة لغـةً : مـن قَابَـل الشـيءَ بالشـيءِ قِبـالًا ومُقَابَلـةً : أي عارضـه ، والمُقَابَلـة : التَّقَابُـل والمُوَاجَهَـة[1] ، واصـطلاحًا: هـي أن يـؤتي بمعـانٍ متوافقـة و أقلهـا معنيـين ، ثـم يـؤتى بمـا يقابلهـا أو يضـادها مـن معـانٍ علـى الترتيـب ، نحـو : " فأمَّـا مـن أعطـى واتقـى *وصـدق بالحسـنى* فسنيسـره لليسرى * وأمَّا من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى" [الليل/5-10] [2] .

قـال البـاقلاني : ويعـدون مـن البـديع المقابلـة ، وهـي مجـيء الموافقـة بـين معـانٍ ونظائرهـا ، ويكون المضاد بضده.[3]

قـال ابـن رشـيق القيروانـي : وأكثـر مجـيء المقابلـة فـي الأضـداد ، فـإذا اجتمـع أكثـر مـن ضـدين في الطباق صار مقابلة .[4]

وقـد أدخلـت جماعـة المقابلـة فـي المطابقـة ، وهـذا غيـر صـحيح ؛ لأن المقابلـة أعـم وأشـمل مـن المطابقـة ، فالمقابلـة تنظيـر بـين شـيئين فـأكثر وبـين مـا يوافـق ومـا يخـالف ، فقولنـا بـين مـا يوافـق أخـرج المطابقـة ؛ لأن المطابقـة لا تكـون إلّا بـين ضـدين ؛ وتجمـع المقابلـة أربعـة أضـداد علـى الأقـل اثنـين فـي الصـدر واثنـين فـي العجـز وقـد يصـلوا إلـى عشـرة أضـداد ، خمسـة فـي الصـدر وخمسـة فـي العجـز ؛ لذا كانت المقابلة أعم من المطابقة.[5]

وقـد قسـمها ابـن قـيم الجوزيـة إلـى مقابلـة معنويـة ولفظيـة[6] ، ونقـل الزركشـي تقسـيم المقابلـة إلـى أربعة أقسام وفقًا لترتيب المقدمات والثواني على النحو الآتي :

---

[1] انظر: لسان العرب ، مادة (قَبَلَ) ، 540/11.

[2] انظر: جواهر البلاغة ، ص:304 ، وانظر: مفتاح العلوم ، ص:424.

[3] انظر: إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني [-403هـ] ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة- مصر، ط5 ، 1997م ، ص:88.

[4] انظر: العمدة في محاسن الشعر ، 15/2.

[5] انظر: خزانة الأدب ، 129/1 ، وانظر معجم المصطلحات البلاغية ، 288/3.

[6] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 291/3.

1–أن يـأتي بالمقـدمات مـع قرينتهـا مـن الثـواني ، نحـو : " وجعلنـا الليـل لباسًـا * وجعلنـا النهـار معاشًـا " [النبأ/10–11].

2–أن تـأتي المقـدمات معًـا والثـواني معًـا ، نحـو : " ومـن رحمتـه جعـل لكـم الليـل والنهـار لتسـكنوا فيـه ولتبتغوا من فضله" [القصص/73].

3– أن يـأتي بالمقـدمات ، ثـم يـأتي بـالثواني معكوسـة فيمـا يعـرف بـرد العَجُـز علـى الصـدر، نحـو: " يـوم تبـيض وجـوهٌ وتسـود وجـوه فأمّـا الـذين اسـودت وجـوههم أكفـرتم بعـد إيمـانكم فـذوقوا العـذاب بمـا كنـتم تكفرون* وأمّا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون" [آل عمران /106–107].

4– أن يـأتي بالمقـدمات ثـم يـأتي بـالثواني مختلطـة فيمـا يعـرف بـاللف ، نحـو: "...وزلزلـوا حتـى يقـول الرسـول والـذين ءامنـوا معـه متـى نصـر الله ألا إنّ نصـر الله قريـب" [البقـرة/214] ، فنسـبة قـولهم " متـى نصـر الله" إلـى " الـذين ءامنـوا" كنسـبة " يقـول الرسـول" إلـى " ألا إنَّ نصـر الله قريـب" ، فالقولان المتباينان يصدران عن متباينين.[1]

ووفقًا لعدد الأضداد الآتية في المقابلة قُسمت المقابلة إلى خمسة أقسام:

1– مقابلة ضدين بضدين ، نحو : " فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا " [التوبة/82].

2–مقابلـة ثلاثـة أضـداد بثلاثـة مـثلهم ، نحـو : " ويُحِـل لهـم الطيبـات ويُحَـرم علـيهم الخبائـث" [الأعراف/157].

3–مقابلـة أربعـة أضـداد بأربعـة ، نحـو : " فأمَّـا مـن أعطـى واتقـى* وصـدق بالحسـنى* فسنيسـره لليسرى*وأمّا من بخل واستغنى* وكذب الحسنى* فسنيسره للعسرى " [الليل/5–10].

4–مقابلة خمسة أضداد بخمسة مثلهم ، نحو قول المتنبي:

---

[1] انظر: البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي [–794هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1957م ، 3/ 460–461.

أزورهـــم وســـواد الليـــل يشـــفع لي...وأنثنـــي وبيـــاض الصـــبح يُغـــري بي.[البســـيط].

5- مقابلة ستة أضداد بستة أضداد ، نحو قول الشاعر:

عــلى رأس عبدٍ تـــاج عزّ يـزينه....وفـــي رجـــل حرّ قـــيد ذلٍ يـــشينه.[الطويل][1]

ومتـى كانـت المقابلـة فـي موضـعها المناسـب كانـت بديعـة ، أمّـا إذا أُقحمـت فـي غيـر موضـعها صـارت نابيـة ، وهـي والمطابقـة الهـدف منهمـا إبـراز المعنـى وتوضـيحه [2] ، وتكـون المقابلـة بـالجمع بـين المعـاني المتطابقـة بعضـها بعضًـا ، و التـي تكـون فيمـا بينهـا نسـبة تقـارب أو تبـاين بحيـث إذا ذكـر إحـداها ، حضـرت الأخـرى المضـادة لهـا فـي الـذهن علـى الفـور [3] ، فالحسـن فـي الطبـاق هـو تقريبـه المعنـى وإيضـاحه بـالجمع بـين الضـدين اللـذين يستحضـرهما الـذهن فـور ذكـر أحـدهما ، فهـي بمثابـة دائـرة مغلقـة تتكـرر مـا فيهـا ، وتـزداد هـذه الطبيعـة التكرايـة كثافـة عنـد جلـب المزيـد مـن المتضـادات ، التـي ربمـا تكـون علـى مسـتوى السـطح لا رابـط يجمعهـا ، ولكـن فـي المسـتوى العميـق يـربط بينهـا التناسـب الـدلالي فـي المعنـى وهـي المخالفـة والمغـايرة والمقارنـة ، إلـى جانـب علاقـة الحضـور والغيـاب ، فالحاضـر يلفـت الانتبـاه للغائـب والعكـس[4] ، فبهـذا التضـاد اللغـوي نسـتطيع أن نثيـر فـي الخيـال تحركًـا ذا اتجـاهين متبـاينين لكنهمـا منـدمجان فـي حركـة واحـدة ، ممـا يـؤدى إلـى تحريك عاطفة اصطراعية مضطرمة.[5]

و علاقـة التقابـل أيضًـا تسـاعد علـى سـبك الـنص – وهـي علاقـة دلاليـة يـؤتى فيهـا بمعنيـين أو أكثـر متـوافقين ، ثـم بمـا يقابلهمـا علـى الترتيـب- فثمـة أزواج مـن الألفـاظ متصـاحبة أبـدًا بمعنـى أن ذكـر إحـداها يسـتدعى الأخـرى ، فيمـا يعـرف بالمصـاحبة المعجميـة ، أو الارتبـاط الاعتيـادي لكلمـة

---

[1] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 3/288-289.

[2] انظر السابق : 3/292.

[3] انظر: منهاج البلغاء ، 2/46.

[4] انظر: البلاغة العربية : قراءة أخرى ، 356-357.

[5] انظر: مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف سامي اليوسف ، دار الحقائق ، الجزائر ، ط3 ، 1983م ، ص:338.

معينـة بكلمـات أخـرى فـي نفس اللغـة كمـا عرّفهـا أولمـان ، ومنهـا علاقـة التقابـل بـين الألفـاظ ، عنـدما يكون اللفظين متعاكسين أو متضادين أو متخالفين.[1]

وقـد أكثـر العميـدي مـن اسـتخدام المقابلـة لوظيفتهـا القويـة فـي توضـيح المعنـى وإبـرازه للمتلقـي ، واعتمادهـا علـى ذهـن المتلقـي فـي ربطـه علاقـات الحضـور بالغيـاب ، مـا بـين المفـردات المـذكورة والغائبة للتناسب بينهما في المعنى.

ففي ذمه لأحد الكتّاب ، يقول : " سخِطَ الزّمان به على أهل الفضل فأشقاهم وأسعده، ومال إليه دونَهم فقومَ أوَدَه ، وانقبض عنهم فبَسَطَ لهُ يدَه، ورفعه من وَهْدةِ الخلاء إلى فوق السَّماء، ومن الحفير الحقير إلى ظهر الأثير، ومن مقاساة الخيط والإبرةِ إلى تدبير الملك والحَضرة." [2] فالمقابلة واضحة في هذا الشاهد ، وهي مقابلة ما بين حالة الكاتب المهجو قبل إقبال الدنيا عليه و حالته بعدها ، فهو رُفع من وهدة الخلاء إلى عنان السماء ، ومن الحفير الحقير إلى ظهر الأثير ، ومن المهن البسيطة إلى تدبير أمور الدولة ، فكان وجوده في هذه المنزلة سخط من الزمان على أهل الفضل إذ أشقاهم وأسعده ، والمقابلة تبرز المعنى وتوضحه ، وهي توضح ضعة أحوال هذا الكاتب قبل أن يقبل الزمان عليه ، فلما أقبل نسي أصله وتنكر لماضيه وأساء المعاملة ، وفي المقابلة مبالغة في ذم هذا الكاتب و تشهير به.

وفي توضحيه أسباب حسد الشانئين عليه ، يقول : " والشيخ عمادُ الدَّوْلَة – أدام اللهُ سَعادته –يعلمُ أنّ بهذه الحضرةِ في أولادِ الخُبث من حُسّادي كثيرةً، وأن لي في قلوبهم من مقامي بين ظهرانيهم حسرةً كبيرة ، هذا ولا ذنب لي عندهم سوى أنني أعلمُ وهُم جُهّال، وأفهمُ وهُم بِغال، وأسَمَعُ وهم طلول، وأَبصرُ وهُم طبول، وانتقد وهم أنعام ، وأميز وهم أصنام، فكلما لاقوني تنفسوا الصُّعَداءُ كَمَدًا، وكلّما سَمِعُوا بخبري دبوا الضراءَ حَسَدًا." [3] ، فهو يُوظف المقابلة طلبًا للتعاطف معه و الإشفاق عليه ، إذ إن من حوله من الحساد لا يحسدونه إلا لعلمه وجهلهم ، وفهمه وغبائهم ، وبصيرته و حماقتهم ، وهو يوظف مع المقابلة أسلوب الاستثناء المفرّغ الذي يفيد

---

[1] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د.جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1998م ، ص: 107–108 ، 151.

[2] رسائل العميدي ، ص: 148–149.

[3] السابق ، ص: 227.

القصر والحصر ، أي لا يبغضونني إلا لذلك ، وإذا كان هذا فقط هو ذنب الكاتب في أعين هؤلاء الحساد ، فلا مناص من التعاطف مع هذا الكتاب البارع الذي اكتنفته أعين الغيرة والحسد.

وفي رسالته إلى حسان بن جراح يصف جماعته الآبقة الخارجة على الدولة ، موظفًا المقابلة لبيان حالتهم السابقة و عِظم ما أفاض به كرم الخليفة الفاطمي عليهم إبَّان ذلك ، يقول: " إذ أحيوهم وكانوا أمواتًا ، وجمعوهم وكانوا أشتاتًا وأعلَوْا أقدارَهم و كانت ذُؤابة ذابلة، وشَهَروا آثارهم وكانت خاوية خاملة، ورفعوهم من بطون الفَدافد إلى ظهور الفَراقد ومن ذَرى الحفائر إلى ذُرى المنابر، ومن إدمان الشَّقاء إلى عِنانِ السَّماء، ومن أخْفافِ النَّعَم، إلى أكناف النِّعَم، ومن مجانسة البهائم إلى مجالسة الأكارم ، حتّى شبعوا بعد المجاعة، وارتفعوا عَقِيبَ الضّراعة ، وأمنوا فَرْطَ المخافة، وسمنوا إثْرَ النحافة، وانتعشوا بعد الانخفاض، وانبسطوا عَقِبَ الانقباض، وحَسَدهمُ العَرب وكانوا مرحومين ورهبهم الناسُ وكانوا مظلومين مهضومين، وملكوا البلاد وكانوا عنها مُبعَدينَ مطرودين، وغنموا الأموال وكانوا مُعدَمين مجدودين." [1] فالشاهد يزخر بالمقابلات ما بين ما آلت إليه أحوالهم من السوء من قبل ، وكيف تعامل معهم الخليفة الفاطمي بإلباسهم أثوابًا من المجد ، غيرت أحوالهم إلى النقيض تمامًا ، وكل هذا بهدف تذكيرهم بجميل صنيع الخليفة معهم ، وإلزامهم الاعتذار وطلب العفو ، إذ كيف يخرجون على حكم مثل هذا السلطان ؟!

وفي تعزيته أحد القضاة ، يوظف المقابلة لبيان أحكام الزمان ، والسنن الإلهية في المنح والمنع ، يقول : " والذي يستقبله العاقل، يستدبره الجاهل، والذي ينتهي عنه الحازم ينتهي إليه الغافل، فالأولى بمن يَعرِفُ أحكام الزمان في اختلاف أحواله، وتناقض أفعاله ويرى الدهر كيف يهب، ثم ينهب، ويُعمّرُ ثم يُخرّب، ويُعطي ثم يَحرُب، ويكسو ثم يَسلُب، ويعرف أنه لا يستطيعُ للمقدور دفعًا، ولا يملك في حالة من الأحوال لنفسه ضُرًّا ولا نفعًا، ويدري أن قلة رضاه بأقدار خالقه، مُستَنزِلةٌ لسُخْطِه وبوائقه." [2] فالدهر يهب وينهب ، ويعمّر ويخرّب ، ويعطي ويَحرب ، ويَكسو ويسلب ، و كل هذه المتقابلات توضح طبيعة الأقدار المنزلة ، وأن الدنيا دار ابتلاء

---

[1] السابق ، ص: 267-268.

[2] السابق ، ص: 321-322.

، وما على الرجل إلا أن يصبر ويحتسب ، فالسخط على المقدور لا يرد ميتًا ، وهنا تظهر حكمة العميدي وتبصره بأحوال الدنيا ، وحسن توظيفه المقابلة لتعزية الرجل وإعانته على الصبر والتجلد.[1]

ونلاحظ من الشواهد السابقة أن كل المقابلات جاءت مسجوعة ، ليس لتخصيصه المقابلة بالسجع وإنما لاعتماده السجع في كل كلامه ، وقد ترد بعض هذه المقابلات مصاحبة للمماثلة أيضًا من ذلك ما جاء في وعيده حسان بن جراح يصف غدره وتلونه ، يقول : ".... ونازلت من فيها تُظهر الموارِبة، وتُضمر المحاربة، وتُبدي الموادعة، وتُخفي المُقارعة، وتُعلن المصالحة، وتُسرُّ المكافحة، وتُري المسالمة، وتُريدُ المزاحمة، حتى خلا الجو لك، وقد رَسَا الحقد في قلبك، وفرخ الشَّيطانُ في رأسك ، فاستبحت أصقاعها، وعطلت بقاعها، وأحرقت رباعها ، وخربت ضياعها، واستقتَ كراعَها، ونهبت متاعَها " [2]

فالجمل المتقابلة جاءت متماثلة أيضًا إحكامًا للضغط على الفكرة المسيطرة على عقل الكاتب –كما رآها– وهي ذم نفاق حسان بن جراح وتلونه فظاهره الموارِبة أمّا باطنه فالمحاربة ، و هو يُبدي الموادعة ، ويخفي نيته على التصارع ، وهو يجتهد في إقامة الجمل متساوية في الوزن ، لتكون أكثر قوة وتأثيرًا ، وأطرب للآذان فيسهل حفظها وانتشارها في الآفاق، لتكون مسكتة للخصوم ، داحضة لحججهم.

وفي وصف لؤم متولي ديوان الخاص ونفاقه ، يقول : " وسيدي – أدام الله عزّه – يريني بشرًا ظاهِرًا، ثم يريني ظالمًا جائرًا ، ويجاملني مجاملة ناسك بوجه ضاحك، ثم يُعاملني معاملة فاتك بسيف باتك، إشراق كالدفلى يروق زهره ويقتل طعمه، وإطراق كالأفعى يغرّ سكونه ويضرُّ سمّه، فلا سلاسة مفردة و لا شدّة ، ولا دماثة مجردة ولا حدّة، ولا ماء فرات أزداد في شربه رغبة، ولا ملح أجاج فلا أذوق منه شربة، منظر يدل على سهولة، ومخبر ينبئ عن حُزونة، وقول يُرضي بلين، وفعل يؤدّي إلى خشونة، فلا يقدر على معاشرته إلا من

---

[1] وللمزيد من الشواهد التي تدل على إفراط العميدي في توظيف المقابلة في رسائله لتوضيح المعنى والمبالغة حتى أضحت سمة أسلوبية له ، انظر رسائل العميدي ، ص: 28 ، 29 ، 38 ، 40 ، 41 ، 89 ، 122 ، 132 ، 133 ، 134 ، 139 ، 150 ، 158 ، 160 ، 161 ، 170 ، 174 ، 177 ، 178 ، 192 ، 197 ، 200 ، 203 ، 210 ، 218 ، 224 ، 226 ، 245 ، 251 ، 258 ، 259 ، 268 ، 271 ، 277 ، 278 ، 280 ، 282 ، 285 ، 287 ، 289 ، 292 296 ، 297 ، 305 ، 306 ، 330 ، 338 ، 342 ، 344 ، 345 ، 352 ، 357 ، 370 ، 381 ، 387 ، 418 ، 433.

[2] السابق ، ص: 278.

حفظ كتاب إقليدس وحل إشكاله، ولا يهتدي إلى معاملته إلا من دَرَسَ حساب أرشميدس وأكثر استعماله، ولا يثبت على أخلاقه إلا من طائر حلمه واقع ، ولا يصبر على أعماله إلا من أجنف بالإضافة إليه نزق جازع."[1]

فقد أحكم وصف هذا المسئول المتلون المنافق من خلال توظيف الجمل المتقابلة المتماثلة مثل (يريني بشرًا ظاهرًا –يريني ظلمًا جائرًا) (يجاملني مجاملة ناسك بوجه ضاحك – يعاملني معاملة فاتك بوجه باتك) (منظر يدل على سهولة– مخبر ينبئ عن حزونة) ، وهو يوظف التشبيه التمثيلي بالمقابلة والمماثلة أيضًا إحكامًا للوصف مثل (إشراق كالدفلى يروق زهره ويقتل طعمه– وإطراق كالأفعى يغرّ سكونه ويضرُّ سمّه) ، فهو يوظف من البيئة حوله كل ما يوافق ويناسب موقفه مع هذا المسئول المتلون فإشراقه كإشراق نبتة الدفلى بزهرها المونق و طعمها الذعاف ، وأمّا هدوؤه فهدوء الثعبان الذي لا تشعر بحركته و إنما بسمه يسري في الجسد ، مما يوضح الصورة المرادة أبلغ توضيح.[2]

---

[1] السابق ، ص: 132-133.

[2] وللمزيد من شواهد مجيء المقابلة مع المماثلة ، انظر رسائل العميدي ، ص: 28 ، 55 ، 132 ، 266 ، 270 ، 385.

5-1-3- مراعاة النظير:

المراعاة من الفعل رَعَى يَرعى ، وراعى النجوم : أي راقبها ، ورَاعى الأمر : نظر إلى ما يصير ، والنَّظير: المثل من كل شيء ،و الكفء والمساوي [1]، و هي الجمع بين أمور متناسبة لا من جهة التضاد ، ويكون بين شيئين أو أكثر ، نحو: " وهو السميع البصير" [الشورى/11] ، وقوله –سبحانه- : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم" [البقرة/16] [2]، وقد تصل هذه الأمور المتناسبة إلى أكثر من أربعة كقول ابن رشيق:

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى....من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا...عن البحر عن جُود الأمير تميم.[الطويل]

فقد لائم بين القوة والصحة والسماع والأحاديث والخبر والرواية ، ثم بين السيول والمطر والبحر ، وكف الأمير تميم ، وبهذا صار الكلام محكم الحوك والتأليف ملتئم النسج ، مع حسنة الصنعة التي ظهرت في البيت الثاني ، حين أتى بصحة الترتيب في العنعنة ، والتي تقع في سند الحديث من صاغر لكابر ، فجعل السيول ترويها عن المطر التي هي أصلها ثم المطر يرويه عن البحر الذي هو أصل المطر ثم كف الأمير تميم الذي يرويه عن البحر وهو أصله وأصل الندى والكرم والجود في الكون كله على حسب ما ادعاه الشاعر مبالغة في المدح.[3]

وقد تُسمى التلفيق والتناسب والتوفيق والائتلاف والمؤاخاة [4] ، قال ابن حجة الحموي: ومراعاة النظير تسمى الائتلاف والتناسب والمؤاخاة والتوفيق وهي اصطلاحًا: جمع الناثر أو الناظم أمرًا وما يناسبه من نوعه أو من أحد الوجوه ، لا من جهة التضاد ؛ لتخرج المطابقة.[5]

---

[1] انظر: لسان العرب مادة (نَظَرَ) ، 219/5 ، ومادة (كفأ) 139/1.
[2] انظر: جواهر البلاغة ، ص:304 ، وانظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ،د.إنعام فوَّال عكّاوي ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ، ط3 ، 2006م ، ص:646.
[3] انظر: علوم البلاغة ، ص:323.
[4] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 243/3.
[5] انظر: خزانة الأدب ، 293/1.

قال السجلماسي : والمناسبة في الكلام على أربعة أنواع : إيراد الملائم ، وإيراد النقيض ، والتناسب والانجرار ، لأن أصل المناسبة في أجزاء الكلام على أربعة أوجه : أحدها : الإتيان بالشيء وشبيهه نحو السيف والفِرِند ، والقمر والشمس وهو من باب إيراد الملائم ، والثاني : الإتيان بالشيء ونقيضه كالأضداد من الليل والنهار والموت والحياة وهذا من باب إيراد النقيض ، والثالث: الإتيان بالشيء وما يستعمل فيه كالقلم والدواة والقوس والسهم ، وهو ما يعرف بالانجرار ، والرابع : الإتيان بالأشياء المتناسبة كالملِك والقلب ، كما نقول نسبة القلب للبدن نسبة الملِك للمدينة ، وهذا من باب التناسب.[1]

فمراعاة النظير في اللغة كالتناسب بين الكائنات في الطبيعة ، فكما ترى الجمال في الطبيعة بسبب هذا التناسب والملائمة في الخلق ، فإن مراعاة النظير تبعث الجمال اللغوي الطبيعي الذي لا شذوذ فيه ؛ لتلاؤم المفردات وتناسقها وتجانسها وائتلافها.[2]

ويرى د.البدري فؤاد أن الجرجاني قد أشار إلى مراعاة النظير وذلك عند قوله: فلا تجد أحدًا يقول: هذه لفظة فصيحة إلّا وهو ينظر إلى مكانها في النظم ، وحسن ملاءمتها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ، وهل قالوا : هذه لفظة متمكنة مقبولة وأخرى قلقة مستكرهة نابية إلّا وكان غرضهم بالتعبير بالتَّمكن التدليل على حسن اتفاق معناها مع ما يجاورها من كلمات ، وبالنبوء والقلق للتعبير عن سوء التوفيق والتلاؤم ، لاختلاف الأولى عن الثانية في معناها ، وأن الثانية لم تكن لتصلح أن تكون رديفة للأولى في مؤادها.[3]

---

[1] انظر: المَنزَع البديع في تجنيس أساليب البديع ، لأبي محمد القاسم السجلماسي [ت نحو 704هـ] ، تحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط- المغرب ، ط1 ، 1980 ، ص: 518-519.

[2] انظر: مراعاة النظير في كلام العلي القدير ، د.كمال الدين عبد الغني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية -مصر ، د.ط ،2000م ، ص:8-9.

[3] انظر: دلائل الإعجاز ، 1/44-45 ، وانظر: من مراعاة النظير في كلام سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- (دراسة نظرية تطبيقية من خلال صحيح مسلم) ، د.البدري فؤاد عبد الغني ، حولية كلية اللغة العربية ، جرجا-مصر ، مج 11 ، ع 2 ، إبريل ، 2007م ، ص:1312.

فلإحساس البلاغيين بما في مراعاة النظير من طبيعة تكرارية أسموه بالائتلاف وبالتناسب وبالتوفيق ، حيث تعتمد بنية مراعاة النظير على جمع المتناسب وهو ما يعرف في علم الدلالة بالحقل الدلالي الصياغي ، وهذا المصطلح الحديث استخدمه القدماء تحت مسمى الوادي الجديد ، ويرجع أساس تكوينه إلى التناسب الشكلي بين المفردات ، أو للتداعي الإدراكي بينها ، أو لتوقف بعضها على بعض في ذات الحقل ، وهذه الطبيعة التكرارية في مراعاة النظير ، ليست عملية موازنة بين الدال والمدلول ، إنما هي عملية تناسب دلالي خالص ، حيث ينتقل الذهن انتقالًا ترابطيًّا من الشيء إلى ما يجاوره ، وهنا تغيب المفاجأة ، لموافقة الكلام لما كان يستحضره ذهن المتلقي ، حين انتظر دالًا بعينه ، ثم أتى كما توقعه ، فيحدث الإشباع الدلالي[1] ، فالمتلقي يُوَظف المصاحبة المعجمية لتحديد المعنى.[2]

ويرى الباحث أن من أسرار جمال مراعاة النظير هو تحريك ذهن المتلقي ليفتش عن كيفية تركيب الناظم أو الناثر لمعناه ، فإن مراعاة النظير لا تخلو من إلباس الألفاظ اللاحقة لوازم الألفاظ السابقة لتحدث المراعاة كما في قوله: " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم " [البقرة/16] فأكمل بقوله فما ربحت تجارتهم بعد أن صور الهدى عملةً تُشترى بها الضلالة (البضاعة) فتابع قوله –سبحانه– بخسران هذا الربح والتجارة ، مما يحرك الذهن لربط خطوط التشابك والتناسج بين الجملتين.

وقد أكثر العميدي من توظيف مراعاة النظير في رسائله حتى لا تكاد تخلو منه رسالة ، وهو يوظفها في إثارة ذهن المتلقي لينتبه لكلامه ، وليحسن من خروج الكلام وتنميقه ، ولميله العام للمبالغة والتهويل.

ومن ذلك ما جاء وصفه لطبيعة بلاد طبرستان ، يقول : " وتسوق الرياح إليّ كل عشيةٍ جنوبَها، وتذرف بها السحائب ، دموعها السَّواكب، وتصبح الرعود في أقطارها نوادب، تلك لعمري بلاد طبرستان." [3] ، فلما

---

[1] انظر : البلاغة العربية: قراءة أخرى ، ص: 382–383.

[2] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 120.

[3] رسائل العميدي ، ص: 46.

قال عن السحائب أنها تذرف أتى بلفظ دموعها السواكب ، وجعل الرعود نوادب ، وكل هذا من مراعاة النظير التي تظهر براعة الكتاب وحسن تنميقه للكلام وترتيبه إياه و تشكيله.

وفي آخر رسالته لولي العهد وقد وعده بإهدائه كتابًا ، يقول : " وإلى أنْ يسهل الله ذلك فأنا أُذَكِّرُه ما كان وعدني به من رسائل إخوانِ الصفا، ومواعيده أبدًا مقرونةً بالإنجاز والوفا، وقد شمت سحابَها أيامًا، فأقشعت وإن لم تكن جَهامًا ، والآنَ فلا أناقشه في الحساب، ولا أُبرم حضرته بالعتاب." [1] ، فلما جعل مواعيده له سحابًا لاءم أن يقول فأقشعت ، ثم أردفها بقوله : وإن لم تكن جهامًا ، كل هذا مراعاة للنظير ، وبراعة في التصوير ، ودقة في الخيال.

وفي استفتاحه إحدى رسائل المعمّيات لبعض أصدقائه يصف له كيف كان النعيم الذي يعيش فيه قبل إدبار الدولة العلية عنه ، وكيف كانت أخلاقه طيبة إبَّان ذلك ، يقول : " وسكنت حرمًا ظلاله ممتدة بسيطة، وجنيتُ ثمارًا لم يحظ غيري من أشجارها ورقًا ، وأمنت الإملاق من دون أن أظهر لأحد مَلَقًا." [2] فهو يصف العطايا والمنح التي نالها في تلك الفترة بالثمار اليانعة ، ثم يردفها بقوله : ولم يحظ غيري من أشجارها ورقًا من باب مراعاة النظير ، فلمَّا جعل العطايا والمنح شجرةً ، ذكر أنه نال أطيب ما فيها من ثمار لم ينل أحدٌ ورقةً منها ، مبالغة في إظهار ما كان يتقلب فيه من النعيم.

وفي حديثه لحسان بن جراح ، يقول : " فلما علم من ظاهر أفعالك، وضاحي أعمالك، أن نظامك يزول، وأيامك لا تطول، وأنّ الشّيطانَ سوّل لك أحاديثَ غُرور ، والخذلان أملى عليك أساطير زُور، وأنّ قلّة المبالاة بك أطمعتك في الباطل، وكثرة الإعراض عنك عرَّضَتك للخِزي الآجل والعاجل." [3] ، فالشيطان قد سول له أحاديث غرور ، و الخذلان أملى عليه أساطير زور ، ، فلما جعل الخذلان يُملي قال أملى عليك أساطير زور ، من باب مراعاة النظير بقصد المبالغة في التهكم والسخرية منه ، و إحباط معنوياته هو ورجاله.

وفي وصفه بسالة جيش الدولة الفاطمية في مجابهة الخارجين عليها ، يقول : " واكتست السَّماء من ملابس القَتام ثياب الحداد ، وثَبَتَ أنصارُ الدِّين وأشياعُ الحق ثبات أطواد، وطفقت سوابق الخيل تعثُرُ في

---

[1] السابق ، ص: 169.

[2] السابق ، ص: 258.

[3] السابق ، ص: 271.

حِجَالِها، بين أولئك القتلى بأعناقٍ ناتئةٍ من الكواهل، وأيدٍ نابيةٍ من البَآدل." [1] فلما قال اكتست السماء شفعها بقوله من ملابس القتام ثم قوله ثياب الحداد ، فجعل السماء امرأةً قد فُجعت في أحد أحبائها فهي تلبس الأسود حدادًا عليه ، وفيها إشارة إلى تعكر السماء من كثرة غبار المعركة حتى استحال لونها إلى اللون الأسود من كثرة الغيوم ، وفيها مبالغة للدلالة على قوة التحام جند الخلافة بالخارجين عليها ، وعلى بسالتهم وقوتهم.[2]

---

[1] السابق ، ص: 318.

[2] وللمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي لمراعاة النظير في جل رسائله حتى لا تكاد تخلو منه رسالة ، انظر رسائل العميدي ، ص: 6 ، 45 ، 47 ، 50 ، 52 ، 72 ، 120 ، 133 ، 142 ، 148 ، 150 ، 153 ، 164 ، 170 ، 175 ، 182 ، 191 ، 202 ، 206 ، 210 ، 213 ، 220 ، 221 ، 250 ، 256 ، ، 275 ، 277 ، 284 ، 285 ، 286 ، 288 ، 292 ، 294 ، 300 ، 303 ، 305 ، 308 ، 310 ، 312 ، 313 ، 315 ، 321 ، 323 ، 324 ، 327 ، 331 ، 334 ، 339 ، 340 ، 352 ، 364 ، 370 ، 389 ، 407 ، 418.

6-1-3-التَّكرار التركيبي:

كَرَّر الشيء و كَرْكَره : أي أعاده مرة بعد أخرى ، والكرَّة للمرة والجمع كرّات[1] ، واصطلاحًا : هو عبارة عن تعادل أو تماثل المعاني أو المباني في سطور تكون متطابقة الكلمات ، مرتبطة ببعضها البعض ، وتسمى عندئذٍ المتعادلة أو المتوازنة أو المتطابقة سواء أكان ذلك في النثر المقفى أم في النثر الفني أم في الشعر[2] ، فإذا ألقى المتكلم جملة ثم تبعها بجملة أخرى متصلة بها أو مترتبة عليها ولهما نفس الشكل النحوي ، سواء أكانت الآتية عليها موافقة لها في المعنى أم مضادة لها نشأ ما يعرف بالتوازي.[3]

قال ابن شيث القرشي: التكرير هو الإتيان بثلاث أو أربع كلمات على نفس الوزن ثم يُختم بأخرى تكون على وزنهن أو خارجة عنه وتكون القافية لهن ، نحو : لا زال حامي الذّمار ، عالي المنار ، عزيز الجار ، هامي النِّعم ، نامي الحمد ، وافي المجد ، جديد الجد ، وافر القسم ، وفي الشعر :

كأنّ المدام وصوب الغمام....ونشر الخزامي وريح القطر .[المتقارب].[4]

ومن المثال الذي وضعه ابن شيث يظهر لنا المقصود بالتكرار في هذا المبحث وهو التكرار التركيبي ، فحامي الذمار وعالي المنار...إلخ كلها جمل متتابعة على نفس التركيب النحوي الذي يتركب من : خبر ما زال على هيئة اسم فاعل مع استتار اسمها + مضاف إليه معرّف بأل.

قال صاحب الصناعتين : وكلام الفصحاء وسط بين الإيجاز والإطناب ، والفصيح العالي والقصد المتوسط ؛ ليستدل بالقصد المتوسط على العالي ، وليخرج السامع من شيء لآخر ، فتتوفر رغبته ويزداد نشاطه ، حتى استعملوا التكرار لتأكيد المعنى عند السامع ، وجاء منه في

---

[1] انظر: لسان العرب ، مادة (كَرَر) ، 135/5.

[2] انظر: البديع والتوازي ، عبد الواحد حسن الشيخ ،مكتبة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية -مصر ، ط1 ، 1999م ، ص:7-8.

[3] انظر : السابق نفسه.

[4] انظر: معالم الكتابة ، ص:77.

فصيح الشعر كثير ، كما جاء في كتاب الله نحو: " كلّا سوف تعلمون* ثم كلّا سوف تعلمون"[التكاثر/3-4] ، فالتكرار للتأكيد كما يقول أحدهم : ارمِ ارمِ ، واعجل اعجل.[1]

فالتكرار هو أساس الإيقاع في جميع صوره ، فنجده في فن الموسيقى بطبيعة الحال ، كما نجده في العمل الأدبي متمثِّلًا في الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع متباينة فيه ، وهو أساس نظرية القافية في الشعر ، بل هو سر نجاح كثيرٍ من محسنات علم البديع العربي مثل رد العَجز على الصدر ، والعكس مع التفريق ، والجمع مع التفريق وغيرها[2] ، فهو الممثل للبنية العميقة التي تتحكم في حركة المعنى في شتى أنواع البديع ، ولا يمكن الكشف عن تلك الحقيقة إلّا من خلال تتبع المفردات البديعية في المستوى السطحي لها ومن ثَمَّ ربطها بحركة المعنى.[3]

وتكرار الكلمات والتراكيب والأصوات ليس حتميًا لتؤدي الجمل وظائفها التداولية والمعنوية ، ولكنه شرط كمال أو لعب لغوي أو محسن ، ومع ذلك فإنه يؤدي دورًا كبيرًا في الخطاب الشعري ، أو في غيره من الخطابات الأخرى الإقناعية [4] ، حيث ينتج عن التوازي النحوي توازٍ صوتي ولا بد ، بل يكون في أعلى درجات التوازي الصوتي ؛ لأنه يكون على مستوى التركيب وليس على مستوى اللفظة المفردة فقط ، وهو توازٍ صوتي عروضي حين يقع في الشعر[5].

يقول د.محمد عبد المطلب : والحقيقة أنّ إدراك التماثل هي عملية ذهنية خفيّة ، لابد معها من استخدام الحدس الداخلي للمتلقي ، وذلك أن الدال يأتي كعنصر في بنية الأسلوب ، فيشغل الذهن بالارتداء فورًا إلى المدلول للتأكد من تحقق المطابقة من عدمها ، ومن هذا المسار اختلف التماثل عن التكرار المحض و التقابل ؛ لأن في التكرار المحض تتساوى الدوال تساويًا مطلقًا ،

---

[1] انظر: كتاب الصناعتين ، ص: 193.

[2] انظر: القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، محمد صابر عبيد ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق–سوريا ، د.ط ، 2001م ، ص:15.

[3] انظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، د.محمد عبد المطلب ، دار المعارف ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1995م ، ص:109.

[4] انظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د.مفتاح محمد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء–المغرب ، ط3 ، 1992م ، ص:39.

[5] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 126.

وفـي التقابـل تختلـف الـدوال اختلافًـا شـكليًا ، ولكـن تماثـل البنـى يجمـع بـين التكـرار والتقابـل معًـا مـن جهـة تكـرار نفـس الشـكل اللغـوي دون المعنـى ، ومـن جهـة اخـتلاف المعنـى بـين الجمـل دون وقـوع التقابل بينها ، فيحدث بهذا الجمع اهتزاز لدى المتلقي عند إدراك المماثلة داخليًّا.[1]

يقـول بـالي : إن للمـادة الصـوتية إمكانـات تعبيريـة هائلـة تكمـن فيهـا ، فألعـاب الإيقـاع والـنغم ، والأصـوات وتوافقاتهـا ، والاسـتمرار والكثافـة ، والفواصـل الصـامتة والتّكـرار ، كـل ذلـك يتضـمن طاقـة تعبيرية فذة بمادتها.[2]

ويـــرى عـــدنان قاســـم مـــن خـــلال قراءاتـــه لمقاربـــات نقديـــدة عديـــدة خاصـــة بظـــاهرة التكـرار Anadiplosis وتأثيرهـا فـي الـنص الأدبـي ، أنَّ التكـرار لـه وظيفتـين رئيسـتين همـا : التـوازي الموسـيقي والضـغط علـى فكـرة بعينهـا لإبرازهـا أكثـر مـن غيرهـا .[3] و إلـى جانـب هـذين الجـانبين المهمـين يـؤدى التكـرار دورًا آخـرًا لا يقـل أهميـة عنهمـا –كمـا رأى ذلـك أحـد البـاحثين– وهـو دوره فـي سبك الـنص ، حيـث يتحقـق السبك النحـوي للـنص عبـر ظـواهر لغويـة عديـدة منهـا ظـاهرة التكـرار علـى المسـتوى التركيبـي Syntax ، والمسـتوى الصـوتي Phonological ، فعنـدما تكـرر جملـة مـا بـنفس تركيبهـا النحـوي ، مـع اخـتلاف الألفـاظ فيهمـا ؛ يحـدث سـبك الـنص ؛ لأنـه فيـه ربـط بـين الجمـل وبعضـها و تكـرار للبنيـة النحويـة ذاتهـا ممّـا يُحـدث التـوازي Parallelism ، فـالتوازي النحـوي يجسـد توازي المحتوى ، وما التوازاي النحوي إلّا ضرب من ضروب ظاهرة التوازي.[4]

فهـذا التكـرار الـذي هـو فـي أصـله إلحـاحٌ مـن الأديـب أو المنشـيء علـى جانـب مهـم فـي العبـارة يُعنـى بهـا أكثـر مـن عنايتـه بـأي شـيء سواها ، هـو مفتـاح الفكـرة المتسـلطة علـى ذهنـه وأفكـاره ، ولهـذا فإنّـا نقـول بـإنَّ للتكـرار دلالـة نفسـية قويـة تفيـد الباحـث والناقـد المتصـدي للـنص الأدبـي ، عنـد تحليلـه أو تحليـل شخصـية الأديـب أو المنشـيء ، ومـن الأسـاليب التـي لجـأ إليهـا كتّـاب القـرن الرابـع الهجـري

---

[1] انظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، ص:15.

[2] انظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص:29.

[3] الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، ص: 108.

[4] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص:121-122.

فـي ترسـلهم تكـرار الأسـاليب اللغويـة أو الجمـل بتركيبهـا ، لإدراكهـم قيمـة التكـرار فـي خلـق التـوازن وتحقيـق التناسـب الإيقـاعي ، فكثيـرًا مـا كـان هـذا اللـون حاضـرًا فـي رسـائلهم ومكاتبـاتهم الأدبيـة بمـا يشـكل جانبًـا حيويًـا مـن الهندسـة العاطفيـة للتراكيـب اللغويـة للـنص الأدبـي ، فمـن الأسـاليب التـي أكثـروا مـن اسـتخدامها وتكرارهـا فـي رسـائلهم بصـورة ملحوظـة أسـلوبي النفـي والاسـتثناء بمـا يضـفيه الأخير من القصر والحصر .[1]

وقد أسرف العميدي من توظيف التكرار في رسائله حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات رسائله ، فهو سمة أسلوبية له ، ومن شواهد التكرار التركيبي ما جاء في رسالته التي يعتذر فيها للوزير القشوري عن التأخر عن الذهاب إليه ، يقول: " ولو جرى أمري – أدام الله تمكينَ مَوْلايَ الشيخ – في هذه الأيام، على سَنن النظام والاستواء، ولم تذكر في هذا الشتاء حرفة الأدباء، لما خلوت كل يوم من مباكرة الخمار، ومعاقرة العقار ومناغاة الأوتار، ومباينة الوقار ، ومنادمة الأحرار، ومناشدة الأشعار ومذاكرة الأخبار...." [2] فهو يكرر تركيب المصدر الاسم المجرور (وهو المضاف) والمضاف إليه المُعَرّف بأل ، وكرر هذا التركيب حوالي ست مرات في (مباكرة الخمار– معاقرة العقار– مناغاة الأوتار– مباينة الوقار– منادمة الأحرار– مناشدة الأشعار– مذاكرة الأخبار) ، كل هذا من أجل التوازن الموسيقي ، والضغط على فكرة ميله الطبيعي إلى الاستجمام والراحة واللهو الممزوج بعاطفة الفرح والسرور لتحقيق رغبات النفس.

وفي استفتاح رسالته إلى القاضي أبي الحسن ، يقول : " كتابي وشوقي إلى الشيخ القاضي – أطال الله بقاءه – شوقُ الصّادي إلى الماء وقد أرهقته غُلتُه ، والعليل إلى الشفاء وقد أقلقته علّته ، والمهجور إلى الوَصْل وقد أضنته حرارة الهجر، والفقير إلى الغَنَاء وقد أودته مرارة الفقر، والهَرِم إلى عودة الشباب وقد خانته أيامه، والمحروم إلى مساعدة الدَّهْر وقد أصْمَتَهُ سهامه." [3] ، فعاطفته المُلهَبة ، وشوقه لرؤيته دفعاه إلى توظيف التكرار التركيبي (الواو العاطفة + الاسم المعطوف المجرور + الجار والمجرور المتعلقان به + حرف التحقيق قد + الفعل الماضي + ضمير الغيبة (مفعول به) + الفاعل مضافٌ إليه هاء الغيبة ، وقد يأتي الفاعل على صورة المتضايفين).

---

[1] انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 438–440.

[2] رسائل العميدي ، ص: 16.

[3] السابق ، ص: 18.

فجاءت الجمل على النحو الآتي :

شوقي شوق الصادي إلى الماء وقد أرهقته غُلتُه.

و العليل إلى الشفاء وقد أقلقته علّته.

و المهجور إلى الوَصْل وقد أضنته حرارة الهجر.

و الفقير إلى الغَنَاء وقد أودته مرارة الفقر.

و الهَرِمِ إلى عودة الشباب وقد خانته أيامه.

و المحروم إلى مساعدة الدَّهْر وقد أصْمَتَهُ سهامه.

كلها مرآة عاكسة وتكثيف لهذه العاطفة المشتعلة بداخله ؛ لتشوقه لرؤية صديقه وصاحبه.

وفي هجائه لابن بنان الكاتب يقول : " جوارشه إذا اعتلّ كِسَرُ خُبز، ومركَبُه إذا ركِب جلد عَنْز، ودرّاعتُه شبكة صيّاد، وعمامته عُصابةُ فَصّاد، ومفرَشُه مِنديله، ومَطرحُهُ سَراويله، وحِرفتُه خِرقته ، وسلعته صلعته، ونفقته عَنفَقَته، وصناعته رقاعته ، قد قَلَمَ الحرمان بنانَه فلا يكاد يدبر قلمًا، وكَلَّم الخذلان لسانه فلا يستطيع كلِمًا."[1] ونلاحظ تكثيف تكرار الواو الاستئنافية + المبتدأ المضاف إليه هاء الغيبة + الخبر المضاف إليه هاء الغيبة ، وقد كررها حوالي خمس مرات في (ومفرشه منديله– و مطرحه سَراويله– وحِرفتُه خِرقته – وسلعته صلعته– ونفقته عَنفَقَته– وصناعته رقاعته) كل هذا ضغط على نقطة معينة وهي ذمه لهذا الكاتب البخيل قبيح المَخبر والمظهر ، وهو يعتمد على تركيب المركب الإسنادي للجملة الاسمية بما تضفيه من دلالة على الثبوت والدوام ، بواسطة الخبر الذي هو بمثابة الحكم على المبتدأ ، مبالغة منه في ذمه بوصفه بهذه الصفات المشينة المتتابعة.

وفي رسالته يتملق ولي العهد الأمير أبي القاسم ، يقول : " وإذا تصفّحتُ عينَ أهل هذا الزمانِ وَجَدْتُه في المآثر أرفعهم عمادًا، وأطولهم نجادًا، وأوراهم زنادًا، وأنفَعَهم عهادًا، وأخصبهم مرادًا، وأكثرهم حُسّادًا، وأسبقهم جوادًا، وأصدقهم ميعادًا. "[2]

---

[1] السابق ، ص: 174–175.

[2] السابق ، ص: 168.

فهذا التكثيف للتكرار التركيبي :

للواو العاطفة + الاسم المعطوف المنصوب على وزن أفعل + ضمير الغيبة المضاف (هم)+التمييز المنصوب ، هو تكثيف لهذا التملق لهذا السيد ، وضغط على فكرة تفرده على بَنيّ عصره في كل خلال الخير فهو : أرفعهم عمادًا – وأطولهم نجادًا– وأوراهم زنادًا– وأنفَعَهم عهادًا– وأخصبهم مرادًا –وأكثرهم حُسّادًا– وأسبقهم جوادًا–وأصدقهم ميعادًا ، وهو يجتهد في إقامة هذا التكرار التركيبي الذي يحدث توازن موسيقي بغية المبالغة في المدح والتملق ، وتقريب الكلام للقارىء استعاضة كما ذكر أولمان عمّا يستخدمه المتكلم من نبر وتنغيم وخلافه يساعده على إيصال مراده لمستمعه ، وفي رسالته في وعيد حسان بن جراح ، يضغط على فكرة إنعام الخليفة الفاطمي من قبل على الخارجين عليه يقول : " ورفعوهم من بطون الفَدافد إلى ظهور الفراقد ، و من ذَرى الحفائر، إلى ذُرى المنابر، ومن إدمان الشَّقاء إلى عِنانِ السَّماء، ومن أخْفافِ النَّعَم، إلى أكناف النِّعم، ومن مُجانسة البهائم، إلى مجالسة الأكارم، حتى شبعوا بعد المجاعة، وارتفعوا عَقِيبَ الضّراعة." [1] ، فهو يوظف التكرار التركيبي من :الواو العاطفة + الفعل الماضي المقدر والفاعل واو الجماعة والمفعول به ضمير الغيبة (هم) (رفعوهم)+ حرف الجر (من) + الاسم المجرور (وهو مضاف) + المضاف إليه [متعلقان بالفعل] + حرف الجر(إلى) + اسم مجرور (وهو مضاف) + المضاف إليه [متعلقان بالفعل] ، فجاء على النحو الآتي:

ورفعوهم من بطون الفَدافد إلى ظهور الفراقد .

و (رفعوهم) من ذَرى الحفائر، إلى ذُرى المنابر.

و (رفعوهم) من إدمان الشَّقاء إلى عِنانِ السَّماء.

و (رفعوهم) من أخْفافِ النَّعَم، إلى أكناف النِّعم.

و (رفعوهم) من مُجانسة البهائم، إلى مجالسة الأكارم.

كل هذا من أجل الضغط على فكرة إحسان الخليفة الفاطمي لهؤلاء الأقوام من قبل، وغدرهم الفاضح في مقابلتهم هذه العطايا والمنح بالجحود والخروج والمروق ، مما يوقفهم موقف المعتذرين ، وُيخرس أسلنتهم.[2]

---

[1] السابق ، ص: 267–268.

[2] ومن شواهد توظيف العميدي التكرار بصورة موسعة في رسائله من أجل الضغط على فكرة معينة ، وتحقيق التوازن الموسيقي ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ، 11 ، 15 ، 26 ، 31 ، 33 ، 41 ، 44 ، 51 ، 52 ، 55 ، 57 ، 58 ، 143 ، 150 ، 154 ، 156 ، 158 ، 159 ، 164 ، 165 ،175 ، 179 ، 180 ، 181 ، 183 ، 191 ، 205 ، 212 ،=

7-1-3- السجع:

السجع لغةً : سَجَع سَجعًا إذا هدل على جهة واحدة ، وسَجع الحمامة : هو موالاة صوتها على طريقة واحدة[1] ، واصطلاحًا: هو تواطؤ الفواصل[2] في منثور الكلام على حرف واحد ، وهذا هو معنى قول السكاكي: السجع في النثر كالقافية في الشعر[3] ، ويقال للجزء الواحد منها سَجعَة وتجمع على سَجعَات ، وفِقرة وتجمع على فِقرات ، ويقال لها قرينة لمقارنتها أختها وتجمع على قرائن ، والحرف الأخير منها يقال له فاصلة و روي. [4]

قال في علوم البلاغة: السجع في المنثور كالتصريع في النظم وهو لغةً من قولهم: سَجَعَت الناقة سَجعًا إذا مدت حنينها على جهة واحدة ، وفي الاصطلاح : هو تؤاطو الفاصلتين في الكلام المنثور على حرفٍ واحدٍ ، وهو لا يحسن إلا إذا استوفى شروطًا أربعة :

1-أن تكون المفردات خفيفة على السمع أنيقة رشيقة.

2-أن تكون المفردات خادمة للمعنى إذ هي تَبَع لها ، فإذا لم يُضف معنًى جديدًا كان سجعًا متكلفًا ممقوتًا.

3- أن تكون المعاني الحاصلة عنه مألوفة غير مستنكرة.

4-أن تدل كلا السجعتين على معنًى مغاير للأخرى وإلا كان تكررًا بلا فائدة. فمتى استوفى هذه الشروط الأربعة كان حلية ظاهرة في الكلام ، ولا تجد بليغًا قديمًا كان أم حديثًا خلا كلامه منه ،

= 218 ، 227 ، 230 ، 234 ، 252 ، 256-257 ، 260 ، 266 ، 273 ، 275 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 282 ، 290 ، 297 ، 298 ، 306 ، 308 ، 310 ، 311 ، 317 ، 323 ، 341 ، 377.

[1] انظر: لسان العرب مادة (سَجَعَ) ، 150/8.

[2] الفاصلة: حروف متشاكلة تقع في مقاطع الكلام ويقع بها إفهام المعاني ، وهي في الأصل آخر الآية كقرينة السجع وقافية الشعر ، انظر الإتقان في علوم القرآن ، 332/3.

[3] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 296 ، ومفتاح العلوم ، ص:431.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 302/2.

بل لا تجد سورة في القرآن مهما قصرت خلت منه ، بل قد يأتي السجع في أواسط الآيات نحو قوله-سبحانه-: " ألو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم " [الأعراف/100].[1]

قال ابن جني: ألا ترى المثل إذا جاء مسجوعًا لذّ سماعه وحفظه ، فإذا حفظه السامع كان جديرًا باستعماله ، ولو لم يجئ مسجوعًا لما أنست النفس به ولا أنقت لسماعه ، و لم تحفظه ، وإذا لم تحفظ المَثَل لم تطالب أنفسها باستعماله فيما وضع من أجله.[2]

والسجع قد يجيء قصيرًا و متوسطًا و طويلًا ، فالقصير نحو : " والمرسلات عرفًا * فالعاصفات عصفًا " [المرسلات/1-2] ، والمتوسط نحو قوله -سبحانه-: " اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر" [القمر/1-2] ، وأمّا الطويل فنحو : " إذ يركهم الله في منامك قليلًا ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكنّ الله سلم إنه عليمٌ بذات الصدور * وإذ يريكمهم إذ ألتقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ليقض الله أمرًا كان مفعولًا وإلى الله ترجع الأمور" [الأنفال/43-44] [3]، وأكثر السجع الآتي في رسائل العميدي ما بين المتوسط والقصير.

والسجع على أربعة أضرب : مرصع ومطرف ومتوازٍ ومتوازن، فالمُرصّع: ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها في التقفية والوزن كقول الحريري: وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، وقوله -تعالى- : "إن الأبرار لفي نعيم * وإنّ الفجار لفي جحيم" [الإنفطار/13-14]، والمطرف : ما اختلفت فواصله فيه وزنًا دون التقفية نحو قوله -سبحانه- : " ما لكم لا ترجون لله وقارًا * وقد خلقكم أطوارًا " [نوح/13] ، والمتوازي: ما اتفقت فيه الكلمتان الأخيرتان من جملتيهما وزنًا مع اتفاق الحرف الأخير فيهما ، نحو قوله -عز وجل- : " فيها

---

[1] انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص:360-361، والصناعتين ، ص:260.

[2] انظر: الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ [-392هـ] ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة-مصر، ط4 ، د.ت ، 217/1.

[3] انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص: 361-362.

سررٌ مرفوعة* وأكوابٌ موضوعةٌ" [الغاشية/13][1] ، والمتوازن: ما كانت الكلمتان الأخيرتان في الجملتين متفقتين وزنًا دون تقفية كقولهم : اصبر على مضض القتال وحرِّ النّزال وشدة المصاع ومدوامة المراس.[2]

وقد التزم العميدي السجع أبدًا في جميع رسائله ، وفهو من الطائفة الأولى الملتزمة بالسجع في الجد والهزل كالخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني[3] ، وكان لا يتكلف في سجعه فلا يلوي أعناقه ليًّا ، وإنما يأتي مناسبًا في موضعه من الكلام مما يدل على مهارته وحذقه.

وقد تنوع استخدام العميدي للسجع ما بين المتوازي والمرصع وبكثرة الأول منهما حتى صار سمة أسلوبية له ، والتوازي لغةً : المواجهة والتقابل ، والأصل فيها الهمزة ، تقول آزيته تريد بها حاذيته[4] ، والتسجيع المتوازي: هو أحد أنواع السجع وفيه يُراعى في الكلمتين الأخيرتين من الجملتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير فيهما تقفية.[5]

يقول القلقشندي: المرتبة الثانية من السجع أن تتفق الكلمتان الأخيرتان في الفقرتين وزنًا دون ما سواهما كقول الحريري: وأودى الناطق والصامت ، ورثى لنا الحاسد والشامت.[6]

---

[1] انظر: السابق ، ص: 361.

[2] انظر: حسن التوسل ، ص:209-210 ، ونهاية الأَرَب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد المعروف بالنويري [-733هـ] ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة- مصر ، ط1 ، 1423هـ ، 105/7 ، وأضاف ابن حجة الحموي : السجع المُشَطر ، وهو خاص بالشعر وفي تتساوى أنصاف الشطر الواحد على قافية تختلف عن قافية أنصاف الشطر اللاحق كقول أبي تمام:

تدبير معتصمٍ بالله منتقمٍ....لله مُرتقِّب في الله مُرتَغِب [البسيط] ، انظر خزانة الأدب ، 412/2.

[3] انظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ص:113 ، وتصنيف د.زكي مبارك للأدباء وفق التزامهم السجع إلى ثلاث طوائف : طائفة تلتزمه أبدًا وطائفة تسجع حينًا وتزاوج أخرى ، وطائفة لا تستخدمه إلّا قليلا.

[4] انظر لسان العرب ، مادة (وزي) ، 391/15.

[5] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 191/3.

[6] انظر: صبح الأعشى ، 305/2 ، وانظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، لأبي حامد أحمد بن عليّ السبكي [-773هـ] ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2003م ، 300/2.

وقد يعتمد العميدي على توظيف العطف بالواو لتحقيق السجع المتوازي ، ولتقرير الكلام بما يضفيه العطف بالواو من إفادة التكثيف والضغط على فكرة بعينها فضلًا عن دلالتها على مطلق الجمع ، فهي تقتضي تحقق الوصف المتقدم متضمنًا معنى التقرير والتوكيد ، فإذا قلنا كان رجلٌ ما اجتمت فيه أربع خلال ، هي الغنى والكرم والشجاعة والعلم ، وذكرنا هذه الصفات لرجل لا يعلمها عنه أو ينكرها ، فقولنا إن فلان رجل شجاع ، فقد يقتضي أنه بخيل مثلا مع شجاعته فتقول شجاعٌ وجواد ، وقد يكون كذلك مع فقرٍ فتقول شجاعٌ وجوادٌ وغني ففي العطف بالواو تقرير للصفات وتأكيد على كمالها ، كما أنه تأكيد على اجتماع الصفات الأربعة فيه لمن يستبعد اجتماع مثل هذا في رجل واحد ، ولذا قال –تعالى–: " هو الأول والآخر والظاهر والباطن" [الحديد/3] ، فلو قال أول ولم يعطف عليها بآخر لظن ظان أنّه أول والآخر غيره وكذلك في الباطن والظاهر فجاء العطف لتقرير الكمال ولتوكيد مجيء الصفات على تمامها [1] ، و العطف لغةً : الميل يقال عَطَف فلانٌ إلى ناحية أو إلى جماعة مال إليهم [2] ،وفي الاصطلاح : هو تابع يدل على معنى مشترك مقصود بالنسبة مع متبوعه ، يتوسطهما أحد أحروف العطف العشرة بينه وبين متبوعه مثل: قام عمرو وزيدٌ ، فزيدٌ تابع مقصود بنسبة القيام إليه مع عمرو.[3]

أمَّا السجع المُرصّع : فمن رَصَعَ الشيء: أي عقده عقدًا متداخلًا مثلثًا ، نحو عقد التميمة ومثلها ، وإذا سرت في طريقٍ فعقدت في مشيك عُقَدًا مثلّثة فهذا هو الترصيع ، وسيف مرصّع أي مُحلّى ، والرصائع حِلَق يُحلّى بها ، وواحدتها رَصِيعة ، ورصّع العقد بالجواهر : نظم بعضه إلى بعضٍ في سلكه[4] ، والسجع المُرصّع : هو السجع الذي تكون فيه ألفاظ قرينتي السجع متعادلة الأجزاء ، متساوية الأوزان ، وهو أعلى أنواع السجع جمالًا وحسنًا[5] ، حيث تكون ألفاظ القرينتين المزدوجتين مسجوعة ، فيخرج الكلام سجعًا في سجع ، كقول البصير: "حتى عاد تعريضك

---

[1] انظر: بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ، المعروف بابن قيم الجوزية [–751هـ] ، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان ،د.ط ، د.ت ، 191/1.

[2] انظر: لسان العرب ، مادة (عَطَفَ) ، 250/9.

[3] انظر: كتاب التعريفات ، ص: 151.

[4] انظر: لسان العرب ، (مادة رَصَع) ، 124/8–125.

[5] انظر: صبح الأعشى ، 304/2.

تصـريحًا ، وتمريضـك تصـحيحًا " فـالتمريض والتعـريض سـجع ، والتصـحيح والتصـريح سـجع ، فهـو سـجع فـي سجع[1] ، فهـو مـن جهـات الحسـن فـي الكـلام ، قـال ابـن سـنان الخفـاجي: الترصـيع هـو تعمـد الأديـب جعـل مقـاطع الأبيـات أو فواصـل الكـلام المنثـور مسـجوعة ، كأنّـه يشـبه ترصـيع الجـواهر فـي الحُلِي.[2]

فأمَّـا مقابلـة الألفـاظ بمـا يشـاكلها أصـواتًا فبـابٌ واسـع عظـيم ، ونهـج مُتلَئِـبٌ عنـد عارفيـه مـأموم ، وذلـك أنهـم كثيـرًا مـا يضـعون أصـوات الحـروف فيعـدلونها ويحتـذونها لتوافـق سـمت الأحـداث المعبـر بها عنها .[3]

وأمّا استحسنان البلاغيين لهذه البنى الإيقاعية كالسجع والازدواج وغيرهما فراجع إلى رغبتهم في تقريب النثر إلى الشعر ، فإذا كان الشعر غايته الإيقاعية العالية ، فإن النثر يسعى إلى هذه الإيقاعية أيضًا ، فضلًا عن رغبتهم في إحداث أثرٍ مكثف على متلقي الرسالة ، ومن هنا كانت رعايتهم بالسجع المتساوي القرائن ، فالطبيعة التكرارية تتحقق فيه على مستوى البنية الصرفية فضلًا عن مستوى الحرف الأخير في نهاية المقطع ، و هذه الطبيعة التكرارية التي دخلت في البنية العميقة للمحسنات البديعية رأسيًا وأفقيًا ، هدفت إلى إنتاج الدلالة في أحايين كثيرة ، كما هدفت في بعض الأحيان إلى إنتاج النغم والإيقاع الخالص ، ثم مزج الإيقاع الخالص بالدلالة في أحايين ثالثة[4] ، بل إن بعض البلاغيين أوغلوا في الاهتمام بهذه الإيقاعية حين اشترطوا تسكين فواصل الجمل في السجع سواء في حالتي الدرج أم الوقف ؛ فالفواصل عندهم موضوعة ساكنة الأعجاز في كل أحوالها ؛ لأن الهدف من السجع تناسب القرائن ولن يقع هذا في صورته الكاملة إلّا في حالة التسكين والوقف[5] ، بالإضافة إلى تفضيلهم السجع المتساوي القرائن على غيره لكثرة قربه من الشعر، كما أن السامع

---

[1] انظر: كتاب الصناعتين ، ص:263 ، وانظر : العمدة في محاسن الشعر ،26/2.

[2] انظر: سر الفصاحة ، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي[-466هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1982م، ص:223 ، وانظر : مفتاح العلوم ، ص: 432.

[3] انظر: الخصائص ، 159/2.

[4] انظر: البلاغة العربية: قراءة أخرى، ص: 400-404.

[5] انظر: السابق ، ص:399 ، وصبح الأعشى ، 302/2.

للسجعة الأولى ينتظر بلهفة مجيء الثانية ، فإذا أطلت عليه ساء ذلك عنده ، كمن يكون قد اقترب من صيد شيء فأفلت منه.[1]

ولابد للألفاظ المسجوعة أن تكون حارة حلوة ، رنانة طنانة ، لا غاثة ولا باردة [2] ، وأصل الحسن في ذلك كله أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني ، لا العكس [3] ، وكل ما سبق يؤذن بفضيلة هذه البنية البديعية على شرط براءتها من التَّكلف وخلوّها من التعسف[4] ، قال قدامة : الترصيع أن تكون ألفاظ القرينتين متفقة الانتهاء متساوية البناء ، بريئة من شين التعسف والاستكراه ، سليمة من عيب الاشتباه ، وذلك بتوخي جعل كل جزأين متتاليين متوافقين في الزنة مع التقفية ، من غير تعسفٍ ولا استكراه.[5]

و يعلق د.محمد كامل بعد عرضه لسجلٍ لابن الخلّال –وهو آخر من تولى ديوان الإنشاء في مصر الفاطمية– : وتتجلى في هذا السجل التقاليد الفنية التي انتهجها الكتّاب المصريون ، فالسجع والتطبيق والجناس والاقتباس وكثرة توالي الجمل المترادفة التي تحمل معنًى واحدًا ، والولوع بالصور البيانية ، وقد كان التزام الكتّاب الفاطميين بالسجع في جميع رسائلهم أولى الخصائص الفنية البارزة لهذا العصر، حيث نرى السجع هو التقليد الأول المتبع في الكتابة في الدولة الفاطمية منذ بدايتها إلى أن قوض أركانها صلاح الدين الأيوبي ، ونرى ذلك كثيرًا في السجلات التي كتبت في عصر الحاكم بأمر الله. [6]

---

[1] انظر: عروس الأفراح ،300/2.

[2] انظر: المثل السائر ، 213/1.

[3] انظر : مفتاح العلوم ، ص:432.

[4] انظر: كتاب الصناعتين ، ص: 261.

[5] انظر: جواهر الألفاظ ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر[–337هـ] ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 1985م ، ص:3.

[6] انظر: الحياة الفكرية والأدبية بمصر ،ص: 183 ، 198 ، وفي أدب مصر الفاطمية ، ص:321.

ومن ألوان السجع التي انتشرت بكثرة في كتابات الفاطميين السجع المُرصع ، وهو أن يأتي الكاتب في القرينتين أو في أكثرهما بألفاظٍ على نفس الزنة مع التزام التقفية.[1]

فهذه السمات الأسلوبية التي انتهجها العميدي وشاركه في أصلها كتّاب زمانه ، هي التي علم الفاطميون مدى تأثيرها في المخاطبين ومدى قدرتها على تخليد مجدهم ، وتكثيف الدعاية لهم عند شعوب الأرض كلها ، ولهذا صرفوا مزيد الاهتمام والعناية بالكتّاب ودواوينهم –خاصة– أكثر حتى من الشعراء ؛ لاتساع ملكهم وتشعب نواصي سلطانهم وحياتهم.[2]

ومن شواهد السجع المتوازي الذي هو سمة أسلوبية للعميدي ، ما جاء في رسالته المطبخية التي هي أشبه بالمقامة ، يقول : " فمَن يَدَعُني أمر بباب داره، فضلاً عن أن أمر بجواره! ومَن يرغب في مؤاكلتي ومنادمتي ! ومَن ينبسط لمواصلتي ومساهمتي." [3] ، فجاء بالعطف بين مؤاكلتي ومنادمتي ، وبين مواصلتي ومساهمتي رغبة منه في إقامة السجع المتوازي ، لتكثيف الإيقاع والسماح له بالإطناب بالمترادفات.

وفي رسالته إلى أحد الوزراء وقد شعر بجفوة بينهما ، يقول : " فيا ليت شعري! من أي الفريقين أنا؟ أمِنَ السُّعداء فأجُرَّ ذيلي فوق المجرّة اشتهارًا وافتخارًا، وأجوز منكِبَ الجوزاء استظهارًا واقتدارًا." [4] فلرغبته في تكثيف الوصف وظف السجع المتوازي ما بين (اشتهارًا وافتخارًا) و (استظهارًا واقتدرًا) من أجل تكثيف الإيقاع للتأثير في المخاطب.

وأيضًا لرغبته في تعديد الوصف و خاصة الحال فقد اعتمد توظيف السجع المتوازي حتى أضحى سمة أسلوبية له كما يظهر ذلك في إحدى رسائله ، وهو يتحدث عن جميل ما أفاض به الخليفة الفاطمي عليه ، يقول " ويودعهم ما يتحققه منهم ودائع ويخصهم بمراتب تُبقى الأوهام عن نيل أمثالها خاسئةً حسيرةً، ويرفعهم

---

[1] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، النعيمات ، ص: 224–225.

[2] انظر: الحياة الفكرية والأدبية بمصر ، ص: 181.

[3] رسائل العميدي ، ص: 16.

[4] السابق ، ص: 200.

إلى منازل تدَعُ الهِمَم عن اقتراح أمثالها قاصرةً قصيرةً..."[1] فخاسئة حسيرة ، و قاصرة قصيرة ، سجع متوازٍ جاء به لرغته في الإطناب بالوصف ، وتكثيف الإيقاع من أجل التأثير في المُخاطَبين ، و تكثيف السجع المتوازي أدى به في كثير من الفقرات إلى تعددية الوصف من حال وخبر ونعت.

وفي رسالةٍ يتحدث فيها إلى بعض أصدقائه عن غلامٍ اشتراه فأبق منه بعد فترة ، يقول : " و قدّرتُ معه تقديرًا حرمت معه سعادة التوفيق، وظننتُ به ظنًّا ضللت به دونه عن سواء الطريق؛ لأني رأيته في الحيل وهو في ثوبَي إدبار وإعسار، وبين نابي خذلان وحرمان، وصاحبه يُهينه ويذله، ويستخدمه في كلّ دنية ويستعمله." [2]

(فإدبار وإعسار) ، و(خذلان وحرمان) سجع متوازٍ ، اعتمد فيه على العطف من أجل إقامته ، رغبة منه في الإطناب بالمترادفات ؛ للمبالغة في الوصف ، وإخراج المعنى مخرجه ، وتكثيف الإيقاع للتأثير في المُتلقّي.[3]

ومن شواهد السجع المرصع [4] في ترسل العميدي ، ما جاء في رسالته الأولى إلى بعض أصدقائه ، يقول : " وليس العاقل – أدام الله عزك– إلا من يعرف رشده ، ويبصر قصده ويدافع وقته، ويصانع نحْبه، ويلازم بيته، ويصبح إذا لم يساعده الزمان ساكنًا ساكتًا ويمشي إذا لم ينتبه له الجد هادئًا ثابتًا ، فإذا قابلته أفواج الفتنة تطأطأ لها حتى تتخطاه ويسالم الأقدار ويُصالحها ويخضع للأحكام فلا يُناطحها، ويرضى بمحتوم القضاء الغالب حتى لا تحيط به الأحداث من كل جانب، ولا تغرّه خضراء الدِّمَن ولا تسرُّه عذراء الزمن، بل تثبت على حال العسرة قدمه وتطيب فيها أخلاقه وشيمه فلا بدَّ من انكشافها وإن طال أمدها، وإنْ عظم عددها وعددها فلكلٍّ أول آخر، ومع كلّ عُسر يسر وبعد كلّ يوم غد، وعقب كل سبتٍ أحد." [5] (فيعرف رشده –

---

[1] السابق ، ص: 387.

[2] السابق ، ص: 69 .

[3] وللمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي للسجع المتوازي في رسائله حتى أضحى سمة أسلوبية له ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5–6 ، 7 ، 8 ، 14 ، 18 ، 25 ، 34 ، 37 ، 43 ، 58 ، 69 ، 73 ، 74 ، 89 ، 121 ، 143 ، 148 ، 160 ، 168 ، 171 ، 172 ، 174 ، 179 ، 206 ، 216 ، 217 ، 225 ، 253 ، 254 ، 259 ، 267 ، 301 ، 311 ، 330 ، 345 ، 368 ، 388 ، 390 ، 400 ، 406 ، 407 ، 416 ، 427 ، 429 .

[4] السجع المُرصع يتوافق مع المماثلة في كون الجمل متعادلة وزنًا في حين أن السجع المُرصع لا يكون إلا في الجمل المتوافقة تقفية ، بخلاف المماثلة فتكون في المتوافقة تقفية والمختلفة على حد سواء.

[5] رسائل العميدي، ص: 5–6.

يبصر قصده – يصانع نحبه – يلازم بيته) و (ويصبح إذا لم يساعده الزمان ساكنًا ساكتًا –ويمشي إذا لم ينتبه له الجد هادئًا ثابتًا) (ويسالم الأقدار ويُصالحها –ويخضع للأحكام فلا يُناطحها) (فلكلِّ أول آخر– ومع كلّ عُسر يسر) (وبعد كلّ يوم غد–وعقب كل سبتٍ أحد) كل هذه التكثيف من السجع المرصع بتماثل الجمل المسجوعة وزنًا وتقفية ، و كل هذا الضغط والتكثيف يشيران إلى عاطفة ملهبة ونفسٍ متعبة ، قد ضايقها تقلب الأيام و أقلقها غدر الخلّان.

وفي رسالته إلى بعض أصدقائه يحدثه عن غلامٍ أشفق عليه فاشتراه ، يقول : " وقلت في نفسي: أكتسب في ابتياع هذا الغلام أجرًا وثوابًا، وأجتلب في اصطناعه ذخرًا واحتسابًا، ولم أدرِ أن الزمان يُريني السّراب منه شرابًا ويفتح عليَّ من المِحَنِ بسببه أبوابًا، والدواء ربما يُدْوي شاربه، والرجاء ربما يُعيي صاحبه، والقدر يغطي البصر، والحَين يُغْشِي العَين:

فلا تعذلِ الدَّهْر في غدر..... بإخوانه فعليه طُبِع
تَرى في ذُراه غنى المُجتدي..... وعزّ الذليل وأمْنَ الفزع [المتقارب] "[1]

فالسجع المرصع واضح في قوله (أكتسب في ابتياع هذا الغلام أجرًا وثوابًا) (وأجتلب في اصطناعه ذخرًا واحتسابًا) (الدواء ربما يُدْوي شاربه– الرجاء ربما يُعيي صاحبه) (القَدَر يغطي البصر– الحين يُغشي العين) كل هذا الإيقاع المتعادل رغبة منه في الضغط على فكرة معينة ، وهي نكران الجميل ، وتحسره على صنعه الخير في غير أهله فجاء هذا التكثيف من الإيقاع المتماثل للجمل.[2]

ومن الحيل الأسلوبية التي لجأ إليها العميدي في تنميق سجعه الذي التزم به في كل رسائله ، هي توظيف العطف[3] من أجل تنميق السجع و الإطناب بالمترادفات ، فتأتي إحدى القرينتين بلا عطف والأخرى فيها عطف

---

[1] السابق ، ص: 69.

[2] وللمزيد من شواهد استخدام العميدي للسجع المرصع في رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 8 ، 18 ، 25 ، 28 ، 31 ، 35–36، 39 ، 44 ، 46 ، 55 ، 121 ، 138 ، 148 ، 176 ، 191 ، 207 ، 217 ، 320 ، 334 .

[3] ومن أحرف العطف التي برزت بشكل واضح في رسائله حرف (بل) الذي يفيد الإضراب ،وهو يوظفه للمبالغة في الهجاء والذم وأحيانًا للمبالغة في الإطراء ، انظر رسائل العميدي ، ص: 6 ، 7 ، 13 ، 17 ، 57 ، 62 ، 77 ، 80 ، 89 ، 181 ، 216 ، 217 ، 256 ، 268 ، 269 ، 305 ، 334 ، 352 ، 379 ، 391 ، 406 ، وكذلك حرف العطف (لا) الذي يفيد إثبات الحكم لما قبله و نفيه عمّا بعده ، وانظر تكثيف توظيف العميدي له على سبيل المثال ، ص: 58، 150 ، 191 ، 288 ، 303–304 ، 408.

والاسم المعطوف عليه يكون مختومًا بنفس حرف القرينة الأولى ، وقد شاع هذا جدًا في رسائله ، ومن ذلك ما جاء في رده على عتاب أبي القاسم الكردي له ، يقول : " ما نسبني إليه من الغلوِ في العتاب حتى حسبه عَتْبًا وإلزامي إياه ما لم يقترف فيه خطأ ولا ذنبًا، والبلوغ إلى ضروب من التجنّي لم أقصد فيها طُرُقَ الاقتصاد، ولم أقتصر على غير المبالغة والاجتهاد، ولم أمسك عنها وفي البيان فضل، ولم أقصر منها وفي الكنانة نُبل."[1]

(فعتبًا – خطأ ولا ذنبًا) (الاقتصاد – المبالغة والاجتهاد) كل هذا مما ذكرت إلى ميله للعطف بالمترادفات والمتقاربات في المعنى في إحدى قرينتي السجع غالبًا ، وقد يفعل ذلك في القرينتين معًا كما أشرت لذلك في السجع المتوازي.

وفي استفتاح إحدى رسائل المعمّيات إلى بعض أصدقائه ، يقول : " رأيتُ فلانًا – أدام الله عزّه – لما سمع المعماةَ التي قصرت عن فهمها الأفكار والخواطر، وعميت دون استخراجها الأبصارُ والبصائر ، اهتز لها طَرَبًا، وقضى منها عجبًا، ومثلها تبعد عن القرائح الصافية وتغيب، ويظنّ الغرّ أن استخراجها سهل والظَّن يخطئ ويصيب." [2] فكلمة (تغيب – يخطىء ويصيب) من هذا المنوال الذي أشرت إليه ، والذي استعمله العميدي فأسرف في استعماله.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في رسالته في معاتبة متولي ديوان الخاص لسوء معاملته ، يقول : " فلو عرفت أنّ له في مُوارَبتي عرضًا فلا يغور كوكبه أو في مغاضبتي سببًا لا يدور كوكبه، وفي مداجاني فائدة يُستحلى ثمرتها، أو في مولاتي عائدة تُستبقى بركتها، لاحتملته على علاته، ولأغضيت عن هفواته وزلاته ، ولصبرت على تلوّنه ولو كان داعياً إلى المهاجرة، ولرضيت منه بالبخس في المبايعة والمتاجرة. " [3]

فما بين (علاته– هفواته وزلاته) (المهاجرة–المبايعة والمتاجرة) هذه التقنية الأسلوبية التي أولع العميدي بتوظيفها واستعمالها مع السجع المتوازي.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في وصفه حنكة أحد أصدقائه في تأليف القلوب عن طريق : " لطائف لا تُدرَكُ إلا بالحس وعزائم لا يهتدي إليها مَرَدَةُ الجن والإنس، وقدرة يعجز عن بعضها أولو الألباب، ورقًى لم يقف

---

[1] السابق ، ص: 56–57.

[2] السابق ، ص: 121.

[3] السابق ، ص: 133.

عندها من كان عنده عِلْمٌ من الكتاب، وبدائع من القول لا تحيط بها النعوت، ودقائق من السحر لم يُعلّمِها ببابل هاروت وماروت." [1] والشاهد في (الحس – الجن والإنس) –(النعوت– هاروت وماروت).[2]

[1] السابق ، ص: 119–120.

[2] وللمزيد من الشواهد حول توظيف العميدي للعطف مع إحدى قرينتي السجع ، انظر رسائل العميدي ، ص: 72 ، 73 ، 76 ، 117 ، 119 ، 132 ، 134 ، 141 ، 143 ، 144 ، 151 ، 153 ، 157 ، 160 ، 162 ، 164 ، 166 ، 169 ، 170 ، 175 ، 176 ، 182 ، 200 ، 203 ، 208 ، 210 ، 215 ، 222 ، 223 ، 232 ، 233 ، 246 ، 250 ، 254 ، 267 ، 270 ، 271 ، 270 ، 274 ، 275 ، 276 ، 279 ، 281 ، 298 ، 310 .

المبحث الثاني

الأسلوبية التركيبية الدلالية

1-2-3- الانزياح[1]:

إن الخطاب الأدبي هو نظام لغوي خارج عن المألوف ، وهو مقصود في إنشائه ، أي شُكِّل بدافع إرادي ، وهو خاضع لقانون الاختيار؛ أي اختيار الألفاظ المناسبة للمقام مع تركيبها في نسق فني لغوي لتأدية وظائفها الجمالية والفنية ، مما يجعلها تترك دلالتها الذاتية إلى الدلالة الحافة ، فإذا كانت اللسانيات قد قالت كلمتها بإن لكل دال مدلول ، فإن السياق الأدبي يخرج عن هذا القانون فيتيح إمكانية تعدد المدلولات لدالٍ واحد ، وهو ما عبر عنه علماء الأسلوب بالانزياح ، حيث تصبح اللغة غاية في ذاتها لا مجرد وسيلة لأداء المعاني.[2]

فمن أبرز النظريات الدلالية إقرار اللسانيين بأن الطاقة التعبيرية للغة مزدوجة في ذاتها ، ما بين الجانب التصريحي والإيحائي ، فأمّا الجانب الأول وهو الجانب التصريحي فيستمد مقدرته الإخبارية من الدلالات الذاتية للموروث اللغوي للكلمة بين طيّات المعاجم ، وأمّا الثاني فيستمدها من الدلالات السياقية للكلمة داخل النص ، والتي تكونها اللغة بكثافات متنوعة عبر اختراقها لمنازل المجتمع وطبقات التاريخ[3] ، وعلى هذا يتجه بعض الأسلوبيين إلى تعريف الأسلوب بأنّه: هو مجموع الطاقات الإيحائية الموجودة في الخطاب الأدبي ؛ لأن ما يميز الخطاب الأدبي هو كثافة الإيحاء وقلة التصريح بعكس الخطاب العادي أو ما يُعرف بالاستعمال النفعي للغة.[4]

وقد كان لرومان جاكبسون فضل عقلنة هذا الاتجاه ، حين نص على الوظيفة الشعرية للكلام ضمن وظائف الكلام ، وهي تنتج من عمليتين متطابقتين في الوظيفة ومتواليتين في الزمن ، وهما

---

[1] الانزياح من (زَيَحَ) : زَاحَ الشيء يَزيحه زُيوحًا وزَيحًا وزَيَحانًا ، انزاح الشيء: ذهب وتباعد ، انظر : لسان العرب ، 470/2.

[2] انظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، 198/1.

[3] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، المسدي ، ص:75-76.

[4] انظر: السابق نفسه.

اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية وذلك من الرصيد المعجمي للغة ثم تنسيقها وفق قواعد النحو ، وسبل التصرف في الاستعمال ، ومن هنا يتحدد الأسلوب من تطابق جدول الاختيار على التوزيع ، والذي يفرز انسجامًا بين العلاقات الاستبدالية التي يتحدد فيها الحاضر منها بالغائب ، والعلاقات الركنية وهي في أصلها علاقات حضورية وتمثل تواصل سلسلة الخطاب بأنماط تبتعد عن الاعتباط والعفوية.[1]

ويتخذ سبيتزر من مفهوم الانزياح مسبارًا لتقدير كثافة عمق الخاصية الأسلوبية ودرجة نجاعتها ، ومقياسًا لتحديها عمومًا ، بل يصل إلى المطابقة بين هذه المعايير وبين ما يسميه بالعبقرية الخلاقة الفذة للأديب ، وذلك وفق منطق استقرائي اتبعه.[2]

فقد قسم الأسلوبيون استعمال اللغة إلى مستويين :

1-المستوى العادي: والذي تظهر فيه هيمنة الوظيفة الإبلاغية للغة على أساليب الخطاب.

2-المستوى الإبداعي: وهو الذي ينتهك صيغ الأساليب الجاهزة للغة ، ويخترق الاستعمال المألوف لها ، بهدف شحن الخطاب بطاقات جمالية وأسلوبية ، تُحدث تأثيرًا قويًّا خاصًا في المتلقي.[3]

فالانزياح عنصر وظيفي مهيمن ، به تستيقظ اللغة من سباتها الإبلاغي والدلالي ، لتؤدي – بعد انتعاشها في سياقات مُحفزة لمفرداتها– وظيفة إيحائية ؛ فينسب إليه تعدّدية المعنى و إيحائيته ، و تهتك الحُجُب البنائية ، ما يُحدِث تَأزّم للعلاقات التركيبية فيها ، كما تُمارس اللغة من خلاله تنويعات صوتية ، لدعم ارتكازها الشِّعري.[4]

---

[1] انظر : السابق ، ص:76-77.

[2] انظر: السابق ، ص:81.

[3] انظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، 198/1.

[4] انظر: الانزياح في الخطاب النّقدي والبلاغي عند العرب ، د.عباس رشيد الددة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد-العراق ، ط1 ، 2009م ، ص:283.

فالناس تتحرف عادة في استخدامها للفظ عن الاستخدام المألوف له ، إلى غير المألوف حين تلجئهم الحاجة إلى التعبير في موقف ما ، مع تزاحم التجارب أو المعاني في حياتهم أو في أذهانهم ، ثم لا يسعفهم هذا المخزون القديم من الألفاظ ، فيستعملون الألفاظ القديمة المألوفة للتعبير عن تجاربهم الجديدة ، لأدنى مشابهة بين القديم والجديد ، وهنا قد يتطور لفظ في الاستعمال المجازي عند جماعة من الناس ، في حين يبقى اللفظ نفسه بلا تطور عند طائفة أخرى ، وقد يكثر استعمال لفظ ما استعمالًا مجازيًّا حتى يصبح لكثرة هذا الاستعمال المجازي له بمثابة الدلالة الحقيقية للفظ.[1]

فالكلمة مهما يكن من شكل بنائها فهي إمَّا : أجنبية معارة أو مجازية أو شائعة أو مبتدعة المعنى ، أو زخرفية أو مطولة أو معدلة أو منقوصة ، أمّا الاسم المجازي منها فهو إعطاء– عن طريق التحويل– اسم يدل على شيء لشيء آخر ، وذلك إمّا من نوعٍ إلى نوع ، أو من نوعٍ إلى جنس ، أو من جنسٍ إلى نوع ، أو عن طريق القياس ، فمثلًا نَثر الحَب يسمى بالبَذر اصطلاحًا ، ولكن عملية الشمس في إرسال أشعتها وبعثرتها إياها ليس لها اصطلاح خاص بها ، فإذا أعطينا لهذه العملية الأخيرة غير المسمّاة رمز (ب) ، والتي لها علاقة وطيدة بضوء الشمس الذي نرمز له ب(أ) ، تمامًا كعلاقة البذر والتي يمكن إعطائها رمز (د) ، بالحَب ورمزه (ج) ، ومن هنا جاء تعبير الشاعر عن الشمس بقوله : تَبذُر نورًا ربّانيًّا ، أي أنَّ (د+أ) = (ب+ج) .[2]

وقد تنوعت وظائف الانزياح ومنها:

1– المفاجأة : وهي الوظيفة الأساسية للانزياح وفق رؤية الاتجاهات النقدية الحديثة ، وذلك من باب الاهتمام بالمتلقي ، فالمتلقي يشارك المؤلف في إنتاج النص وتشكيل معناه ، ولا شك أنّ المفاجأة تلعب دورًا كبيرًا في لفت انتباه المتلقي ، ولهذا قال أرسطو: الدهشة أول باعث على

---

[1] انظر: دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة–مصر ، ط3 ، 1976م ، ص:130.

[2] انظر: فن الشعر ، لأرسطوطاليس[–322 ق.م] ، ترجمة د.إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1982م ، ص:185–187.

الفلسفة ، بل عَرّف رومان جاكبسون الأسلوب بأنّه الانتظار الخائب Expectantly Defeated ، حيث تتحقق المفاجأة من خلال تولّد اللامنتظر من رحم المنتظر.

2-تجديد القواعد اللغوية: فالانزياح يؤدي إلى كسر الأفق المعتاد عليه في التعبير ، ومن ثم تجديده و إحكام تخريجه في شكل آخر ، فتخرج علاقات لغوية جديدة من رحم هذه العملية تصادم ما اعتاد عليه الروتين والذوق العام.[1]

فالمؤلف يجند أدواته على نحو يضع ذهن المتلقي في وضع متأزم ، عاملًا على إرباك تفكيره اللغوي ، من خلال خَلقه لتراكيب وبِنَى تُعدّ مارقة عن الاستعمال الجاري للغة ، وخارجة عن المعايير المألوفة لها، وهو ما يُخَيب توقعه ، ويراوغ مراقبته ، ممّا يعمل على كسر آلية القراءة المعتادة للمتلقي ، وزيادة انتباه للعنصر الفني الجديد ، مما يساعده على القراءة بمزيد من التركيز بعيدًا عن الرتابة والملل.[2]

فميكانيزم الشعرية لها لحظتان فارقتان أولهما : حين يحدث الانزياح فتُشَوَّش إرسالية النص ؛ لخرق نظام اللغة المعتاد لدى المتلقي ، مما يؤدي إلى إرباك مسار تلقّيه على مستوى البنية ، وهذا يستدعي على الفور اللحظة الثانية حين يتم تصحيح هذا الخرق أو تأويله ، حيث يُعاد الانسجام إلى الرسالة من جديد حين تتحكم الخلفية المعرفية لدى المتلقي فتسهم بشكل فعّال في إزالة العلاقة المتوترة بين القارئ والنص ، مما يجعله يشعر بإمكانية الفهم والتأويل.[3]

ويتصل علم البيان بالأسلوب حين تواتي المبدع القدرة الفنية على إيراد المعنى بطرق متعددة تتميز بالتغاير وضوحًا وخفاءً ، وتمامًا ونقصانًا ، لما يعرض بين الدال والمدول فيها من تداخل العلاقات واهتزاز الدلالة فيها ، وهو أمر لا يأتي إلّا في الدلالات الذهنية ؛ لأن الدلالات الوضعية

---

[1] انظر: أسلوبية الانزياح في شعر المُعلّقات ، عبد الله خضر حمد ، عالم الكتب الحديث ، إربد- الأردن ، ط1 ، 2013م ، ص: 59-61.

[2] انظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، ص:324-325.

[3] انظر : السابق ص: 313-314 ، وانظر: لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب) ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1991م ، ص:326.

لا تحتمل تحرك الدلالة أو اهتزازها ، وإن استمدت الأولى وجودها من الثانية ؛ لأن الاستعمال هو الذي يدفع وفق سياقات معينة إلى تغير دلالات الألفاظ من الدلالة الوضعية الأولى لها إلى مجال الدلالة الذهنية أو المجازية ، بحيث تعطي معاني جديدة لم يتم التواضع عليها من قبل ، وبهذا يكون لهذه الألفاظ دلالتان : أولهما دلالة وضعية ، وثانيهما دلالة عقلية أو مجازية.[1]

قال الجاحظ : البيان [2] اسم جامعٌ لكل شيءٍ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يصل السامع إلى حقيقته ، ويظفر بمحصوله كائنًا ما كان هذا البيان ، ومن أي جنس كان هذا الدليل ، فمدار الأمر كله قائم على الإفهام والفهم ، والغاية التي يجري إليها السامع والقائل هو ذاك الإفهام ، فبأي شيء وصلت للإفهام كان هو البيان في ذاك الموضع.[3]

وقد تجلى الانزياح في رسائل العميدي بكثرة متمثلًا في ظهور المجاز من تشبيه واستعارة وخيال ممتد بشكل قوي في رسائله ، ويتناول الباحث في الصفحات الآتية التشبيه والاستعارة والخيال الممتد في رسائل العميدي و دلالات هذا الاستخدام عنده من توظيفها لتكثيف التأثير في المتلقي فضلًا عن تأثير مكون مهم في شخصية العميدي وهو ميله للمبالغة والتهويل.

---

[1] انظر : البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص:264.

[2] البيان : ما يبين الشيء به من الدلالة ونحوها ، وبان الشيء : إذا اتضح ، فهو بيّن ، واستبان الشيء : أي ظهر ، وكلام بيّن : أي فصيح ، والبيان : الفصاحة واللّسن ، و البيّن من الرجال : الفصيح منهم ، سَمِح اللسان ، والبيان : الإفصاح مع الذكاء ، وإظهار المراد بأبلغ ملفوظ ، وهو من ذكاء القلب مع الفهم واللسن ، وأصله الظهور والكشف. ، ومادته بَيَنَ وتعني الوصل والفرقة وهي من الأضداد ، بان يبين بينًا وبينونةً ،انظر لسان العرب مادة(بَيَنَ) 62/13-69.

[3] انظر : البيان والتبيين ، 82/1.

1-1-2-3-التشبيه :

التشبيه لغةً : التَّمثيل ، تقول : هذا شِبه هذا: أي مَثِيله ، وشَبَّه الشيءَ بالشيءِ : أقامه مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة ، واصطلاحًا : هو إلحاق أمر (المُشَبّه) بأمر (المُشَبّه به) وذلك في معنًى مشترك (وجه الشّبه) بأداة (كأنّ والكاف وما جرى مجراهما) ؛ لغرض (فائدة) [1] ، أو هو عقد مماثلة بين أمرين فأكثر ، لقصد اشتراكهما في صفة فأكثر ، بواسطة أداة لغرضٍ ما يقصده المتكلم للعلم [2]، أو هو زعمك أن أحد الموصوفين ناب مناب الآخر بواسطة أداة تشبيه ، سواء ناب مَنَابَه أم لم يَنُب[3] ، أو هو الدلالة على مشاركة أمرٍ ما لأمر في المعنى [4] .

والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا وتأكيدًا ، ولذاك اتفق عليه العرب والعجم ، ولم يستغن عنه أحدٌ من المتكلمين[5] ، وللتشبيه موقعٌ حسنٌ في البلاغة ؛ لإدنائه البعيد من القريب ، وإخراجه الخفي إلى الجلي ، كما يزيد المعاني وضوحًا ورفعة ، ويُكسبها توكيدًا وفضلًا ، ويكسوها نبلًا وشرفًا ، فهو فن فسيح الخطوة ، واسع النطاق ، ممتد الحواشي ، متوعر المسلك ، متشعب الأطراف ، دقيق المجرى ، غامض المدرك ، غزير الجدوى ، فمن أساليب البيان : أنك إذا أردت أن تثبت صفةٍ ما لموصوف على وجه التوضيح أو المبالغة ، فإنك تعمد إلى شيء تكون هذه الصفة متأصلة فيها ، ثم تعقد بينهما مماثلة ، كوسيلة لإيضاح هذه الصفة في الموصوف أو للمبالغة في إثباتها ، ولهذا السبب كان التشبيه هو أول طريقة تدل الطبيعة عليها لبيان المعنى.[6]

قال ابن الأثير[-637هـ] : و القول الجامع في التشبيه ، إنّه لا يُعمد إلي التشبيه إلّا لضرب من المبالغة ؛ فإمّا أن يكون ذمًا أو مدحًا أو إيضاحًا أو بيانًا ، ولا يخرج عن حد هذه المعاني ،

---

[1] انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص: 203.
[2] انظر: جواهر البلاغة ، للهاشمي ، ص: 219.
[3] انظر: كتاب الصناعتين ، ص: 239
[4] انظر: الإيضاح ، للقزويني ، ص: 164.
[5] انظر: كتاب الصناعتين ، ص: 239.
[6] انظر: جواهر البلاغة ، ص:219.

فإنك متى مثّلت الشيءَ بالشيءِ ، قصدت إثبات الخيال في النفس بهيئة المشبه به أو بمعناه ، وهذا أوكد في التنفير من المشبه أو في الترغيب فيه ، ولا نزاع في ذلك [1] ، وقال صاحب جوهر الكنز[-737هـ] : حد التشبيه إثبات للمشبه حكمًا من بعض أحكام المشبه به قصدًا للمبالغة [2] ، و المبالغة المقصودة هنا هو الإشارة إلى كون طرفي التشبيه قد اتحدا معا فصارا شيئًا واحدًا لا فرق بينهما لقوة وجود صفة المشبه به في المشبه ، قال الرّماني [-384ه] : التشبيه هو عقدك على أن أحد الموصوفين يسد مسد الآخر في عقلٍ أو حس ، كما لا يخلو التشبيه من أن يكون في قولك ونفسك أي في اعتقادك أيضًا كما هو في كلامك[3] ، بل قد يُعكس طرفا التشبيه لإيهام المستمع أن المشبه الأصلي أقوى من المشبه به حتى في وجه الشبه كما قال محمد بن وُهيب الحميري يمدح الخليفة:

وبدا الصباح كأن غرته...وجه الخليفة حين يمتدح.[الكامل]

وهو ما يعرف بالتشبيه المقلوب ، فعكس طرفي التشبيه ليدل كما ذكرنا على توافر الصفة أكثر في المشبه الأصلي وهو وجه الخليفة من المشبه به الأصلي وهو وجه الصباح.[4]

وعدّ الهاشمي سبع فوائد للتشبيه هي على الإجمال : بيان حال المشبه ، التعظيم والمدح ، التقبيح والتشويه والتحقير ، بيان مقدار حال المشبه في الصفة التي يَصفه بها قوةً وضعفًا ، تقرير حال المشبه ، بيان إمكان حاله ، بيان إمكان وجوده وحصوله [5]، وهي تخلص فيما ذكره ابن الأثير من أنها تكون للمبالغة في المدح والذم أو للإيضاح والبيان ، فإذا قلنا علي كالأسد ، تبين المراد للمستمع أشد ما يكون مع الإيجاز والاختصار ، وهو الدلالة على شجاعة عليّ واتصافه بقوة البطش عن طريق تشبيهه بالأسد ، و المعلوم للقاصي والداني أن أقوى خصائص الأسد

---

[1] انظر: المثل السائر ، 99/2 ، 102.

[2] انظر: جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة) ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي[-737ه] ، تحقيق د.محمد زغلول سلّام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية-مصر ، د.ط ،د.ت ، ص:60.

[3] انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص:80.

[4] انظر: مفتاح العلوم ، ص: 343 ، وللمزيد حول فوائد التشبيه انظر: نفسه ، ص: 341-346.

[5] انظر: جواهر البلاغة ، ص: 238-240.

الشجاعة والقوة ، فكان هذا التشبيه أبين للقصد وأكشف للمعنى وأكثر مبالغة فيه من قولك عليّ جريء أو شجاع...إلخ.[1]

ومن أسباب قوة تأثير التشبيه :

1-ما يحصل للنفس من أنسها به لإخراجه الخفي إلى الواضح الجلي.

2- ما يحصل للنفس من أنسها به بإخراجها ممّا لم تألفه ، إلى ما هو مألوف لديها ، في تقريبه الصورة وتوضيحها للمستمع.

3- ما يحصل للنفس من أنسٍ عندما ينقلها ممّا تعلمه إلى ما هي ، كقوله -صلى الله عليه وسلم- عند الدنيا : " من في الدنيا ضيف وما في يده عارية ، والضيف مرتحلٌ ، والعارية مؤداة".[2]

قال في أسرار البلاغة : اعلم أنّ مما اتفق عليه العقلاء ،أنّ التمثيل متى جاء في أعقاب المعاني ، أو برز ظهوره في الكلام ، أو نُقلت عن صورة أصلية إلى صورته ، فإنه يكسوها أبهةً ، ويكسبها منقبةً ، و يرفع قدرها ، ويشب من نارها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعاء القلوب إليها ، ويستثير من أقاصي الأفئدة لها صبابةً وكلفا، ويقسر الطباع على أن تعطيها شغفًا وحبًا[3] ، وقد ذهب قدامة إلى أن أحسن التشبيه ما كثرت فيه الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به ؛ حتى ليدني التشبيه بهما إلى حال الاتحاد.[4]

والتشبيه في أصله محاكاة وذلك حين تجمع في ذهنك شيئين معًا أحدهما يقلد الآخر أو هو مثله في شيء ما ، وهذا يؤدي إلى المبالغة في المدح ، كما قد يكون في استدعاء صورة ما

---

[1] انظر: علوم البلاغة ، ص:213.

[2] انظر: السابق ، ص: 213-214 ، والحديث رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود وهو حديث ضعيف ، انظر: المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني [-360هـ] ، تحقيق حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة-مصر ، ط2 ، د.ت ، 101/9.

[3] انظر: أسرار البلاغة ، ص: 115 ، وللمزيد حول فوائد التشبيه انظر: ص: 115-138.

[4] انظر: معجم المصطلحات البلاغية ، 170/2.

سخرية وتندر، يقول أرسطو: فالشعر التراجيدي والملحمي وكذلك الكوميدي وغالبية ما يؤلف للصفر على الناي، واللعب على القيثارة، كل هذا بشكل عام، أشكال من المحاكاة، وإن اختلف كل نوع عن الآخر فيما سبق في الموضوع والمادة والطريقة، وتتحقق المحاكاة من خلال مواد: الإيقاع والوزن واللغة، و يتم ذلك بواسطة المزج بين هذه المواد، أو باستخدام كل واحدة منهم على حدة.[1]

أمّا أركانه فمعلومٌ أنها أربعة : المشبه والمشبه به (طرفا التشبيه) وأداة التشبيه ووجه الشبه.

وبعض أساليب التشبيه أقوى في المبالغة ووضوح الدلالة من بعض ولها مراتب ثلاثة : أبلغها وأعلاها ما حُذِف فيه الأداة ووجه الشبه وهو التشبيه البليغ، نحو: زيدٌ أسد ؛لأنك بحذف أداة التشبيه كأنك ادعيت اتحادهمًا معًا، وبحذف وجه الشبه كأنك تريد أن تقول لا وجود لأي فرق بين زيد والأسد وكأنهما شيء واحد، مبالغةً في الوصف، ثم المرتبة المتوسطة: إمّا أن تحذف وجه الشبه فقط أو أداة الشبه فقط فتقول : زيدٌ كالأسد، أو زيدٌ أسد شجاعةً، فبذكر وجه الشبه حصرت وجه التشابه في الصفة المذكورة فقط ولم تدع للخيال مجاله في الظن بأكثر من ذلك ، وفي ذكرك أداة التشبيه كأنك تنص على أن ما تقوله هو من باب التشبيه، وأن هناك تفاوتًا بين الموصوفينِ ممّا يضعف جانب المبالغة ، وأقلها ما ذُكر فيها كل أركانه، وهنا تفقد الميزتين سالفتي الذكر وهما المبالغة، وادعاء اتحاد الموصوفينِ معًا، وممّا سبق يكون التشبيه المُرسَل هو الذي ذكرت فيه الأداة، والتشبيه المؤكد : هو الذي حُذفت منه الأداة، والتشبيه المُجمل: هو الذي حذف منه وجه الشبه ،والتشبيه المُفَصّل : هو الذي ذكر فيه وجه الشبه، والتشبيه البليغ : ماحذف منه وجه الشبه والأداة وهو أجود أنواع التشبيه وأرقاها بلاغةً.[2]

ويرى الباحث أن تعريف التشبيه المُرسل مساوٍ لتعريف التشبيه المُفَصل، ففي تعريف المُرسل لم يُذكر هل وجه الشبه فيه موجود أم لا، وكذلك الحال في تعريف المُفصل فلم يُذكر

---

[1] انظر: فن الشعر ، لأرسطو ، ص: 55-56.

[2] انظر: جواهر البلاغة ، للهاشمي ، ص:241-242 ، والبلاغة الواضحة (البيان –المعاني–البديع) للمدارس الثانوية ، علي الجارم و مصطفى أمين ، دار المعارف ، القاهرة–مصر ، د.ط ، د.ت ، ص:23-25.

هل أداة الشبه موجودة أم لا ، فلو كان وجه التشبيه موجود في التشبيه المُرسل لكان مُفَصلًا ومُرسلًا في آن واحد ، ولو كان وجه التشبيه غير موجود في التشبيه المُرسل لكان مُرسلًا ومجملًا في آن واحد ، كما أنّه لم يتطرق إلى وضع مصطلح للتشبيه الذي ذُكِرت فيه كل أركانه ، ولهذا يرى الباحث أن التقسيم الأقرب للخروج من الخلاف هو تقسيم التشبيه إلى ثلاثة أقسام:

1-التشبيه المُجمَل : وهو ما حُذِف منه أداة التشبيه أو وجه الشبه مع وجود طرفي التشبيه.

2-التشبيه المُفصَل: ما ذكر فيه وجه الشبه مع الأداة مع وجود طرفي التشبيه.

3-التشبيه البليغ: ما حذف فيه وجه الشبه والأداة معًا دون طرفي التشبيه.

وأكثر التشبيه الوارد في رسائل العميدي هو من التشبيه البليغ فالمُجمل فالمُفصل.

قال ابن رشيق القيرواني : اعلم أن التشبيه على طريقين : قبيحٌ وحسن ، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الخفي إلى الجلي ، فيفيد بيانًا ووضوحًا ، والقبيح ما كان بخلاف ذلك ، فما تقع عليه الحاسة أوضح مما لم تقع عليه ، وما يدركه الإنسان من نفسه هو أوضح مما يعرفه من غيره ، فالمشاهد أوضح من الغائب ، والقريب أوضح من البعيد جملةً ، وما ألفته النفس أوضح ممّا لم تألفه.[1]

والفرق بين التشبيه والاستعارة ثبوت أداة التشبيه في الأول أو تقديرها فيه دون الثاني، مع سقوط وجه الشبه في الاستعارة مع وجوب ذكر المستعار وذلك ليكون أبلغ من التشبيه.[2]

ولعل أكثر ألوان التشبيه التي كَثُرت في كتابة الفاطميين شعرًا و نثرًا ، تشبيه الأمور المحسوسة بالأمور العقلية أو المعنوية[3] ، وربما كان ولعهم بهذا اللون سعيًّا وراء الإغراب في

---

[1] انظر: العمدة في محاسن الشعر ، 287/1.

[2] انظر: جوهر الكنز ، ص:60.

[3] ينقسم التشبيه وفقًا لطرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين ، فالحسي هو ما يدرك هو أو مادته بأحد حواس الإنسان الخمسة ، والعقلي هو ما لا يُدرك هو ولا مادته بأي حاسة من حواس الإنسان الخمسة الظاهرة ، وشاهد التشبيه بطرفين حسيين: قوله-

الخيـال ؛ لخلـق صـور مبتكـرة غيـر مألوفـة ، فقد كـان انـدفاعهم نحـو التجديـد والابتكـار والجـدة هـو مـا حفّزهم على الولوج لهذه المرامي الفنية الشائعة في أدبهم .[1]

والتشبيه البليغ يأتي على سبع صور رئيسة :

إما أن يأتي المشبه والمشبه به على صورة المبتدأ والخبر أو ما في أصلهما ، أو يكون المشبه به حالًا من المشبه ، أو مفعولًا به ، أو مفعولًا مطلقًا مبينًا للنوع ، أو يكون المشبه والمشبه به متعلقين بحرف جر ، أو يكون المشبه مقصورًا على المشبه به بأسلوب القصر فيكون محصورًا معه في مدلوله ، أو يكون المشبه والمشبه به في تركيب إضافي يُضاف فيه المشبه به إلى المشبه ، وهي الصورة التي تظهر كسمة أسلوبية في التشبيه البليغ عند العميدي كقول الشاعر:

ألباسك الله ثوب عافية ... فى نومك المُعتَرى وفى أرقك[المنسرح]

فثوب عافية تشبيه بليغ بالمركب الإضافي ، و أصله العافية كالثوب ثم حذفنا حرف التشبيه كونه تشبيهًا بليغًا فصار العافية ثوب ثم أضفنا المشبه به (ثوب) إلى المشبه (عافية) فصار التشبيه (ثوب العافية).

ويتضح عند التماس درجة المشاركة بين طرفي التشبيه في هذا النمط وما يجري مجراه هي أنها فيه أشد ما تكون قوةً واتحادًا.[2]

ومن شواهد التشبيه البليغ على صورة المبتدأ والخبر ما جاء في رسالته إلى الشيخ عماد الدولة يعاتبه ، يقول : " والانتظار: الموتُ الأحمر، ومسألة الناس العذاب الأكبر، والتمنّي شجرةٌ ثمرُها فَيّ وينعها بَطِيّ، وطعمُه بَشِع و عَفِص، وانتثاره جُرَعٌ و غُصَص. " [3] فشبه الانتظار بالموت الأحمر الشديد ، ومسألة الناس

=تعالى – عن الحور العين : "كأنّهن الياقوت والمرجان" [الرحمن/58] ، وشاهد التشبيه بطرفيين عقليين كتشبيه العلم بالحياة ، أمّا المختلفان كمن يشبه العدل بالقسطاس ونحوه ، انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص: 214-216.

[1] انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص: 469.

[2] انظر: البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب ، د.حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، ط٢ ،١٩٩٩م ، ص: ٢٩١-٢٩٢ ، وانظر أيضًا : علم أساليب البيان ، د.غازي يموت ، دار الأصالة للطباعة والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط1 ، ١٩٨٣م، ص١٥٤-١٥٦.

[3] رسائل العميدي ، ص: 207.

بالعذاب الأكبر وحذف وجه الشبه والأداة قصد المبالغة في تقارب الصورتين من بعضهما حتى كأنهما صارا شيئًا واحدًا[1] ، وفي قوله التمني شجرة ثمرها فيّ..إلخ خيال ممتدد وسيرد ذكره.

أما عن شواهد التشبيه البليغ بالإضافة الذي هو سمة أسلوبية في ترسُّل العميدي حتى لا تكاد تخلو صفحة منه ، ما جاء في رسالته يتملق الوزير القشوري ، يقول : " فإن ظلمت نفسي، وركبتُ رأسي، وانحرفت عن طريق التجارب ، وأغضيتُ عن النظر في العواقب، واقتعدتُ مطايا الخطر، واستهدفتُ لسهام القدر ، و وطنتُ نفسي على التلف العاجل، والتغرير بما معي من الحاصل، وقلت بقول الوليد:

اطلبا لي ثالثًا سواي فإنّي..........رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيد [الخفيف]

بعدتُ عن مَن لم تبعد عني أبكار فواضله..." [2] والشاهد في قوله (طريق التجارب- مطايا الخطر- سهام القدر) كلها تشبيه بليغ بالمركب الإضافي ، حيث يضاف المشبه به(طريق – مطايا- سهام) إلى المشبه (التجارب- الخطر- القدر) مبالغة قصوى في زعم اتحادمها معًا حتى كأنهما صارا شيئًا واحدًا ، يضاف بعضه إلى بعض ، فهو يشبه التجارب بالطرق ، والخطر بالمطايا التي تركب ، والقدر بالسهام التي ترمي ، وأصل الكلام (القدر سهام- الخطر مطايا- التجارب طرق).

وفي استفتاح رقعة له إلى بعض أصدقائه يقول : " ...والزمانُ قد جنح إلى سلمي، واستسلم لي بعدما كان خصمي وصارت أسباب الإقبال عليّ مُقبلة، وطوارقُ المِحَنِ معرضة، وأبواب العسرة دوني منسدّة، وأثواب النعمة عَليّ سابغةً مستجدّةً، ولله الحمد حسبما يسعدني به من عاقبةٍ حميدةٍ، ويُقرّبُهُ لي من مطالبَ بعيدة." [3]

والشاهد هنا في قوله: (طوارق المحن- أبواب العسرة- أثواب النعمة) كل هذا من التشبيه البليغ بالمركب الإضافي الذي أولع به العميدي في رسائله فلم تخلو صفحة منه.[4]

---

[1] انظر بقية شواهد التشبيه البليغ على مختلف صور تركيبه عدا صورة المركب الإضافي ، رسائل العميدي ، ص: 44 ، 45 ، 52 ، 82 ، 171 ، 215 ، 228 ، 271 ، 285 ، 306 ، 377 ، 379 ، 380 ، 381 ، 386 ، 401-402 ، 407 ، 416 ، 418.

[2] السابق ، ص: 35.

[3] السابق ، ص: 79.

[4] وللمزيد من شواهد كثرة توظيف العميدي للتشبيه البليغ على صورة المركب الإضافي حتى صار سمة أسلوبية له ، انظر رسائل العميدي ، ص: 34 ، 36 ، 41 ، 51 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 ، 59 ، 61 ، 62 ، 65 ، 73 ، 77 ، 78 ، 81 =

ومن شواهد التشبيه المجمل في رسائل العميدي ، ما جاء في رسالته الأولى المسماة بالمطبخية يصف فيها طريقة أكله للطعام مداعبًا أصدقاءه ، يقول : " وأبلع دماغ رأس السُّلاءة ، وأنقض على قانصة الكُرْكي كالعُقاب الكاسر ، وأغوص كالتمساح على القضبان في المضائر ، وألتهم من الجدي كليتيه." [1] فهو ينقض على قانصة الكُركي كالعقاب الكاسر ، ويغوص بيديه كالتمساح على القضبان في المضائر ، ونلاحظ حضور المشبه والمشبه به وحرف التشبيه ، وهذا تركيب التشبيه المجمل ، وكان ظهوره في رسائل العميدي أقل من ظهور التشبيه البليغ و أكثر من المُفَصل ، وهو أقوى في المبالغة من المفصل إذ يُحذف فيه وجه الشبه أو أداة التشبيه بزعم أن المتشابهين متقاربين لدرجة عدم الحاجة إلى ذكر وجه الشبه أو الأداة للمتلقي ، وهو أقل في إدعاء مبالغة التقارب بين الصورتين من التشبيه البليغ.

وفي رسالته إلى أحد الأشراف يطنب فيها في وصف القرافة في مصر ، يقول : " فكأنّ مساكنها مضارب مِنى، وكأن ساكنها نال فيها المنى، وكأن جامعها عروس تفتر عن طيب مبسمها، وكأن شارعها شارعُ مكة أيام موسمها، وكأنّ بركتَها فيها بركات مجموعة ، وكأن أرضها رياض بالزُّمُرُّد مزروعة، وكأنّ في أطرافها فُرِشت مطارفُ من طرائف الوَشْي والحُلَل، وكأن أشجارها وصائفُ حُلّيت في غرائب الأكاليل والكُلل، وكأنما سطوح منازلها أفلاكٌ منها ينقدح زَهْرُ النجوم وكأن سِككَها وأزقتها بُروجُ تنشرح فيها شُهبُ الرّجوم، وكأنّ مساجدها مشاهد الأئمة من كثرة الوفود والزحمة، وكأن المصلين فيها ملائكة ينتظرون من عند الله سبحانه غواشي الرَّحمة، وكأن أوقات المشاعل والقناديل من ضوء المشاعل والقناديل ضحوة نهار ، وكأنّ أصوات القُرّاءِ باللَّيْل فيها حسُّ أوتارٍ أو نغمة أطيار ، وكأن هضابها المُطلّة عليها هضاب قُدْسِ مُطلّةٌ على قبة الصخرة، أو جبل أبي قبيس مشرفًا على فناء الكعبة." [2] والشاهد يزخر بتراكيب التشبيه المجمل ، حتى إنه

=82، 90 ، 103 ، 135 ، 137 ، 141 ، 152 ، 158 ، 159 ، 161 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ، 168 ، 170 ، 171 ، 173 ، 175 ، 179 ، 181 ، 182 ، 191 ، 196 ، 200 ، 202 ، 204 ، 206 ، 211 ، 213 ، 215 ، 217 ، 218 ، 241 ، 323 ، 389.

[1] السابق ، ص: 8–9.

[2] السابق ، ص: 336–337.

ليوجد أكثر من 14 شاهدًا على التشبيه المجمل في هذا الشاهد ، مما يدل على اعتماد توظيف العميدي لهذه الحيلة الأسلوبية ولكن بصورة أقل من التشبيه البليغ وخاصة التشبيه البليغ بالمركب الإضافي.[1]

وأما شواهد توظيف العميدي للتشبيه المُفصّل ما جاء في رسالته في ذمه متولي ديوان الخاص ، يقول : " وسيدي – أدام الله عزّه – يريني بشرًا ظاهِرًا، ثم يريني ظالمًا جائرًا ، ويجاملني مجاملة ناسك بوجه ضاحك، ثم يُعاملني معاملة فاتك بسيف باتك، إشراق كالدفْلى يروق زهره ويقتل طعمه، وإطراق كالأفعى يغرّ سكونه ويضرُّ سمّه، فلا سلاسة مفردة و لا شدّة ، ولا دماثة مجردة ولا حدّة." [2] والشاهد في قوله : (إشراق كالدفْلى يروق زهره ويقتل طعمه) (إطراق كالأفعى يغرّ سكونه ويضرُّ سمّه) حيث يتوفر لدينا المشبه والمشبه به و حرف التشبيه ووجه الشبه ، فالمشبه (الإشراق – الإطراق) والمشبه به (الدفلى–الأفعى) وحرف التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (يروق زهره ويقتل طعمه – يغرّ سكونه ويضر سمّه) وهذا من بليغ دقته في الوصف إذ جعل المشبه والمشبه به بمنزلة المتماثلين قصد المبالغة في ذم هذا الرجل المتلون المنافق.

وفي رسالة أخرى في ذم حسين بن بشر ، يقول : " وَعْدٌ كَمَجْنيّ الدّقل، زهرُهُ مُونَقٌ، وطَعمُهُ ذُعَاف ،وكلام كشجر الخِلاف ، وَرَقُه أخضر ناضر ، وثمره خلافِ ،ومخاطبة تردّ خطوب الدهر على أعقابها ،ومُعاملةٌ تهُدُّ قواي لانقلابها واضطرابها." [3] والشاهد في قوله (وعد كمجني الدّقل زهرُهُ مُونَقٌ وطَعمُهُ ذُعَاف) (وكلام كشجر الخِلاف وَرَقُه أخضر ناضر وثمره خلافِ) فالمشبه (الوعد– الكلام) والمشبه به (مجني الدّقل –شجر الخِلاف) وحرف التشبيه (الكاف) ، ووجه الشبه (زهرُهُ مُونَقٌ وطَعمُهُ ذُعَاف– وَرَقُه أخضر ناضر وثمره خلافِ) يقصد بأن وجه الشبه بينهما في المخادعة ، وهو يمتاز بدقة الوصف والمبالغة ، وقد اعتمد فيها هنا على التشبيه المُجمل من أجل تحقيقهما.

وفي رسالة إلى صديق له تتضمن ذم لمحسن بن بدروس ، لمّا بلغه أنّه ذكره في الحضرة بالقبيح ، يقول : " فهو لا يتقرَّبُ إلى سُلطانه إلا بشرٍّ غالب، أو وعد كاذب، لا يُعتمدُ عليه؛ لأنه كالثّوب الخَلِق إنْ رَفَوْتَه من

[1] وللمزيد من شواهد توظيف العميدي للتشبيه المجمل في رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 134 ، 217 ، 225 ، 247 ، 250 ، 251 ، 325 ، 334 ، 344 ، 355 ، 379 ، 380 ، 381 ، 405.

[2] السابق ، ص: 132–133.

[3] السابق ، ص: 251.

جانب تَخَرَّق من جانب، ردّاه الله برداءِ عمله، وقَصَّرَ باعه دون بلوغ أمله، والله لا يُصلح عمل المفسدين." [1]
فشبهه بالثوب الخلق الذي إن رفوته من جانب تخرق من جانب آخر ، يقصد أنه يشبه الثوب الخلق في كون أن إصلاحه لا يُجدي ، فلابد من انثلامه مرة أخرى بعد إصلاحه.[2]

ومن التشبيهات التي ظهرت بصورة قوية في رسائل العميدي حتى أضحت سمة أسلوبية على تَرسله التشبيه التمثيلي : و التمثيل لغةً من : مَثَل له الشيء : إذا صوره حتى كأنه ينظر إليه ، و أما مَثّلت له كذا تمثيلاً يكون إذا صورت له مثاله بكتابة أو بغيرها ، و مثلت الشيء بالشيء هذا إذا قدرته على قدره ، و تمثيل الشيء بالشيء يكون تشبيهًا به.[3] واصطلاحًا : التمثيل تشبيه لوجه منزوع من أمريين أو عدة أمور كقول الشاعر :

وكأن النجوم والليل داجٍ .... نقش عاجٍ يلوح في سقف ساج [الخفيف]
فوجه الشبه هنا هيئة مأخوذة من أشياء مستديرة بيضاء لامعة فى وسط شيء أسود اللون وإذا وقع التمثيل فى صدر القول بث المعنى في النفس بجلاء ووضوح مؤيدا بالبرهان ، أما لو أتى بعد استيفاء المعاني له فإنه يكون تأييدًا للمعنى الثابت أو دليلاً على إمكانه ، وهو في الحالين يكسب المعانى منقبة ويرفع قدرها مما يجعل لها فى القلوب لذة و ارتياحًا ، وهكذا الحال فى كل صنوف القول و ضروب الكلام ولاسيما باب الوصف ، كما جاء في قوله– تعالى: –" ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طبية أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها" [إبراهيم / ٢٤–٢٥] ، فإن جاء فى باب الذم كان وقعه أشد حدة ، وإن جاء فى مقام الوعظ كان أبلغ فى الزجر والتنبيه ، وإن جاء في مقام الاحتجاج كان باهر البيان ساطع البرهان ، وإن جاء فى موضع الاعتذار سحر اللب و خلب القلب وسل السخيمة وأزال أثر الموجدة والضغينة[4].

ومن شواهد توظيف العميدي للتشبيه التمثيلي ما جاء في وصف أجواء رحلته إلى الوزير القشوري ، يقول " وصارت من القُرِّ يدي كيد الجواد لا تطيق على المال قَبْضًا، فلم أزل أستقبل عواصف الزّمهرير، وأطأ

---

[1] السابق ، ص: 351.

[2] وللمزيد من شواهد التشبيه المُفصّل في رسائل العميدي ، انظر رسائل العميدي ، ص: 57 ، 196 ، 220 ، 221 ، 261 ، 378 ، 406 ، 407.

[3] انظر : لسان العرب مادة (مَثَلَ) ، 613/11–614.

[4] انظر : علوم البلاغة ، للمراغي ، ص: 225–227.

أرضًا كالقوارير، وأتعثر بين الأزقة والمحالّ، في الأوحال، وأتوقَّلُ في تلال من الثلج كالأوعال، وأهتزُّ مثل السَّعفة خَصَرًا، وأتأوَّهُ من البردِ الذي لم يبق لي سمعًا ولا بَصَرًا، وأزلق بالطين يمينًا وشِمالاً، وأميل مع الريح جنوبًا وشَمالاً، وأغوص إلى حَلْقي في الثلوج، وأرتعش ارتعاش المفلوج، وأنعكس في القذر من قدمي إلى أنفي، وأقَعُ والصَّبيانُ يتصايحونَ خلفي إلى أن صدَّني عن وُجهتي التعب والعياء ، وردني من طريقي الخجل والحياء، واستدركتُ الرأي فانهزْتُ إلى الدار التي أنا ساكن فيها، كمن فَرَّ مِن رَشٍّ إلى سيلٍ مُنصبّ، وعليّ ملابس من قُرّ، ومدارع من ريح صَرّ وقَصَيْتُ في بعض زواياها كالقنفذ أنزوي مرّة وأنطوي كَرّة." [1] فالشاهد مليء بالتشبيهات التمثيلية التي تصور صورة بصورة ، فَيَده من شدة البرد قد تجمدت فلا يستطيع قبضها وتحريكها حتى أصبحت مثل يد الكريم التي لا تكاد تستطيع القبض على النقود والاحتفاظ بها لإنفاقها في أوجه البر، وهو مازال يتسلق الجبال كتسلق الأوعال ويرتعش كارتعاش المفلوج ، وهو يفر إلى منزله كمن يفر من سيل منصب وراءه ، وينزوي في إحدى زوايا منزله كانزواء القنفذ على نفسه ، وكل هذه التشبيهات التمثيلية قد ساعدته على الإبداع في الوصف والمبالغة في التعبير اللذان هو بهما مولع ، وهو يكثر من وصف الصعوبات التي لاقته في طريق رحلته إلى كبار رجال الدولة رغبة منه في تملقهم ، فهو لا يهمه ما يلاقيه من صعوبات في أثناء سيره إليهم لشرف قدرهم ، وعلو منزلتهم عنده ، وهو في ذلك قريب مما كان يفعله الشاعر الجاهلي عند التطرق للمدح إذ يصف الطريق الوعر الذي سلكه لممدوحه و المركوب الذي ركبه في الطريق إليه والأطلال التي مر عليها رغبة في تملقه ، لاستعطاف كرمه ليجزل له العطاء.

وفي رسالته يعاتب أحد أصدقائه ، يقول : " لا يَحسُنُ –أطال الله بقاءَ سَيِّدي – بالعاقِلِ أنْ يَطلب قاعةَ غيره لهُ وقاعَةُ نفسِهِ عليه ممتنعة، أو يستمد مودة سواه ومواد مودّته عنه منقطعة، فيكونَ كالمُطفِّفِ الذي إذا اكتال على الناس استوفى حقوقه في التجارة، وإذا كالَهم أو وَزَنَهم لم يُبالِ بالخسارة." [2] ، فهو يشبه ما يفعله معه صديقه عندما يريد منه المعاملة الحسنة في حين أنه نفسه لا يبذلها له ، بالمطفف في الميزان الذي إذا كان المشتري طالب باستيفاء حقوقه كاملة ، وإذا كان بائعًا بخس الناس حقهم ، وهو تشبيه تمثيلي مستوحًى من القرآن الكريم من فواتح سورة المطففين ، قال –تعالى– : " ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" [المطففين /1–3] ، مما يضفي على أسلوبه بلاغة ورصانة.

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 14.

[2] السابق ، ص: 170.

وفي وصفه إحدى الدعوات للطعام التي دُعي إليها ، يقول : " والسُّقاط يتزاحمون فيها كالبهائم، ويتضاغطون بعضُهم إلى بعض كالنساء في المآتم ويتشتّمونَ ما أُعِدّ لهم من المطاعم كالشقيّ وافد البراجم ، تكاد الأرواح تطير من أصواتهم المختلفة، والأنفاسُ تَضِيقُ من لغاتهم المتحرّفة، والنفوسُ تَذهَلُ من شغبهم وإصطخابهم، والعقول تبطلُ من لفظهم واضطرابهم، والأدمغة تجف من اختلاط بَخَرِهم بصُنانِهم، والعيونُ تَعمَى من المنظر إلى صُورهم وألوانهم، وقد فاض الحشّ، وامتلأ الجُبّ، وعرِقتِ الآباط وعَظُم الخطب...." [1] فالمدعوون للمائدة يتزاحمون كتزاحم البهائم ، ويتضاغطون بعضهم على بعض كتضاغط النساء في المآتم ، ويتشتمون ما أعد لهم من المطاعم كتشتم الشقي وافد الراجم ، وهو مثل يضرب لمن يهلك لطمعه ، فهو يصور صورة بأخرى وأحيانا يصور الصورة بمثل يضرب ، مبالغة في التشبيه والتمثيل وتقريب الصورة ، وتحقيق ما أرداه من السخرية والتهكم .[2]

---

[1] السابق ، ص: 406-407.

[2] وللمزيد من شواهد تكثيف توظيف العميدي للتشبيه التمثيلي في رسائله ، انظر السابق ، ص: 15 ، 18 ، 44 ، 55 ، 70 ، 154 ، 191 ، 192 ، 272 ، 302 ، 303 ، 310 ، 371 ، 405 ، 408 ، 409 ، 424.

2-1-2-3- الاستعارة:

الكـلام نوعـان : حقيقـة ومجـاز [1] ، فـالحقيقي هـو الكـلام المسـتعمل فيمـا وضـع لـه فـي اصـطلاح التخاطـب ، والمجـاز: هـو الكـلام المسـتعمل فـي غيـر مـا وضـع لـه فـي اصـطلاح التخاطـب لعلاقـة بينهمـا مـع قرينـة صـارفة عـن إرادة المعنـى الأصـلي ، وهـو نوعـان : عقلـي[2] و لغـوي ، فـاللغوي ينقسـم وفـق العلاقـة بـين الكلمتـين إلـى مجـاز مرسـل واسـتعارة ، فـإذا كانـت العلاقـة بـين الكلمتـين مشـابهة فاسـتعارة وإلّا فمجـاز مرسـل ، وتعريفهـا هـي الكلمـة المسـتعملة فـي غيـر مـا اصـطلح عليـه فـي التخاطـب لعلاقـة المشـابهة بينهـا وبـين كلمـة ثانيـة مـع قرينـة صـارفة عـن إرداة المعنـى الأصـلي، يمتنـع معهـا إجـراء الكـلام علـى حقيقتـه ، وهـي حاليـة : أي غيـر مـذكورة تُفهـم مـن السـياق ، أو مقاليـة: أي مذكورة.[3]

فمواضـعة اللغـات فـي مبـدأ النشـأة تقتضـي أن يكـون لكـل مـدلول دال واحـد خـاص بـه ، ولكـل دال مـدلول واحـد خـاص بـه ، لكـن جدليـة الاسـتعمال تُخضِـع عناصـر اللغـة إلـى تفاعـل عضـوي يـؤدي إلــى انزيــاح الألفــاظ تبعًــا لسـياقاتها المختلفـة فــي الاسـتعمال عـن معانيهـا الوضـيعة ، فضــلًا عــن

[1] المجاز: على وزن مَفعَل ، وهو مشتق من الجَواز بمعنى التعدية ، تقول : جُزت موضع كذا ، أي تعديّته ، وهو يطلق في الاصطلاح : على ما جاوزا به موضعه الأصلي (المجاز اللغوي من استعارة ومجاز مرسل) ، أو على ما جاز هو بنفسه مكانه الذي كان قد وضع فيه أولًا (المجاز العقلي) ، وقد اختلفوا في التشبيه على رأيين أهو من المجاز أم خارج عنه والراجح أنّه خارج عنه لأن طرفيه مستعملان فيما وضعا له ، وابن الأثير يرى أنّه مجاز لقرب التشبيه البليغ من الاستعارة وفيه تحذف الأداة فكأن المشبه هو جنس المشبه به ، انظر: علوم البلاغة ، ص: 239 ، 248.

[2] المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو فيما معناه إلى غير صاحبه في ظاهر الكلام لعلاقة مع قرينة صارفة عن إسناده له ، كقوله –تعالى– : " فهو في عيشة راضية" [القارعة/7] أي مُرضِية ، وهي من باب إسناد ما للفاعل للمفعول به ، وقوله –سبحانه– : " إنّه كان وعده مأتيًّا " [مريم /61] أي آتيًا ومن باب إسناد مابني للمفعول به للفاعل ، والإسناد إلى الزمان نحو قولك : نهاره صائم ، والإسناد إلى المكان نحو : "وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم" [الأنعام/6] ، وإسناد الفعل للمصدر نحو قول أبي فراس:

سيذكرني قومي إذا جد جدّهم....وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[الطويل]

، فأسند جَدهم إلى المصدر "الجَد" انظر السابق : ص: 291–292.

[3] انظر السابق ، ص: 247–248 ، 265.

المجازات التي تُدخلها القنواتُ البلاغية ، التي ما يعدها اللغوي إلّا انحرافات عن المعاني المتواضَعة الأولى.[1]

و الاستعارة لغةً : من قولك : استعار المال، أي طلبه عارية ، وفي الاصطلاح: استعمال اللفظ لغير ما وضع له لعلاقة المشابهة ما بين معناه المنقول عنه ، والمستعمل فيه بقرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، فالاستعارة هي تشبيه مختصر ، لكنها أبلغ منه [2] ، أو هي تعليق العبارة على ما لم توضع له في أصل اللغة من جهة النقل للإبانة [3] ، أو هي ما اكتفي فيها بذكر الاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت فيها العبارة فجعلت في موضع غيرها ، وغايتها تقريب الشبه و مناسبة المستعار منه للمستعار له ، وامتزاجهما معًا باللفظ والمعنى ، بحيث لا توجد منافرة ، ولا يظهر في أحدهما إعراض عن الآخر [4] ، أو هي ذكرك أحد طرفي التشبيه مريدًا به الطرف الآخر ، زاعمًا امتزاج المشبه في جنس المشبه به ، مدلّلًا على ذلك بإثباتك للمشبه كل ما يخص المشبه به[5] ، وهو من أبلغ التعريفات ؛لأنه تناول تعريف الاستعارة بنوعيها التصريحية والمكنية معًا[6].

وأمّا أركانها فثلاثة : المستعار منه (المشبه به) ، والمستعار له (المشبه) ، والمستعار (اللفظ المنقول) ، فكل مجاز بني على علاقة المشابهة يسمى استعارة ، ولابد في الاستعارة من حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، بل و لابد كذلك من تناسي التشبيه الذي من أجله جلبت الاستعارة وذلك يحصل بحذف أحد طرفي التشبيه للادعاء أن المشبه هو عين المشبه به .[7]

---

[1] انظر: الأسلوبية والأسلوب ، المسدي ، ص: 58.

[2] انظر: جواهر البلاغة ، ص: 258.

[3] انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص:85.

[4] انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص:41.

[5] انظر: مفتاح العلوم ، ص:369.

[6] انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 140/1.

[7] انظر: جواهر البلاغة ، ص:258.

وتنقسم الاستعارة- كما هو معلوم- وفقًا لذكر الطرفين (المستعار له والمستعار منه) إلى استعارة تصريحية ، واستعارة مكنية ، فأولهما: هي التي يُصرح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه) دون المشبه (المستعار له) [1] ، كما في قوله -تعالى- : " واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا " [آل عمران/103] فشبه دين الله بالحبل المتين ، وحذف المشبه (المستعار له) وهو دين الله ، وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه) (الحبل) ، والمستعار فيهما الاعتصام والتمسك وهو منظور إليه في لفظتي الدين والحبل ، والعلاقة بينهما قائمة على المشابهة في تحقق النجاة بالتشبث بهما.

أمّا الاستعارة المكنية أو المَكني عنها : فهي ما أُثبت فيها لفظ المشبه دون المُشبه به ، وكُنّي عن المحذوف بشيء من لوازمه دليلًا عليه ، كقول أبي ذؤيب الهُذَلي:

وإذا المنية أَنشبت أظفارها....أَلفيت كل تميمةٍ لا تنفع [الكامل]

فشبه الموت بالسبع في اغتيال النفوس ، ثم حذف المشبه وهو (السَّبع) ودل عليه بشيء من لوازمه وهي الأظفار ، والتي لا يَكمل الافتراس إلّا بها. [2]

أمّا فائدة الاستعارة فيقول أبو هلال العسكري: الاستعارة هي نقل العبارة من موضع استعمالها المتعارف عليه في أصل اللغة إلى غيره لفائدة ، وهذه الفائدة قد تكون توضيح المعنى وشرحه وفضل الإبانة عنه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تأكيد المعنى والمبالغة فيه ، أو تحسين المَعرض الذي تبرز فيه ، هذه سمات الاستعارة المصيبة ، ولولا أن هذه الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا يتضمنه الاستعمال الحقيقي للكلام من هذه الفوائد الزائدة لكانت الحقيقة أولى منها في الاستعمال.[3]

---

[1] انظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص:101.

[2] انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 1/145-146.

[3] انظر: كتاب الصناعتين ، ص:268.

فقد جاءت هذه التراكيب المتضمنة الاستعارة في صورة أبلغ من تراكيب التشبيه ، لتقوية تأثيرها في نفس المخاطب ؛ لأنّه كلما كان التركيب داعيًا إلى التحليق في سماء الخيال كان أبلغ وقعًا وأشد تأثيرًا في النفس ، فقوتها في الأخذ بمجامع القلوب ، وتملكها لب السامع والقاريء وعاطفتهما ، ما هو إلّا سر بلاغة الاستعارة [1] ، فقد استعملها العرب لتقريب المعنى إلى ذهن السامع ، اختلابًا لِلُبه ، واستثارة لخياله، ليقتنع القارئ والسامع بما يقال لهما ويُلقَى في روعهما [2]، فهي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه ، لكنها أبلغ من التشبيه نفسه ؛ لأن التشبيه مهما بلغت مبالغته وقوة بيانه وإيضاحه فلابد من ذكر طرفي التشبيه بما يعني صراحةً أن العلاقة بين الموصوفين ليست إلا علاقة تشابه وتداني بينهما في الوصف دون الاتحاد ، هذا الاتحاد والامتزاج بين الموصوفينِ الذي نجده بصورة واضحة في الاستعارة حين يغيب أحد طرفي التشبيه عن الجملة ويكون الآخر بديلًا عنه ، يحل مكانه فيما غاب عنه فكأنما صارا شيئًا واحدًا ، يصدق أن يطلق عليهما نفس الشيء .[3]

فتحول الأبنية في علم البيان لو اقتصر على التشكيل السطحي فقط لم يقدم ناتجًا متغيرًا بالخفاء والوضوح ، لكن التحول الحقيقي هو ما يجري في البنية العميقة ، فهي التي تطرح على البنية السطحية تمايزها الدلالي ، بحيث تدفع المُخَاطب والمُتَلقي إلى التعامل الجدلي بين العمق والسطح ليدرك التمايز أو التفاضل.[4]

فالاستعارة والمجاز لا يعبّران عن العلاقات الوضعية للأشياء بل يعبران عنها وفق مخيلة الأديب نفسه ، فهي طبقًا لهذا لغة تخيلية ، يكون التعبير بالصورة أساسًا لها ، وهي لا تعتمد الإخبار أو التسجيل أو الوصف ، بل تعتمد الإيحاء والإشارة ، وعلى هذا كان المجاز عامة

---

[1] انظر: جواهر البلاغة ، ص:258.

[2] انظر: علوم البلاغة ، للمراغي ، ص: 281.

[3] انظر : جواهر البلاغة ، ص: 258 ، و علوم البلاغة ، للمراغي ، ص:260.

[4] انظر: البلاغة العربية: قراءة أخرى ، ص:129.

والاستعارة خاصة يهدفان إلى تكثير الدلالة وتفخيمها ، بإخراج اللفظ من مواضعاته الأصلية ، إلى حالة جديدة قوامها التخييل ، مع جواز الحقائق الشائعة اتفاقًا وعرفا.[1]

وكان مما علقه الأستاذ أحمد الشايب على وصف المتنبي وابن خفاجة الأندلسي للجبل قوله: إنّ وصف المتنبي للجبل يُحدث انفعالًا للحواس الظاهرة كالسمع والبصر تاركًا في الذاكرة والخيال لذة حسية لا يتعداهما ، أمّا وصف ابن خفاجة فيتجاوز هذه الحواس كلها إلى الإيحاء وإثارة معانٍ متصلة بهذه المشاهد فهو انفعال أسمى وأرقى لهذه العواطف الروحية والمشاعر السامية ، فالأول وقف عند حد سمع الأذن و رؤية البصر ، أمّا الثاني فجعل من الجبل مشهدًا للعظات والعبر ، فأفاض على نفوسنا بهاء وجلالًا ، وبعث فيها إعجابًا قويًّا وتفكيرًا عميقًا ؛ لأن العواطف التي تثيرها وتحركها المعاني أسمى وأرقى من تلك العواطف التي توقدها العبارات اللفظية والمحسنات البديعية.[2]

ومن خلال استقراء الرسائل الفنية للعصر الفاطمي تبين تنوع الأدوات الفنية التي استخدمها كتّاب هذا العصر ، فاعتمدوا على الاستعارة والتشبيه والكناية والتشخيص والتصوير اللفظي ، كما تنوعت المصادر والمنابع التي استقوا منهم صورهم ، فمنها ما كان مستمدًا من العقيدة الشيعية الفاطمية ، ومنها ما جاء متأثرًا بالقرآن والحديث النبوي الشريف ، ومنها ما كان مستوحًى من جمال عناصر الطبيعة الخلابة المحيطة بالكاتب ، والمظاهر الحضارية التي حفلت الدولة الفاطمية بها ، وهم في صورهم الأدبية يميلون إلى تقنية رسم الصورة الحية[3] ، فراحوا يدققون في كثير ممّا حولهم من المشاهد الحسية التي ألفوها في حياتهم المترفة الناعمة ، مما ساعد على تدفق انفعالاتهم وأحاسيسهم الرقراقة المتقدة ، فأنتجوا لوحات فنية بديعة تنبض بالحياة والحركة والإحساس ، تتناول مظاهر السرور و البهجة أحيانًا ، أو مشاهد الحزن والأسى في أحايين أخرى ، ومن ثَمّ كان لتلك المشاعر المتباينة كبير الأثر في قوة انفعالات هؤلاء الكتّاب ، وإبداعهم هذه

---

[1] انظر: الرسائل الأدبية النثرية ، ص: 467.

[2] انظر : أصول النقد الأدبي ، ص:204.

[3] انظر: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، النعيمات ، ص: 230 ، 232.

الصـــحائف الرائقــة التـــي تحـــاكي ثغـــور الريـــاض بهجـــةً وعبقًـــا وألقًـــا ، والتـــي جســـدت بصـــدق عمـــق أحاسيسهم ، وصوّرت عواطفهم ومشاعرهم بكل أمانة ومصداقية.[1]

وقد جاءت الاستعارة المكنية أوفر حظًا ونصيبًا من الاستعارة التصريحية ، و من شواهد الاستعارة المكنية في تَرسُّل العميدي والتي لا تكاد تخلو صفحة من صفحات رسائله من واحدة منها على الأقل ، ما جاء في رسالته يهجو أحد الكتّاب ، يقول : " سخِطَ الزّمان به على أهل الفضل فأشقاهم وأسعده، ومال إليه دونَهم فقومَ أوَدَه ، وانقبض عنهم فبَسَطَ لهُ يدَه، ورفعه من وَهْدةِ الخلاء إلى فوق السَّماء، ومن الحفير الحقير إلى ظهر الأثير، ومن مقاساة الخيط والإبرة إلى تدبير الملك والحَضرة." [2] فهور يصور الزمان (المشبه) ، بقاضٍ أو حاكمٍ (المشبه به) قد سخط على أهل الفضل فحكم عليهم بالشقاء و بسعادة هذا النذل ، وقد حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه كدليل عليه وهو (فأشقاهم – أسعده– مال إليهم – قوّم أوده– انقبض عنهم– رفعه) ، ويعتمد هنا في التأثير في المتلقي من خلال ما يضفيه الانزياح من مفاجأة لخروج الكاتب عن المستوى العادي للغة إلى المستوى الإبداعي.

وفي دعائه على بعض المتكاتبين المتلونين ، يقول : " فما أحْسَنَ المِحنَةَ إذا نزلت بفنائهم، وجَدّت في إفناء أفيائهم، وما أجمل النعمّة إذا حلَّتْ بِعِراصِهم، و تجردت لانتقاصهم واقتناصهم و ما أقبح النِّعمَة إذا ألقت لديهم عَصاها، واستقرت عندهم نواها !وما أعظم أياديَ الفَلكِ عند الأحرار، إذا دار عليهم بالدَّمارِ والدَّبار ، ورماهم بقوارع النّحْسِ والإدبار..." [3] والشاهد يزخر بالاستعارات المكنية ، حيث يصور المحنة بالمطر المنهمر وقد عزم على إفناء أفيائهم ، وصور النعمة بإنسان يعطي ويمنح من ينزل عنده ، كما صور الفلك بالسهام التي تُرمى ، وفي توظيفه الاستعارة المكنية اعتماد على عنصر المفاجأة في توظيف الجانب الإبداعي غير المعتاد للغة ، مما يخالف توقعات المتلقّي فتحدث اللذة والمفاجأة.

وفي رسالة يعتذر إلى وزير لتخلفه عن عودته في مرضه ، يقول : " ولكنّ الزمان معي له كيادٌ يمنعني من كلِّ مَشرب عَذب، كأني معه في حَرْب ويقطعني عن مقر كل جلال، كأني معه في قتال، وكلما رأى مني في خدمته جِدًّا جعل بيني وبينه سَدًا، وكلّما شاهَدَ مني على حضرته وفورًا، صير بيني وبينها سُورًا ، وكلّما

---

[1] انظر : الرسائل الأدبية النثرية ، ص: 484.

[2] رسائل العميدي ، ص: 148–149.

[3] السابق ، ص: 182.

أبصَر من جهة نفعًا ، دفع في نحره دفعًا فحياتي معه مُرّة، كأنه ضُرة، وله مني نفار، وما لي عليه اقتدار." [1] ، وفي الصورة السابقة خيال ممتدد بالاستعارة المكنية ، حيث صور الزمان بخصم لدودٍ له يمنعه المشرب العذب ، ويقطعه عن زيارة أهل الفضل ، فكلما اجتهد في الاستعداد لزيارته لعيادته اجتهد هو في منعه وعرقلته ووضع الأسوار دون غايته ، وهو يعتمد على توظيف الاستعارة المكنية من أجل تحسين الوصف، مبالغة منه في الاعتذار للوزير عن تخلفه عن زيارته ، لكثرة العراقيل والمشاغل التي منعته دون ذلك ، حتى صار الدهر عدوًا لدودًا له ، يصيبه بكثير من العراقيل التي تحول بينه وبين بلوغ غايته.[2]

ومن شواهد توظيفه للاستعارة التصريحية في رسائله ما جاء في رسالته إلى أحد الأشراف يذكره بحاجته ، يقول : " وسَيّدي وليُّ الفضل بإذكاره كل وقت حديثي حتى لا تَنسِجَ عليه العناكب وصيانة جاهي حتى لا تدبَّ لإفساده العقارب، وتعريفه تزييني كل مجلس بذكرِهِ وعمارتي كلَّ مشهد بشكره، فعسى أن يسالمني – ببركة أيامه – الدَّهْرُ، فقد طالت عَرْبَدتُه ، أو ينتبه لي الجَدُّ فقد دامت عَرْقَدتُه ، وتضعيفِ المِنَّة في هذه العارفة إلى أخواتها من المنّن السالفة، إن شاء الله– تعالى–." [3] ، فصور الإهمال بالعناكب التي تنسج خيوطها على الأماكن المهجورة و القديمة والمتروكة ، وشبه النمّامين الساعين بالوشاية بينه وبين الخليفة الفاطمي بالعقارب التي تدلغ ، وفي التصورين يعتمد على توظيف عنصر المفاجأة إذ يذهب الذهن كل مذهب لإيجاد الرابط المشترك بين اللفظ المذكور واللفظ المتروك و توافقهما مع السياق ، مما يثير الذهن ، ويشحذ الانتباه ، ويحدث اللذة للقارئ والسامع.

وفي رسالةٍ إلى محسن بن بدروس يهجوه لذمه إياه في حضرة الخليفة الفاطمي ، يقول : " وما دامت طريقتك الافتراء على الفضلاء، والاقتداء بمذاهب السُفهاء،والتقرب إلى الحضرة بالنواميس التي بحارها عندك واسعة، ومضاربُها لديك شاسعة، والتعصب على الدولة التي بها صرت متبوعًا وكنت تابعًا، ونلتَ شِبَعَ جوفك

---

[1] السابق ، ص: 424.

[2] ومن شواهد تكثيف العميدي توظيفه للاستعارة المكنية في رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 6 ، 15 ، 26 ، 49 ، 50 ، 53 ، 90 ، 121 ، 137 ، 144 ، 153 ، 164 ، 168 ، 174 ، 175 ، 177 ، 179 ، 181 ، 191 ، 196 ، 202 ، 204 ، 215 ، 217 ، 218 ، 222 ، 226 ، 233 ، 246 ، 251 ، 253 ، 261 ، 271 ، 272 ، 277 ، 281 ، 287 ، 296 ، 310 ، 311 ، 315 ، 334 ، 364 ، 383 ، 388 ، 405.

[3] السابق ، ص: 390.

وكنت جائعًا..." [1] فالاستعارة التصريحية في قوله : النواميس ، حيث صور حيله و أفعاله المشينة بالمخابئ التي يختبأ فيها الصيادون لفرائسهم ، ثم مد الخيال بقوله : التي بحارها عندك واسعة، ومضاربُها لديك شاسعة ، مبالغة في ذمه و هجائه لقبح أفعاله ، وهو يركز هنا على قوة تأثير عنصر المفاجأة لخروجه عن الاستعمال العادي للغة إلى الاستعمال الإبداعي مما يكون له كبير الأثر في تحقيق مبالغته في ذم هذا الرجل الساعي بالنميمة في ظنه.

وكذلك ما جاء في رسالته المسماة بالمطبخية ، يقول : " وأطيب وقتٍ يُهنّيني الطعام وأستلذ الأكل وأشتهيه ، وقت أرى الضعيف فيه ، وهو يجبذ شعر أنفه ، وينظر إليّ بمؤخر طرفه ، فيتمقع لونه ، ويتبرد وجهه ، وينزوي ما بين عينيه ، وتقوم القيامة عليه..." [2] ، فهو يصور من بِجَانبه على مائدة الطعام وقد أزعجه شرهه إلى الطعام ، فتغير وجه ، و اشتد فزعه وقلقه كأن القيامة قد قامت عليه ، فقد صور الفزع والقلق الظاهرين على وجه من بجانبه بقيام القيامة ، وفي الاستعارة مبالغة في الوصف ، لادعاء اتحاد المشبه في المشبه به حتى كأنهما صارا شيئًا واحدًا ، مما يقوي الوصف والمبالغة. [3]

3-1-2-3-الخيال الممتد (الترشيح) :

الترشيح من رَشَح رَشحًا ، والرَّشْح : هو ندى العَرَق على الجسم ؛ لأنه يخرج من الجسد شيئًا فشيئًا كما يَرشُح القدح المتخلخل الأجزاء ، والتَّرشِيح : تربية الشيء و تهيئته ، يُقال رُشِّح للأمر :

---

[1] السابق ، ص: 376-377.

[2] السابق ، ص: 11.

[3] ومن شواهد توظيف العميدي للاستعارة التصريحية في رسائله قصد المبالغة في الوصف والارتكاز على تأثير عنصر المفاجأة ، انظر رسائل العميدي ، ص:5 ، 11، 12 ، 19 ، 23 ، 24 ، 26 ، 41 ، 57 ، 60 ، 62 ، 81 ، 124 ، 138 ، 202 ، 205 ، 290 ، 312 ، 327 ، 353 ، 364 ، 366 ، 367 ، 377 ، 379 ، 381 ، 387 ، 405 ، 409، 416 ، 436 .

إذا رُبّـي لـه و أُهّـل ، ورُشّـح شـخص مـا للإمـارة : هُيِّـئ لهـا وهـو لهـا كفـؤ ، أو صـار وليًّـا للعهـد ، ورشّحت الأرض البُهمى : بلغت بها وربَّتها ،وهو معنى قول ذو الرّمة:

يُقَلّـب أشـباهًا كـأنَّ ظهورها.....بُمستَرْشَـح البُهْمـى مـن الصَّـخر صَـردَحُ [الطويـل][1]

وهـو فـي الاصـطلاح : امتـداد الصـورة بصـفات ترجـع للمشـبه بـه ، قـال صـاحب تحريـر التحبيـر : الترشـيح هـو أن نـأتي بكلمـة لا تصـلح لجـنسٍ مـن المحاسـن حتـى نـأتي بلفظـة تؤهلهـا لـذلك[2] ، ويكـون للاسـتعارة والتوريـة والمطابقـة وغيـرهم ، ومثـال ترشـيح الاسـتعارة قولـه –تعـالى– : " أولئـك الـذين اشـتروا الضـلالة بالهـدى فمـا ربحـت تجـارتهم ومـا كـانوا مهتـدين " [البقـرة/16] ، فقـد اسـتعار الاشـتراء للاختيـار والاسـتبدال ثـم رشـحه بمـا فيـه ملائمـة لعمليـة الشـراء مـن التجـارة والـربح ، وإنمـا ذكـر التجـارة والربح ترشيحًا لحقوق المبالغة في التشبيه.[3]

و قد أكثر العميدي من توظيف الترشيح في رسائله من أجل المبالغة في الوصف ، و من شواهد الخيال الممتد في رسائله ما جاء في رسالته يتملق فيها الوزير أبي الفرج القشوري ، يقول: " فها أنا مُقيمٌ على جسر الحيرة فلا أرى قدامي معبرًا، ولا خلفي مصدرًا، قد قيدتني ليالي إحسانه وكرمه، وأثقلني ببره ونعمه، وأغناني نواله عن تكلف الأسفار وتركني وأنا في معرضٍ من الاستظهار، فإن ألقيتُ عني قناع الحياء، وانتزحتُ هجنة الانكفاء ، نُسبتُ إلى العجز والفزع، وقرفتُ بالحَرْص والطَّمَع، ورميتُ بما تأنفُ منه الرّجال، وترجُفُ بحسَبي ولستُ كما يقال ." [4] فلما شبه الحيرة بالجسر ، أمد في الخيال ورشحه بقوله فلا أرى قدامي معبرًا ، ولا خلفي مصدرًا ، أي لا أرى حلًا لحيرتي ، وفيها ضغط على عنصر المفاجأة لتحريك الذهن للربط بين الصورتين و استخراج وجه الشبه.

وفي مدحه لنسل الإمام عليّ –رضي الله عنه– يقول :" كلًا، إنّ أمير المؤمنينَ عليَّ بن أبي طالب– كرم الله وجهه– من شجرة طيبة لم تُورق إلا السخاء، ولم تُزهر إلا الوفاء، ولم تثمر إلا الصفا، ولم تحمل إلا السناء و السنا ، باسق عودها، راسخ عمودها، ثابتٌ أصلها، باسط ظلها، وأولاده– رضوان الله عليهم– لم يقولوا غير

---

[1] انظر: لسان العرب ، مادة (رَشَحَ) ، 2/449–450.

[2] انظر: تحرير التحبير ، ص: 271.

[3] انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 2/133–134.

[4] رسائل العميدي ، ص: 34.

الحق ، ولم يقضوا إلا بالصدق..." [1] فلما استعار لنسل الإمام عليّ –رضي الله عنه– لفظة الشجرة الطيبة ، رشحها بقوله (لم تُورق إلا السخاء– ولم تُزهر إلا الوفاء– ولم تثمر إلا الصفا–ولم تحمل إلا السناء و السنا – باسق عودها– راسخ عمودها–ثابتٌ أصلها–باسط ظلها) كل هذا مبالغة في المدح ، وإثارة للنفس بتحريك الذهن لاستخراج أوجه المشابهة بين الصورتين ، مما يخلب العقل والقلب ، ويؤثر أبلغ تأثير في السامعين.

وفي عتابه للزمان لتقلبه عليه ، يقول : " وفي أثناء هذه الأحوال لعل الزمان يعثر بجَدّ فينتبه من رقاده، أو يحنو عليّ فيفكّني من أغلاله وأصفاده ، وإذا كانت هذه صورة الحال فمن المحال أن أكون طفيليًا ومقترحًا، ما أصبتُ في الأمر مُنفَسَحًا، أو أُرى برداء الإلحاح متشحًا، ما وجدت في السكوت منتدحًا." [2] وقد صور الزمان بسجّان غافل ثم رشح الاستعارة بقوله فينتبه من رقاده ، أو يحنو عليّ فيفكني من أغلاله وأصفاده ، وفي الصورة خيال ممتد غرضه المبالغة في عتاب الزمان لتقلب أحواله عليه ، و في وصف سوء ما آلت إليه أموره ، حتى إن الزمان ليغفل عن إسعاده وإيناسه ، إلى جانب ما في ذلك من تحريك ذهن المُتلقّي للربط بين أوجه التشابه بين الصور.[3]

---

[1] السابق ، ص: 41–42.

[2] السابق ، ص: 90.

[3] وللمزيد من شواهد الخيال الممتد الذي أكثر العميدي من توظيفه في رسائله ، انظر رسائل العميدي ، ص: 6، 11 ، 13 ، 15 ، 20 ، 23 ، 24 ، 26 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 33 ، 36 ، 38 ، 39 ، 43 ، 44 ، 52 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 60 ، 61 ، 62 ، 64 ، 65 ، 68 ، 69 ، 71 ، 72 ، 75 ، 77 ، 79 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 87 ، 91 ، 102 ، 117 ، 118 ، 119 ، 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 136 ، 137 ، 138 ، 139 ، 141 ، 143 ، 145 ، 232.

المبحث الثالث

سمات أسلوبية عامة

1-3-3-الإطناب:

مثلث البلاغة في كثير من نواحيها العلاقة بين المعنى والأسلوب ، وصلة الأخير بما تتعرض له الجملة ، وهو ما يدخل تحت ما يُسمَّى بعلم المعاني ، الذي يختص بمتابعة سمات تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتعلق بها من استحسان وخلافه ، للاحتزاز من عدم مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[1]

و تتجلى علاقات دلالية كثرة في فنون البلاغة ومنها الإضافة المكافئة ، حيث تظهر بوضوح في التكرار المعنوي ، عندما يكون على مستوى الجملة ، فقولنا : لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، فيه إضافة مكافئة بين الجملتين لأن الجملة الأولى هي بمعنى الثانية ، وإنّما تكرر القول ؛ لتقرير المعنى وإثباته.[2]

و الإطناب لغةً : طَنبَ طُّنبًا وطُّنُبا معًا : حبل السرداق والخباء ونحوهما ، وأَطنَاب الشجر: هي عروق تتشعب من أَرُمَتِها ، الأَطنَاب : هي الطوال من جبال الأخِبية ، والإطنَاب: هو البلاغة في الوصف والمنطق ذمًّا كان أم مدحًا ، وأطنب في الكلام : أي بالغ فيه ، والإطنَاب : مبالغتك في ذمٍ أو مدحٍ مع الإكثار فيه ، قال ابن الأنباري : أَطنب في الوصف أي بالغ فيه واجتهد ، وأَطنب في عَدوه: مضى فيه باجتهادٍ ومبالغة [3] ، واصطلاحًا عرفه ابن الأثير بقوله : وحد الإطناب هو : زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة ، وقلنا لفائدة تمييزًا بينه وبين التطويل إذ

---

[1] انظر: البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص:260-261.

[2] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية ، ص: 148.

[3] انظر: لسان العرب ، مادة (طَنَبَ) ، 1/560-562.

التطويل زيادة في اللفظ على المعنى بغير فائدة ، ويوجد الإطناب تارة في الجمل المتعددة من الكلام ، وأخرى في الجملة الواحدة منه ، والأول أبلغ ؛ لاتساع مجال إيراده.[1]

وقد ألحقه السكاكي [-626هـ] وغيره بعلم المعاني ، في حين ألحقه ابن قيم الجوزية [-751هـ] بعلم البيان ، وكان الجاحظ أول من تكلم عنه إذ يقول: وقد بقيت أبوابٌ موجبة للإطالة ، محوجة إلى الإطناب ، ولا تعد من باب الإطالة طالما لم تتجاوز مقدار الحاجة ، وانتهت عند انتهاء غايتها ، وإنّما تكون الألفاظ على أقدار المعاني ، فقليلها لقليلها وكثيرها لكثيرها [2] ، ويعد الإطناب من المباحث البلاغية الجامدة إذ هو باقٍ إلى الآن على تعريفه وأقسامه كما كان منذ عهد السيوطي[-911هـ] بأغراضه وأبوابه.[3]

ويصنف القلقشندي أسلوب الكلام الفني وفقًا لمقادير الكلام إلى ثلاثة أضرب ، إيجاز وإطناب ، ومساواة ، يقول: اعلم أن الكلام المصنوع من المكاتبات والخطب والولايات وغيرها على ثلاثة أضرب: الأول : الإيجاز : وهو جمعك معانٍ كثيرة في ألفاظٍ قليلة ، وعليه وردت أكثر آيات القرآن ، كقوله -تعالى- : " ألا له الخلق والأمر" [الأعراف/54] ، فقد استوعب جميع الأشياء في كلمتين اثنتين لا ثالث لهما ، والثاني: الإطناب: وهو الإشباع في القول ، أو هو ترديدك الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وجاء منه الكثير أيضًا في كتاب الله نحو قوله -سبحانه- : " كلا سوف تعلمون* ثم كلّا سوف تعلمون" [التكاثر/3-4] ، والثالث : المساواة : وفيه تكون المعاني بإزاء الألفاظ كثرةً وقلةً ، لا يزيد بعضها على بعض ، ومثل له أبو هلال العسكري بقوله -تعالى- : " حورٌ مقصوراتٌ في الخيام" [الرحمن/72] .[4]

---

[1] انظر: المثل السائر ، 2/280- 281.

[2] انظر: كتاب الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، الشهير بالجاحظ [-255هـ] ، تحقيق : محمد باسل عيون السُّود ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1424هـ ، 6/322.

[3] انظر: الإطناب في قصص القرآن الكريم ، عائشة أحمد عرسان ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية ، نابلس-فلسطين ، 2009م ، ص: 6 ، 14.

[4] انظر: صبح الأعشى ، 2/359-361 ، وكتاب الصناعتين ، ص: 179.

وفي بيان مواطن الإطناب والإيجاز ، وبيان فضيلة الإطناب في موضعه قال العسكري: المنطق بيان ، والبيان لا يَحصُل إلّا بالإشباع ، والشفاء لا يكون إلّا بالإقناع ، وأعلى الكلام أبينه ، وأبينه أشده بالمعاني إحاطة ، ولا تَحصُل الإحاطة التامة إلّا باستقصاء ، والإيجاز للخاصة ، والإطناب مشترك بين العامة والخاصة ، والغبي والفطن ، ولمعنى ما أُطِيلت الكتب الخارجة عن السلطان لإفهام الرعايا ، وقد قيل: البلاغة إيجازٌ بلا عجز ، و إطنابٌ بلا خطل ، والإطناب متى ما كان لا بد منه إيجاز.[1]

وعن فائدة الإطناب يرى ابن الأثير أنّ الإطناب ضربٌ من ضروب التوكيد يؤتى به في الكلام قصد المبالغة ؛ لأن من التأكيد ما يتصل بالتقديم والتأخير كتقديم المفعول به ، والاعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف ، وبين القسم وجوابه إلى غير ذلك.[2]

ويُرجِع د.شوقي ضيف سبب ميل كتاب القرن الرابع الهجري إلى الإطناب في كتاباتهم ، إلى رغبة الكتاب في إثبات براعتهم ومهارتهم ، و التي لا تتفق و طبيعة موضوعات الرسائل الشخصية المحدودة ، يقول: وغالب الظن أن كتاب الرسائل الشخصية كان لهم كبير الأثر في ذلك ؛ لأن موضوعات رسائلهم عادة ما تكون استمناح أو اعتذار أو تهنئة أو رثاء أو عتاب، وهي موضوعات بطبيعتها محدودة ، فماذا يصنع هذا الكاتب المصنع الذي يريد إثبات تفوقه ومهارته ، هل يقتصر في كتابته على سطورٍ معدودة ؟ إن الاقتصار على هذه الأسطر القليلة لا يمنحه الفرصة لإظهار براعته ، إذن فلا مناص من أن يطيل في كلامه ، ولكن كيف يطيل ومعاني الرسالة محدودة؟ لم يجد طريقًا غير أن يَمد معانيه بكل سبيلٍ ممكن ، و لم ير حرجًا أو مانعًا من أن يلجأ أثناء هذا المط والتطويل إلى ألوان من المبالغة والتهويل ، والاعتداد بتكثير الجمل والعبارات ، حتى ليخيل إلى الواحد وهو يقرأ رسالة لبديع الزمان أو للخوارزمي أنّه يقرأ رسالة كتبت

---

[1] انظر: كتاب الصناعتين ، ص: 190 ،1922.

[2] انظر: المثل السائر ، 278/2.

لـتحفظ لا لتعبـر عـن المعنـى ، فالمعـاني ألقيـت فـي الطريـق ، وإنّمـا الأهميـة فقـط للألفـاظ ومـا تخـرج به من وشيٍ وحلي.[1]

وللإطنـاب أنـواعٌ كثيـرة منهـا الإطنـاب بـالترادف ، والإطنـاب بـالاعتراض ، والإطنـاب بـذكر العـام بعـد الخـاص ، والإطنـاب بـذكر الخـاص بعـد العـام ، والإطنـاب بـالتكرار ، والإطنـاب بالإجمـال بعـد التفصـيل ، والإطنـاب بالتفصـيل بعـد الإجمـال ، والإطنـاب بالتـذييل ..إلـخ.[2] ، لكـن العميـدي أكثـر بصـفة خاصـة فـي كتابتـه مـن نـوعين مـن الأنـواع السـالفة الـذكر حتـى أضـحا سـمة أسـلوبية لـه ، وهمـا الإطناب بالترادف ، والإطناب بالاعتراض .

وفيمـا يلـي عـرض لاسـتخدام العميـدي للإطنـاب بـالترادف والإطنـاب بـالاعتراض اللـذين أكثـر منهما دون غيرهما في رسائله.

1-1-3-3- الإطناب بالترادف:

نجـد فـي لسـان العـرب تعريـف التـرادف فـي مـادة رَدَف يقـول: الـرَّدف مـا يتبـع الشـيء ، فكـل شـيء تبـع آخـر فهـو رَدف ، وإذا شـيءٌ تتـابع خلـف شـيءٍ فهـو التـرادف ، وهكـذا يتـابع فـي عـرض معـاني الترادف علـى نحـو متابعـة شـيء شيئًا آخـر[3] ، وهـو فـي أبسـط تعاريفـه ، تتـابع الجمـل المختلفـة لفظًـا والمتسـاوية معنًـى وراء بعضـها ، وهـو الإطنـاب الـذي تحـدث عنـه ابـن الأثيـر بقولـه : هـو أن يذكر الشيء بمعانٍ متداخلة ، مع اختصاص كل معنى بخصيصة ليست للآخر، كقول أبي تمام:

قطعـــت إلـــى الـــرابيين هباتـــه....و التـــاث مـــأمور الســـحاب المســـبل

مـــن منـــة مشـــهورة وصـــنيعة...بكر وإحســـان أغـــر محجل.[الكامـــل]

فقولـه صـنيعة بكـرٍ ، ومنـة مشـهورةٍ ، وإحسـانٍ أغـر محجـل ، تـداخلت معـانيهم ، إذ الصـنيعة والمنـة

---

[1] انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص: 229.

[2] وللمزيد حول أنواع الإطناب واستخدامات كل نوع منها ينظر: المثل السائر ، 2/278-312 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 1/224-242 ، والبلاغة الواضحة ، ص:247-252 ، و علم المعاني ،عبد العزيز عتيق [-1396هـ] ، دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2009م ، ص: 186-201.

[3] انظر: لسان العرب ، مادة (رَدَفَ) ، 9/114-118.

والإحسان متقاربة من بعضها البعض ، وليس هذا بتكرير؛ لأنه لو اقتصر على قوله صنعة ومنة وإحسان لجاز أن يقال هذا ، لكنه أردفها جميعًا بصفات أخرجتها من ذلك ، فقال صنيعة بكرٍ أي وصفها بالبكارة فلم يأت قبلها مثلها ، ومنة مشهورة أي وصفها بالاشتهار لعظم شأنها ، وإحسان أغر محجل أي ذو محاسن متعددة متفردة ومميزة ، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة الدالة على شيء واحد بهذه الأوصاف المتباينة صار إطنابًا وليس تكريرًا ، ولم أجد أحسن ولا ألطف من هذا الضرب في ضروب الإطناب ، وقد أكثر أبو تمام في استعماله دون بقية الشعراء.[1]

والترادف من الوسائل المهمة التي أسهمت في نماء لغتنا العربية وإثراء معاجمها اللغوية ، وقد صارت هذه الظاهرة اللغوية سمة أسلوبية طغت على كثير من كتابات بلغاء القرن الرابع الهجري ، لميلهم إلى استقصاء أفكارهم ، ورغبتهم في الإسهاب والتدقيق في معانيهم ، فضلًا عمّا يحققه الترادف من إفصاحٍ ووضوحٍ وإبانة للأفكار والمعاني التي يرغبون في إيصالها إلى المتلقين ، وقد ساعدهم في ذلك ، حافظة نادرة وبديهة حاضرة ، وذكاء وقاد ، وإحساس ملتهب باللغة وأبنيتها ومفرداتها ، ووجوه استعمالها المتنوعة ، وهذا دليل على بلاغة هؤلاء الكتاب وبراعتهم ، فقد ساعدهم ما امتلكوه من ثراء معجمي ، على اجتلاب التعابير والمفردات القريبة من تلك المعاني الواسعة التي عنوا بتفريعها وتوليدها.[2]

ويرى أحد الباحثين أن الترادف أو شبه الترادف (Synonym) و يُقصد به تكرار المعنى مع تغير اللفظ ، و كذلك إعادة عنصر معجمي بنفسه من وسائل التكرار المستعملة لسبك النص بين مفرداته معجميًا.[3]

قال القلقشندي : ولا شك أنّ من أكثر من حفظ الألفاظ اللغوية ، وعلم الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، المتقاربة المعاني ، سهل عليه التعبير عن المعاني التي يستعمل فيها الكتّاب

---

[1] انظر: المثل السائر ، 286/2.

[2] انظر: الرسائل الأدبية النثرية ، ص: 433.

[3] انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص: 79 –80 ، 82.

الألفـاظ المتباينــة المختلفـة ، ويســر عليــه التعبيــر عــن مقصــوده ، كمــا هــان عليــه إنشــاء الكــلام وترتيبه.[1]

وقـد كـان العميـدي مـن كتّـاب ديـوان الإنشـاء ويلـزم الملتحـق بهـذا الـديوان أن يكـون صـاحب بـاع واسـع فـي اللغـة ، و أن يكـون عنـده ثـراء عـريض فـي المفـردات والألفـاظ ، واطـلاع كبيـر علـى شـتى علـوم اللغـة فهـو لسـان السـلطان الـذي بـه ينطـق ، ويـده التـي بهـا يكتـب ، ورب كاتـب واحـد بليـغ أصــاب المـراد مـن كتابـه فـأغنى عـن الكتائـب ، وأعمـل قلمـه فكفـى السـلطان مؤنـة إعمـال البـيض القواضـب ، فـلا مريـة مـن أنّ اللغـة رأس مـال الكاتـب ، وكنـز إنفاقـه ، حيـث إن الألفـاظ هـي قوالـب للمعـاني التـي تكتـب وتـدون ، فلـذا احتـاج الكاتـب أن يكـون ذا بـاع طويـل فيهـا ، وذا خطـوة واسـعة ومعرفـة كبيـرة بالتصـرف فـي وجـوه الدلالـة فيهـا ؛ ليقـدر علـى وضـعها فـي مواضـعها اللائقـة ،وعلـى استعمالها فـي محالهـا ، ويجـد السـبيل إلـى التوسـعة فـي العبـارة عـن الصـور والأشـكال القائمـة فـي ذاتـه ، فينفـتح لـه بـاب الأوصـاف فيمـا يريـد وصـفه ، ويتسـع عليـه مجـال النطـق والكـلام ، إذ المعـاني وإن كانـت كامنـة فـي الـذات ، فإنمـا يقـوى علـى إبانتهـا وإبرازهـا مـن تـوفر حظـه مـن الألفـاظ ، و اقتَـدَر على التصرف في وجوهها ؛ ليأمن تكريرها وتداخلها المهجّنين للمعاني.[2]

وقد أسرف العميدي في توظيف الإطناب بالترادف قصد المبالغة في الوصف و إظهار ثرائه المعجمي الوفير إلى جانب الحيز الكبير لديه لعواطفه ومشاعره مما كان يدفعه دفعًا إلى البسط و الإطالة ، حتى أضحى الإطناب بالترادف سمة أسلوبية له.

والإطناب بالترادف في ترسل العميدي على ضربين إمّا الإطناب بترادف الكلمات أو بترادف الجمل ، فمن الأول ما جاء في وصفه طريق رحلة العودة من عند الوزير القشوري ، يقول: " فأما حديث المسافة التي سلكتها بعد مفارقتي حضرته – آنسها الله – إلى هذه الناحية، فلقد كانت–يعلم الله– شاقة وعرة، خشنة صعبة، لم أركب كل يوم إلا بعد توبةٍ واستغفار، ولم أسر طول طريقي إلا على شفيرٍ هار ، ولم أصحَبْ إلا شياطينَ

---

[1] انظر: صبح الأعشى ، 199/1.

[2] انظر : السابق ، 98/1 ، 185 ، وللمزيد حول الشروط العلمية القوية الواجب توافرها في متولي ديوان الإنشاء ، انظر : صبح الأعشى ، 181/1–186 ، 204–346.

الإنس، ولم أحطّ رجلي كلَّ ليلةٍ إلا في مثل الحبْس." [1] ونلاحظ الترادف ما بين (شاقة – وعرة) (خشنة– صعبة) (توبة– استغفار) كل هذا من باب الإطناب بترادف الكلمات قصد المبالغة في الوصف ، إلى جانب تأثير العاطفة في ترسل العميدي والتي تدفعه دائمًا إلى البسط والإطناب لوصف مختلف الأحداث التي شاركته فيها عواطفه في مقابلتها.

ومن شواهد الإطناب بترادف الكلمات والجمل معًا ما جاء في رسالته إلى سنيّ الدولة وقد كلفه أن يميز بين كاتبين ، يقول : " ولم يقنع بهذه الحالة حتى حَلف أنْ يُهاجرني ولا يُعاشرني، ويُفارقني ولا يُصادقني، وقاسَمَني أن غرضَهُ فيما سأل عنه معرفةُ ما عندي فقط لينصرف على حكم ما أعتقده، ويعتمد الصواب الذي أعتمده، وأكرهني أن أشرحَ له مقدار صناعتهما، ومبلغ بضاعتهما، غير متجانف لإثم، ولا حائف في حُكم، ولا مائل إلى واحد منهما لعصبيةٍ أو سوءِ نيّة، وأن أحكم بينهما بالسَّويّة، وأعدِلَ في القضيّة وأُجانب جانب التحامل والتعنّت وأتسنّمَ غارب التأني والتثبت، ولا أجاوز طريقة الوساطة في الحكم، ولا أحاول محاباة الخَصْم، وأنْ أُقرّر الذي أذكره من حالهما بحيث إذا اتضح عنه المتميز شَهِدَ بحقيقته، وإذا اتضح سجَّل القاضي على ثبوته عنده وصحته، لئلا أحتاج عند الاختبار موقف الاعتذار ، وأعجز عند الامتحان من إقامة البرهان، أو ألزمَ هُجنة المتزيد في الكلام، أو أُعرّض عرضي للملام ، ووالله يمينًا، لا يمينُ في هذا اليمين إلا كافر ما وضعته حرّة ، ولا ربعته نفسٌ حُرّة ، لقد كلّفني شططًا ، وسامني خططًا ، وأذاقني مضضًا ، ونصبني لسهام السّفهاءِ غَرَضًا، وجشَّمني ما إن صدقت فيه اجتلبتُ ذمًّا و ذامًّا، واكتسبت إثمًا وأثامًا، وحَكّمني فيما إن أنصفتُ في ذكرِهِ غَرستُ ما لا يثمر غيرَ العَداوة والبغضاء، وأسستُ ما لا يفيد غير الحقد والشحناء، ولقد تمنّيتُ، وحَياتِهِ قسماً، لو كُلِّف فصل هذه الحكومة غيري: مَن حماه أحمى من جبهة الأسد، ووجهه أصلب من ظهر الجدّد ، وحسامه أمضى من القدر المتاح " [2] فترادف الكلمات ما بين (يهاجرني –لا يعاشرني) (يفارقني– لا يصادقني) (العدواة– البغضاء) (الحقد –الشحناء) وترادف الجمل ما بين (لينصرف على حكم ما أعتقده– ويعتمد الصواب الذي أعتمده) (غير متجانف لإثم– ولا حائف في حُكم– ولا مائل إلى واحد منهما لعصبيةٍ أو سوءِ نيّة–وأن أحكم بينهما بالسَّويّة، وأعدِلَ في القضيّة وأُجانب جانب التحامل والتعنّت– وأتسنّمَ غارب التأني والتثبت– ولا أجاوز طريقة الوساطة في الحكم– ولا أحاول محاباة الخَصْم– وأنْ أُقرّر الذي أذكره من حالهما بحيث إذا اتضح عنه المتميز شَهِدَ بحقيقته– وإذا اتضح سجل القاضي على ثبوته عنده وصحته) كلها بنفس

[1] رسائل العميدي ، ص: 30–31.

[2] السابق ، ص: 159–160.

المعنى ، (لقد كلّفني شططًا – وسامني خططًا – وأذاقني مضضًا – ونصبني لسهام السّفهاءِ غَرَضًا– وجشّمني ما إن صدقت فيه اجتلبتُ ذمًّا و ذامًّا– واكتسبت إثمًا وأثامًا) كلها إطناب بالترادف ، فهذا التكثيف للإطناب بترادف الكلمات والجمل هدفه المبالغة في الوصف ، وتأكيد الكلام ، وإظهار الثراء المعجمي لدى الكاتب ، إلى جانب تأثير الحيز العاطفي لديه الذي يدفعه دائمًا إلى الإسهاب والبسط.

ومن شواهد الإطناب بترادف الجمل أيضًا ما جاء في تملقه للوزير أبي الفرج القشوري ، يقول: " فإن ظلمت نفسي، وركبتُ رأسي ، وانحرفت عن طريق التجارب وأغضيتُ عن النظر في العواقب، واقتعدتُ مطايا الخطر، واستُهدفتُ لسهام القدر و وطنتُ نفسي على التلف العاجل، والتغرير بما معي من الحاصل، وقلتُ بقول الوليد :

اطلبا ثالثًا سوايَ فإنّي..... رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ[الخفيف]

بعدتُ عن من لم تبعد عني أبكار فواضله، وأخللتُ بحضرة مَن لم أخل بوفره ونائله، وفارقتُ مَن لم يزل قلبي بين يديه، وباينتُ مَن لم تزل همّتي مقصورةً عليه . " [1] فالشاهد يزخر بالجمل المترادفة في المعنى المتتابعة ، بقصد المبالغة في تملق سيده الذي إن بعد عنه ركب مطايا الخطر ، وجعل نفسه هدفًا لسهام القدر وعرض نفسه للتلف العاجل ، فقد بعد عمّن لم تبعد عنه أفضاله ، ومن لم يزل قلبه بين يديه ، وهمته مقصورة عليه ، إلى جانب حرصه على إظهار براعته وحذقه وثراء معجمه اللغوي من الكلمات المترادفة ، وسعيه الحثيث إلى تدقيق الوصف.[2]

هذا الثراء المعجمي من المفردات والألفاظ المترادفة القريبة والغريبة يمكن أن نتبين ملامحها في المثالين الآتيين ، المثال الأول استفتاح رسالته إلى أبي الفرج القشوري يصف له رحلته إليه ، يقول : "كتابي – أطال الله بقاءَ مَوْلايَ الشيخ – من تَدْمُر ظهيرة يوم الاثنين ساعة وصولي إليها والصَّيْف قد شبّ ضِرامَه، والحرّ قد

---

[1] السابق ، ص: 35.

[2] وللمزيد من شواهد الإطناب بترادف الكلمات في رسائل العميدي ، انظر رسائل العميدي ، ص: : 46 ، 52 ، 53 ، 55 ، 175 ، 217 . وللمزيد من شواهد الإطناب بترادف الجمل الذي لا تكاد تخلو منه رسالة من رسائله ، انظر ، ص: 6 ، 7 ، 8 ، 13 ، 23 ، 32 ، 39 ، 41 ، 42 ، 49 ، 51 ، 52 ، 57 ، 76 ، 119 ،133 ، 134 ، 136 ، 137 –138 ، 141 ، 153 ، 156 ، 165 ، 174 ، 175 ، 177 ، 183 ، 191، 201 ، 208 ، 211 ، 216 ، 220 ، 235 ، 235 ، 245 ، 251 ، 253 ، 256 ، 258 ، 261 ، 262 ، 267 ، 270 ، 272 ، 273 ، 275 ، 278 ، 284 ، 285 ، 298 ، 310 ، 319 ، 405.

نشر أعلامه والسموم تركت النَّباتَ هشيمًا، والفلاة جحيمًا، وأورتِ الحرّ نارًا، وأقلقت الضبّ أوارًا وعطت جلد الحرباء، وسجرت حصى المعزاء، وأثارت النعام من أداحيها نافرة، وأخرجت الظباء من كُنُسها حائرة، وقشعت الوقائع فلا يُرى فيها أثرُ الماء، وأكمدت الجنادب فلا تصرّ إلا بالعشاء، فالأصيل من احتدام الجو هجير و المقيلُ سعير، والسائرُ جَرِضَ بِرِيقه، والمسافرُ غُمّ عن طريقه ، والأرضُ من استعار الشمس تتوقد وهجًا ، والحرور تلفح الوجوه فتحيلُ الرُّومَ زَنجًا . " [1]

وكذلك في رسالته إلى الشريف القاضي محمد الموسوي – حيث يكثف دائمًا المترادفات و الألفاظ الفخمة والغريبة في حديثه إلى كبار رجال عصره ، رغبة منه في إظهار مقدرته البلاغية و معجمه الثري ، حتى إن القارئ لرسائله في كثير من فقراتها ليجد نفسه في حاجة إلى أن يمكث المعجم بجواره طويلًا ، وهذا دليل آخر على أهمية هذه الرسائل وما تحمله بين طياتها من ثراء لغوي واسع – يقول في وصف رحلة العودة من عنده– : " فأما حديث المسافة التي سلكتها بعد مفارقتي حضرته – آنسها الله – إلى هذه الناحية، فلقد كانت، يعلم الله، شاقة وعرة، خشنة صعبة، لم أركب كل يوم إلا بعد توبة واستغفار، ولم أسر طول طريقي إلا على شفير هار، ولم أصحب إلا شياطين الإنس، ولم أحطّ رجلي كلّ ليلة إلا في مثل الحبْس، حشيتي في المنازل شوك القتاد ، وذَريرتي دقاق السماد ، ومائي الطَّرْقُ الكَدِر، ونُدمائي البغال والبقر، كأنما أرقى في السَّماء وأنا مصعِّد ، أو تخسف فيّ الأرضُ وأنا مُصَوِّب ، أو يغرقُني طوفان نوح واليوم ماطر، أو تصرَعُني ريحُ عاد والنَّقْعُ ثائر، فمرّةً أركب وأنا على خطر عظيم، وتارةً أرتجل وأعثر في صراطٍ غير مستقيم، إلى أن تفضّل الله سبحانه عليّ بكشفِ ما كنت ابتُليتُ به ودفعه، وإجرائي على ما عودنيه سالفًا و آنفًا عن جميل صُنعِه، وأوصلني إلى هذه الديار بأدنى رمق، وانجابَ عني ما تداخلني من فَزَعٍ وفَرَق. " [2]

---

[1] السابق ، ص: 32–33.

[2] السابق ، ص: 30–31 ، وللمزيد من الشواهد التي توضح الثراء المعجمي للعميدي ، انظر رسائله ، ص: 13 ، 14 ، 15 ، 26 ، 33 ، 42 ، 49 ، 54 ، 55 ، 60 ، 62 ، 64 ، 69 ، 77 ، 79 ، 85 ، 87 ، 89 ، 90 ، 216 ، 217 ، 267–283 ، 284 –300 ، 308–320.

2-1-3-3- الإطناب بالاعتراض :

عَرَض الشيء أو الأمر يَعرض واعتَرض: منع وانتصب وصار عارضًا مثل الخشبة المنتصبة في الطريق أو النهر ونحوهما تمنع السالكين من سلوكها ، وتقول : اعترض الشيء دون الشيء إذا حال دونه ، والعَارِض : ما يعترض أفق السماء من سحاب[1] ، واصطلاحًا : مجيء جملة أو أكثر ليس لها محل من الإعراب في أثناء الكلام ، أو ما بين كلامين متصلين ، لنكتة كالتعظيم والتنزيه ، أو الدعاء ، أو التنبيه ، فشاهد الأول قوله -عز وجل- : " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون" [النحل/57] ، فالاعتراض جاء في لفظ (سبحانه) للتنزيه والتعظيم ، وشاهد الثاني ، قول المتنبي يمتدح كافور الإخشيدي:

وتحتقر الدنيا احتقار مُجرّبٍ.....يرى كلّ ما فيها -وحاشاك- فانيًا [الطويل]

فالاعتراض جاء بلفظ (حاشاك) للدعاء والاحتراس ، وشاهد الثالث قول الشاعر:

واعلم -فعلم المرء ينفعه-........أن سوف يأتي كلُّ ما قُدِر [الكامل][2]

وفي وجه فائدة استعمال الاعتراض يقول القزويني : ووجه الحسن في الاعتراض مطلقًا : هو حسن الفائدة مع خروجه مخرج ما لا يُعول عليه في الفائدة ، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تتوقعها[3] ، كما قد يأتي لزيادة التأكيد والتنبيه والاحتراس والاستعطاف والتهويل.[4]

فمن تلك الملامح الأسلوبية الجديدة التي طغت في الكتابة في القرن الرابع الهجري الإفاضة في بسط الأفكار وعرضها ، والإطناب في إيراد المعاني وتشقيقها ، وقد تجلى الإطناب في جنوح كثير من كتاب هذا العصر إلى الترادف وذلك لإشباع المعنى ، والإحاطة به من كل جانب ، وإيضاحه وتفصيله ، فضلًا عن التكرار وما يحققه من جلاء المعنى ووضوحه وتأكيده ، ومن

---

[1] انظر : لسان العرب ، مادة (عَرَضَ) ، 7/ 168 ، 174.

[2] انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، ص:158-160 ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 227/1.

[3] انظر: الإيضاح ، ص: 160.

[4] انظر: جواهر البلاغة ، ص: 204-205.

مظـاهره الأخـرى التــي تجلـى فيهـا كثـرة الاعتـراض ومـا نجـم عنـه مـن طـول الفواصـل فــي رسـائلهم بـين المتلازمات بالجمل الطويلة الاعتراضية.[1]

وقـد أكثـر العميـدي مـن الإطنــاب بــالاعتراض فــي رسـائله بصــورة ملفتــة للنظــر وهــو يسـتخدم الاعتــراض إمّــا لتوضــيح شــيء مــا ، أو للاحتــراس مــن الوقــوع فــي خطــأ ، أو للتنزيــه والتعظــيم كالصــلاة علــى النبــي –صــلى الله عليــه وسـلم– وتمجيـد رب العـزة –جـل وعـلا– ودعائـه للخليفـة أو لكبار رجال الدولة أو لأصدقائه وهو غالب استخدامه له.

ومن شواهد الإطناب للدعاء –وهو لا تخلو منه رسالة ، كما يكثر في رسائله إلى كبار رجال عصره–ما جاء في استفتاح رسالته إلى الوزير القشوري ، يقول : " ركبتُ – أدام الله تعالى بقاء الشيخ، وأدام الله أيامه ، وأسبغ عليه إنعامه – مبكرًا على أني أقصد حضرته، فأتشرف بها ، وأستوفي أقسام السَّعادة بقربها... ." [2]

وقد يكون الدعاء بالتعوذ وشاهده ما جاء في رسالته في وعيد حسان بن جراح ومن معه ، يقول :" فإن – والعياذ بالله – أخلفوك ظنَّ أمير المؤمنينَ فيهم، وقابلوا نعمه مع جلالة أخطارها ونفاسة أقدارها عندهم بما يفضَحُهم ويُخزيهم، فلا مطمعَ إذًا لأحد في اصطناعهم..." [3] ،

---

[1] انظر: الرسائل الأدبية النثرية ، ص: 353-354.

[2] رسائل العميدي ، ص: 13 ، وللمزيد من الشواهد حول انتشار الإطناب بالاعتراض للدعاء في رسائل العميدي بصورة ملفتة للنظر ، انظر رسائل العميدي ، ص: 5 ،8، 12، 15، 16 ، 17، 18 ، 19 ، 21 ، 23 ، 25 ، 28 ، 30 ، 32 ، 37 ، 38 ، 41 ، 44 ، 45 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 54 ، 56 ، 57 ، 58 ، (59 إلى 65) حوالي 17 إطناب بالاعتراض للدعاء في رسالة واحدة ، 66 ، 68، 70 ، 72 ، 73 ، 75 ، 76 ، 78 ، 79 ، 82 ، 83 ، 84 ، 86 ، 87 ، 89 ، 90 ، 92 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 132 ، 134 ،(136 إلى 139) خمس مرات ،141 ، 142 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148.

[3] السابق ، ص: 296.

وقد يأتي الإطناب بالاعتراض للتنزيه كما في قوله : " كأنهم لم يسمعوا قول الله: (فَأَمَلَيْت لِلْكَفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)[الحج/٤٤] ، ولم يتلوا كلامه –سبحانه–وَكَأين مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيّ الْمَصِيرُ) [الحج/٤٨]. " [1]

وقد يأتي الإطناب بالاعتراض للتفسير أو للقسم أو للتوضيح من خلال جملة اعتراضية نحو قوله : " عسى يا ابن مرداس حدثتك نفسك – لما امتدَّ إهمالكَ وإمهالك، وتشعبتْ أحوالك وأعمالُك، وطال إعراضُ أمير المؤمنين عن مُعاجَلتِك بالعذاب الأليم، ومقابلتك بما تستحقه من التعنيف والتقويم، ومطالبتك بما جنته يداك من العظائم التي لا يَحِلُّ لمؤمن أن يُمضيَ بها ويُغمِض ، ولا يَسُوغُ لمؤمنٍ أن يترك جهاده عليها ويرفض، ومحاسبتك بما جمعته في حصونه من أمواله، ومعاقبتك على ما سفكته من دماء رجاله – أنك من المنظرين، أو أَمِن سوءِ عاقبة صباح المُنذَرين." [2] فما بين الشرطتين جملة اعتراض لتوضيح الأمر لصالح بن مرداس ليقف على سبب إمهال الخليفة الفاطمي له الذي لم يكن إمهاله عن عجز وضعف عن معاجلته بالعقوبة لما اقترفته يداه من آثام ، وإنما منعه عنه حلمه و أَنَاتُه ، وقد يصل بالجملة الاعتراضية لتستغرق صفحتين من رسائله مما يدل على ميله الشديد إلى الإطناب والبسط[3] ، وهو يكثر من الاعتراض بجملتي يشهد الله [4]، ويعلم الله[5].

---

[1] السابق ، ص: 269 ، وللمزيد من شواهد الإطناب بالاعتراض للتنزيه ، انظر رسائل العميدي ، ص: 30 ، 51 ، 78 ، 118 ، 122 ، 269 ، 285 ، 288 ، 290 ، 312 ، 315 ، 340 ، 359 ، 365 ، 390.

[2] السابق ، ص: 294.

[3] انظر السابق ، ص: 414–415 ، و للمزيد من شواهد الإطناب بالاعتراض بالجمة الاعتراضية للتوضيح أو التفسير أو القسم ، انظر السابق ، ص: 81 ، 185 ، 159 ، 280 ، 376 ، 379 ، 427.

[4] انظر السابق ، ص: 160، 210، 251، 380.

[5] انظر السابق ، ص: 91 ، 212 .

2-3-3- أسلوب النغمة المتصاعدة :

من يطلع على رسائل العميدي يحس بهذه النغمة الملحمية المتصاعدة في تَرَسّله ، منبثقة من عاطفته القوية وحماسته في طرح قضيته ، حتى إن جمله كلها لتأخذ بعضها برقاب بعض ، فتتصاعد شدة وقوة ، في وتيرة متعالية ، تكون كل جملة فيها أشد من سابقتها حماسةً وقوةً و عاطفةً وشعورًا ، وهذا أمر شائع في جلّ رسائله.

يقول د.محمد كامل متحدثًا عن سمات الفاطميين في ترسلهم : وخصلة ثالثة نراها في ترسلهم ، وهي مبالغتهم في الزينة المعنوية واللفظية ، فهم يُغرقون في المبالغة عندما يحاولون تشخيص المعاني ، فإذا بك تجد كتاباتهم تتألف في الغالب من جملٍ قصيرة ، والجملة تتبع الأخرى وزنًا وإيقاعًا ، وينتقل بك الكاتب من معنى لآخر في عذوبة ورقة ، مما يدل على مهارته وفطنته ، كما يدل على استهواء الصنعة الفنية عند هؤلاء الكتّاب.[1]

وهذا الأسلوب النغمي المتصاعد هو نفس ما لاحظه أيضًا شبتسر في أسلوب ديدرو الأدبي ، فبعدما تحدى الأخير أن يستطيع أي أحد أن يحلل رموزه و أسلوبه ، قبل شبتسر التحدي وحلّ رموزه من خلال سمة أسلوبية أصيلة لاحظها في أسلوب ديدرو ، وهي التزامه في كلامه النموذج النغمي الحركي المتصاعد ، فقد لاحظ في كلامه نغمة إيقاعية متصاعدة تنبع من ذات تحاول تأكيد نفسها في كل جملة ، متكئة على شحنة انفعالية قوية يوشك أن تكتسح كل الحدود ، فأسلوب ديدرو لم يُلطفه الأدب ، وإنما أطلق العنان لداخله كي يشحن أسلوبه حركة وانفعالًا.[2]

وهذه النغمة الانفعالية التصاعدية مسيطرة على جلِّ رسائله مما يجعلها سمة أسلوبية وعلامة على أسلوبه ، ولعل إحساسه بالظلم وإدبار الدولة العلية عنه في آخر أيامه وما نتج عنه من قطع راتبه عنه لخمس سنين ، إلى جانب الجو المشحون بالحروب والقتل والدماء بسبب المعارك التي خاضتها الدولة الفاطمية ضد الخارجين عليها والتي لم تتوقف منذ نشأتها وحتى نهايتها ، إلى

---

[1] انظر: في أدب مصر الفاطمية ، ص:321-323.

[2] انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي ، ص: 111-112.

جانب الاستعداد الداخلي فقد كاتبًا قوي الحس ، شديد الانفعال ، عاطفي المزاج – كان مؤججًا لهذه النغمة الملحمية المتصاعدة في رسائله.[1]

---

[1] هناك بعض رسائل للعميدي ، وجد الباحث فيها خروجًا عن أسلوبه الإيقاعي العام في جل رسائله، واضطرابًا في تكوينها ، وابتعادًا عن هديه وطريقته فجاء فيها هجاء وسب لرجال من كبار الدولة –وهو في الأساس من رجال الدولة الفاطمية المُبرزين– كالوزير شمس الملك ، والحكام عمومًا وبعض الأمراء وفي إحداها سب للمصريين ، انظر: ص:95 ، 439، 198، 434. ، كما جاءت رسائل مضطربة التكوين والتأليف على غير عادته تصفه بالمجون و مرافقة الغلمان ، انظر ص:83، 106–108 ، 119، 420 وهو مخالف لشهادة القفطي[–646هـ] له في إنباه الرواة على أنباه النحاة حين قال في ترجمة العميدي : كان فاضلًا مصنفًا ،46/3–47 ، ومخالف أيضًا لذمه هو نفسه بعض معاصريه بوصفهم بإتيان هذا الفعل ، انظر على سبيل المثال رسائل العميدي ، ص: 153 ، 178 ، 399 ، 417–418 ، وإن كان التغزل قد تطور في هذا العصر إلى التغزل بالجواري والغلمان فإن ما جاء في الرسالتان كان فيه مبالغة مسرفة غير معهودة عنه بالإضافة إلى سقوط عنوان الرسالة الأخيرة فيهن وكثرة الاستشهاد لآيات القرآن والاقتباس لها فيهن على غير عادته ، حتى إن الحديث الوحيد الذي استشهد به في رسائله كان في رسالة في الغلاميات ، ص: 109 ، ولا يخفى عدم مناسبة هذه الأغراض للاستشهاد الديني – انظر: أخبار مصر في سنتين [414–415هـ] ، للمسبحي ، تحقيق حسين نصار ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1984م ، ص:17 ، و هذه الرسائل جميعًا تخرج عن أسلوبه و الموافق لما جاء في مقدمة كتابه الوحيد المطبوع الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى ، فجاءت متكلفة السجع ، انظر: آخر ص: 114 ، 129 ، وأول ص: 186 ، 397 ، وقد يخرج فيهن عن السجع تمامًا على غير سجيته في كل رسائله انظر: ص:411 ، وآخر 394. بإيقاع هادئ جدًا انظر : ص: 145 ، 184 ،191 ، 243، 397 و أحيانًا سريع جدًا على غير عادته أيضًا انظر: ص: 93 ، 111، 129 ، 362 ، كما خلت بعضها من مقدمة في أولها كأنها خرجت مبتسرة أو غير كاملة انظر ص: 93 ، 124 198، إلى جانب الأخطاء اللغوية فيها وركاكة الألفاظ غير المعهودة عنه انظر : ص:198، 346–347 ، 391، والتكرار للتراكيب المبالغ فيه ، انظر تكرار تركيب كم الخبرية مع المبتدأ أكثر من 22 مرة في صفحتين فقط وهو شاهد أيضًا على الإيقاع المتسارع في بعض هذه الرسائل والتزامه الجمل القصيرة المتتابعة على غير عادته من التنويع بينها وبين الجمل المتوسطة ، ص: 112–113، وفيها يحلف بأيمان لم يستخدمها من قبل انظر: ص95 ، 187 ، 413، أو يكثر من الحلف بالله على غير عادته انظر: 105–110 ، وهي رسالة لأمردٍ يتعطفه وأورد في هذه الرسالة الحديث الوحيد له الذي استشهد به في كل رسائله! انظر ص: 109 ، وفي إحداها يذكر العميدي اسمه فيها مرتين ولم يحدث=

فالأسلوب الأدبي يتركب من ثلاث عناصر : الصور والعبارات والأفكار ، إلى جانب عنصر خطير، و هو العنصر الباعث والدافع إلى القول وروحه ، وهو عنصر العاطفة ، ولأهمية هذا العنصر فقد وظف الخيال ليكون لغته ولسانه ووسيلة تصويره وبثه في روع القارئين ، فالعاطفة في

=هذا في أي رسالة له ، انظر ، ص:392 ، كأنّما أُرِيد تأكيد إلصاق هذه الرسائل للعميدي، ومنها رسالته الخامسة والتسعون والمعنونة بأنها رسالة لأبي الطاهر النهركي ، وليس فيها أي إشارة له أو أي علاقته به ، لا في مقدمة ولا خاتمة ، وهي من أولها لآخرها في تحسره على إدبار الدنيا عنه ، وليس فيها إشارة فيها لتوجيه الرسالة لأي شخص ، وفي الرسالة العشرين خطأ تاريخي إذ يشتكي من سعاية موسى بن الحسن متولي الشرطة السفلى ، في معرض هجائه للوزير شمس الملك مسعود بن طاهر ، ومسعود بن طاهر هذا لما يصبح وزيرًا إلّا بعد قتل موسى بن الحسن –الذي أسند الحاكم بأمر الله الوزارة إليه عام 412هـ– وقد تولى شمس الملك الوزارة بدلًا عنه ، فكيف اجتمع الحديث معهما مع تحقق تولي شمس الملك الوزراة بعد مقتل موسى بن الحسن ، إلى جانب اضطراب الرسالة ففي أولها يبالغ في الذم إلى أقصى غايته ثم بعد صفحتين من المقدمة يبالغ في التملق والاعتذار ثم يعود مرة ثانية إلى الهجاء والذم في آخر الرسالة !! انظر رسائل العميدي ، ص: 93 –101 ، وإتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، للمقريزي، 128/2–129 ، 132 ، وأرقام هذه الرسائل الخارجة عن أسلوب العميدي العام على الترتيب :17، 20 ، 22 ، 23 ، 27 ، 31 ، 38 ،39، 40 ، 49 ، 54 ، 67 ،73 ، 83 ، 85 ، 89 ،91، 95 ،97 ، وقد استشرت في هذا القرن ظاهرة الانتحال أو الوضع الفني ، وتزوير الرقع والمكاتبات والتوقيعات ، حتى إن بعض الكتّاب لم يتورّعوا عن الإغارة على كلام بلغاء الأدباء وأعلام الكتّاب ، كالقصة المشهورة عن سرقة بعض رسائل الصاحب بن عباد[–385هـ] : حين وقع على الرسالة التي أرسلت إليه– وجلّها مسروقة منه – بقوله: "هذه بضاعتنا ردت إلينا" ، وقد تعددت الأسباب الدافعة إلى تفشي هذه الظاهرة في هذا القرن ، ومنها تصاعد حدة الصراع المذهبي والسياسي ، والخصومات الشخصية بين بعض الأدباء والكتّاب ، والعامل الاقتصادي الذي ألجأ بعض الكتّاب والورّاقين إلى انتحال بعض الرسائل و التوقيعات و تزوير الخطوط مقابل رِشوة يأخذونها تحقق المنفعة المادية لهم ، انظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري ، ص:80–94 ، ويتيمة الدهر ، 234/3 ، وللمزيد حول هذه المسألة انظر: في الأسلوبية التعبيرية (دراسة تحليلية في رسائل الصاحب بن عبّاد) ، د.زين الدين الشيخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية –مصر ،د.ط ، 2019م ، ص: 74–76 ، 103–109 ، وانظر أيضًا : خوفه من تدليس حاسيده عليه كلامًا لم يقله ، رسائل العميدي ، ص 227 ، وحسد أقرانه له ، ص: 227 ، 382–383.

الــنص الأدبــي عنصــر أســلوبي يُستَشــف دون أن يُشــرح ، أو يُعــرض عرضًــا صــريحًا مباشــرًا ، فــإذا أراد كاتب تحليل عاطفة ودرسها ، وتبين مبعثها ودوافعها وآثارها ، كان كاتبًا عالمًا.[1]

و هذه النغمة الملحمية نلاحظها في كل أغراض رسائله فتأتي في تعزية صديق له من كبار رجال الدولة في وفاة والده ، وهو أبو الحسن علي بن الحسن ، فيقول : " كتابي – أطال الله بقاء سَيّدي الشيخ – من جبل شهريار لخمس خلون من صفر ، وقد سُدَّ عليّ باب الصبر وطريقه، وحملني الدَّهْر على ما لا أُطيقه، وغادرني فغادر منازل أُنسي عواطل ورماني بسهم فلم يخطِ مني المَقاتل، وأسمعني من صوت المفاجئ ما أورثني صَمَمًا، وأراني من الخطب الفظيع ما أبكاني دمًا، وأدمى بوفاة الشيخ – تجاوز الله عنه – جرحًا لا تلتحم فطوره، وأمات بموته قلبًا لا يُرجى نشورُه، فيا لها من مُصيبةٍ عَمّت وخَصّت وكدّرت عليّ الجيرةَ وأغصت وفتحت للأحزان بابا ، وصارت بيني وبين السلوانِ حجابًا، وسلبت من كان لله حِصنًا ومعتمدًا، ونكأت كلوما لا تأسلوها يد الزمان أبدًا " [2] فكل جملة تأخذ برقاب الجملة السابقة عليها وترتفع بها في وتيرة ملحمية متصاعدة ، تنبئ عن هذه العاطفة المتّقدة بداخله ، الدافعة له لسلوك هذا المسلك الأسلوبي.

و يظهر هذا الأسلوب أيضًا في مدحه وتملقه ، كما جاء في مدحه لوزير –لم يُذكر اسمه– بعدما أمر بإطلاق جاريه ، يقول : " لو جاز أن تكون– أطال الله بقاءَ مَوْلايَ الوَزير الأجل – في الدُّنيا نعمةٌ واحدة تكون لأسباب الغنى والمنى قائدة، وفي صحائف المحامد والمكارم باقيةً خالدة، وعلى جلال قَدْرِ مُعطيها ومُوليها شاهدة، لكانت هذه النّعمةُ الواحدة التي أنعم بها آنفًا على عَبْدِهِ إذ أحيا آماله بها وكانت مواتًا ، وجمع أحواله وكانت أشتاتًا، وأسقاه بعد الظُّما القامح ماءً فُراتًا، وأغناه حتى طلق أم الإفلاس ثلاثًا بتاتًا، وعلَّم الناس كيف يُقْنَص الإنسان، بغرائب الإحسان، وتُقرَعُ مناكبُ الجلال باصطناع الرّجال، وتُنطَق ألسنة الأمم بأبكار النعم، وتُجمع محاسن الأيام ببدائع الإنعام، فهل يجحَدُ بهذه الفضائل التي هي أوضح من سَنَاءِ القمرَيْنِ إشراقًا، وأوسع من سَعَة الخافقين آفاقًا، إلا من لم تقم عنه حُرَّة، ولم يكن له نفس مرة، ولم يضرب أصله بعرقٍ كريم ، ولم ينتمِ إلى شرفٍ أصيلٍ قديم؟ " [3]

---

[1] انظر : الأسلوب ، لأحمد الشايب ، ص:52-53.

[2] رسائل العميدي ، ص: 23.

[3] السابق ، ص: 245-246.

وهذا الأسلوب أقوى ما يكون وضوحًا و ظهورًا في هجائه وذمه ، حيث يقدح الهجاء زند عواطفه فتنطلق هذه النغمة الملحمية المتصاعدة آكلة الأخضر واليابس ، كما جاء في رده على رسالة أرسلت إليه من شخص يريد إحداث الوقيعة بينه وبين صديق له ، يقول " هذيان محموم، وعقل مُبَرسَم، وكلام مكلوم، وحكمة حالم وخديعة ووقيعةٌ ونميمة ممزوجة بجنونك المتقادم، فلم أتأمل – يشهَدُ الله – منها فصلاً، إلّا عدمتُ فيها فضلاً، ولا أقرأ منها سطرًا، إلّا استَقْصَيتُ من عُمري شطرًا، ولم أتبيَّن منها حرفًا، إلّا قلتُ: سكَتَ ألفًا وتكلَّم خَلْفًا ، ولم أتصفح منها بعضًا، إلّا شاهدتُ فيه جنونًا محضًا، ولم أنشُرْ منها ورقة، إلا انحطَطت من عيني طبقة، ولا ميزتُ منها منزلة، إلا وجدتُ فيها مزبلة حتى ختمت قراءتها، وكأنما خُتِم عمري بالكبائر، وطويتُها وقد طُويَت دونِي أبواب الفواقر ونبذتها وراءَ ظَهْري، ولولا اشتعال غَيْظي لارتعدت فرائصي بَرْدًا، وألقيتُها من يدي وما خُلِفْتُ يومَ قراءتها جَلْدًا." [1]

1-2-3-3-عاطفة العميدي المتَّقدة :

هذه العاطفة الملتهبة المحركة لوجدان العميدي نتلمس آثارها في بعض نصوصه ، منها ما جاء في عتابه للشيخ عماد الدولة على إثر جفوة وقعت بينهما ، وهو يذكره بأسفارهما التي قضوها مع بعضهما ، يقول : " وأعاتب الشيخ – أدام الله عزّه– على ما يتكدّر لي من صفائه، ويتغيّر لي أحيانًا من حميد وفائه، وأطالبه بما يحرمُنِيه من احتفائه واقتفائه، وأغار على أُبُوّته إذ لم يخصني من بين جميع أصدقائه بفضل إيجاب ورعاية، وآنفُ لمروّته إذ لم يؤثرني من بينهم بمزيد أثرة وعناية، وأحثّه على اختصاصي بتفضّل مفرد يحلو ثمره ، وتَعصُّبٍ مجرد يبدو عليّ أثره، خصوصًا وقد جمعتنا أسبابُ الغُربةِ التي هي عند الكرام كالأرحام، ونَظَمتنا أبواب الخدمة على سالف الأيام، وتأكدت بيننا معارفُ هي عند أهل الفضل ذمّةٌ تقتضي أنْ تُصانَ ولا تُبذل، ويَلزَمُ أَنْ تُنصَرَ ولا تُخذَل، صانَهُ الله عن مكائد أعدائه، وأمده بالنصر في جميع مقاصده وأنحائه ، بجوده ومجده "[2].

---

[1] السابق ، ص: 380 ، وللمزيد من شواهد هذه النغمة المتصاعدة في رسائل العميدي ، انظر رسائل العميدي ، ص: 28 ، 57 ، 68 ، 76 ، 119 ، 127 ، 132 ، 153 ، 202 ، 207 ، 230 ، 259 ، 274 ، 275 ، 310 ، 318 ، 350 ، 372 ، 374.

[2] السابق ، ص: 224-225.

وفي شكايته غدر الأصدقاء له و أثر ذلك عليه ، يقول : " وأنا الآنَ بحيث لا أكتب رقعةً إلا في شكاية دهر، ولا أنظم بيتًا إلا في مداعبة حُرّ ، ولا أرفع قلمًا إلا وبناني تَعثُر وترتعش، ولا أُنشئ حرفًا إلا وطبعي ينفرُ ويستوحش، وجفوة الإخوان قد أصْدَتْ قريحتي بعد صقالها، واستحالتهم من العهد أحالت فطنتي عن حال اعتدالها، ومع هذه الأسباب الصعبة فقد أكرَهتُ نفسي على الانتقال عن طبعها، وكلفتها ما ليس في وُسعها، وأملَلتُ نسخةً ابنةَ يومها، وعقيلةَ قومها، ومنعتني العجلة عن تهذيبها وتثقيفها . " [1] ، فقريحته قد صدأت بعد ثقالها ، ويده ترتعش كلما هم أن يكتب أو يُنشئ حرفًا ، كل هذه بسبب تلون أصدقائه ونفاقهم ، وغدرهم به.

[1] السابق ، ص: 64-65.

3-3-3- الأسلوب الساخر[1]:

كان العميدي بجانب أسلوبه المتملق –فقد كان مخالطًا لكبار الدولة الفاطمية– رجلًا ذا هجاء مقذع ، وسخرية ونقد لا مثيل لهما ، وهو في كل ذلك تنتشر فيوضات روحه المرحة ، و شخصيته خفيفة الظل ، بما يضفيه على نقده من فكاهة ومرح ، فتكون هذه السخرية الممزوجة بالضحك عند مخالفيه أشد وقعًا عليهم من السب الفاحش الصريح ، لمّا في هذه السخرية من دعابة ومرح يجعلانها تسير مسير الشمس بين الناس .

و قد فرق بعض العلماء بين السخرية والاستهزاء والتهكم والتندر وغيرها فالسُّخرِية : من التذييل والقهر ، والتَّهَكم من تَهَكمت البئر: إذا تَهَدّمت ، والاستِهزَاء: مادته هزء وفيها الزاي والهاء الموحيان باللين والخفة ، وهي من أهزأه البرد: إذا قتله البرد ، ففي معانيها موت بارد بلا صوت ، أمّا التَّهكم : هو القتال المُدَراك ، وتَهَكّمَت البئر : إذا تَهَدّمت ، وتَهَكم بنا: عَبَثَ بنا أي أن التهكم استهزاء بقوة لما في معانيه من القوة وعلو الصوت ، والتندر من نَدَر الشيء إذا سقط من جوف شيء ، وفيها معنى إسقاط العيوب على المَهجُو، ومنهم من جعلهم شيئًا واحدًا ، ولم يصل الباحثون حتى الآن إلى وضع تعريف جامع مانع للسخرية [2] .

ويمكن تعريف السخرية بأنَّها : هي النقد المُضحِك أو التجريح الهازئ ، وغرض الساخر في ذلك يكون النقد في المقام الأول ، ثم الإضحاك في المقام الثاني ، ويكون إمّا بالتركيز على عيوب الإنسان الجسمية أو الذهنية أو الخلقية وتكبيرها أو تصويرها تصويرًا فيه تشويه له بما لا يصل

---

[1] السُّخرية من مادة (سَخَرَ) : سَخَرَ به ومنه سُخرًا وسَخَرًا وسَخرًا ومَسخَرًا ، وسُخرة وسِخريًا وسُخرِية : إذا هُزِئَ به ، ويروى بيت للأعشى:

إنِّي أتتني لسان لا أُسرُ بها......من علو لا عجب منها ولا سَخَرُ.[البسيط]

، قال الأخفش : سخرت به ، وسخرت منه : هزئت به وهزئت منه ، ضحكت به ضحكت منه ، كلٌ يُقال ، والاسم السُّخرية والسِّخرِيُّ والسُّخرِيُّ ، وقد قِرِئ بهما في قوله –سبحانه– : " ليتخذ بعضكم بعضًا سخريًا" [الزخرف/ 32] ، انظر لسان العرب ، 352/4 -353.

[2] انظر: السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د.نعمان محمد أمين طه ، دار التوفيقية ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1978م ، ص: 11-13.

إلـى حـد الإيـلام ، و مـع كـون طريقـة السـخرية خاصـة وغيـر مباشـرة ، فقـد حـاول آدلـر alder وضـع تعريـف لهـا فقـال : إنهـا تتركـب مـن ثـلاث غرائـز : الانتقـام والغضـب والخضـوع ، ثـم قـال بعـدها ولست مقتنعًا بأي تعريف لها إلى الآن.[1]

فالسـخرية مـن منظـور الأدب هـي العنصـر الـذي يتضـمن توليفـة دراماتيكيـة مـن النقـد والهجـاء والتلمـيح والـتهكم والدعابـة واللماحيـة بهـدف التعـريض بفكـرة مـا أو بشـخص مـا أو بمبـدأ مـا أو بـأي شـيء ، مـع تسـليط الضـوء علـى سـلبياته وثغراتـه ، وتعريـة أوجـه القصـور فيـه ، ويعتمـد الكاتـب السـاخر بصـفة مسـتديمة علـى أسـلحة الـتهكم الخفيـة المسـتترة الخبيثـة الزاخـرة بـاللمز والغمـز والهمـز والتلميح الذي لا يتورع في الغالب عن التجريح.[2]

ومن هذا التهكم الساخر ما جاء في وصفه بيتًا أقام فيه في دمشق خلال طريق رحلته ، يقول : " ولعَمْري، إني مرزوق من كلّ شيءٍ بدمشق حتى من المنازل المعمورة، والمساكن المشهورة، والقصر المشيّد، والصرح الممرَّد، فلا أدري كيف ابتلاني الله سبحانه بهذا المنزل الذي يشاهده مَوْلايَ الشيخ – أدام الله سعادته – فإنه ما بين سقفه وأرضه إلا شبر، ولا بين طوله وعرضه إلا فِتر، يجمع إلى الضّيق نُتنًا، وإلى الخراب بردًا ، لولا أن تحمله قاعة أوسعُ منها نقير نواة، وأعرض منها أُفحوص قطاة، ومجلس أضيقُ من كِفة الحابل، وأحرجُ من صدر الباخل، وأجدب من الزمن الماحل، وأوحش من رَدَّ السائل. حيطانه مُسخّمة، وجدرانه مثلمة، والبواري فوقَه منقوضة، والسواري حوله مأروضة، وبابه مُرقّع، ورحلي فيه مُضيَّع إن وقعَتْ على سطحه قطرةٌ تداعت جوانبه، وإن غامتِ السَّماء سالت مرازبُه ، فكلّما ينتدي بوَكفِه، أتترّسُ تحت سقفه، وكلّما يؤذيني بترابه أستتر خلفَ بابه ، فكأن سقفَه شيعي فوجئ بنعي الحسين، أو عُذري تذكر أيام البين، أو أديب بكى شجوًا من قساوة زمانه أوغريب استهل حنينًا إلى أوطانه، أو ثكلى أُصيبت بأنجب أولادها، أو سحابةٌ صابَ نَوءُ عِهادِها ،وأنا مع هذه المحن قاعدٌ على جملةٍ تعمي الأبصار والبصائر، وعائم في الماء أتربّص في الدوائر، وأخافُ على البيت كل ساعةٍ من رِقّة قلبه أن يسجد، ولا آمَنُ علي فيه أن أجمد.

---

[1] انظر: السابق ، ص: 14–15.

[2] انظر: الأدب الساخر، د.نبيل راغب فرج، مكتبة الأسرة ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 2000م ، ص:13–14.

من كان بالخير مختوماً تصرُّفه........ فقد ختَمتُ أموري كلّها نجزى [البسيط] " [1]

فهذا التهكم القوي يرى الباحث أنّ له بواعثَ كثيرة ، منها أسلوبه المرح الذي يمتاز بالدعابة ، و عاطفته القوية التي نتلمسها في تتبعه أدق التفاصيل في وصف معاناته في هذا البيت ، إلى جانب رغبته في إظهار مقدرته اللغوية والبلاغية في الإطناب في الوصف وتوظيف المفردات ، وهناك جانب آخر خفي ، وهو رغبته في تملق رئيسه الذي أرسل إليه هذه الرسالة من خلال إظهار العنت والتعب اللذين تحمّلهما من أجل الوصول إليه.

ويظهر هذا الأسلوب الساخر في هجائه أحد الأشراف وقد وعده بكتاب الفَسر في معنى شعر المتنبي ثم أخلف موعده ، يقول : " ....ولعله لما اشتراه بثمن غال، واحتاج في تحصيله إلى بذل جاه عال، اشتهى أن يقلده تميمةً تؤمّنه مسَّ الشيطان، وعزيمةً تقيه بطشَ كلِّ سُلْطان، ويجعله له حرزًا لا تزلق معه بالأبصار ، ونُشرةً تكفيه بوائقَ العمّار، وطوارق اللَّيْل والنهار، ويعده له مصحفًا، يتَّزر به مدةَ عمره ، ويُوصي ليُوضعَ به بعد مماته على رأس قبره." [2]

1-3-3-3- الاستفهام التهكمي :

ومـن الأدوات التـي وظفهـا العميـدي ، فـي سـخريته بصـورة واضـحة الاسـتفهام التهكمـي ، وخاصـة الاسـتفهام بحـرف الهمـزة ، فـإن كانـت الهمـزة هـي أم البـاب فـي أدوات الاسـتفهام فإنهـا تخـرج فـي أحـايين كثيـرة عـن أصـلها مـن طلـب التصـديق والتصـور إلـى معـانٍ متعـددة كالإنكـار ، وهـو علـى نـوعين الإبطـالي والتـوبيخي ، فأولهمـا يكـون إنكـار علـى مـن أدعـى وقـوع شـيء والحقيقـة بخـلاف ذلـك

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 15-16.

[2] السابق ، ص: 43 ، وللمزيد من الشواهد حول أسلوب العميدي الساخر ، انظر رسائل العميدي ، ص: 33 ، 42 ، 90 ، 95 ،102 ، 125 ، 131 ، 153 ، 174 ، 182 ، 198-199 ،208 ، 227 ، 231 ، 247 ، 271 ، 325 ، 347 ، 369 ، 374 ، 379 ، 380 ، 381 ، 406 ، 407 ، 412 ، 413 ، 419 ، 423 ، 434 ، وقد تصل مبالغته في السخرية أحيانًا إلى حد السب والفحش ، انظر ص : 199 ، 399 ، 417-418.

نحو قوله –سبحانه– : " أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا إنكم لتقولون قولًا عظيمًا" [الإسراء/40] ، والتوبيخي يستوجب أن يكون المُخاطب عمل عملًا يستلزم التوبيخ والتقريع ، كقوله–تعالى– على لسان إبراهيم–عليه السلام– لقومه : "قال أتعبدون ما تنحتون" [الصافات/95] ، وكذلك قد تخرج الهمزة الاستفهامية عن معناها الأصلي إلى معنى التقرير، بإثبات المستفهم عنه ، ويقع في المنفي أكثر من المثبت ، فالمقصود من التقرير حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه ، ومن شواهده قوله –سبحانه– لنبيه –صلى الله عليه وسلم– : "ألم يجدك يتيمًا فآوى" [الضحى/6] ، و " أليس الله بكافٍ عبده" [الزُّمَر/36] ، ومن المثبت قولك : أضربت محمدًا ؟! إذا كان مستقرًا في ذهنك أنّه الضارب.[1]

وقال السيوطي: قد يستعمل الاستفهام في غير ما وضع له على سبيل المجاز ، وقد ألف العلامة ابن الصائغ كتابًا أسماه " روض الأفهام في أقسام الاستفهام" قال فيه: توسعت العرب في الاستفهام فأخرجته عن حقيقته إلى معانٍ كثيرة أشربته إيَّاها ، وليس التجوز قاصرًا على الهمزة خلافًا للصفَّار ، ومن هذه المعاني الإنكار: وكثيرًا ما يصحبه التكذيب ، ويكون المعنى فيه على النفي كما يكون ما بعده منفيًا ولذا تصحبه إلّا ، نحو قوله–سبحانه–: " فهل يُهلَك إلّا القوم الفاسقون" [الأحقاف/35] ، ويكون في الماضي بمعنى " لم يكن" وفي الاستقبال بمعنى " لا يكون" ، ومنه الإقرار وهو حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمرٍ قد استقر ، والكلام مع التقرير مُوجب ولهذا يُعطف عليه صريح الموجب أيضًا نحو قوله –سبحانه– : "ألم نشرح لك صدرك* ووضعنا عنك وزرك" [الشرح/1–2] [2] ، وقد عد السيوطي للاستفهام المجازي دلالات ومعانٍ وصلت إلى ثنتين وثلاثين دلالةً ومعنًى ، ذكر منها : خروج الاستفهام مخرج التهديد والوعيد ، ومثل لذلك بقوله –سبحانه– : " ألم نهلك الأولين" [المرسلات/16] ، في حين جعلها الزركشي من باب التحذير، وفسرها بقوله : أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم [3] ، ومن هذه المعاني خروج

---

[1] انظر: معاني النحو ، 4/ 232–235.

[2] انظر: الإتقان في علوم القرآن ، 3/267–269.

[3] انظر: البرهان في علوم القرآن ، 2/339.

الاستفهام مخرج الاستهزاء والتهكم ، وقد مثل له السيوطي بقوله –سبحانه– : " قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد" [هود/87] وقوله –تعالى– : على لسان نبيه إبراهيم –عليه السلام– مخاطبًا الأصنام : " فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون* مالكم لا تنطقون" [الصافات/91–92] .[1]

قال سيبويه في باب الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل : فأمّا قولك: أتميميًّا تارة وقيسيًّا أخرى؟ ، ويكون ذاك أنك رأيت رجلًا في حالة تنقل وتلون ، فقلت قولك هذا ، فأنت في هذا الحال تثبت له تحوله وتنقله ، وليس تسأل سؤال المسترشد عن أمرٍ أنت به جاهل، لتُخبر عنه وتفهمه ، فأنت إنما أردت توبيخه بذلك ، ومن هذا قول الشاعر:

أفي السلم أعيارًا جَفاءً وغلظةً.....وفي الحرب أشباه الإماء العواركِ [الطويل][2]

ومن شواهد توظيف العميدي الاستفهام للتهكم ، ما جاء في رسالته إلى متولي ديوان الخاص ، يسخر من سوء معاملته معه ، يقول : " أيُحالُ جارِيَّ على أطلالٍ ببرقة ثهمّد، وعمالٍ كصحراء مَرْثَد ، وعلى ضمناءَ لا أحصُلُ من مماطلتهم إلا على الضّمانة، ولا أربح من مُعاملتهم غير الابتذال والمهانة، ويُحملُ مال غيري إليه وهو مُتدعٌ في بيته، متربعُ في دَستِه ؟! هذه والله حكومة، ولكنها مشؤومة، وقضيّة، ولكنها ردية، وظلم لا سبيل إلى الانتصاف من الظالم، وعدولٌ عن معالم المكارم إلى أخلاق البهائم . "[3]

وفي هجائه لمحسن بن بدروس لمّا وصل إليه أنّه يذكره في الحضرة بالقبيح يوظف الاستفهام بالهمزة في معرض التهكم والسخرية ، يقول : " فليت شعري! بأي شيء تُدِلُّ على الناس، أبالأدب؟ والله ما تفرق بين سليم وسقيم منه فَرْقًا. أبالنَسَب ؟ والله ما ضَرَبَ فيك كريم عِرقًا. أبالضيافة؟ والله لو قُطّعتَ إربًا إربًا لما وُجد في باطنك غيرُ التحريف والتزوير. أبالديانة؟ والله لو نُتفَ سِبالُك طاقةً طاقة لما شُمَّ منه غيرُ الخنزير.

---

[1] انظر: الإتقان ، 3/ 268–274.

[2] انظر: الكتاب ، 1/343–344.

[3] رسائل العميدي ، ص: 251.

أبالصورة؟ والله إن القردَ لَيأَنفُ أن يكون لك شبيهًا. أبالنفس المرة ؟ والله لم تكُ قطُّ إلا ساقطًا سفيهًا. وإذا كانت هذه مَحاسِنَ وَصْفك، فما معنى تجعيد شعرِ أنفك؟ ".[1]

[1] السابق ، ص: 375–376 ، وللمزيد من شواهد توظيف العميدي الاستفهام للتهكم والسخرية ، انظر رسائل العميدي ، ص: 12 ، 149 ، 385 ، 386 ، 418.

4-3-3- الميل إلى التَّمَلق[1]:

كـان العميـدي متوليًّـا لـديواني الترتيـب والإنشـاء فـي عهـد الظـاهر والمستنصـر ، مجالسًـا لكبـراء الدولـة الفاطميـة ، فكـان لهـذا تـأثير قـوي طبعـي فـي أسـلوبه ، فامتـاز بجفـاوة شـديدة تميـل إلـى حـد التّملـق ، وخاصـةً عنـد مراسلته كبـار رجـال عصـره ، ملتزمًـا بتقاليـد الكتّـاب فـي مخاطبـة أولـي الأمـر ، قـال صـاحب مـوادّ البيـان فـي معـرض حديثـه عـن آداب الكتابـة لأولـي الأمـر : فـإذا كاتبـت رئيسًـا فـي معنـى الشـكوى أو الاسـتزادة ، فـلا يجـوز أن تـأتي بألفاظهمـا صـراحة ، بـل يجـب العـدول عـن ألفـاظ الاسـتزادة إلـى ألفـاظ السـؤال فـي النظـر والاسـتعطاف ، وعـن ألفـاظ الشـكوى إلـى ألفـاظ الشـكر ، فتكـون قـد أخرجـت معنـاك مخـرج الـذي يسـتدعي الزيـادة لا مخـرج مـن يشـكو التقصـير ، فتكـون رتبـت كلامـك في رتبته.[2]

قـال ابـن شـيث القرشـي : ولا يُخاطـب السـلطان بلفـظ سـيدنا مكـان مولانـا خـلال الكتابـة إليـه ، فـإن سـيدنا كأنمـا تعـارف النـاس علـى اختصاصـها بأربـاب المراتـب الديوانيـة والدنيويـة ، وأمّـا لفـظ " مولانـا" فهي للسطان وحده ، و كذا من نعوت السلطان السيد والأَجَل.[3]

ويتحـدث القلقشـندي عـن آداب افتتـاح الرسـائل والمخاطبـات فيقـول : وإنمـا يرجـع حسـن افتتـاح المكاتبـات إلـى معنيـين ، أولهمـا أن يكـون الحسـن مرجعـه إلـى المبتـدأ بـه ، إمّـا بالسـلام علـى المُخاطـب الـذي جعلـه الشـرعُ مفتتحًـا للخطـاب ، أو الافتتـاح بالحمـد فـالنفوس تتشـوف إلـى الثنـاء علـى رب العبـاد ، وإمّـا بالافتتـاح بمـا فـي معنـاه تعظـيم للمُكَاتـب ، مـن تقبيـل اليـد أو الأرض أو الـدعاء ،

---

[1] مَلَقَ: مَلَقًا ، وتملَّقَه وتَمَلَّق له تِمِلَّاقًا وتَملُّقًا أي تلطف له وتودد إليه ، والمَلَق: هو اللُّطف الشديد والوُدّ ، وأصله التليين ، وقيل : هو المدارة و التَّرَفق و المعنيان متقاربان ، وقيل : هو شِدَّة لُطفِ الوُدِّ ،
قال الشاعر: ثلاثةُ أحبابٍ: فحبُّ عَلاقةٍ...وحُبُّ تِمِلَّاقٍ ، وحبٌّ هو القَتل.[الطويل]
، ويقال إنّه مُتَمَلِّق مَلَّاق ، ذو مَلَقٍ ، ويُقال للصفوح الملتزقة اللينة من الجبل مَلَق ، وللصَّفاة المَلسَاء اللينة مَلَقةٌ ، والجمع مَلَقات ، انظر لسان العرب ، مادة مَلَقَ ، 10/347-348.

[2] انظر: صبح الأعشى ، 292/6.

[3] انظر: معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، ص: 42.

إلـى غيـره ، فـإن أمـر المُكاتبـات مبنـيٌ علـى تـألّف القلـوب واسـتجلاب الخـواطر والتَمَلّـق إلـى غيـر ذلـك مما يجري مجراه .[1]

بـل لقـد اختلفـوا فـي صـيغ الـدعاء المناسـبة لكـل طبقـة فضـلا عـن الكـلام الملائـم لكـل طائفـة مـنهم فرجحـوا أدعيـة وألفـاظ معينـة للخليفـة وهـي تختلـف عمّـا للـوزير والأميـر ...إلـخ ، يقـول صـاحب إحكـام صـنعة الكـلام : وممّـا يلـزم الكاتـب أن يتحـرى فـي الـدعاء المعـاني اللائقـة و الألفـاظ الرائقـة في الدعاء ، ويتوخي من ذلك ما يشاكل المعنى ويلائم الحال ، ويوافق المُخَاطب! [2].

قـال ابـن عربشـاه فـي ذم تملـق بعـض المنـافقين: فقـد عـدّوا المكـر مـن أحسـن الكياسـة والرياسـة ، وتملقهـم للحكـام والسـلاطين للوصـول إلـى الغايـات ، مـع تحسـين ظـواهرهم وفـي البـاطن أمـراض ، فظـواهرهم ظـواهر الإنـس مـن مـودة و إخـاء و مـا تحـت الثيـاب إلّا ذئـاب ، وقـد سـلط الله علـيهم فراسـة السـلطان فـي معـرفتهم والـبطش بهـم ، وقـد قـال الحكـيم : إن الرعيـة بمنزلـة السـراج ، والملـك بمنزلـة الشـمس فـي البـرج ، فـإذا أضـاءت الشـمس فمـا يفعـل السـراج ، وإنمـا الرعيـة تبـع للسـلطان ، فمتـى صفت مرآة قلب السلطان أشرقت نور الطاعة في قلوب الأتباع والأعيان.[3]

ومـن شـواهد هـذا الأسـلوب عنـد العميـدي ، مـا جـاء فـي اسـتفتاح رسـالته إلـى الشـيخ نجيـب الدولـة يعـود علتـه – وقـد تـولى وزارة مصـر فـي عهـد المستنصـر– يقـول فـي اسـتفتاح الرسـالة لـه : " أحـق جسـمٍ أن يكـون بعـون الله ملحوظًـا، وعـن نوائـب الزمـان ونوازلـه محفوظًـا، وبالإقبـال مقرونًـا، وعـن صـنوف الأغـلال مَصُـونًا، جسـمُ الشّـيخ نجيـب الدَّوْلَـة – أحسَـنَ اللهُ ولايتـه ، وأدام كفايتـه ووقايتـه –

---

[1] انظر : صبح الأعشى ، 263/6–264 ، وفي آداب مكاتبة أولي الأمر ، انظر: 263/6–301 ،

[2] انظر: إحكام صنعة الكلام ، للكلاعي ص : 73 ، وللمزيد حول هذه المسألة ، انظر: نفسه ص: 72–79 ، وانظر: صبح الأعشى ، 131/8–138 ، وانظر الفصل الأول ، ص: 109–111.

[3] انظر: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، لأبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن عربشاه [–854هـ] ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري ، دار الآفاق العربية ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 2001م ، ص: 53.

فإنـه جسمٌ عجَنَ الله مـن الكـرم طينـه ، ووَفَـرَ مـن المجـد تمكينـه، ووسـم بالفضـل جبينـه، لا زالـت خـدود الأعداء لـه ضارعة، وأسباب المودّة له سامعةً طائعة." [1]

وفي رسالته يهنّئ المستخدم بالرماية على توليه الوظيفة ، لا ينسى أن يذكره بفضل الخليفة الفاطمية عليه في منحه هذه الوظيفة ، يقول : " غير أنه لعلوّ همّتِه، ورغبته في إفاضة النّعم على رعيّته، والمستمسكينَ بحبالِ طاعتِه وحُرمتِه ، على أنْ يَعمُرَ أقطارَ الأرض عدُله ، ويشمل أهلها على اختلاف طبقاتهم إحسانُه وفضله، يرى أن يُجدِّد كل وقت عند عبيده صنائع، ويودعهم ما يتحققه منهم ودائع ويخصهم بمراتب تبقى الأوهام عن نيل أمثالها خاسئة حسيرة، ويرفعهم إلى منازل تدَعُ الهمم عن اقتراح أمثالها قاصرةً قصيرةً، وينقلهم من ذلّ العدم إلى عزّ الوجود، ويُقلِّهم من وَهْدَةِ الخمول والنُّحوس إلى ذروة النباهة والسعود، حتى لا يبقى أحد ممن تعلَّق بأسباب الطاعة والولاء، ويَأوي إلى ظلّ الدَّوْلَة الغَرّاء، إلّا ولسان حاله يفصح عما أناله من نَوالِه، والمظاهرُ من تجمُّلِه يَشْهَدُ بما تظاهَرَ عليه من تطوُّلِه، كما خصني به آنفًا من النعمة التي يعجز الوصفُ عن ذكرِها ، وتَقصُرُ القُدرة عن توفيةٍ كُنْهِ قَدْرِها ، وكسانيه من ملابس لا تُبليها صروفُ القَدَر، و أولانيه من منائحَ لا تنقُصُها شوائبُ الكَدّر، وألقاه إليّ من مقاليد تنفتح مع توفيق – الله عز اسمه – بها صعاب المغالق ويسير حسنُ ذكرها في المغارب والمشارق وأوجبت عليّ أن أستنفدَ الوُسْعَ في مصالح خدمته، وأستوعب الوَكْدَ فيما يقربني من مَرْضاتِه ومحبته." [2]

وفي استفتاح رسالته إلى الوزير الأجل صفيّ الدين يهنئه فيها بانتقاله إلى دار ابن كِلِّس – وهي دور إدارية عُليَا للدولة – يقول : " أنا – أطال الله بقاء الوزير الأجل – أستصغرُ أن يكون مسكنه من الأرض القصرَ ذا الشُّرفات من سنداد، بل إرم ذات العماد التي لم يُخلَقْ مِثْلُها في البلاد وأستحقرُ أنْ أرى موطنه صَرْحَ سليمان، أو شعبَ بَوّان، أو منتزهاتِ طَبَرِسْتان، أو مدائن كسرى أنوشروان، وأستقل بستانه أن يكونَ غُوطة دمشقَ بصنوفِ أشجارها، أو أُبُلّةَ البصرة بجميع أنهارها ، أو سُغْدَ سَمَرْقَند بغرائب فواكهها وثمارها، أو نوبهار بَلْخَ ببدائع أزهارها وأنوارها ، لأنّ المنازل الوسيعة لو كانت تُسكن باستيجاب واستحقاق والمراتب الرفيعة لو كانت بجلالة أنفس ومكارم أخلاق، لكان الوزير الأجل أدام الله دولته – يستحقُ أن يتخذ منازل القمر مجَالسه

---

[1] رسائل العميدي ، ص: 355.

[2] السابق ، ص: 387-388.

ومَنازله، ويدفع عنها مُجالسه ومُنازله، بل يستوجب أن يكون على بحر المجرّة موضعه، وفوق محلّ الشمس مَصِيفُه ومَربَعُه." [1] فالتملق لهذا الوزير واضح بَيّن في هذا الشاهد.

وفي رسالته إلى الوزير القشوري يهنئه بتوليه الوزارة ، يقول له إن هذه الأعطية التي أُعطَيتَها : " لا تُستعظم و إن تقاصرت عليه سانحةً بارحةً ، ولا يُهَنَّأ هو – أدام الله جلالته– بالأعمال ، و إن كانت جليلة المواقع ، والولايات و إن صارت عظيمة المطالع و المواضع ، بل تُهنَّى الولايات به إذ أصبح راعيها وواليها ، و تُحمد الأيام فيه إذ قد أعطت القوس باريها ، وتُغبط الممالكُ إذ شرفت بمكانِ مَن غدا في ميدان الغَناءِ والسَّناءِ سابقًا و مُبَرِّزًا، وأمسى في ديوان الوزراء والبلغاء بالنجابة والإصابة مميَّزًا، وانتظمت بإقبالِ مَن إنْ مسّ العود أورق ذابِله، وإنْ لاحَظَ النجم طلع آفله ، وأُلقيت مقاليدُها إلى مَن يعتذر إليه خَطْبٌ يُمارسه ، ولم يبقَ له في الزمان كُفؤٌ يُنافسه، ولم ينغلق باب إلا فتحه بلطافة النظر قبل إجالة الفكر، ولم يلتبس صعبٌ إلا أوضحه بسعادة الأثر قبل مساعدة القدَر." [2] ، فالوزارة هي التي تُهَنَّأ وتفرح بالوزارة ، وليس الوزير القشوري![3]

---

[1] السابق ، ص: 216–217.

[2] السابق ، ص: 50–51.

[3] وللمزيد من شواهد ميل العميدي للتملق في رسائله ، انظر السابق ، ص: 28 ، 49–50 ، 54 ، 55 ، 73 ، 78 ، 163 ، 200 ، 221 ، 226 ، 235 ، 236 ، 245 ، 246 ، 249 ، 255 ، 261 ، 301 ، 352 ، 424.

5-3-3- الميل إلى المبالغة[1] :

كان العميدي كثير الميل إلى المبالغة في تَرسّله ، كثير الجنوح إلى التهويل ، ولعل مرد ذلك إلى رغبته المتزايدة في إقناع المُخاطَب بكلامه ، و قد يدفعه تملّقه أحيانًا إلى اعتراك مثل هذه السبل ، وفي أحايين أخرى يبالغ في السخرية لاستجلاب المزيد من الضحكات ، أو لإحكام نطاق السخرية على من يهجوه ، وهو في كل هذا مدفوع بإحساسه المتقد ، ومزاجه العاطفي اللذين يمثلان الوقود المحرك لأسلوبه ووجدانه.

والمبالغة من الأساليب الفنية الشائعة في القرن الرابع الهجري ، وقد لجأ إليها كتّاب هذا القرن لإيضاح معانيهم في رسائلهم وخطبهم ، نازعين إلى التجديد في أجناسها وتعميقها ، وقد أسماها ابن المعتز الإفراط في الصفة ، وعدّها إحدى محاسن الشعر والكلام .[2]

يقول قدامة بن جعفر [-337هـ] : المبالغة هي ذكر الشاعر أمرًا من الأمور لو وقف عليها لأجزأه ذاك في الغرض الذي قصده ، فلا ينتهي حتى يزيد إلى معناه الذي وقف عنده ما هو أبلغ ممّا انتهى عنده كقول عمير بن الأيهم التغلُبي:

ونُكرِمِ جارنا ما دام فينا.........ونتبعه الكرامة حيث مالا.[الوافر]

فلو انتهى إلى معنى الشطر الأول من سجيتهم في إكرام الضيف لأجزأه ذلك في غرضه ، ولكنه أضاف أنهم لا يكرمون الضيف ما كان فيهم فحسب ، بل يتبعوه كرمهم حيث سار واتجه فجاء مبالغة في وصف الكرم لديهم ، والمبالغة من أنواع نعوت المعاني[3] ، ومن شأن العرب مبالغتها

---

[1] المُبَالغَة : من بَلغُت المكان أو الشيء أي وصلت إليه ، أو شارفت عليه ، من ذلك قوله -عزوجل-: " فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف " [الطلاق: 2] ، أي قاربنه ، ويُقال : تبالغ الدِّباغ في الجِلد ، أي انتهى فيه ، والمُبَالغَة : أن تبلغ في الأمر جُهدَك ، و بُلِغَ فلان أي جُهِد ، قال الشاعر:

إنّ الضباب خضعت رقابها...للسيف لمّا بُلِغَت أَحسابُها [الرجز] ، انظر : لسان العرب ، مادة (بَلَغَ) ، 8/ 420.

[2] انظر: الرسائل الأدبية النثرية ، د.غانم جواد ، ص: 430 ، والبديع في البديع ، لابن المعتز ، ص:40.

[3] انظر: نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة [-337ه] ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية -تركيا ، ط1 ، 1302هـ ، ص:50-51.

في الوصف والذم ، كما كان من شأنها أن تختصر و تُوجِز ، والسبب في ذلك توسعها في الكلام واقتدارها عليه ، كما أنّ لكلا الأسلوبين موضعًا يستعمل فيه ، والمبالغة على ضربين : إمّا أن تكون المبالغة في اللفظ ، أو في المعنى ، فالأولى تجرى مجرى التوكيد : نحو قولك : رأيت خالدًا نفسه ، فقد تأكد خالدًا بلفظ نفسه ، ويكون هذا الضرب مبالغة في البيان ، وأمّا الضرب الثاني ، فيكون بإخراج الكلام في أبلغ غايات معانيه ، نحو كقوله –عز وجل– : " وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم" [المائدة/64] ، وإنما كان قولهم : إنّ الله قتّر علينا ، فجاءت الآية مبالغة في تقبيح مقالتهم هذه ، فخرجت في غاية الذم لهم . [1]

وقد ذهب ابن سنان الخفاجي إلى تأييد المذهب القائل بحمد الغلو والمبالغة خاصةً في الشعر ؛ لأنه مبني على التسمح و الجواز ، ولكنه فضل أن يقول الناثر أو الناظم قبل أن يوردها ، كاد أو ما يماثلها ، حتى يكون الكلام أقرب لحيز الصحة.[2]

ومن شواهد المبالغة في المعنى في رسائل العميدي–وهي سمة أسلوبية عامة له – ما جاء في وصفه لجفوة وقعت بينه وبين صديق له وأثر ذلك على نفسيته ، يقول : " ولقد جفاني سيدي – أدام الله عزّه – جفوةً تُظلم لظلمتها الكواكب، ويُمسك عنها المزن الصائب، ويتحدّث بها الراجل والراكب، ويعجز عن وصفها الحاسب والكاتب، إذ قطع عني كتابه الذي كان يحل مني محل الوصال بعد البعاد، وينزل من عيني مكان الرّقاد من ذي السهاد، ويسري فيّ مسرى الأرواح في الأجساد بَعْدَما تحقق أني أتحقق بولايته أينما كنت قريبًا وبعيدًا وأَعدّه لي كيفما تصرفت عمادًا وعميدًا، وأعتصم به حيثما اتجهت ركائبي ، وأضرب فيه مضاربي، وأدّخرُه لي أصفى المناهل والموارد، وألصق أحشائي ببَرْد تُرابه وإن كان مخلوطًا بسُمِّ الأساود." [3] ولا تخفى المبالغة في وصف هذه الجفوة وأثرها على شعوره الداخلي المدفوع بعاطفته الحسّاسة الملتهبة.

---

[1] انظر: نقد النثر أو كتاب البيان ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة [–337هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، د.ط ، 1980م ، ص:70–71.

[2] انظر: سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ص:272 ، وفي الصفحة التي بعدها أشار للغلو في النثر ولم يُعقب عليه سوى بقوله وهو قليل وروده في النثر، فقط ، فدل على إقرار مذهبه في الغلو في الشعر والنثر.

[3] رسائل العميدي ، ص: 45–46.

ومن شواهد توظيفه للمبالغة من أجل السخرية والتهكم ، ما جاء في تهكمه بابن بنان الكاتب بأسلوب في ظاهره المدح و في باطنه السخرية والقَذَع ، يقول : " ويُحدّث نفسه بأنّ الدنيا أخسُّ من أن يشاركه في تدبيرها أحد، وأن العالم أقل مِنْ أَن تَملِكَهُ غَيْرُ يَدِهِ يَد، فلا يرضى أن يكون قارون وكيله، وأفريدون أكيلَه، وأنوشروانُ سَمِيره، والبَخْتَكانُ وزيره، والمريخ أحدَ حُجّابه، وعُطارد بعضَ كُتابه، وأردشير حارس بابه ، والإسكندر سائس دوابه، وذو الأكتاف قائد كلابه، فأما ملوكُ الإسلام فلا يؤهلهم خدمته، وكلُّ مَن دونَ الفَلَك يستقصره بعالي همّته، ومعَ هذا التيه والصَّلَف والدماغ المنتقَف ، لو وازنته بالهَباء لم تُقم له وزنًا، ولو خالطته لهربت منه قذَرًا ونَتْنًا." [1] فهذا الكاتب المتحذلق يترفع أن يكون العظماء والمشاهير جلساءَه لرؤية نفسه أنّه أرفعًا قدرًا من أن يجالسهم ، وقد أحكم العميدي عليه خناق السخرية ، فأحاط به من كل جانب ، حتى تطرق لصفات شخصية فيه كالنظافة والتَّجمل.

وفي باب التملق يوظف المبالغة لإحكام الغرض ، يقول في عيادته لوزير يهنئه بالبرءِ من علّته : " جعل الله ركوبه مقرونًا بالطالع الأسعد، والطائر الأحمد، والعيش الأرغد ، والطريق الأرشد والجلالِ والسُّوْدَد، والإقبال المخَلّد، فهذا يوم لو استطاعت الجوزاء أن تخفض من فلكها لتجعل منكِبَها مركَبَه لانخفَضَت إجلالاً لقدْره، ولو طاقت الكواكبُ أنْ تزيّنَ بأجرامِها موكبَه لتناثرت إعظامًا لذكره ، وتمنَّيتُ أنْ أتعجل بغرته السعيدة شفاءً لا أعتلُ بعده أبدًا، وأكتحل بغبار موكبه فلا أخافُ معه رَمَدًا." [2] ، والمبالغة واضحة في الشاهد فالجوزاء لو استطاعت أن تخفض من فلكها لتجعل منكبها مركبه لانخفضت إجلالاً له ، والكواكب لو طاقت أن تزين موكبه بأجرامها لما تأخرت وتناثرت عن بكرة أبيها إعظامًا له.

---

[1] السابق ، ص: 179-180.

[2] السابق ، ص: 424-425 ، وللمزيد من شواهد توظيف العميدي للمبالغة في رسائله حتى أضحت سمةً أسلوبية له ، انظر السابق ، ص: 13 ، 17 ، 33 ، 35 ، 36 ، 56 ، 57 ، 62 ، 73 ، 76-77 ، 119 -120 ، 157 ، 166 ، 175 ، 176 ، 210 ، 218 ، 219 ، 226 ، 227 ، 232 ، 245 ، 256 ، 304 ، 368 ، 369 ، 373 ، 374 ، 375 ، 405 ، 407 ، 417 ، 429.

تعقيب :

رجع الباحث إلى مقدمتي العميدي في كتابه المطبوع الوحيد " الإبانة عن سرقات المتبي لفظًا ومعنًى" – وهو مؤلف من أربعة أجزاء ، من تحقيق الأستاذ إبراهيم الدسوقي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1961م– حيث تعد هاتان المقدمتان هما الشاهد الوحيد الحي المتوفر لدينا لتبين أسلوب العميدي ، و التأكد من صحة نسبة هذه الرسائل له – حيث اعتمد محقق رسائل العميدي على بعض الإشارات كورود اسمه أكثر من مرة خلال الرسائل ، وبعض الأمور الأخرى التي أشرت إليها في تميهد البحث ، وإن كان قد وقع عليه اللبس في بداية الأمر لعنونة الرسائل باسم " رسائل ابن العميد" ، وليس العميدي، وهو إذ يؤكد أنها رسائل العميدي ، لم يجزم بهذا الأمر – وهنا يعتمد الباحث الأسلوبية كمحك لمعرفة مدى صحة نسبة هذه الرسائل للعميدي ، وبالتالي إمّا أن تكون دليلًا إجرائيًا ثانيًا يفيد في التحقق من نسبة هذه الرسائل للعميدي ، أو أن تكون دليلًا يُرَجح خطأ هذه النسبة ، حيث سيكون التركيز على دراسة أسلوب هاتين المقدمتين و التحقق من مدى توافق العناصر الأسلوبية التي ظهرت فيها بشكل مكثف مع العناصر الأسلوبية التي استخرجها الباحث كسمات أسلوبية له من خلال استقرائه لكافة رسائل العميدي ، وذلك عن طريق المناظرة بين أسلوبيهما ، حيث سيؤدي ارتفاع نسبة التوافق بينهما إلى إضافة دليل آخر قوي يؤكد صحة نسبة هذه الرسائل إلى العميدي.

وهذه المقدمة جاءت في حوالي ست صفحات(بداية من صفحة 19 إلى منتصف صفحة 25) ثم بعد ذلك يبدأ الكتاب في سرد الأبيات التي يدعي العميدي أن المتنبي قد سرقها ، وهو في كل ذلك ينسب الأبيات إلى أصاحبها الحقيقيين ، وهو يعلق على بعض الأبيات وإن كان تعليقًا مقتضًا ، وإن لم يخلُ في بعض الأحيان من التعليقات الساخرة المقتضبة التي لا تكاد تعدو الأربع أسطر في أطول مواضعها في الكتاب كله – مما يصعب الاعتماد عليها لتبين أسلوبه– وهكذا يمضي إلى آخر الكتاب ، وقد أتى بمقدمة ثانية للجزء الرابع من صفحتين (149–150) ، وهو لم يفعل ذلك في الجزأين الثاني والثالث إذ قد أتيا بدون مقدمة ، وقد أضفت هاتين الصفحتين مع الست الصفحات الأولى في التحليل ؛ للنظر إلى أي مدى جاءت السمات الأسلوبية فيها موافقة لما استخرجه الباحث من سمات أسلوبية في رسائله المنشورة حديثًا .

وفيما يلي إحصاء لأهم الظواهر الأسلوبية التي ظهرت بكثافة شديدة خلال صفحات المقدمتين الوجيزتين ، وهي مرتبة وفقًا لترتيب الظواهر الأسلوبية التي استخرجتها في البحث :

<table>
<tr><th colspan="2">الظاهرة الأسلوبية</th><th>نوعها</th><th>عدد مرات تكرارها في صفحات مقدمتي كتاب الإبانة الوجيزتين للعميدي</th><th>شاهد على الظاهرة الأسلوبية في مقدمتي كتاب الإبانة</th></tr>
<tr><td colspan="2">الاقتباس من القرآن</td><td>تركيبية –عامة</td><td>3 مرات</td><td>" ومن لم يتميز من العوام بمزية تقدم وتخصص سلق المحسنين بلسان ذمٍ وتنقص ....ويتبعون الهوى فيضلهم عن منهج الحق وطريقه" الإبانة ، ص: 19. " ولا أتهالك في مدحه تهالك من يتعصب له تقليدًا ، ويغلو فلا يجعل بينه وبين هؤلاء الفضلاء أمدًا بعيدًا" الإبانة ص:24 ، واقتباسهم على الترتيب : " سلقوكم بألسنة حِداد أشحة على الخير" [الأحزاب/ 19] ، " ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " [ص/26] ، " يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا .." [آل عمران /30]</td></tr>
<tr><td colspan="2">الاستثناء المفرّغ</td><td>تركيبية– نحوية</td><td>5 (ثلاثة منهم بإلا)</td><td>" فالأولى به ألا ينظر إلى أحدٍ إلا بعين الاستحقاق والاستيجاب ، ولا يحل أحدًا من رتب الجلالة إلّا بقدر محله من الآداب" الإبانة ، ص: 20</td></tr>
<tr><td colspan="2">لا النافية</td><td>تركيبية – نحوية</td><td>32 مرة</td><td>ومن شواهد تكرارها في الجملة : " فإذا سمعوا فصلًا من كتاب ، أوبيتًا من شعر ممن لا يكاد يجيل في الأدب قِدحًا ، ولا يعرف هجاءً ولا مدحًا " الإبانة ، ص:20</td></tr>
<tr><td rowspan="3">أسلوب الشرط</td><td>إذا</td><td rowspan="3">تركيبية– نحوية</td><td>10 مرات</td><td>يقول عن المتنبي :" ولا أنكر اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ إذا لحظ المعنى البديع لحظًا ، واستيفاءه حدود الحذق إذا سلخ المعنى فكساه من عنده لفظًا " الإبانة ، ص 23.</td></tr>
<tr><td>لو</td><td>مرة واحدة</td><td>" ولو أنصف لعُلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة" الإبانة ، ص: 21.</td></tr>
<tr><td>لولا</td><td>مرة واحدة</td><td>يقول عن المتنبي : " ولولا أنه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء...لكان الناس يغضون عن معايبه " الإبانة ، ص: 24.</td></tr>
</table>

	لمَّا		مرة واحدة	" ولقد حدثني من أثق به أنه لمَّا قتل المتنبي في طريق الأهواز وجُد في خرج كان معه ديوانًا للطائيين بخطه" الإبانة ، ص: 24–25.
	غير هذه الأدوات وخاصة إنْ		7 مرات	يتحدث عن أنصار المتنبي : "ثم إن بينت لهم عوار ما رووه و زلله ، وخطأ ما حكوه وخطله التزموا نصرة خطئه واقفين مواقف الاعتذار " الإبانة ، ص: 20.
	الحال	تركيبية –نحوية	6 مرات	" ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفتخر بها أصحابه ، وتُعتبر بها آدابُه من أشار المتقدمين منسوخة ، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة" الإبانة ، ص: 22.
تعدد الوصف	تعدد الخبر	تركيبية– نحوية	4 مرات	" إنما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة ، قليل الصناعة ، صِفرَ وطاب الأدب ، ضيقَ مجال الفضل ، قصيرَ باع الفهم ، جديبَ رباع العقل " الإبانة ، ص: 20.
	تعدد النعت		5 مرات	يتحدث عن شعر المتنبي : " وسلامة كثير من أشعاره من الخطل والزلل والدّخل ، والنظام الفاحش الفاسد ، والكلام الجامد البارد ، والزحاف القبيح المستشنع ، واللحن الظاهر المستبشع " الإبانة ، ص: 23–24.
المفعول المطلق	المبين للنوع	تركيبية– نحوية	4 مرات	يتحدث عن أنصار المتنبي : " ويستحسنون في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة ، ويحكموا حكمًا جزمًا بأنها له غير مأخوذة ولا مسروقة " الإبانة ، ص: 22.
	المؤكد للعامل		3 مرات (واحدة منهن بلفظة فضلًا)	يتحدث عن أنصار المتنبي : " فليت شعري هل أحاطوا علمًا بنصف دواوين الشعراء للجاهلية والمخضرمين والمتقدمين والمحدثين فضلًا عن جميعها ؟ " الإبانة ، ص: 22.
	لفظة (كل)	تركيبية –نحوية	4 مرات	يتحدث عن المتنبي عند وفاته : " ....وُجِد في خرج كان معه ديوانًا للطائيين بخطه ، وعلى حواشي

				الأوراق علامة على كل بيت أخذ معناه وسلخه." الإبانة ، ص: 24-25.
المشتقات الصرفية	اسم الفاعل	تركيبية- صرفية	42 مرة	يتحدث عن أنصار المتنبي : " وهؤلاء المتعصبون له المفتخرون باللمع التي يزعمون أنه استبطها وأثارها ، والمعتدّون بالفِقر التي يدعون أنه افتض أبكارها ، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها ، والمتمثلون بها في مجالسهم ونواديهم ، والمستعملون لها في خلواتهم وأغانيهم كيف لا يستحيون أن يقولوا بعصمته " الإبانة ، ص:22.
	صيغ المبالغة		10 مرات	" إنما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة ، قليل الصناعة ، صِفرَ وطاب الأدب ، ضيقَ مجال الفضل ، قصيرَ باع الفهم ، جديبَ رباع العقل " الإبانة ، ص: 20.
	اسم المفعول		25 مرة	يتحدث عن أنصار المتنبي : " ويستحسنون في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة ، ويحكموا حكمًا جزمًا بأنها له غير مأخوذَةٍ ولا مسروقَةٍ ، وأن طرائقها هو الذي ابتدأ بتوطئتها غيرَ مسلوكَةٍ لغيره ولا مطروقَةٍ ؟ " الإبانة ، ص: 22.
	اسم التفضيل		12 مرة	" وما أحسن أثر القاضي إذا عدل في الحكم وأنصف ، وأقبح ذكره إذا مال عن الحق وجنف ، والظلم قبيح ،وهو من الحكام أقبح وأشنع ، وجحود الفضل سخف وهو من الفضلاء أسخف وأفظع " الإبانة ، ص: 19.
الجناس الناقص	الجناس مع المتقاربات في المعنى	تركيبية – صوتية –دلالية.	7 مرات	" ولا أنكر أن يكون لشاعرٍ بيت مستبردٍ غث ، وكلام مستثقلٍ رث " الإبانة ، ص: 150.
	الجناس مع الطباق		3 مرات	يقول عن المتنبي : " فكان المقتدي لا المبتدي ، واللاحق لا السابق " الإبانة ، ص: 149.
الطباق بالإيجاب			8 مرات	يقول عن المتنبي : " فهل يجمل به أن ينكر أسماء الشعراء وكُناهم ، ويجحد فضل أولاهم و أخراهم" الإبانة ، ص: 25.

	المماثلة	تركيبية- صوتية- دلالية.	7 مرات	" وليس يدري إن سألته هل ما رواه سليم اللفظ أو مختله ، صحيح المعنى أو معتله ...." الإبانة ، ص:20.
	المقابلة	تركيبية- دلالية	14 مرة	" والأدب يجعل الوضيع في نسبه رفيعًا ، كما أن الجهل يُصير الرفيع في منصبه وضيعًا" الإبانة ، ص: 24.
	المقابلة + المماثلة	تركيبية- صوتية- دلالية	مرة واحدة	" ولا يُعظّم الجاهلية لتقدمهم إذا أخرتهم معايب أشعارهم ، ولا يستحقر المحدثين لتأخرهم إذا قدمتهم محاسن آثارهم " الإبانة ، ص: 20.
	مراعاة النظير	تركيبية -دلالية.	6 مرات	" ...بعد أن يلقي رداء العصبية عن منكبه ، ويجري في اتباع الحق على منهاج الصواب ومذهبه" الإبانة ،ص 150.
	التكرار	تركيبية- صوتية- دلالية	11 مرة	" وليس يدري إن سألته هل ما رواه سليم اللفظ أو مختله ، صحيح المعنى أو معتله ، وهل ترتيبه مستحسن أو مستهجن ، وتقسيمه مطبوعٌ أو مصنوع ، ونظامه مستعمل أو مسترذل ، وكلامه مستعذب أو مستصعب..." الإبانة ، ص: 20.
السجع	الدائم في ترسله	تركيبية – صوتية	كلا المقدمتين مسجوعتان ، وهو غالبًا ما يُسجع كل عبارتين مع بعضهما .	" إعجاب المرء بنفسه يُشرع إليه ألسنة الطاعنين ، وتطاوله على أبناء جنسه يجمع عليه ألسنة الشانئين ، فلا نقيصة عندي أقبح سمة من اغترار الإنسان بجهله ، ولا رذيلة أبلغ وصمة من إنكار فضيلة من يقع الإجماع على فضله.." الإبانة ، ص: 19.
	المتوازي		4 مرات	" والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها ، وأغرب في أمثلتها ومبانيها" الإبانة ، ص: 22.
	المُرصّع		مرتان	" إنما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة ، قليل الصناعة.." الإبانة ، ص: 20.
	العطف في إحدى قرينتي السجع دون الأخرى		32 مرة	" غير أني مع هذه الأوصاف الجميلة لا أبرئه من نهب وسرقة ، ولا أرى أن أجعله و أبا تمام الذي كان ربّ المعاني ومسلم بن الوليد وأشباههما في طبقة" الإبانة ، ص: 24.

العطف بحرف (لا)		تركيبية– نحوية	9 مرات .	" فقلت : عافاك الله حديثنا في الإبداع لا في الاتباع ، وفي الآداب لا في الأنساب." الإبانة ، ص: 22.
الانزياح	التشبيه البليغ	تركيبية – دلالية	8 مرات (سبعة منهن على صورة المركب الإضافي)	يتحدث عن بعض المتعصبين للمتنبي "... قصير باع الفهم ، جديب رباع العقل " الإبانة ، ص: 20
	التشبيه المجمل		مرتان	يقول على لسان بعض المتعصبين للمتنبي : " ولو أُنصف لعُلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة " الإبانة ، ص: 21.
	الاستعارة المكنية		9 مرات	" ولا دلالة على الحلم أبين من التوقف عند الشبهات حتى ينجلي ظلامها ، والتصرف على أحكام النّصفَة حتى تهديك أعلامها.." الإبانة ، ص: 19.
	الاستعارة التصريحية		مرتان	" وهؤلاء المتعصبون له المفتخرون باللمع التي يزعمون أنّه استبطها وأثارها..." الإبانة ، ص: 22.
	الخيال الممتد		3 مرات	يتحدث عن المتنبي : " ولا أنكر اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ إذا لحظ المعنى البديع لحظًا ، واستيفاءه حدود الحذق إذا سلخ المعنى فكساه من عنده لفظًا ، وغوصه على ما يَستصفى ماءَه ورونقه.." الإبانة ، ص: 23.
الإطناب	بالترادف – بالكلمات	تركيبية دلالية –	13 مرة	" ويحكم بالسوية غير مائل إلى الإسراف والإجحاف ، فالأولى به ألا ينظر لأحدٍ إلا بعين الاستحقاق والاستيجاب..." الإبانة ، ص: 20.
	بالترادف – بالجمل		6 مرات	" ويزعمون أن المتنبي و إن أخذ معاني تلك الأبيات فقد زاد من ألفاظه فيما يحلو سماعه ، وتعذب أنواعه ، ويلطف موقعه ، ويخفّ على القلوب موضعه ، ويصل إلى النفوس بلا تكلف ، ويمتزج بالأوراح بلا تعسف..." الإبانة ، ص: 149.

	بالاعتراض		مرة واحدة	" ولست– يعلم الله– أجحد فضل المتنبي ، وجودة شِعره..." الإبانة ، ص: 23. وانظر توظيف العميدي لمثل هذه الجملة الاعتراضية مرتين في رسائله ، ص: 91 ، 212 .
الأسلوب	التصاعدي	تركيبية –دلالية		" والظلم قبيح ،وهو من الحكام أقبح وأشنع ، وجحود الفضل سخف وهو من الفضلاء أسخف وأفظع، ومن لم يتميز من العوام بمزية تقدم وتخصص سلق المحسنين بلسان ذم وتنقص ، ومن عدم محاسن التمييز والتحصيل نظر إلى المُمَيَّزين بعين التقصير والتجهيل". الإبانة ، ص : 19
	الساخر		مرتان (إحداهما بالاستفهام التهكمي)	يتحدث عن المتنبي بسخرية مبطّنة : " ولا أطعن أيضًا في دينه ونسبه ، ولا أذمه لاعتقاده ومذهبه ، وكيف يسوغ لي أن أثلبه لإلحاده ؟! ، أو أعيبه لسقوط آبائه و أجداده؟! ، و أنا أتحقق أن أكثر من يُستشهد بأشعارهم المشركون والكفار والمنافقون والفجار ، ومنهم اللُّكْن والفصحاء والهجناء والصُّرَحاء" الإبانة ، ص: 24. وانظر تعليقاته النقدية الساخرة على شعر المتنبي ، الإبانة ، ص: 33 ، 96 ، 109–110.
	المبالغة		مرتان	" ولقد حدثني من أثق به أنه لما قتل المتنبي في طريق الأهواز وُجد في خرج كان معه ديوانا الطائيين بخطه ، وعلى حواشي الأوراق علامة على كل بيت أخذ معناه وسلخه " الإبانة ، ص: 24–25 وانظر : ص:150.

وقد خلت رسالته من أسلوب التملق لأنها ليست في خطاب كبار رجال الدولة ولاختلاف غرضها من الأساس مع هذا الأسلوب .

وقد وردت الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته في استفتاح رسالته مشابهة لصلاته عليه في ست من استفتاحات رسائله حيث النص على لفظة " والطاهرين من آل بيته" ، يقول في مقدمة كتابه الإبانة

، " الحمد لله الذي أجرانا على عادة تفضله ، وهدانا في جميع أحوالنا إلى طرق الخير وسبله ، وخصنا بإحسانه المتقادم ، ورزقنا من العقل ما ميزنا به من البهائم[1] ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير بريته ، وعلى الطاهرين من أهل بيته وذريته " [2] ومن التَّصلِيَات التي جاءت قريبة من هذه التَّصلية في استفتاحات بعض رسائله أيضًا ، حيث النص على لفظة الطاهرين من آل بيته –صلى الله عليه وسلم– : " وصلواته على محمد وعلى أهل بيته الطاهرين " " والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى عترته الطاهرين " " والصلاة على سيدنا محمدٍ وعلى الطاهرين من آله" " والصلاة على سيدنا محمد وعترته الطاهرين " " وصلواته على سيدنا محمدٍ وعلى الأبرار من ذريته " " والصلاة والسلام على محمد والطاهرين من آله " " فصلى الله عليه صلاة دائمة قائمة...وعلى سلالته العترة الطيبة " [3]

وعند توظيفه اسم التفضيل في إحدى رسائله يهجو أحد الأشراف، يقول : " والكذب قبيح بالتابع، وهو بالمتبوع أقبح، واللؤم فاضحٌ للخادم، وهو للمخدوم أفضح والبخل فظيع من المعسِر، وهو من الموسِر أفظع ، والكسوف شنيع في الكواكب، وهو بالشمس والقمر أشنع، والخسة في الخواص أبينُ منها في العوام، والذلة باللئام أليقُ منها بالكرام، وما الشرفُ إلا شرف النفس، وما السؤدد إلا أن تسود أبناء الجنس، ولا الرئاسة إلا في اكتساب المكارم ، ولا الفضل إلا في احتمال المغارم " [4] ، و أسلوبه في هذا النص أقرب ما يكون من أسلوبه في مقدمة كتابه الإبانة حين يقول : " وما أحسن أثر القاضي إذا عدل في الحكم وأنصف ، وأقبح ذكره إذا مال عن الحق وجنف ، والظلم قبيح ،وهو من الحكام أقبح وأشنع ، وجحود الفضل سخف وهو من الفضلاء أسخف وأفظع ، ومن لم يتميز من العوام بمزية تقدم وتخصص سلق المحسنين بلسان ذم وتنقص ، ومن عدم محاسن التمييز والتحصيل نظر إلى المميزين بعين التقصير و التجهيل. "[5] ، فكأنهما يخرجان من مشكاة واحدة.

---

[1] وهو موافق لاستخدم العميدي للفظة " البهائم" بذاتها في السخرية والذم في أكثر من موضع في رسائل موضع الدراسة ، على سبيل المثال قوله : " وعدول عن معالم المكارم إلى أخلاق البهائم" ، " ورفعوهم...من مجانسة البهائم إلى مجالسة الأكارم" ، " والسُّقاط يتزاحمون فيها كالبهائم " ، انظر : رسائل العميدي على الترتيب ، ص: 251 ، 268 ، 406.

[2] الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى ، للعميدي ، ص: 19.

[3] انظر رسائل العميدي على الترتيب ، ص: 49 ، 54 ، 59 ، 68 ، 79 ، 163 ، 309.

[4] السابق ، ص: 39.

[5] الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى ، ص: 19 .

وهو ينهي خاتمة مقدمة كتاب الإبانة بقوله : " ...لتشهد بلؤم طبعه في إنكاره فضيلة السابقين ، وتَسِمه فيما نهبه من أشعارهم بِسِمة السارقين ، ومن عند الله المعونة" [1] وفي خاتمة مقدمة الجزء الرابع من الكتاب نفسه : " وبراهين تشهد بالصدق عند تأمل الفروع والأصول ، ومن عند الله التوفيق " [2]، وقد جاء مثل هذا الاختتام في خاتمة مقدمة رسالته إلى صديق له تتضمن مدح للخليفة الفاطمي ضمن رسائل العميدي ، يقول : " ...والتهالك في لوازم الخدمة ، واستدامةً لموادِ النعمة ، والارتهان بما يؤذن بالسعادة في العقبى ، ومن عند الله المعونة ، وبيده التوفيق والسداد" [3]

وكذلك يجد الباحث تشابه شديد بين قوله في مقدمة كتاب الإبانة : " ليس تغني المتنبي جلالة نسبه مع ضعف أدبه ، ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذكره.....والأدب يجعل الوضيع في نسبه رفيعًا ، كما أن الجهل يُصَيّر الرفيع في منصبه وضيعًا ، والمتنبي كان يفتخر بأدبه لا بنسبه ، ويعتد بفضله لا بأهله."[4] وقوله في رسالة يهجو أحد الأشراف ، يقول : " وقيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه من الأدب ، لا ما يرثه من النسب ، والفاضل من يتكل على مجده لا على جَدّه ، ويفتخر بشرفه لا بسلفه..."[5]

وكذلك يجد الباحث تشابه ما بين تعبيره في مقدمة كتابه : " ويعدونه كسائر الشعراء الذين لا ينبش عظامهم ، ولا يجري بذمّهم وذامهم لسان " [6] وتعبيره في رسالة له إلى سنّي الدولة وقد طلب منه التمييز بين كاتبين ، يقول : " لقد كلفني شططًا ، وسامني خططًا ، وأذاقني مضضًا ، ونصبني لسهام السفاء غرضًا ، وجشّمني ما إن صدقت فيه اجتلبت ذمًّا وذامًّا ، واكتسبت إثمًا و أثامًا " [7]

وكذلك نجد موقفه من السرقات الشعرية في مقدمة كتابه الإبانة موافق لرأيه الذي جاء في إحدى رسائله إلى صديق له يرد فيها على مسائل سُئل فيها ، يقول في مقدمة الإبانة : " وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أن البحتري على ما بلغه أحرق خمسمائة ديوان للشعراء في أيامه حسدًا لهم لئلا

---

[1] السابق ، ص: 25.

[2] السابق ، ص: 150.

[3] رسائل العميدي ، ص: 142.

[4] كتاب الإبانة ، ص: 22 ، 24.

[5] رسائل العميدي ، ص: 40.

[6] الإبانة ، ص: 24.

[7] رسائل العميدي ، ص: 159-160.

تشتهر أشعارهم ، ولا تنشر في الناس محاسنهم وأخبارهم ؛ فمن أين لهؤلاء المتعصبين للمتنبي أنه سبق جماعتهم في مضماره ، ولم يقتبس من بعضها محاسن أشعاره ؟ وهل للذين يتدينون بنصرته بصائر بحسن المأخذ ، ولطف المتناول ، وجودة السرقة ، ووجوه النقل ، وإخفاء طرق السلب ، وتغميض مواضع القلب ، وتغيير الصيغة والترتيب ، وإبدال البعيد بالقريب ، وإتعاب الخاطر في التثقيف والتهذيب ... ولست – يعلم الله – أجحد فضل المتنبي ، وجودة شعره ، وصفاء طبعه ، وحلاوة كلامه ، وعذوبة ألفاظه ، ورشاقة نظمه ، ولا أنكر اهتداءه لاستكمال شروط الأخذ إذا لحظ المعنى البديع لحظا ، واستيفاءه حدود الحذق إذا سلخ المعنى فكساه من عنده لفظا ، ولا أشك في حسن معرفته بحفظ التقسيم الذى يعلق بالقلب موقعه ، وإيراد التجنيس الذي يملك النفس مسمعه ، ولحاقه في إحكام الصنعة ببعض من سبقه ، وغوصه على ما يستصفى ماءه ورونقه "[1]، وهو موافق لرأيه في السرقات الشعرية في رسالته إلى صديقه التي أشرت إليها ، يقول : " فأحذق من فيهم إذا أعجبه شعر بليغ وأراد أن يُحله ليستعمله، وينثره وينتحله، تحيَّل في حلّ نَظْمِه لقلّة هدايته إلى الصناعة، وتبلد في تغيير رسمِه لخفّة ما معه من البضاعة، وإن كان أرق الناس طبعًا، وأذكاهم بصَرًا وسمعًا ،فإن أتعب خاطره وفكره، وأدقّ بحسب إمكانه نظره، اتفق له أنْ يَسلَخَه سَلْخَ سارق لم يميّز مخرجه قبل مدخله، ولم يفرّق من هذا الباب بين مفتوحه ومُقفَلِه، حتى يُبرزه من خدره إبراز فزع جبان، ويعرِضَه على الناس وهو يُنادي: أنا لفلان وعلان، وقبَّح محاسنَه وعَيّر حَلاه، وفضح نفسه فيما انتحله وادّعاه. والفاضل في صناعة الكتابة إذا هَمَّ بالإبداع أفلق، وإذا رَوَى في حل منظوم دقق، وإذا صمّم في تهذيبه حقق، وإذا رام فصل شيء منه طبق، حتى لو سَمِعَ صاحب النظم بالكلام المحلولِ من نظمه لما خطَرَ أنه خطرَ قط بباله ولا بضميره ولو تجلّى له معناه لتعجب من حُسنِ تعبيرِه، ولأُعجِبَ بحلاوة منثوره ولهذه الصناعة قوانين لا يكاد يعرفُها إلا فحول الكتاب، ولا يقف على أسرارها إلّا مَن أوفى فصل الخطاب " [2] فهو يرى أنه لا عيب على الشاعر أن يأخذ معنًى قاله شاعر آخر لكن بشرط أن يكسوه ألفاظًا من عنده حتى إذا سمعه صاحبه الأول لم يعرفه ، ولا يأخذه بغالب لفظه فهذا عيب مشين ، ورأيه في هذه المسألة في الكتابين واحد ، ولم يختلف.

[1] الإبانة ، ص: 23.

[2] رسائل العميدي ، ص: 401.

النتائج

بعد دراسة أسلوب العميدي في رسائله ، وتحليل سمات أسلوبه على المستويات اللغوية الأربعة (الصوتية– الصرفية– النحوية– الدلالية) ، ودراسة البناء الفني لرسائل العميدي من استفتاحات وتخلص وخواتيم وعناوين ، وبعد مراجعة أسلوبه في مقدمتي كتابه المطبوع الوحيد " الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى" ، ومراجعة ترجمته العميدي في مختلف كتب التراجم – في حدود علم الباحث– توصل الباحث إلى ما يلي :

1- لم تذكر رواية ترجمة العميدي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ، أصله أو تاريخ مولده ، وقد تناقلت كتب التراجم على اختلافها ترجمته كما هي موجودة في معجم الأدباء دون أية إضافات عدا إضافات بسيطة جاءت في بعض التراجم كتنبيه القفطي في ترجمته للعميدي على كونه رجلًا فاضلًا مصنفًا ، مع التنبيه على نسبة كتابين له هما : "الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى" ، و" كتاب العروض" ، وإضافة ابن الساعي في الدر الثمين نسبة رسالة له أرسلها إلى صديق له يطالعه بما تحقق من انتصار الدولة الفاطمية على الخارجين عليها ، والتي قد وردت ضمن رسائله موضع الدراسة ، وقد اعتمد عليها المحقق في إثبات صحة نسبة الرسائل موضع الدراسة للعميدي.

2- اختلفت كتب التراجم في تاريخ وفاته كما لم تتعرض لتاريخ مولده ، ويرجح الباحث من خلال استقراء كافة رسائله ، ومن خلال الشخصيات التي راسلها فيها و الاطلاع على تواريخ وفاتها ، أن ولادة العميدي كانت قبل عام 365هـ ،أي قبل ولاية العزيز بالله –الذي حكم مصر من 365هـ إلى 386هـ– ، كما أنّ تاريخ وفاته هو سنة 433هـ ، كما هو ثابت في جلّ كتب التراجم.

3- اختلفت كتب التراجم في اسمه و كنيته ، وما اطمئن إليه الباحث من خلال البحث في كتب التراجم المختلفة إلى أن اسمه هو محمد بن أحمد بن محمد العميدي ، وكنيته أبو سعد.

4- رجع الباحث إلى مختلف الشخصيات – وفق حدود علمه– التي سميت بالعميدي أو تلقبت به ، فقد كان من يتولى خُرسان يُلَقب بالعميدي ، كما أن هناك واديًا في اليمن يسمى وادي عميد وإليه تنسب بعض الأسماء ، وقد وقع تحت يد الباحث فيما عثر عليه في كتب التراث العربي حوالي 12 شخصية سموا بالعميدي أو كان العميدي لقبهم ، وبمراجعة تراجمهم وأماكن عيشهم ووظائفهم ، تبين أن الرسائل موضع الدراسة لا يمكن أن تكون إلا لعميدي واحد هو أبو سعد العميدي الكاتب الفاطمي موضع الدراسة.

5- كثر الغموض في رسائل العميدي فنلاحظ سقوط أسماء كثير من الشخصيات في ثنايا الرسائل حيث يستعيض ناسخ الرسائل عن أسمائهم بلفظ فلان ، وقد يُعمي على بعض الأمور فيقول ولمّا سهل الله أمر كذا

، بل قد تصل التعمية إلى إسقاط اسم البلد المُرسل إليه رسالة إحماد من الخليفة فيقول في ثنايا الرسالة يا أهل بلد كذا ، هكذا دون أن يذكر اسمها.

6- أمارات التشيع في الرسائل واضحة كالترضي على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- دون باقي الصحابة ، أو تخصيص الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم- وآل بيته دون غيرهم ، وأحيانًا تظهر بعض معتقدات الشيعة في الرسالة من التكبير خمس مرات في صلاة الجنازة إلى غيره مما أشرت إليه في ثنايا البحث ، وهذا مؤشر آخر مطمئن لصحة نسبة الرسائل للكاتب الفاطمي العميدي.

7- يرى الباحث أن علم اللغة هو أصل علم الأسلوب ؛ لأن علم الأسلوب يعتمد على دراسة السمات المميزة لأسلوب الكاتب، أو صاحب النص بحيث تكون علامة مميزة لأسلوبه ، وبصمة خاصة به، فهو متصل باللغة بشكل قطعي ، وهو معتمد في المقام الأول على جانب اللغة في مستوياتها المختلفة الصوتية ،والصرفية، والنحوية، والدلالية باحثا عن السمات أو التقنيات أو البصمة الخاصة بالكاتب في الحقول اللغوية المختلفة ، فالمدخل الصحيح للولوج إلى الأسلوبية هو من خلال اللغة ومستوياتها الأربعة ، حيث يستخرج الباحث العناصر اللغوية التي أسرف الكاتب في توظيفها كعلامات دالة على سنته في الكتابة.

8- يمكن تعريف الأسلوبية بأنها : أي سمة لغوية أو اختيار يميز طريقة فرد عن بقية الأفراد أو لغة ما عن بقية اللغات أو الكتابة في عصر ما عن بقية العصور ، أو هي سمات تركيبية لغوية تميز كتابة كاتب في موضوع ما عن بقية أساليبه في باقي الموضوعات، أو تميز أسلوبه عن أساليب غيره من الكتاب المعاصرين له ، فهي أي سمة لغوية فريدة أو اختيار مميز لأسلوب النص أو منشئه عن غيره مما يناظره من الأساليب.

9- يرى الباحث فيما يخص علاقة الأسلوب بالأدب ، أن التفرقة المشهورة بين الأسلوب الأدبي والعلمي والمبني عليها تصنيف الكلام إلى كلام يصلح للأسلوب الأدبي وآخر للعلمي ليس له علاقة وثيقة بعلم الأسلوب ؛ لأنه علم أسلوب موضوعه البحث عن السمات اللغوية التي تميز كاتب النص عن غيره بحيث تبقى علامة مميزة للمؤلف أو للنص نفسه ، إلّا لو بحثنا في استخراج السمات الأسلوبية المميزة للأسلوبين العلمي والأدبي ، وليس القول بإن مجرد توظيف الكاتب للخيال في كتاباته يعد أسلوبًا بمعنى علامة مميزة له.

10- يرى الباحث أن علاقة علم الأسلوب بالبلاغة تتمثل في كون البلاغة هي المحدد الأصيل للمعايير السابقة عن الأساليب الأدبية، وهي الضابط لما يستحسن في الاستخدام الأدبي منها وما يستكره، كما أن الانزياح أو الانحراف لا يعد أسلوبًا بمعنى سمة خاصة بطريقة الكاتب تمييزه عن غيره إلا إذا استخدمت بطريقة ملفتة

تجعل له ميزة لطريقة كتاتبه عن سائر الطرق ، فموضوع علم الأسلوب هو تناول السمات اللغوية المميزة أو العلامات المميزة لكاتب النص وليس تناول المجاز والاستعارة الواقعة فيه ، فهو مجال علم البلاغة ، ولذلك لا يرى الباحث صواب ما ذهب إليه الأستاذ أحمد درويش حين قال : " لكننا إن أردنا أن نضرب مثالا مبسطا لما يعرف بظاهرة المجاوزة ، فيمكن أن نلجأ إلى المثال الشائع : فإذا قلت " البحر أرزق" فأنت تتكلم في هذه الحالة وأنت في "درجة الصفر" التعبيرية ، أمّا إذا قلت مثلًا كقول هومير : " البحر خمري" أو " البحر بنفسجي" ، فأنت تصنع أسلوبًا " ، وقد يكون هذا الكلام صحيحًا ولكن إذا أضفنا إليه أنك تصنع بذلك أسلوبًا أدبيًا ، وليس سمات مميزة لطريقة كتابة الأفراد.

11- جاءت كثير من استفتاحات رسائل العميدي بما جرت عليه العادة في استفتاحات مكاتبات الفاطميين حيث حمد الله والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- و آل بيته وذريته - والتي ينوع في صيغتها في كل رسالة حتى وصلت إلى 13 صيغة - و أحيانا الترضي على الوصي من بعده عندهم وهو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- و هي علامة على المعتقد الشيعي يُستأنس بها في التأكد من صحة نسبة الرسائل للعميدي الكاتب الفاطمي.

12- جاءت صور استفتاحات رسائل العميدي على ثلاث صور، الكلام المنثور والقرآن والشعر ، وجاء الكلام المنثور على أربعة أضرب هي (الاستفتاح بالجملة الاسمية ، والفعلية ، والنداء ، وجملة الشرط) و تشتمل هذه الأضرب على عدة صيغ وأنماط.

13-أكثر العميدي من توظيف لفظة (كتابي) -وهو من صيغ الاستفتاح بالجملة الاسمية- في استفتاحات رسائله إلى كبار رجال الدولة الفاطمية ، ولذا فقد لازمها في أكثر صورها التحميد والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وآل بيته دون غيرها من الاستفتاحات ، وهو متفق عليه في أصول الكتابة في هذا العهد ، كما أكثر من استفتاح رسائله بلفظ أنا- وهو من صيغ الاستفتاح بالجملة الاسمية أيضًا- وهو أمر معهود أيضًا في سنن الكتابة في هذا العصر ، وهي رسائل يعبر فيها عن مشاق وصعوبات الحياة التي يواجهها ، فكلها رسائل إخوانية شخصية بينه وبين أصدقائه من كبار الدولة تدور حول ست معانٍ هي " العتاب - الاعتذار - الشكوى - الشكر - استماحة الحوائج - التهنئة " ، فناسب الاستفتاح بلفظ " أنا" ، إلى جانب اعتداد العميدي بشخصه كثيرًا ، و كل هذا كان دافعًا له للاستفتاح بهذه الصيغة.

14–كانت المقدمة سمة أصيلة في البناء الفني لرسائل العميدي ، وهو يختتمها في غالب أموره بالدعاء لمراسله أو بالصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– وآل بيته ، ثم يتخلص إلى مضمون الرسالة ، فإن لم يأت بمقدمة فيها الصلاة على النبي– صلى الله عليه وسلم– فإنه يختتمها بالدعاء لمراسله في صورة جمل اعتراضية أو جمل مسجوعة متتابعة ، و أحيانًا يأتي بمقدمات تميهدية تشتمل على نصح أو توبيخ أو تعطف...إلخ ، وغالبًا ما يعتمد فيها على التركيب الإسنادي للجملة الاسمية المركب من المبتدأ بغير لفظة محددة والخبر ، مستغلًّا دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والتحقق ، فتخرج المقدمة غالبًا مخرج الحِكَم ، وقد فعل ذلك في رسائل عتاب وهجاء و استماحة حوائج ، وأكثر رسائل المعمّيات .

15– جاءت رسائل العميدي على ضربين رسائل افتتاح المكاتبة ، ورسائل رد الجواب ، وقد وظف في استفتاحات رسائل رد الجواب المركب الإسنادي للجملة الفعلية من الفعل والفاعل على أفعال معينة ، كانت العادة آنذاك بتوظيفها في رسائل الرد ، مثل : ورد كتاب – وصلت رقعة.

16– جاء الاستفتاح بالجملة الفعلية في بعض صيغه من أفعال ماضية محددة متصلة بتاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة ، وهي (ركبتُ – كتبتُ – وصلتْ– وردت) ، وهو موافق لسنن الكتابة في هذه الفترة ، أو أفعال ماضية ومضارعة لا تنضبط على صورة بعينها ، وتدور هذه الرسائل في فلك (العتاب – الهجاء– الاعتذار– المعميّات–الوصف– التهنئة –الغلاميات – جواب الطلب– رد الجواب).

17–وظف العميدي حرفي النداء (يا –أي) في الرسائل المستفتحة بالنداء ، وقد وظف حرف (يا) لدلالته على القرب في استفتاح رسالتين أدبيتين لصديقين له ، كما استعمل أي –موظفًا دلالتها على القرب سخرية وتهكمًا– في استفتاح رسالتين في الذم والهجاء.

18–وظف العميدي حرفي الشرط (لو – لمّا) في استفتاح بعض رسائله بجملة الشرط ، موظفًا حرف لو بدلالته على الامتناع لامتناع في المبالغة في المعنى ، كما وظف حرف الشرط أمّا + الظرف (بعد) ، في استفتاح رسالتين ديوانيتين وهو موافق لسنن استفتاح الرسائل الديوانية وإنشائها.

19– وظف العميدي الاستفتاح بالشعر في بعض الرسائل الإخوانية التي تدور في العتاب والشكوى،و بعض الرسائل الأدبية ، ولم تأت أي رسالة ديوانية بهذا الاستفتاح وهو موافق لسنن الكتابة ، كما استفتح رسالة واحدة بآيات من القرآن وهي رسالة ديوانية.

20– كانت العناصر التي استخدمها العميدي في التخلص من استفتاحات رسائله غالبًا على الترتيب من الأكثر توظيفًا إلى الأقل توظيفًا هي : الواو العاطفة ، قد+ الجملة الفعلية ، حرف الإعلام (نعم) ، حرف التفصيل أمَّا ، حرف الشرط لمَّا ، الجملة الاسمية ، و أخيرًا الجملة الفعلية ، وقد جاءت الرسالة السادسة والستون فقط بلا استفتاح وبلا تخلص ؛ فقد سقطت مقدمتها وضاعت وهي رسالة في العتاب وتقع في صفحة واحدة.

21– جاء الدعاء في رسائل العميدي على سنن الكتابة المعهودة ، فقد أعطى كل طبقة ما يلائمها من الأدعية ، و هو يستفتح غالب رسائله بالدعاء بطول البقاء للمراسله ، كأن يقول: أطال الله بقاءك ، ونحوها ، وهو لا يورد مثل هذا الدعاء غالبًا في ثنايا الرسائل ،و من الأدعية التي غلبت على استعماله إياها في رسائله لأصدقائه : أدام الله عزك ، حفظك الله وأمتعك بك ، أدام الله إمتاعي ببقائك ونحوها ، ومن الأدعية التي خص بها الخليفة الفاطمي : سلام الله عليه – أعلى الله رأيه ، ومن الأدعية التي خص بها كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء و القضاة : أدام الله تمكينه / أدام الله تمهيده / أدام الله إجلاله / أدام الله دولته/ أدام الله علوه / أدام الله سموه / أدام الله أيامه / أدام الله سعود أيامه / أدام الله تأييده / أدام الله نعمته/ أدام الله فضله...إلخ ، وهو في ذلك يجري على سنن الكتابة المعهودة من تخصيص أدعية محددة لكل طبقة ، وقد كان الدعاء الاعتراضي في استفتاحات الرسائل في العصر الفاطمي بطول البقاء والعز.... إلخ ، كما رجحت إحدى الباحثات رسمٌ من رسوم المخاطبة أو ضربٌ من ضروب المجاملة في هذا الوقت ، وهذا ما يعلل سبب استفتاح العميدي رسالته الثمانين بالدعاء لمن يراسله مع كونها من أولها لآخرها رسالة في الهجاء والذم ، إلى غيرها من الشواهد ، مما يؤكد ما ذهبت إليه الباحثة.

22– من العناصر الشكلية التي سقطت من استفتاحات العميدي البسملة والسلام ، ولعل ناسخ الرسائل أسقطهما سهوًا ، أو من باب الاختصار.

23– جاءت اختتامات رسائل العميدي على ثلاث صور إمّا بالكلام المنثور أو بالقرآن أو بالشعر ، وقد جاء الكلام المنثور على خمس معانٍ : هنَّ (الاختتام بالطلب إمَّا بطلب مواصلة الكتب بينه وبين مراسله متضمنة طلب المطالعة بأخبار مراسله ليسكن إليها ، و أوامره ليلتزمها ، وهو يوظف فيها دائمًا لفظة " يطالع" بجميع أشكالها وصيغها ، و إمَّا أن يكون في استماحة الحوائج – الاختتام باسترضاء واستعطاف من يكاتبه ، وغالبًا ما يأكد طلبه فيها قبل استرضائه مراسله موظفًا فيه غالبا الحال المفردة نحو : عالمًا بأني كذا ، أو واثقًا بأني

كذا ونحوها –الاختتام بالدعاء لمُراسله على صيغ مختلفة – الاختتام بالتهديد موظفًا جملة الشرط المصدرة في الغالب بإن– الاختتام برد الرسالة إلى أولها بما يشبه الدائرة المغلقة) ، وهو يوظف الشعر في اختتام الرسائل الأدبية وخاصة رسائل المعمّيات ، فيختصر اللغز أو ما عُمّي فيجعله في بيتين أو ثلاثة في خاتمة الرسالة ، وقد يوظفه أيضًا للاستشهاد على كلامه في آخر رسائل العتاب والذم ، وقد اختتم بأبيات الشعر عشر رسائل من رسائله ، كما اختتم خمس رسائل بآيات من القرآن الكريم ، ثلاثة منهن ديوانية ، واثنتين إخوانيتين ، وهو موافق لسنن الكتابة في هذا العصر.

24–من العناصر التي وظفها العميدي في غالب اختتامات رسائله ، الاختتام بلفظ المشيئة ، وهو يوظفها في أغلب رسائله بَيدَ أن رسائله إلى كبار رجال الدولة لا يمكن أن تخلو منها ، وخاصة بصيغة " إن شاء الله "، أو" إن شاء الله –تعالى–" ، وهو موافق لسنن الكتابة ، كما أنّه لا يوظف التسليم في اختتامات رسائله إلا في اختتام رسائل الهجاء والذم ، وغالبا ما يسبقها بتهديد ، ويأتي بلفظ " والسلام" ، كما جاءت الحسبلة في بعض اختتاماته وغالب استخدامها في رسائل الهجاء والشكوى ، إلى جانب اختتامه كثيرًا من رسائله بتتمة الدعاء العائد إلى الله كلفظ :" بجوده ومجده / بجوده ورحمته/ بمنه وكرمه...وما أشبههن ، كما خلت خواتيم رسائله من الصلاة على النبي– صلى الله عليه وسلم– وآل بيته عدا رسالة واحدة ، وذلك على خلاف الوضع في مقدمة رسائله ، وهذا موافق لطرق كتابة الفاطميين.

25– كانت عناوين رسائل العميدي من صنع ناسخ الرسائل ، حيث غالبًا ما تُعنْون بضمير الغائب العائد إلى العميدي وأكثر صورها التركيبية حضورًا هي : وله –أي للعميدي– + التنبيه على نوع الرسالة (رقعة / رسالة / كتاب/ رقعة رسالة/ جواب كتاب/ في كذا/..) + إلى فلان + الغرض من الرسالة (غالبا يقال يفعل كذا) وقد يتضمن سخرية أو إطراء ومدح كما قد يأتي مزدوجًا مسجوعًا + مكانه وقت إرساله الرسالة ، وقد يسقط الناسخ لفظ (له) فينص على نوع الرسالة مباشرة ، كما قد يثبت الناسخ التاريخ في العنوان أو يربطها بحدث ما كأن تكون الرسالة هي أول ما أرسله للعميدي لهذا الشخص بعد توليه الوزارة مثلًا فينبه بقوله : " وهي أول رسالة له بعد الوزارة" وما إلى ذلك.

26– استخدم ناسخ الرسائل لفظة رقعة في عنوان الرسائل حوالي (58) مرة ، أي في أكثر من نصف الرسائل و لعل استخدام الناسخ للفظة رقعة في العنوان إشارة فقط إلى نوع الورقة التي كتبت الرسالة عليها وشكلها ، و

قد كان الورق الطلحي هو الورق الذي كان يكتب عليه في ديوان الإنشاء، وقد شاع استعماله بمصر وخاصة في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله سنة 415هـ ، وينسب إلى الطالح ، شجر عظام ينبت في أرض الحجاز، ولم تختص هذه الرسائل المعنونة بهذا اللفظ بغرض معين دون آخر ، فجاءت في عناوين رسائل الهجاء والمدح والشكوى والشكر والتعزية والتهنئة ، بينما استخدم لفظة رسالة في العناوين (10) مرات وهو غالبًا ما يستعملها لعنونة رسائل العميدي الأدبية الغرض ، و أمّا لفظة كتاب فقد وردت حوالي (9) مرات ، ولدوران معاني هذا اللفظ حول أشياء قيمة مهمة معظمة فقد استعمل الناسخ هذا اللفظ في عنوان ثمانية رسائل كلها مهمة ، إمَّا لأهمية الموضوع أو لأهمية المُرسَل إليه ، وقد استعمل لفظة نسخة مرتين لعنونة رسالتين إحداهما ديوانية و الأخرى إخوانية ، وهي لفظة أقرب ما تشير في استخدامها مع الرسالة الديوانية إلى عمل ناسخ الرسالة ، حيث يُعد أكثر من نسخة لإرسالها إلى عدة جهات ، وقد يعنون الرسائل بلفظ "إلى فلان " وقد استعملها حوالي (15) مرة ، وكلها رسائل إخوانية وغالبيتها مرسلة إلى كبار رجال الدولة فتعنون بحرف الجر (إلى) ثم اسم المُرسل إليه ، وهو غالبًا ما يقدم لقب المُرسل إليه على اسمه لاشتهاره ، كما قد يورد كنيته واسمه ولقبه معًا ، أو كنيته واسمه دون لقبه وهكذا ، وقد يسقط اسم المُرسل إليه من العنوان فتأتي الرسالة مجهولة الإرسال ، كما قد يثبت اسم حامل الرسالة للمُرسل إليه في العنوان ، كما قد يعنون الرسائل بحرف الجر (في) ثم غرض الرسالة مباشرة ، وقد استعملها مرتين واحدة منهما في الذم والثانية في المداعبة ، وهناك رسالتان إحداهما سقط عنوانها فقط ، والأخرى سقط عنوانها ومقدمتها منها وهما الرسالتان على الترتيب (91) ، (96).

27- تنوعت رسائل العميدي ما بين رسائل إخوانية شخصية ، ورسائل أدبية فنّية ، ورسائل ديوانية رسمية ، وإن كان الحظ الأوفر والنصيب الأكبر للرسائل الإخوانية ، فوصل عددها إلى حوالي(66) رسالة مقسمة على النحو الآتي : (11 رسالة في الشكوى – 12 رسالة في العتاب- 10 رسائل في الذم والهجاء- رسالتان في التعزية-3 رسائل في التهنئة- رسالتان في الاعتذار والاسترضاء-10 رسائل في استماحة الحوائج- رسالة واحدة في الشكر- رسالتان في الاستزارة- رسالتان في التشوق – رسالتان في العنايات والشفاعات- رسالتان في العيادة والسؤال عن المريض – 5 رسائل في الإخبار- رسالتان في المداعبة) وقد جاءت أكثرها مقتضبة بمتوسط 4 صفحات للرسالة الواحدة، أمَّا الرسائل الأدبية فوصل عددها إلى حوالي (26) رسالة وهي على

النحو الآتي : (15 رسالة في الوصف –4 رسائل في الغلاميات– 6 رسائل في الألغاز والمعمّيات– رسالة واحدة في حل قصيدة شعرية) وجاءت في أغلبها متوسطة الطول ما بين 4–7 صفحات ، أمّا الرسائل الديوانية فوصلت إلى حوالي (5) رسائل على النحو الآتي : (رسالتان في الوعيد – رسالة في الإحماد– رسالة في الإخبار بسلامة وصول الخليفة– رسالة في الإخبار إلى صديق له بانتصار الدولة الفاطمية على المخالفين لها [و يرجح الباحث أن هذا الصديق من كبار رجال الدولة الفاطمية، وأنه أرسلها إليها ليُعلِم من تحته بالخبر] ، وهي الرسالة التي ذكرها ابن الساعي في الدر الثمين في ترجمته للعميدي ، واعتمد المحقق عليها في إثبات صحة نسبة هذه الرسائل للعميدي، وقد جاءت الرسائل الديوانية في أغلبها طويلة فوصلت رسالتي الوعيد إلى حوالي 17 صفحة في كلٍّ منهما وهما أطول رسالتين للعميدي ، كما وصلت رسالة الإخبار بالنصر إلى حوالي 13 صفحة ، وجاءت رسالتي الإخبار بسلامة الوصول والإحماد مقتضبتين وهو ملائم للغرض.

28– شاع في رسائل العميدي الاقتباس والتضمين من الموروثين الديني والأدبي على حدٍ سواء ، فالرسائل ملأى بآيات القرآن الكريم اقتباسًا وحلًّا وخاصة الرسائل الديوانية منها ، بحيث لا تكاد تخلو منه رسالة ، وهو يوظفها إمّا تأكيدًا للمعنى السابق أو إتمامًا لمعنى الجملة ، وقد اقتبس حوالي 33 آية واستشهد ب 7 آيات ، وجاءت حوالي 24 آية منهن اقتباسًا واستشهادًا في أربع رسائل ديوانية فقط وهو ما يتوافق مع سنن الكتابة في القرن الرابع الهجري في مصر الفاطمية، و إن كان ورود الأحاديث النبوية في رسائله قليلة جدًا فاستشهد في رسائله بحديث واحد ، استعمله في رسالة في الغلاميات ! كما حلَّ الأحاديث القليلة في رسائله والتي لم تتجاوز عشرة أحاديث، كذلك شاع في رسائله الإخوانية اقتباس الشعر لفحول الشعراء و الاستشهاد بشعره هو فقد كان كاتبًا شاعرًا، ووصلت أبيات الشعر له ولغيره في رسائله إلى حوالي 179 بيت ، و11 من أنصاف الأبيات أغلبها من بحر الطويل فالبسيط فالكامل، وكلها في الرسائل الإخوانية والأدبية ، في حين خلت منها الرسائل الديوانية وهو المتبع ، وقد بنى ثلاث رسائل أدبية من أولها لآخرها على الشعر ، كما شاع أيضًا تضمين رسائله للأمثال والحِكَم ، فجاءت في رسائله أمثال عقدت بالسجع حوالي مثالين ، وما لم تعقد بالسجع وهي الأكثر وقد وصلت إلى حوالي 23 مثلًا ، كان أكثرهن ورودًا: يضع الهِناء مواضع النُّقب ، استنت الفصال حتى القرعى ، سكت ألفًا ونطق خلفًا ، سوء كيلة وحشف ، لاقى ما لاقى مجير أم عامر ، أمّا الحِكَم فجاءت

على ضربين : إمّا أن ينقل حكمة سائرة مشهورة بنصها وهو الجانب الأقل، أو يقول كلامًا يخرج مخرج الحكمة وهو الجانب الأكثر ، وغالبًا ما يفعل ذلك في استفتاحات رسائله مستعضيًا بذلك عن المقدمات التقليدية .

29- وقع الخلاف بين البلاغيين في تعريف الاقتباس والتضمين ، فمنهم من عدَّهما شيئًا واحدًا ، ومنهم من جعل الاقتباس في النص النثري بينما التضمين في الشعر ، و منهم من لم يجعل الاقتباس مقصورًا على النص الديني بل جعله يشمل الموروثين الديني والأدبي ، ومنهم من جعل التضمين كذلك ، وقد رأى الباحث خروجًا من الخلاف عدّهما بنفس المعنى وهو رأي القلقشندي ، كما يرى الباحث أن من الأنسب أن يُجعل مصطلح الاقتباس مقصورًا على النص الديني والتضمين للنص الأدبي لما في لفظ الاقتباس من النور والهداية وهو ما يلائم الأخذ من كلام الله -تعالى- ورسوله ، فلا يُجعل بإزاء كلام المخلوقين.

30- أثبت الباحث فهرسًا لآيات القرآن الكريم في رسائل العميدي في ملاحق البحث ، لتكون عونًا ومرشدًا لأي باحث بعد ذلك في رسائل العميدي ، فإن محقق الرسائل -جزاه الله خيرًا- قد وضع فهارس في آخر الكتاب للأعلام والأماكن والألفاظ والمصطلحات اللغوية والحضارية والألقاب والأمثال والأبيات الواردة في رسائل العميدي غير أنَّه لم يضع فهرسًا لآيات القرآن الكريم الواردة في رسائل العميدي .

31- كان لحل الموروثين الديني والأدبي في رسائل العميدي ظهور قوي ، فلا تكاد تخلو رسالة من رسائله من حل آية بعضها أو كلها ، أو حل بيت من الشعر أو نصف بيت أو قصيدة كاملة لفحل من فحول الشعراء.

32- أدى ميل العميدي للمبالغة والتهويل إلى ظهور مجموعة من العناصر اللغوية بشكل مكثف في رسائله حتى أضحت سمات أسلوبية له ، كالإكثار من الاستثناء المفرغ وخاصة بواسطة حرف الاستثناء إلا مع حرفي النفى (لا) ، (ما) ، كما أكثر العميدي من توظيف (لا) النافية مع تكرارها في ذات الجملة حتى أضحت سمة أسلوبية له.

33- كان لأسلوب الشرط ظهورٌ قوي في رسائله خاصة أدوات الشرط غير الجازمة[إذا - لو - لولا - لمَّا] لما يضفيه الشرط من دلالة على الإلزام وربطه بين الجمل ، وهو غالبًا ما يوظف الدلالة في إذا من دخولها على ما هو راجح الوقوع متحقق الحدوث ، والدلالة فى لو الامتناعية الشرطية على الامتناع لتحقيق المبالغة والتهويل ، كما يوظف الأخيرة كثيرًا في الاعتذار عن الحضور للقاء مراسله لتعثره غالبًا في الطريق، أمَّا لمَّا

فيوردها غالبًا قبل توضيح الأسباب التي دفعت ولي الأمر إلى إسناد مهمة لأحدهم ، و هو ما يتوافق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين في توظيف الكُتَّاب الفاطميين للمَّا الشرطية لمثل ذلك ، كما يوظف لولا غالبًا للمبالغة والتهويل، و تحقيق المقابلة في المعنى و الاعتذار التهكمي كتنزهه مثلا عن مقابلة من يذمه بما يستحقه من السب والشتم لترفعه عن أمثاله ، بالإضافة إلى توظيف إنْ الشرطية في التهديد في خواتيم رسائل العتاب والذم والوعيد.

34- أدى ميل العميدي إلى تدقيق الوصف، واستقصاء الأمد فيه إلى ظهور الحال بكثرة ، كما أدى ميله إلى تكثيف الإيقاع المتناغم للتأثير في المُخاطَبين إلى تكثيفه توظيف السجع المتوازي في جميع رسائله وقد نتج عن ذلك تعدد الوصف من حال ونعت وخبر ، و إعطاء مساحة كبيرة للوصف عنده وهو موافق أيضا لما ذهب إليه د.شوقى ضيف ود.زكي مبارك وغيرهما من ميل كتاب القرن الرابع إلى استقصاء الوصف.

35- أكثر العميدي من توظيف المفعول المطلق وخاصة المفعول المطلق المبين للنوع، لتأكيد المبالغة ، كما أكثر من توظيف المفعول المطلق المؤكد لعامله المحذوف وجوبًا وخاصة لفظة (فضلاً) والتي يوظفها في المقارنة وإظهار التفاوت والتباين إمعانًا في المبالغة في السخرية والذم و في الإطراء والمدح كذلك، في حين لم يأت في رسالته أي مفعول مطلق مبين للعدد كما كثر فى ثنايا رسائله توظيفه لفظة (كل) بما تضفيه هذا اللفظة من استغراق الجنس لتحقيق المبالغة ، كذلك استعمل كم الخبرية للمبالغة في إظهار التحسر و التندم والهجاء.

36- نظرًا لكثرة اعتماده على توظيف الحال في رسائله كان من الطبعي ظهور المشتقات الصرفية من اسم فاعل بما يضفيه من دلالة على الذات الفاعلة والحدث، واسم مفعول بما يضفيه من وصف الذات التي وقع عليها فعل الفاعل والحدث ، و صيغ مبالغة بما تضفيه من دلالة على حدوث الفعل بقوة فضلًا عن وصف الذات الفاعلة للفعل ،و اسم تفضيل بكثرة أيضًا فى رسائله بما يضفيه من دلالة على الثبوت والدوام ليوظفها في إحكام المقارنة بهدف المبالغة في الوصف.

37- كان للجناس الناقص حضور قوي في رسائل العميدي فلم تكد تخلو منه صفحة ، وهو غالبًا ما يجانس بين الكلمات المتضادة في المعنى لإحكام صنعة المبالغة بإضفاء جرس موسيقي على المتقابلات في المعاني

، فإن لم يستطع أن يجانس بين المتضادات في المعنى جانس بين المتقاربات في المعنى لتساعده على الإطناب بالترادف واستقصاء المعاني وإظهار المقدرة البلاغية العالية له.

38- كان حضور الطباق الإيجابي أكثر بكثير من الطباق السلبي وهو يعتمد عليه كمرتكز من مرتكزات أسلوبه ، فلم تكد تخلو منه صفحة من صفحات رسائله.

39- ظهرت المماثلة بشكل مكثف في رسائل العميدي، فإلى جانب التزامه بالسجع في كل ترسله، كان العميدي يوظف المماثلة لتكثيف الإيقاع للضغط على أفكار معينة .

40-كانت المقابلة سمة من أهم سمات أسلوب العميدي ، وهو يعتمد عليها في إحكام السخرية والذم ، والمبالغة في المعنى، كما جاءت العديد من الجمل المتقابلة متماثلة وزنًا.

41- كان لمراعاة النظير ظهور قوي في رسائله، لميله للإطناب والمبالغة و تدقيق الوصف، فلم تكد تخلو منه رسالة.

42- كان السجع المتوازي سمة من أهم السمات الأصيلة في أسلوب العميدي ، وهو يوظف العطف بالواو كثيرًا لإقامته ، كما يوظف تعدد الوصف أيضًا في ذلك ، مما أدى إلى ظهور التعددية في الحال والنعت والخبر، وكثرة الإطناب بالكلمات المترادفة ، فالعميدي من الكُتّاب الذين التزموا السجع في كل كلامهم ، وهو غالبًا ما يُسجع جملتين جملتين .

43-من طرائق العميدي في استخدام السجع في رسائله استعمال العطف في إحدى قريتي السجع دون الأخرى للإكثار من الإطناب بالمترادفات والمبالغة في المعنى.

44- كان التكرار التركيبي من أهم سمات أسلوب العميدي فلم تخل منه صفحة من صفحات رسائله ، وهو عادة ما يكرر التركيب مرتين ، وفى أحايين أخرى قد يصل تكرار التركيب إلى أكثر من ست مرات ، وهو يعتمد عليه لتكثيف الإيقاع والضغط على فكرة بعينها في الرسالة.

45-كان التشبيه البليغ بالمركب الأضافي خاصة سمة أسلوبية للعميدي في رسائله فلم تكد تخلو منه صفحة من صفحات رسائله.

46–كان للتشبيه التمثيلي حضور قوي في رسائل العميدي وهو يوظفه للمبالغة في الوصف ،والسخرية والتهكم.

47– كان حضور الاستعارة المكنية أكثر بكثير من الاستعارة التصريحية، في رسائله إلى جانب ميل العميدي إلى توظيف الخيال الممتد الذي لم تخل منه رسالة.

48– الإطناب بالترادف (بالكلمات والجمل) إحدى السمات الأسلوبية الأصيلة لأسلوب العميدي لميله إلى تدقيق الوصف واستقصاء المعاني بالإضافة إلى تأثير الحيز العاطفي لديه في كتابته الذي كان يدفعه دفعًا إلي بسط المعاني والوصف.

49–كان للإطناب بالاعتراض ظهور قوي في رسائله فلم تخل منه صفحة ، وهو يوظفه للدعاء أو للاستعاذة أو للتنزيه أو لتفسير شيءٍ ما ، أو للاحتراس ، وإن كان غالب توظيفه في المطلق للدعاء للمُرَاسِله ، وهذا الدعاء بالجمل الاعتراضية يكثر في الرسائل المرسلة إلى كبار رجال الدولة ، وهو ملائم لنوعية هذه الرسائل ، كما أنّه يكثر من استعمال جمل اعتراضية بعينها نحو : يعلم الله ، و يشهد الله.

50– تميز أسلوب العميدي بنغمة ملحمية تصاعدية عالية يستشفها كل قارئ لرسائله ،وهي منبثقة من عاطفته القوية وحماسته في طرح قضيته ، حتى إن جمله كلها لتأخذ بعضها برقاب بعض ، فتتصاعد شدة وقوة ، في وتيرة متعالية ، تكون كل جملة فيها أشد من سابقتها حماسةً وقوةً و عاطفةً وشعورًا ، وهذا أمر شائع في جلّ رسائله ، ، ولعل إحساسه بالظلم وإدبار الدولة العلية عنه في آخر أيامه وما نتج عنه من قطع راتبه عنه لخمس سنين ، إلى جانب الجو المشحون بالحروب والقتل والدماء بسبب المعارك التي خاضتها الدولة الفاطمية ضد الخارجين عليها والتي لم تتوقف منذ نشأتها وحتى نهايتها ، إلى جانب الاستعداد الداخلي له فقد كاتبًا قوي الحس ، شديد الانفعال ، عاطفي المزاج – كان مؤججًا لهذه النغمة الملحمية المتصاعدة في رسائله.

51–أكثر العمدي من توظيف (بل) العاطفة المفيدة للإضراب ، للمبالغة في الهجاء و الذم وأحيانا للمبالغة في الإطراء والمدح ، كما ظهرت (لا) العاطفة النافية ظهورًا قويًّا في رسائله وهو يوظفها في تحقيق المبالغة والتهويل.

52– لاحظ الباحث اضطرابًا فى بعض رسائل الدراسة في التكوين وابتعادًا عن أسلوب العميدي العام في جل رسائله ، بل جاءت هذه الرسائل تصفه بأمور تقدح في عدالته و مروءته و تهاجم كبار رجال الدولة– وإن كان هو نفسه منهم – وإن لم تخل فى بعضها من أخطاء تاريخية ، كالذي أشرت إليه في رسالته العشرين في مبحث النغمة التصاعدية ، و أرقام هذه الرسائل على الترتيب : 17 ، 20 ، 22 ، 23 ، 27 ، 31 ، 38 ، 40 ، 49 ، 54 ، 67 ، 73 ، 83 ، 85 ، 89 ، 91 ، 95 ،96 ، 97.

53– كان العميدي رجلًا مليح العبارة ، مُتّقد الذهن ، خفيف الظل ، ذا روح مرحة ، يميل إلى الفكاهة والمداعبة ، والتعليقات التهكمية الساخرة، والتي غلبت على أسلوبه ، فكان غالبًا ما يُخرج الاستفهام –خاصة الاستفهام بالهمزة – من وظيفته الأساسية التي هي طلب التصديق و التصور إلى الإنكار بنوعيه الإبطالي والتوبيخي سخريةً وتهكمًا.

54– كان العميدي يميل إلى التهويل و المبالغة في المعنى، وهو موافق للسمات الأسلوبية للكتاب في هذا العصر ، إلى جانب ميله في أسلوبه إلى التملق والتلطف ، فلكونه قريبا من كبار رجال الدولة الفاطمية ومراسلًا لهم في كثير من رسائله جاء أسلوبه مصبوغًا بالتملق والتلطف.

55– جاءت رسائل العميدي موافقة للسمات الأسلوبية العامة لكُتّاب القرن الرابع الهجري كالإفراط في استعمال السجع والجناس والميل إلى استقصاء الوصف و كثرة استخدام الطباق والمقابلة والتكرار التركيبي ومراعاة النظير والميل إلى المبالغة والتهويل ، مما يقوي الاطمئنان لصحة نسبة هذه الرسائل لأبي سعد العميدي الذي عاش في تلك الحقبة.

56– جاء أسلوب العميدي في جل رسائله موافقًا لأسلوبه في مقدمتي كتابه المطبوع الوحيد " الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى " ؛ مما يؤكد صحة نسبة الرسائل موضع الدراسة إليه فإلى جانب اتجاه محقق الرسائل لإثبات صحة نسبة الرسائل للعميدي من خلال بعض الأدلة التي وقعت تحت يديه كورود اسم العميدي في الرسائل متحدثًا عن نفسه خمس مرات، إلى جانب دراسته للجوانب التاريخية والجغرافية في الرسائل كدراسته لأهم الشخصيات والأماكن الواردة فيها ، و إلى جانب اعتماده على وجود الرسالة رقم 60 من رسائل العميدي بعنوان " نسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيهم وطائيهم " والتي وردت في ترجمة ابن الساعي له في الدر الثمين ضمن أسماء الكتب التي ألفها العميدي ، كان اتجاه الباحث هو الدخول

من الناحية الإجرائية ، بدراسة أسلوب الرسائل من داخلها ومناظرة أسلوبها بأسلوب ما ثبت لدينا من كتابات العميدي مما أدى إلى تقديم دليل آخر إجرائي على صحة نسبة هذه الرسائل لأبي سعد العميدي.

التَّوصيات

1- دراسة رسائل العميدي على المستوى المعجمي ، كدراسة الألفاظ الغريبة الواردة في الرسائل ، والحقول الدلالية ، و الثراء المعجمي.

2-دراسة أسلوب العطف في رسائل العميدي ، وتوظيفه له في رسائله.

3- دراسة أسلوب النفي في رسائل العميدي ، وتوظيفه له في رسائله.

4- دراسة أسلوبية لمختصر كتابه المتبقي الوحيد - بالإضافة إلى كتاب الإبانة- تنقيح البلاغة الموجود كمخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط للتثبت من أهم السمات الأسلوبية التي ارتكز العميدي على توظيفها في أسلوبه .

5- دراسة أسلوبية للرسائل التي أشار الباحث إلى خروجها عن الأسلوب العام للعميدي في مبحث الأسلوب التصاعدي ، والتحقق من صحة نسبتها إليه.

ثَبَت المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم.

ثانيًا : المصادر:

1- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنًى، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي [-433هـ] ، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي،دار المعارف، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1961م.

2- إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي [-845هـ]، ، تحقيق د.جمال الدين الشيال و د. محمد حلمي محمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، القاهرة ،-مصر، ط1 ، د.ت.

3- الإتقان في علوم القرآن ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [-911هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة- مصر، ط1 ، 1974م.

4- إحكام صنعة الكلام ،لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي [-542هـ] ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت -لبنان ، د.ط ، 1966م.

5-أخبار مصر في سنتين [414-415هـ] ، لعزّ الملك محمد بن عبيد الله المسبحي[-420هـ] ، تحقيق د. حسين نصار ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1984م.

6- أخبار مصر في سنتين [414هـ-415هـ]، لعزّ الملك محمد بن عبيد الله المسبحي[-420هـ] ، تحقيق وليم ج .ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر ،د.ط ، 1980م.

7- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي [-745هـ] ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1998م.

8- أسرار البلاغة ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[-471هـ] ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة- السعودية ، د.ط ،د.ت.

9- أشعار النساء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني[-384هـ]، تحقيق د.سامي مكي العاني و هلال ناجي ، دار عالم الكتب ، بغداد -العراق ، ط1 ،1995م.

10- الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج [-316هـ] ، تحقيق د.عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت.

11- إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني [-403هـ] ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، ط 5 ، 1997م.

12- الأعلام ، لخير الدين محمود بن محمد الزركلي [-1396هـ] ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط 15، 2002م.

13- أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين [-1371هـ] ، تحقيق وتخريج حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت -لبنان ،د.ط ، 1983م.

14- الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني [-356هـ] ، تحقيق د.إحسان عباس وآخرين ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 2008م.

15- ألفية ابن مالك في النحو الصرف ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي [-672هـ] ، دار السلام ، القاهرة-مصر ، ط2 ، 2003م.

16- إنبَاه الرواة على أنبَاه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي[-646هـ] ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان ،ط1، 1982م .

17- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري [-577هـ] ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2003م.

18- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المعروف بابن هشام [-761هـ] ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت.

19- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، لأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني [-739هـ] ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2003م .

20- البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي [-774هـ] ، دار المعارف ، بيروت- لبنان ، د.ط ، 1990م .

21- بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ، المعروف بابن قيم الجوزية [-751هـ] ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ،د.ط ، د.ت.

22- البديع في البديع ، لأبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله [-296هـ] ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1990م.

23- البديع في نقد الشعر ، لأبي المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ [-584هـ] ، تحقيق د.أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1960م .

24- البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي [-794هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1957م.

25- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي[-817هـ] ، تحقيق محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة-مصر ،ط1، 1992م.

26- بغية الطلب في تاريخ حلب ، لعمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم [-660هـ] ، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت -لبنان-، ط1، 1988م.

27- بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[-911هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية،لبنان-صيدا ، د.ط ، د.ت.

28- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ [-255هـ] ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت-لبنان، د.ط ، 1423هـ.

29- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي [-1205هـ] ، تحقيق جماعة من المختصين ، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ،ط1 ، 1965-2001م .

30- تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري [-393هـ] ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط4 ، 1987م.

31- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي [-748هـ] ، تحقيق د.عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، ط2، 1993م.

32- تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر[-571هـ] ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط1، 1995م.

33- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة [-276هـ]، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة-مصر ،د.ط ، 1954م.

34- التحبير في المعجم الكبير ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني [-562هـ] ، تحقيق منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد-العراق ، ط1 ، 1975م.

35- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الأصبع العدوانيّ [-654هـ] ، تحقيق د.حنفي محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1963م.

36- التذكرة الحمدونية ،لأبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون [-562هـ] ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط1، 1417هـ.

37- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [-672هـ] ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، القاهرة-مصر ، د.ط ، 1967م.

38- التهذيب الوسيط في النحو ، لسابق الدين محمد بن علي بن يعيش الصنعاني [-680هـ] ، تحقيق د.فخر صالح سليمان ، دار الجيل ، بيروت-لبنان- ، ط1 ، 1991م .

39- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، لأبي محمد حسن بن قاسم المرادي [-749هـ] ، تحقيق د.عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 2008م .

40- الجنى الداني في حروف المعاني ، لأبي محمد حسن بن قاسم بن علي المرادي [-749هـ] ، تحقيق د.فخر الدين قباوة ، أ.محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1992م.

41- جواهر الألفاظ ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر[-337هـ] ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1985م.

42-جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة) ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي[-737هـ] ، تحقيق د.محمد زغلول سلّام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية-مصر ، د.ط ،د.ت.

43- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، للشيخ محمد الدمياطي الشهير بالخضري [-1287هـ] ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ، ط 1 ، 2003م .

44- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، لأبي العرفان محمد بن عليّ الصبّان [-1206هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1997م.

45- حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الحلبي[-725هـ] ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد -العراق ، د.ط ، 1980م.

46- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[-911هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه- ، القاهرة- مصر ، ط1، 1967م.

47- خزانة الأدب وغاية الأَرَب ، لأبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة الحموي [-837هـ] ، تحقيق عصام شقيو ،دار البحار ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأخيرة ، 2004م.

48- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ [-392هـ] ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة-مصر ، ط4، د.ت.

49- الدر الثمين في أسماء المصنفين، لعلي بن أنجب بن عبد الله ، المعروف بابن الساعي[-674هـ] ،تحقيق أحمد شوقي بنبين -محمد سعيد حنشي ،دار الغرب الإسلامي ،تونس،ط1 ،2009م.

50- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لأبي بكر عبد القاهر بن محمد الجرجاني [-471هـ] ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، مطبعة المِدني، القاهرة-مصر ،ط3 ، 1992م.

51- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(تاريخ ابن خلدون) ، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون[-808هـ] ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت-لبنان ،ط2 ، 1988م.

52- ديوان النابغة الذبياني ، لأبي أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني [-18ق.هـ] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة-مصر ، ط2 ، د.ت .

53- ديوان أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب-كرم الله وجهه- ، لعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- [-40هـ] ، تحقيق عبد العزيز الكرم ، نشر الكتاب المحقق نفسه ، ط1 ، 1988م.

54- ديوان مجنون ليلى ، لقيس بن الملوح [-68هـ] ، جمع وترتيب أبي بكر الوالبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة -مصر ، د.ط، 1987م.

55- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني [-542هـ] ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار العربية للكتاب ، (ليبيا -تونس) ، ط 1 ، 1979م .

56- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، آغا بزرك الطهراني [-1389هـ] ، دار الأضواء، بيروت-لبنان ، ط 3 ،1983م.

57- رسائل العميدي ،لأبي سعد محمد بن أحمد العميدي[-433هـ] ، تحقيق د.إحسان ذنون الثامري ، إصدارات كرسي د.عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود ،الرياض-السعودية ، ط1 ، 2013م.

58- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي [-702هـ] ، تحقيق د.أحمد محمد الخرَّاط ، دار القلم ، دمشق-سوريا ، ط3 ، 2002م.

59- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، لعمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم [-660هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، ط1، 1996م .

60- السجلات المستنصرية ، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- [-487هـ] إلى دعاة اليمن وغيرهم -قدس الله أرواح جميع المؤمنين-، تقديم وتحقيق د.عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، القاهرة- مصر ، د.ط، 1954م .

61- سر الفصاحة ، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي[-466هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1982م.

62- سفر نامه ، لأبي معين الدين ناصر خسرو القبادياني [-481هـ] ، تحقيق د.يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت -لبنان ،ط3، 1983م .

63- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب المعروف ببهاء الدين الجُندي[-732هـ] ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء-اليمن ، ط 2، 1995م.

64- سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي [-748هـ]، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، ط3، 1985م .

65- شذرات الذَّهب في أخبار من ذَهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي [-1089هـ] ، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، ط1، 1986م.

66- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي المعروف بابن عقيل [-769هـ]، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة-مصر ، ط 20 ، 1980م .

67- شرح التسهيل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [-672هـ] ، تحقيق د.عبد الرحمن السيد ، د.محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة ، القاهرة -مصر ، ط1 ،1990م.

68- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، لخالد بن عبد الله الأزهري ، المعروف بالوقّاد [-905هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2000م.

69- شرح الكافية الشافية ،لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك [-672هـ] ، تحقيق د.عبد المنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة -السعودية ، ط1 ،1982م .

70- شرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني [-486هـ] ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار الطلائع ، القاهرة-مصر ، د.ط ، 2014م .

71- شرح المفصل للزمخشري ، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش [-643هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2001م.

72- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المعروف بابن هشام [-761هـ] ، تحقيق عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا ، د.ط ، د.ت .

73- شرح قَطر النَّدى وَبلِّ الصَّدَى، لأبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف ابن هشام [-761هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الخير ، دمشق-سوريا ، ط1 ، 1990م.

74- شرح كتاب الحدود في النحو ، لعبد الله بن أحمد الفاكهي [-972هـ] ، تحقيق د.المتولي رمضان ، مكتبة وهبة ، القاهرة- مصر ،ط2 ، 1993م.

75- شرح معاني شعر المتنبي ، لأبي القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلي [-441هـ] ، تحقيق د. مصطفى عليَّان ،مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، ط1، 1992م.

76- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي [-395هـ] ، تحقيق أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1997م.

77- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي[-821هـ] ،تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 ، 1987م.

78- الصبح المُنبِي عن حثيثة المتنبي ، يوسف البديعي الدمشقي [-1073هـ] ، المطبعة العامرة الشرفية ، مصر ، ط1، 1891م.

79- صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[-256هـ] ، تحقيق جماعة من العلماء، دار طوق النجاة ، بيروت-لبنان، ط 1 ، 1422هـ.

80- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري [-261هـ] ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، القاهرة -مصر ، ط1 ، 1955م .

81- طبقات المفسرين ، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي [-945هـ] ، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت- ، ط1 ،1983م.

82- العِبر في خبر من غَبر ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي [-748هـ] ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت.

83- عَروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، لأبي حامد أحمد بن عليّ السبكي [-773هـ] ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2003م.

84- العِقد الفريد ، لأبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي [-328هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1404هـ.

85- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي[-463هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت- لبنان ، ط5 ، 1981م .

86- عيار الشعر ، لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا العلوي [-322هـ] ، تحقيق د.عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم ، الرياض-السعودية ،د.ط ، 1983م .

87- الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم [-438هـ] ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، ط2، 1997م.

88- فهرست منتجب الدين ، لمنتجب الدين بن بويه [ت بعد 585هـ] ، تحقيق د.سيد جلال الدين ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم -إيران ،د.ط ، 1366 ش /1369هـ.

89- القاموس المحيط ، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي [-817هـ] ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت -لبنان ، ط 8 ، 2005م.

90- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، لأبي محمد الطيب بن عبد الله بامخرمة [-947هـ]، تحقيق بو جمعة مكري و خالد زواري، دار المنهاج ،جدة-السعودية ، ط1 ، 2008م.

91- الكافية في علم النحو، لجمال الدين عثمان بن عمر ، المعروف بابن الحاجب [-646هـ] ، تحقيق د.صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب، القاهرة -مصر ، ط1 ، 2010م .

92- الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن محمد بن محمد الشيباني ، المعروف بعز الدين ابن الأثير[-630هـ] ، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت -لبنان- ، ط1، 1997م.

93- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، الملقب بسيبويه [-180هـ] ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط 3 ، 1988م .

94- كتاب التعريفات ، لعليّ بن محمد بن عليّ الجرجاني [-816 هـ] ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط 1 ، 1983م.

95- كتاب الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، الشهير بالجاحظ [-255هـ] ، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1424هـ .

96- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري[-395هـ] ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه) ، القاهرة-مصر ، ط 1 ، 1952م .

97- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد بن علي ابن القاضي التهانوي [ت بعد 1158هـ] ، تحقيق د.علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1996م.

98- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر بن أحمد ، المعروف بالزمخشري[-538هـ] ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث ، القاهرة-مصر ، ط3 ،1987م.

99- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمططفي بن عبد الله القسطنطيني المشهور بحاجي خليفة [-1067هـ]، مكتبة المتنبي- وكالة المعارف، إسطنبول-تركيا ،ط1، 1941-1943م.

100- لسان العرب ، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور[-711هـ] ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط3، 1414هـ.

101- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لأبي الفتح نصر الله بن محمد ، المعروف بابن الأثير [-637هـ] ، تحقيق د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة -مصر ، ط 1 ، 1960م.

102- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني [-518هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، د.ط ،2004م.

103- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ،لأحمد قَبّش ، دار الرشيد ، دمشق -سوريا، ط3 ، 1985م.

104- المدخل إلى السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي المشهور بالبيهقي [-458هـ] ، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ،د.ط، 1984م .

105- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، لأبي المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي [-654هـ] ، تحقيق محمد بركات و آخرين ، دار الرسالة العالمية ، دمشق -سوريا ، ط1 ، 2013م .

106- المُزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [-911هـ] ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1998م.

107- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل [-241هـ] ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ،ط1 ، 2001م.

108- معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، لجمال الدين عبد الرحيم بن عليّ بن شيث القرشي [-625هـ] ، المطبعة الأدبية ، بيروت-لبنان ،د.ط ، 1913 م .

109- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء [-207هـ] ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي و آخرين ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة- مصر ، ط1 ، د.ت.

110- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [-626هـ] ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1993م .

111- معجم الأسلوبيات ، كاتي وايلز ، ترجمة خالد الأشهب ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت –لبنان، ط1 ، 2014م .

112- معجم البلدان ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [-626هـ] ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، ط2، 1995م.

113- معجم العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي [-170هـ] ، تحقيق د.مهدي المخزومي ، د.فاضل السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت- لبنان ، ط1 ، د.ت.

114- المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني [-360هـ] ، تحقيق حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة-مصر ، ط2 ، د.ت.

115- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ.د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ، القاهرة – مصر، ط1 ، 2008 .

116- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،د.أحمد مطلوب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2006 م .

117- معجم المطبوعات العربية والمُعرّبة ، يوسف بن إليان بن موسى سركيس [-1351هـ] ، مطبعة سركيس، مصر ،د.ط ، 1928 م.

118- المعجم المُفَصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ،د.إنعام فوَّال عكّاوي ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط3 ، 2006م.

119- معجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشقي[-1408هـ] ،دار إحياء التراث العربي،بيروت- لبنان ، د.ط ، د.ت.

120- المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة-مصر ، ط2 ، 1972م.

121- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لأبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري [-761هـ] ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، د.ط ، 1991م.

122- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن عليّ السكاكي[-626هـ] ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1987م.

123- المفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمرو ،المعروف بالزمخشري[-538هـ] ، تحقيق د. علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1993م.

124- المقتَضَب ، لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد [-285هـ] ، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت-لبنان ، د.ط ، د.ت.

125- المقدمة الجَزُولية في النحو ، لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي [-607هـ] ، تحقيق د.شعبان عبد الوهاب محمد ، مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة-السعودية ، د.ط ، د.ت .

126- المُقرّب ومعه مثل المُقرِب ، لأبي الحسن عليّ بن مؤمن المعروف بابن عصفور الإشبيلي [-669هـ] ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، ط1 ، 1998م.

127- المقفى الكبير، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي [-845هـ]، تحقيق د.محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان، ط2 ، 2006م.

128- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي [-597هـ] ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان -، ط1، 1992م .

129- المَنزَع البديع في تجنيس أساليب البديع ، لأبي محمد القاسم السجلماسي [ت نحو 704هـ] ، تحقيق د.علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط- المغرب ، ط1 ، 1980م .

130- منهاج البلغاء ورسائل الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني[-684هـ] ، تحقيق : د. محمد الحبيب ابن الخوجه ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت -لبنان ، ط 3، 1986م .

131- موادّ البيان ، لأبي الحسن علي بن خلف الكاتب [-437هـ] ، تحقيق أ.د. حاتم صالح الضامن ، دار البشائر ، دمشق -سوريا ، ط 1 ، 2003 م.

132- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي [-845هـ]، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان، ط1 ،1998م.

133- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير و الإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لقصائدهم وشيء من طرائفهم ، جمع وإعداد : وليد أحمد الحسين الزبيري وآخرين ، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، مانشستر- بريطانيا ، ط1 ، 2003م.

134- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي[-874هـ] ، دار الكتب المصرية ،القاهرة-مصر ،د.ط ،د.ت.

135- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة [-337هـ] ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية -تركيا ، ط1 ، 1302هـ.

136- نقد النثر أو كتاب البيان ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة [-337هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، د.ط ، 1980م.

137- نهاية الأَرَب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد المعروف بالنويري [-733هـ] ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة- مصر ، ط1 ، 1423هـ.

138- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل بن مير سليم الباباني البغدادي [-1399هـ]، وكالة المعارف ، إسطنبول-تركيا ،ط1 ، 1951-1955م.

139- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي [-911هـ] ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوقيفية ، مصر، د.ط ، د.ت.

140- الوافي بالوفيَات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[-764هـ] ، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفي، دار إحياء التراث ، بيروت-لبنان، د.ط ، 2000م.

141- الوافي في العروض والقوافي ، لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي[-502هـ] ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق-سورية، ط1 ، 1986م.

142- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني [-392ه] ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عليّ محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة-مصر ، ط3 ، د.ت.

143- الوشي المرقوم في حل المنظوم ، لأبي الفتح نصر الله بن محمد ، المعروف بابن الأثير [-637ه] ، تحقيق يحيى عبد العظيم ، مجلة الذخائر ، القاهرة-مصر، ع121 ، 2004م.

144- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خلكان [-681ه] ،تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ،بيروت -لبنان، ط1 ،1994م .

145- وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم [من سنة 375ه إلى 456ه]، لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال [-482هـ]، تحقيق محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة ،الرياض- السعودية،ط1 ، 1408ه.

146- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي [-429هـ]، دار الكتب العلمية، لبنان -بيروت-،ط1، 1983م.

ثالثًا: المراجع العربية:

147-الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي ، د.عدنان حسين قاسم ، الدار العربية ، القاهرة-مصر ،د.ط ، 2001م.

148-الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، د.علي عزت ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1996م .

149-أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس -ليبيا ،د.ط ، 1984م.

150-الأدب الساخر، د.نبيل راغب فرج، مكتبة الأسرة ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 2000م.

151-الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتّاب ، د.محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،-مصر ، د.ط ، 1988م.

152–الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية –، أ.أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة–مصر ، ط 8، 1991 م .

153–أسلوب طه حسين في الدرس اللغوي الحديث ، د.البدراوي زهران ، دار المعارف، القاهرة–مصر ،د.ط ، 1982م.

154–الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية – ، د.فتح الله أحمد سليمان ، مكتبة الآداب ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2004م .

155–أسلوبية الانزياح في شعر المُعلّقات ، عبد الله خضر حمد ، عالم الكتب الحديث ، إربد– الأردن ، ط1 ، 2013م.

156– الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط 5 ، 2006م.

157– الأسلوبية والتقاليد الشعرية (دراسة في شعر الهذليين) ، محمد أحمد بربري ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة–مصر، د.ط ، 1995م.

158– الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث– تحليل الخطاب الشعري والسردي)، د. نور الدين السد ، دار هومه ، الجزائر، د.ط ، 2010 م.

159– الاشتقاق ، عبد الله أمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة–مصر ، ط2 ،2000م .

160– أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة–مصر ، ط10، 1994م .

161– الانزياح في الخطاب النّقدي والبلاغي عند العرب ، د.عباس رشيد الددة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد–العراق ، ط1 ، 2009م.

162– أنوار الربيع في أنواع البديع ، لصدر الدين علي بن أحمد بن معصوم المدني [–1120هـ] ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف– العراق ، ط1 ، 1969م .

163– البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، د.جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1998م.

164- البديع والتوازي ، د.عبد الواحد حسن الشيخ ،مكتبة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية -مصر ، ط1 ، 1999م.

165- البلاغة العربية :قراءة أخرى ، د.محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة-مصر ، ط2 ،2007م.

166-البلاغة الواضحة (البيان -المعاني-البديع) للمدارس الثانوية ، علي الجارم و مصطفى أمين ، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، د.ط ، د.ت.

167- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت-لبنان ، ط 1 ، 1994م .

168- البلاغة والتطبيق ، د.أحمد مطلوب و د.حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، ط 2 ، 1999م.

169- بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، د.محمد عبد المطلب ، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1995م.

170- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي حبيب زيدان [-1332هـ] ، مكتبة الحياة ، بيروت -لبنان ، د.ط ، 1983م.

171- تاريخ الأدب العربي ، د.شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1960م-1995م.

172- تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام[297-567هـ/ 910-1171م] ،د.محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ، بيروت - لبنان ،ط2 ، 2007م .

173- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت-لبنان-، ط 4 ،1983م.

174- تاريخ النقد الأدبي عند العرب -نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري-، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت-لبنان، ط4، 1983م.

175- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د.مفتاح محمد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب ، ط3 ، 1992م.

176- تصريف الأسماء ، د.محمد الطنطاوي [-1959هـ] ، دار الظاهرية ، الكويت ، ط1 ، 2017م .

177- تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات ، د.صالح سليم الفاخري ، دار عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر ، د.ط ، 1996م.

178- التطبيق الصرفي ، د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان ،د.ط ، 1984م.

179- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، أنيس مقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت-لبنان ، ط 6 ، 1979 م.

180- تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – [-1420هـ] ، دار الراية ، الرياض – السعودية ، ط 2 ، 1408هـ.

181- التوحيد للناشئة والمبتدئين ، عبد العزيز محمد علي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية ، السعودية ، ط1 ، 1422هـ.

182- تيسير البلاغة ، الشيخ أحمد القَّلاش ، رابطة العلماء السوريين ، سوريا ، د.ط ، 2017م .

183- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرُّماني والخَطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، تحقيق د.محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة-مصر ، ط 3 ، 1976م .

184- جامع الدروس العربية ، مصطفى محمد الغلاييني [-1364هـ] ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ط28 ، 1993م .

185- جريدة الصحافة – الورقات الثقافية – ، تونس ، ع 29 أكتوبر 1999م .

186- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد إبراهيم الهاشمي [-1362هـ] ، تحقيق د.يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، ،د.ط ، 1999م.

187- خزانة التراث -فهرس المخطوطات ، مركز الملك فيصل ، السعودية ، نسخة إلكترونية على المكتبة الشاملة ، 2017.

188- الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 2018م.

189- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، د.محمد عبد الخالق عضيمة [-1404هـ] ، دار الحديث ، القاهرة–مصر ، د.ط ، د.ت.

190- دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة–مصر ، ط3 ، 1976م .

191- الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي [358-576هـ/969-1171م] ، د.سمير عبد الله سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 2006م.

192- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري (العراق والمشرق الإسلامي) ، د.غانم جواد رضا الحسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1 ، 2011.

193- الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د.محمد الدروبي ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان–الأردن ، ط1 ، 1999م.

194- رسائل القاضي الفاضل (دراسة تحليلية)، د.محمد عبد الرحمن عطا الله ، دار الحضارة ، طنطا–مصر ، ط1، 2000م .

195- الرسائل في مصر الإسلامية إلى نهاية الدولة الإخشيدية ، د.أحمد أمين مصطفى ، مطبعة السعادة ، القاهرة –مصر ، د.ط ، 1990م.

196- الزمن في القرآن الكريم –دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه –، د.بكري عبد الكريم ، دار الفجر ، القاهرة –مصر، ط2 ، 1999م.

197- السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د.نعمان محمد أمين طه ، دار التوفيقية ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1978م.

198- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني [-1420هـ] ، مكتبة المعارف ، الرياض– السعودية ، ط1 ، 1992م.

199- شَذَا العَرف في فن الصرف ، لأحمد بن محمد الحملاوي [-1351هـ] ، تحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد ، الرياض- السعودية ، د.ط ، د.ت.

200- الشيعة وفنون الإسلام ، السيد حسن الصدر [-1354هـ] ، مطبعة الوفاء ، صيدا-لبنان ، د.ط ،1912م.

201- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني [-1420هـ] ، المكتب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 1988م.

202- الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية ، د.هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، أربد-الأردن ، ط1 ، 2010م.

203- الطيب صالح في منظور النقد البنيوي ، د.يوسف نور عوض ،مكتبة العلم ، جدة-السعودية ،د.ط، 1983م.

204- العربية وعلم اللغة البنيوي، د.حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية-مصر ،د.ط ، 1987م.

205-علم أساليب البيان ، د.غازي يموت ، دار الأصالة للطباعة والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط1 ، 1983م.

206- علم الأسلوب (مدخل ومبادئ) ، د.شكري محمد عياد ، دار التنوير ، بيروت- لبنان ، ط 1 ، 2013م.

207- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، د.صلاح فضل ، دار الشروق ،القاهرة-مصر، ط 1 ، 1998 م .

208- علم المعاني ،عبد العزيز عتيق [-1396هـ] ، دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2009م.

209- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، أحمد مصطفى المراغي [-1371هـ] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط3 ، 1993م .

210- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، لأبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن عربشاه [-854هـ] ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري ، دار الآفاق العربية ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 2001م.

211- الفن ومذاهبه في النثر العربي ،د.شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة -مصر ، ط 13، 2005م.

212- في أدب مصر الفاطمية ، د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، القاهرة -مصر ، ط1 ، 1950م.

213- في الأسلوبية التعبيرية (دراسة تحليلية في رسائل الصاحب بن عبّاد) ، د.زين الدين الشيخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية -مصر ،د.ط ، 2019م.

214- في نحو اللغة وتراكيبها ، د.خليل عمايرة ، دار عالم المعرفة ، جدة-السعودية ، ط 1 ، 1984م .

215- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، د.محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 1994م .

216- القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، د.محمد صابر عبيد ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق-سوريا ، د.ط ، 2001م.

217- لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب) ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1991م.

218-مجموعة الوثائق الفاطمية (وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة) ، جمع وتحقيق د.جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة-مصر ، ط1 ، 2002م.

219- مراعاة النظير في كلام العلي القدير ، د.كمال الدين عبد الغني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية -مصر ، د.ط ،2000م.

220- معاني النحو ، د.فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، الأردن ، ط 1 ، 2000م .

221-مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف سامي اليوسف ، دار الحقائق ، الجزائر ، ط3 ، 1983م .

222- المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي ،د.عبد الحفيظ حسن ، الناشر هو المؤلف نفسه ، د.ط ، د.ت.

223- النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د.زكي مبارك ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة- مصر ، د.ط، 2013 م .

224– النحو الأساسي ، د.أحمد مختار عمر وآخرين ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط 4 ، 1994 م.

225– النحو الوافي ، عباس حسن [–1398هـ] ، دار المعارف ، القاهرة –مصر ، ط 15 ، د.ت .

226– نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د.صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة–مصر ، ط1 ، 1998م .

227– النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا (نصوص –جماليات–تطلعات) ، د. فؤاد أبو منصور ، دار الجيل ، بيروت –لبنان ، د.ط ، 1985م.

رابعًا: المراجع المترجمة:

228–اتجاهات البحث الأسلوبي ، مجموعة باحثين ، ترجمة :د. شكري محمد عيّاد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، القاهرة –مصر ، د.ط ، د.ت.

229–الأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة د.منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، سوريا ، ط2 ، 1994م .

230–البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، ترجمة وتعليق : د.محمد العمري ، دار أفريقيا الشرق ، بيروت –لبنان ، ط2 ، 1999م .

231–البنيوية في الأدب ، روبرت شولز ، ترجمة حنا عبود ، رابطة اتحاد الكُتَّاب العرب ، دمشق –سوريا ،د.ط، 1984م .

232–فن الشعر ، لأرسطوطاليس[–322 ق.م] ، ترجمة د.إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة–مصر ، د.ط ، 1982م.

خامسًا : الدوريات العلمية :

233–مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، الجزائر ، مج 8 ، ع 2، 2014م.

234–مجلة دراسات :العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية– الأردن، مج 25 ، ع 2 ، 1998م .

235–مجلة علامات ، النادي الأدبي الثقافي، جدة– السعودية ، مج 10، ع 40 ، 2001م .

236–مجلة فصول ، القاهرة–مصر، مج 5 ، ع1 ، أكتوبر، 1984م.

237–حولية كلية اللغة العربية ، جرجا–مصر ، مج 11 ، ع 2 ، إبريل ، 2007م .

سادسًا: الأطاريح والرسائل الجامعية:

238–الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا– الجامعة الأردنية ، عمان – الأردن ، 1994م.

239–الإطناب في قصص القرآن الكريم ، عائشة أحمد عرسان ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا– جامعة النجاح الوطنية ، نابلس–فلسطين ، 2009م .

240–حركة النثر في العهد الفاطمي في المغرب العربي [260–370هـ / 873– 980 م] ، صفاء فرحان سعيد السرحان ، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة آل البيت، الأردن ، 2016م.

241–دلالة الأفعال (ماضٍ–مضارع–أمر) في سورة لقمان ، بثينة خضير و آخرون ، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي –الجزائر ، 2020م.

242–ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابية [358هـ–568هـ] ،سمير عبد الوهاب عبد ربه ، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، الأردن ، 2007م.

243–الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، د.محمد موسى النعيمات ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية، عمان– الأردن ، 2014م.

244–سورة الرحمن دراسة أسلوبية ، مها الصافي عباس ، رسالة ماجستير، كلية الآداب –جامعة الإسكندرية، مصر ، 2018م.

245–المنهج الأسلوبي في النقد العربي المعاصر ، نبيل قواس ، رسالة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر – باتنة1 ، الجزائر ، 2017م.

المَلَاحق

فهرس آيات القرآن الكريم الورادة في رسائل العميدي

م	الآية	تخريج الآية في المصحف		بيان موضع الآية في رسائل العميدي		
		اسم السورة	رقم الآية	رقم الرسالة	رقم الصفحة	نوع الرسالة
1	" وما وجدنا لأكثرهم من عهد.."	الأعراف	102	17	85	أدبية
2	" فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.."	فاطر	8		85	
3	" عليها غبرة * ترهقها قترة* أولئك هم الكفرة الفجرة"	عبس	40-42	37	183	إخوانية
4	" فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير"	الحج	44	56	269	ديوانية
5	" وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها و إليَّ المصير "	الحج	48		269	
6	" ....إن العهد كان مسئولًا"	الإسراء	34		269	
7	" ..ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا"	الأنفال	44		270	
8	"...بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين"	البقرة	93		278	
9	" لا يغرّنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد "	آل عمران	196 – 197		280	
10	" ولا تحسبن الله غافلًا عمَّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار"	إبراهيم	42		283	

11	" ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار"	إبراهيم	28-29		283	
12	"...ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين"	آل عمران	144	57	286	ديوانية
13	" وإذا مس الناس ضرٌ دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمةً إذا فريق منهم بربهم يشركون"	الروم	33		288	
14	" أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون "	الأعراف	99		291	
15	" ...ومن يُرِدِ الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا أولئك الذين لم يُرِدِ الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم"	المائدة	41		294	
16	"...وهل نجازي إلَّا الكفور"	سبأ	17		298	
17	"..هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا"	مريم	98		299	
18	" ...وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار"	الرعد	42		300	
19	"...إنما نعدّ لهم عدًا "	مريم	84	58	304	أدبية
20	"...وبلغت القلوب الحناجر"	الأحزاب	10	60	317	ديوانية
21	"...وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال"	الرعد	11		320	

22	"...وما الحياة الدنيا إلَّا متاعُ الغرور"	آل عمران	185	64	338	إخوانية
23	" ولله عاقبة الأمور"	الحج	41		338	
24	" وإلى الله عاقبة الأمور"	لقمان	22		338	
25	" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون "	البقرة	44	66	343	إخوانية
26	"...يصلاها مذمومًا مدحورًا "	الإسراء	18	76	368	إخوانية
27	" يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا * إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا"	الأحزاب	9-11	77	370	ديوانية
28	" ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًّا عزيزًا"	الأحزاب	25		371	
29	"فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون "	الزُّمَر	26		372	
30	" عبس وتولى"	عَبَس	1	83	391	إخوانية
31	" ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنَّا ظالمون "	المؤمنون	107	88	409	أدبية
32	"...فاعتبروا يا أولي الأبصار"	الحشر	2	91	422	أدبية
33	" كلا إن الإنسان ليطغى*أن رآه استغنى"	العلق	6-7	97	440	إخوانية



Faculty of Arts

Department of Psychology

Al-Ameedi' s Letters,a Stylistic Study

Prepared by

Omar Ramadan Abdel-Hafeez Abdel-Hafez

A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master's in arabic language and its arts

Judging and discussion committee	the signature
Prof. Dr. Zain El-Din Zakaria El-Sheikh Professor of Literature and Criticism and Head of the Arabic Language Departmentf, Faculty of Arts, Alexandria University	
Prof. Dr. Rania Fawzi Issa Professor of Linguistics, Faculty of Arts, Alexandria University	R. Essa
Prof. Dr. Salem Abdel Razaq Suleiman Professor of Literature and Vice Dean of the Faculty of Education, Alexandria University	

Date of defense of the master's thesis
21/2/2024



Faculty of Arts

Arabic Language Department

Division of Literary and Critical Studies

Al-Ameedi's Letters
a Stylistic Study

A thesis submitted to complete the master's degree according to the credit hour system

From the Arabic Language Department

Submitted by the Researcher

Omar Ramadan Abdel-Hafeez

Teaching Assistant in the Arabic Language Department

Supervised by

Prof. Zain Al-Din Al-Sheikh

Professor of Literature and Criticism
and Head of the Arabic Language Department
Faculty of Arts, Alexandria University

2024